

حديقة السالكين والاصحاب

بما في السيرة الموكلة من غرائب الاخبار

سيرة الامام الموكلة على الله اسماعيل بن القاسم (١١١٩-١١٧٧هـ)

تأليف

العالمة المؤرخة العاقرة بن محمد بن احمد بن عبد الله الجبري

(١١٠٣-١١٧٦هـ)

دراسة وتحقيق

عبد الحكيم بن محمد الجبري

الجلد الاول



مكتبة دار الفکر للطباعة والنشر والتوزيع



مركز بحوث الحاسوب علوم حاسوب

بِحَقِّهِ الْبُشْرَى وَالْبُشْرَى
بما في السيرة الموكلمية من غرائب الأخبار
سيرة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن العباسم (١١٨٧-١١٨٧ هـ)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٠٢/٥١٤٢٣ م

تم الصف والإخراج بمركز النهاري للطباعة - صنعاء - جوار الجامعة القديمة

إخراج: خالد محمد عمر الزيلعي



مركز الأئمة الزيدية علي الثقافة

ص.ب. ١٤٣٦٨٤٨، عمان ١١٨٤٤، المملكة الأردنية الهاشمية

Website: www.izbacf.org ; email : info@izbacf.org

دار الإمام زيد بن علي (ع) الثقافية للنشر والتوزيع

ص.ب. ١٥١٣٤ تلفون (٢٠٥٧٧٧-٠٠٩٦٧١)

فاكس (٢٠٥٧٧١-٠٠٩٦٧١) صنعاء - الجمهورية اليمنية

تَحْفِيزُ السَّلَامَةِ وَالْبَصَلَةِ
بِمَا فِي السِّيَرَةِ الْمُتَوَكِّلِيَّةِ مِنْ غُرَابِ الْأَخْبَارِ
سِيَرَةُ الْإِمَامِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْفَائِزِ (١٠١٩-١٠٨٧هـ)

تَأَلَّفَ
الْعَلَّامَةُ الْمَوْرِخُ الْمُطَهَّرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَمْرِيُّ
(١٠٠٣ - ١٠٧٦هـ)

مَرْكَزُ تَحْقِيقِ كَلِمَاتِ طَبَقِ سِدْقِ
دِرَاسِيَّةٌ وَتَحْقِيقٌ
عَبْدَ الْحَكِيمِ بْنِ عَبْدِ الْمَجِيدِ الْهَنْجَرِيِّ

جمعداری اموال
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
ش - اموال : ۴۹۵۳۲

الجزء الأول



موسسه تنظیم و نشر آثار امام زین العابدین علی بن ابي طالب

کتابخانه
مرکز تخصصی کتب و ترویج علوم اسلامی

شماره ثبت: ۰۰۹۳۵۴
تاریخ ثبت:



الإهداء

إلى التي كان لها دور عظيم في أن تقرأ هذه الرسالة



النور.. زوجتي الغالية

مركز تحفيظ وتعليم القرآن (أم خلدون)



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مقدمة

إن الصلة بين الماضي والحاضر صلة حميمة، فلولا ذلك الماضي لما كان هذا الحاضر، ولهذا حاولت أن أفتش في ذلك الماضي، عندما راودتني العديد من الموضوعات لاختيار موضوع دراستي في التاريخ الحديث والمعاصر، ومن خلال مسحة لتاريخ اليمن الحديث وجدت أن هناك ثغر تمثلت في فترة زمنية هامة من تاريخ بلادنا وهي فترة ما بعد الخروج العثماني الأول من اليمن، فترة توحدت فيها الأرض اليمنية، وكان لها شأن عظيم بين الدول المجاورة، والدولة الإسلامية والأوروبية.

هذه الفترة كانت بين الأعوام [١٠٥٤هـ - ١٠٨٧هـ / ١٦٤٤م - ١٦٧٦م] وهي فترة لم يتطرق إليها العديد من المؤرخين، إلا عبر كلمات قليلة جاءت بين السطور، وبناء عليه قررت استقاء موضوعي من خلال المخطوطات التاريخية، لأن ما كتب عن الفترة لا يمثل إلا قطرات في بحر واسع.

وبعد البحث في المخطوطات التاريخية والتي اطلعت عليها في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، وجدت ما أصبوا إليه في مخطوطة تحمل اسم (تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار) للمؤلف مطهر بن محمد الجرموزي (ت ١٠٧٧هـ / ١٦٦٦م).

إن تلك المخطوطات والتي ترقد في مكتبة الجامع الكبير وبعض

المكتبات الخاصة التي تمثل تراثاً وطنياً، وهو بالطبع يعد جزء من تراث الأمة العربية الإسلامي.. ولذا وجب التعرف عليه واحيائه عبر جمعه وتدوينه، ومن ثم تحقيقه ونشره ليكون في متناول الجميع.

وتكمن الأهمية الزمنية للمخطوطة بأنها أرخت لفترة استقل فيها اليمن بعد خروج الأتراك الأول (١٠٤٥هـ/١٦٣٥م) وصولاً إلى توحيدها في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل، وتبرز أهمية المخطوطة أيضاً في دقة معلوماتها وشموليتها، إلى جانب أن مؤلفها كان شاهد عيان لأحداثها؛ بل وأكثر من ذلك قربه من الإمام المتوكل على الله إسماعيل.

وهناك بعض الكتابات التي أرخت لهذه الفترة مثل يحيى بن الحسين في مؤلفه (بهجة الزمن في حوادث اليمن) وعبدالله بن علي الوزير في مؤلفه (تاريخ الحلوى وصحائف المن والسلوى)، إلا أنهما لم يكونا شاهداً عياناً كمؤرخنا، أيضاً هناك بعض البحوث والدراسات تناولت فترة حكم الإمام المتوكل على الله إسماعيل، مثل ما نشرته الباحثة السعودية سلوى سعد الغالبي والتي نالت درجة الماجستير في بحثها عن الإمام المتوكل على الله إسماعيل ودوره في توحيد اليمن، وقد أشارت إلى أن مخطوطتنا كانت العمود الرئيسي في موضوع دراستها، إلا أننا نرى أنها لم تستفد منها كثيراً، كما كانت استقت منها معلوماتها بعلاقتها دون تمحيص أو تدقيق.

ولقد أعطت المخطوطة صورة متكاملة لتلك الحقبة الزمنية من تاريخ اليمن المستقل.

ورغم أن المؤرخ الجرموزي، كان منحازاً للأئمة، كما يتضح من تلك العبارات التي ترد في المخطوطة من خلال تهجمه على الأتراك، إلا أن ذلك لا

ينقص من أهميتها ولا يؤثر على محتواها فهي تحتوي على تاريخ مفصل لفترة من أهم فترات تاريخ اليمن الحديث، فإلى جانب اهتمام المؤلف بالتطور السياسي حينذاك فإنه تطرق إلى ذكر النواحي الإجتماعية والإقتصادية كما أنه رصد النهضة العلمية التي شهدتها الفترة ويتجلى ذلك في ذكره العديد من العلماء والفقهاء الذين ساهموا في النهضة.

ونلمس أهمية المخطوطة بالنظر إلى ما قدمته لنا في صورة واضحة عن العلاقات الخارجية التي تربط اليمن بالأقطار العربية والإسلامية. حيث وثقت لتلك الرسائل التي تبودلت بين الإمام والأشراف في مكة واليعاربة (سلطنة عمان حالياً) وكذا الدولة المغولية (الهند) وغيرها.

أما النسبة لمؤلف المخطوطة فهو المظهر بن محمد بن أحمد بن محمد المنتصر الهدوي الجرهموزي، ولد سنة (١٠٥٠هـ/١٥٩٥م) في بني جرهموز من بني الحارث شمال صنعاء.

ولقد عايش مؤرخنا الإمام القاسم محمد (ت ١٠٢٩هـ/١٦١٩م) وابنيه المؤيد بالله محمد بن القاسم (١٠٥٤هـ/١٦٤٤م) والمتوكل على الله إسماعيل (ت ١٠٨٧هـ/١٦٧٧م).

وتبوأ مؤرخنا مناصب عليا في الدولة القاسمية، في مجال القضاء كان آخرها أيام المتوكل على الله إسماعيل حيث شغل منصب قاضي في (عتمه).

ولقد كتب ثلاث سير تناول فيها حياة القاسم وولديه كل على حده، وهذه السير تعد تاريخاً هاماً لفترة هامة، من تاريخ بلادنا، فترة نضال ضد الأتراك وخرجهم منها، وصولاً إلى توحيد اليمن تحت حكم الإمام المتوكل، وقد أفردت في دراستي التمهيدية وبشكل موسع ترجمة عن المؤلف (مولده. نشأته.

مؤلفاته. وفاته. ومنهجه في الكتابة).

ولقد اعتمدت في تحقيقي للمخطوطة على أربع نسخ وهي:

١- نسخة المكتبة الغربية في الجامع الكبير وقد أشرت إليها في الرسالة بالرمز (أ).

٢- النسخة الثانية وهي موجودة أيضاً في المكتبة الغربية في الجامع الكبير ورمزت إليها بالرمز (ب).

٣- نسخة مكتبة الأحقاف بتريم وأشرت إليها بالرمز (ج).

٤- نسخة الفاتيكان وأشرت إليها بالرمز (ف).

أما بالنسبة لنسخة الوالد القاضي محمد القاسم الوجيه فقد إكتفيتُ بالإستئناس بها وقسمت الدراسة إلى قسمين:

القسم الأول: واشتمل على الدراسة التمهيديّة، والتي تناولت من خلالها ترجمة عن حياة المؤلف، ونسبه، مولده، نشأته، مؤلفاته، فمنهجه في الكتابة.

اتجهت بعدها لمعالجة المخطوطة ببيان أهميتها واستعراض محتوياتها بكافة جوانبها السياسية والإقتصادية وكذا النهضة العلمية.

ثم تطرقت إلى المخطوطة، وكيف تم البحث عنها، واختيار النسخة الأم، وعرض الأسباب في اختيار هذه النسخة دون غيرها مما وقع بين يدي من نسخ هذه المخطوطة، يلي ذلك تفصيل لكل نسخة من هذه النسخ عبر عملية وصفية لكل واحدة منها.

وخلصت في نهاية دراستي التمهيديّة إلى منهج النشر الذي اعتمدت عليه أثناء تحقيقي للمخطوطة.

القسم الثاني: وأما بالنسبة لهذا القسم، فقد ضم تحقيقاً للمخطوطة، عمدت من خلاله تناولها بالتحقيق العلمي المتعارف عليه أثناء عملية البحث والتحقيق لكل ما ورد فيها ويتضح ذلك جلياً في هوامش النص.

وذيّلت الدراسة بعدد من الملاحق احتوى الملحق الأول على جدول توضيحي لأسرة الإمام القاسم بن محمد، فيما احتوى الملحق الثاني على أسماء الكتب التي ألفها الإمام المتوكل على الله إسماعيل ويأتي بعدها ملحق ثالث يضم أشهر الألقاب التي وردت في المخطوطة.

أما الملحق الرابع فقد خصص لخريطتين تفصيليتين للدولة اليمنية في عهد المتوكل.

وفي الأخير لا بد أن تجد آيات الشكر والعرفان طريقها إلى من استحقها فنكران الجميل جحود والمقدم عليه لا يفلح... وهنا أوجه الشكر العميق - مع علمي بأني مهما قلت في هذا الخصوص فسأبقى عاجزاً عن الإنصاف - إلى الأستاذ الإنسان صاحب الفضل الأول والأكبر عليّ أستاذي الفاضل المشرف على الرسالة الدكتور/ حسين بن عبدالله العمري. والذي لولاه ما كان لرسالتي أن ترسو واثقة مطمئنة كما هي بين يدي القارئ. فله مني التحية والإجلال.

ولا أنسى أيضاً من تقديم شكري وتقديري للأستاذ الدكتور/ سيد مصطفى سالم النبي مد يد العون والمساعدة، ولم يبخل عليّ بالنصيحة والمشورة طيلة فترة عملي في الرسالة.

ولا أنسى كذلك أهل بيتي الذين تحملوا معي عبء الحياة لترى هذه الدراسة النور. كما لا يفوتني أن أشكر كل أخ وصديق على كل ما قاموا به من

مساعدة عند إعداد هذه الرسالة.

وفي الختام أرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في دراستي هذه، وأملّي أن تكون سنداً للباحثين والمهتمين في التاريخ اليمني الحديث.. وإن كان هناك ثمة قصور. فحسبي أني أديت ما استطعت إليه سبيلاً، والكمال لله سبحانه وتعالى.

والله ولي التوفيق ..

عبدالحكيم عبدالمجيد المهجري

صنعاء: في ١٩٩٧/٣/٢٥ م.



مركز بحوث ودراسات في تاريخ اليمن

الدراسة التمهيديّة

ترجمة المؤرخ: المطهر بن محمد الجرزمي

تمهيد:

مثلت الفترة التاريخيّة للوجود العثماني الأول في اليمن (١٥٣٨-١٦٣٥م) مرحلة هامة في التاريخ اليمني الحديث، حيث ارتبطت تلك الفترة بأحداثٍ سياسية، نتيجة تصادم العثمانيين باليمنيين، وخاصة (بالأئمة الزيديين، والذين تمكنوا بالتالي من قيادة الثورات الوطنية حينذاك ضد العثمانيين، مما ساعدهم في النهاية على أن يلعبوا الدور الرئيسي في تاريخ اليمن)^(١).

ونشطت نتيجة للأوضاع السياسية الناجمة عن هذا الصراع، حركة التأليف التاريخي آنذاك، حيث صاحب ذلك التصادم نهضة فكرية وثقافية: (إذ كان من الطبيعي أن يشترك القلم في المعارك القائمة حينذاك، وتظهر كتابات ومؤلفات)^(٢) أسهمت في رصد وقائع الأحداث - في الحرب والسلم على السواء - وبالتالي فقد شكلت تلك المؤلفات، مصدراً هاماً، يستند إليه كل من أراد التأريخ لهذه الفترة، ويعول على مصداقيته بتجاه طرح رؤاه وتحليلاته عنها.

(١) د/ سالم، سيد مصطفى: المؤرخون اليمنيون: ٨

(٢) المصدر نفسه: ١١.

تلك الكتابات والمؤلفات لم يزل الكثير منها مخطوطاً يرقد في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، وغيرها من المكتبات العامة والخاصة، وهي بلا ريب تمثل تراثاً وطنياً ثرياً، ينبغي الكشف عنه وجمعه والتعريف به في فهرس وصفية منظمة، ومن ثم تحقيقه ونشره ليكون في متناول الجميع، وبالذات المهتمين بقضايا التراث دراسة وتحليلاً.

من ذلك الكنز الكبير من المخطوطات (تحفة الأسماع) -موضوع دراستنا- كواحدة من النماذج لمؤلفات ذلكم العصر، للمؤرخ المطهر بن محمد الجرموزي، باعتباره أحد المعاصرين لفترة نشوء الدولة القاسمية، على يد مؤسسها الإمام القاسم بن محمد (ت ١٠٢٩هـ/١٦١٩م)، إبان الإحتلال العثماني الأنف الذكر.

وتعدُّ (تحفة الأسماع والأبصار) واحدة من ثلاث مؤلفات -سيأتي الحديث عنها- للمؤرخ الجرموزي، تناول فيها التاريخ لسيرة الإمام القاسم محمد، وسيرة كل من ولديه الإمام المؤيد بالله (ت ١٠٥٤هـ/١٦٤٤م)، والإمام المتوكل على الله إسماعيل (ت ١٠٨٧هـ/١٦٧٧م)، وهو بذلك يكون قد استوفى التاريخ لفترة عدت من أهم فترات التاريخ الحديث للدولة اليمنية.

ونستعرض في ما يلي بالشرح والإيضاح، ترجمة الجرموزي، مستقصين أخباره مما وقفنا عليه من مصادر، نورد فيها نبذة عن حياته وسيرته.

نسبه

هو السيد العلامة المجاهد فخر الدين^(١) الجرموزي الحسيني الهدوي^(٢)، المنتهي نسبه إلى آل البيت، فهو: المطهر بن محمد بن أحمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد المنتصر بن محمد بن أحمد بن القاسم بن يوسف بن المرتضى بن المفضل بن منصور بن الحجاج بن عبدالله بن علي بن يحيى بن

(١) الجرموزي: النبذة المشيرة: ٥٠٨.

(٢) د/ العمري، حسين عبدالله: مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني: ٨٧.

القاسم بن يوسف الداعي بن يحيى الناصر بن أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب^(١). واشتهر بالجرموزي نسبة إلى قرية بني جرموز، من بلاد بني الحارث شمال صنعاء^(٢).

وكان أول من انتقل إليها من أسلافه، جده الثالث محمد بن المنتصر^(٣). وقد لاحظنا أن الكثير من كتب التراجم قد أغفلت ذكره، منها على سبيل المثال، أننا لم نقف على ترجمة في كتاب (مطلع البدور ومجمع البحور) لصديقه القاضي، أحمد بن صالح بن أبي الرجال، ولعل السبب في ذلك أن أبا الرجال لم يتناول في تراجمه سوى من تفقه بالمذهب الزيدي، بينما أن مؤرخنا الجرموزي قد وصف بالعلامة عند ذكره لاسمه في عنوان (الجوهرة المضيئة) - الذي تناول فيه سيرة الإمام المؤيد بالله محمد - وكذا في مقدمة ترجمته في كتاب (عقود الجواهر).

أما العلامة المؤرخ محمد بن علي الشوكاني^(٤)، فلم يتناول هو كذلك ترجمته في كتابه (البلد الطالع بحاسن من بعد القرن السابع) وما أثبتناه من إكمال عمود نسبه أفدناه من الترجمة التي تناولها نسابة اليمن ومؤرخها، محمد بن محمد زبارة، في كتابه (نشر العرف لنبلأ اليمن بعد الألف) توضيحاً لما أورده عن حفيد المطهر، أحمد بن الحسن^(٥)، في كتابه (عقود الجواهر في أبناء السادة آل المطهر)^(٦).

(١) زبارة، محمد بن محمد: نشر العرف: ١٧٨.

(٢) د/ سالم: المؤرخون اليمنيون ٧٣. الزركلي: الأعلام: ١٦٠/٨.

(٣) انظر: زبارة: ١٧٨.

(٤) انظر الشوكاني: البلد الطالع: ٥١٤/٢ - ٢٢٥؛ د/ العمري: ٣٠٢-٣٠٠.

(٥) زبارة: نشر العرف: ١٧٨.

(٦) لم نجد الكتاب بعد البحث عنه في دار المخطوطات، وقد أخبرنا الاستاذ عبدالله الحبشي أنه مفقود وهناك ترجمة لمؤرخنا في نهاية كتاب النسبة المشيرة ص ٥٠٨ كتبت في يوم (الخميس، ربيع الأول سنة ١٣٣٣هـ) لم يذكر اسم ناسخها، إلا أنه يذكر في بداية ترجمته - أي النسخ - بأنه نقلها من كتاب عقود الجواهر، ولعل الكتاب كان بموزته، فنسخ الترجمة ودفعها للمطبعة لتصويرها في نهاية المخطوط، ربما لتعريف القارئ بالمؤلف.

مولده ونشأته

ولد الجرموزي في (جمادى الآخرة سنة ١٠٠٣هـ/١٥٩٤م)^(١)، ولم يسعفنا ما بين أيدينا من مصادر بالتفاصيل الخاصة بنشأته، أو المشائخ الذين أخذ عنهم، ولم يكن ما وقفنا عليه في هذه المصادر سوى أنه نشأ في كنف والده، والذي كان أحد المشاركين في المعارك^(٢) التي قادها الإمام القاسم بن محمد ضد العثمانيين، وواحد ممن كان لهم (سبق الجهاد في الدولة القاسمية)^(٣). وقد نال حظاً وافراً من العلم لقربه من الأسرة القاسمية، فصار عالماً فقيهاً ذا فضل في هذا الفرع من العلوم، وصاحب دراية ومعرفة دقيقتين بعلوم الدين لا سيما الأصول والفقه منها^(٤). وهو ما نلمسه بجلاء في كتبه التي ألفها عن الدولة القاسمية.

قربه الإمام القاسم^(٥) منه، وولي القضاء على نواحي أنس ووصاب وعمرة^(٦)، في عهد الإمام المؤيد بالله محمد، ثم في عهد أخيه الإمام المتوكل على الله إسماعيل. ويبدو أن (حياته العملية وإنشغاله في الوظائف الإدارية والسياسية)^(٧)، إلى جانب قربه من البيت الحاكم طيلة حياته، قد كان لها الأثر الكبير في تكوينه مؤرخاً.

وفاته

اختلفت المصادر التي أرخت للجرموزي في تاريخ وفاته، فمنها ما ذهب إلى القول بأنها كانت في (٢٧ ذي الحجة سنة ١٠٧٧هـ/١٦٦٦م)^(٨)، بينما ذهب

(١) د/ سالم: المؤرخون اليمنيون: ٧٤؛ د/ العمري: ٨٧

(٢) الحبيذ: المطهر بن محمد الجرموزي: ٦٢.

(٣) الجرموزي: ٥٠٨.

(٤) الجرموزي: ٥٠٨.

(٥) د/ العمري: ٨٧.

(٦) الجرموزي: ٥٠٨.

(٧) د/ العمري: ٨٧.

(٨) د/ سالم: ٧٧.

البعض الآخر إلى أنها كانت في (يوم الاثنين سادس شهر ذي الحجة سنة ١٠٧٩هـ/ التاسع من مايو ١٦٦٥م)، وهو ما ذكره يحيى بن الحسين في كتابه: (بهجة الزمن)^(١)، باعتباره أحد المعاصرين للجرموزي. يشاركه في ذلك إسماعيل بن أحمد، صاحب (مختصر طيب أهل الكساء) حيث يقول في ترجمته الموجزة في ثنايا كتابه: (وفي سنة ١٠٧٦هـ) توفي المطهر بن محمد الجرموزي بعتمة بلد ولايته^(٢)، ويوافقهما في ذلك الجنداري^(٣)، في كتابه (الجامع الوجيز). وربما كان الأرجح بينهما جميعاً، ما ذهب إليه حفيد مؤرخنا الجرموزي، أحمد بن الحسن^(٤)، في كتابه (عقود الجوهر في أنباء السلاة آل المطهر)، حيث يقول: (واستمر في آخر أمره على عتمة حتى توفي في شهر المحرم من سنة سبع وسبعين وألف، وقد قارب الستين السنة، وقبره مشهور مزور بسماه من نواحي عتمة)^(٥)، وهو ترجيح يعود إلى أن هذا الأخير - أحمد بن الحسن - يعد الأقرب إلى الجرموزي، بين من أوردنا ذكرهم، فهو حفيده، ولا بد أنه قد سجل تاريخ الوفاة، مستنداً على مصادر وثيقة مثل أبيه الحسن بن المطهر الجرموزي.

الجرموزي مؤرخاً

أثرت الفترة التاريخية التي عاشها مؤرخنا الجرموزي (١٠٠٣-١٠٧٧هـ/١٥٩٤-١٦٦٦م) تأثيراً كبيراً في تكوين شخصيته سياسياً ومؤرخاً، فرجل مثله عاش مراحل طفولته الأولى في كنف والده والذي لم يعرف إلا أنه كان مقاتلاً في صفوف جيش الإمام القاسم إبان ثورته ضد العثمانيين (١٠٠٦-١٠٢٩هـ/١٥٩٧-١٦١٩م)، ثم - ما إن شب عن الطوق - عاش وضعاً سياسياً

(١) يحيى بن الحسين: بهجة الزمن في تاريخ حوادث اليمن، مخطوط ق: ٢٢٨ب).

(٢) المتوكل: إسماعيل بن أحمد: مختصر طيب أهل الكساء: ٩٥-٩٦).

(٣) الجنداري، أحمد بن عبدالله: الجامع الوجيز، مخطوط ق: ١١٤٨).

(٤) انظر زيارة: ١١٧٨).

(٥) الجرموزي: ٥٠٨).

حافلاً بالأحداث لتلك الفترة، ويأتي في مقدمتها ما شهدته اليمن حينذاك من صراع حاد بين اليمنيين والعثمانيين.

وعندما تسنم الإمام المؤيد بالله محمد سنة الحكم، عقب وفاة أبيه، اشتدت الأوضاع السياسية تأزماً- فراوحت حالة السلم واللاسلم- بين القوتين المتنازعتين، اليمنيين والعثمانيين، فكان أن واصل الإمام المؤيد ما كان قد بدأه أبوه من خوض غمار الحرب ضد العثمانيين، والتي انتهت بإجلائهم الأول عن اليمن في عام (١٦٣٥م)، وبعد وفاة الإمام المؤيد بالله محمد (١٠٥٤هـ/١٦٤٤م) أوكلت الأمور إلى أخيه الإمام المتوكل على الله إسماعيل، فدخل-الإمام المتوكل- معتركاً سياسياً هاماً، على طول سني حكمه، تمثل في بسط نفوذ الدولة على أرجاء اليمن كافة.

ومما لا شك فيه بأن صلة الجرmozى الوثيقة بأحداث هذه الفترة وارتباطه المباشر بأركان الدولة القاسمية-الأئمة- كونه أحد المسؤولين فيها، تُعدُّ من أهم العوامل التي أثرت على نتاجه الفكري، الذي تبلور في ما تركه لنا من مؤلفات تاريخية هامة، ركزت إهتمامها بسير الإمام القاسم بن محمد، وولديه الإمام المؤيد بالله محمد، والإمام المتوكل على الله إسماعيل.

ولقد عاش مؤرخنا نحو نصف قرن بعد وفاة الإمام القاسم، مثل المرحلة الثانية بعد الانسحاب العثماني من اليمن^(١). فكانت سيره الثلاث تلك مصادر هامة للتاريخ اليمني الحديث، لأن الجرmozى شهد أحداثها ودون وقائعها، وهو بذلك يكون قد رسم لنا صورة شاملة واضحة لمجريات أحداث تلك الفترة بكل ظروفها وملابساتها السياسية، تناولتها قلة قليلة-لا تتجاوز في عددها أصابع اليد- من معاصريه، ولكن بصورة لا ترقى إلى تلك الصورة

(١) د/ العمري: مصادر التراث اليمني: (٣٣).

التفصيلية المتناهية الدقة التي عرضها مؤرخنا الجرموزي في كتاباته، وهي تساعد (باستمرار على توضيح وجهات النظر المختلفة مما كان يعمق في النهاية لتطور الأحداث)^(١).

ويعد الجرموزي بذلك كما قل عنه الدكتور سيد مصطفى سالم: (نموذجاً بارزاً بين مؤرخي السير في عصره، وذلك لغزارة ملاته التاريخية، ولعمق نظراته، وتحليلاته)^(٢).

ونلمس ذلك جلياً في كتاباته، نورد منها على سبيل المثال، سرده لوقائع الأحداث لمعركة دارت رحاها في عهد الإمام المتوكل -موضوع دراستنا- في سنة (١٠٦٥هـ/١٦٥٤م) بين قوات الإمام، وقوات الرصاص في يافع، أثناء استيلاء الإمام المتوكل عليها، لبسط نفوذه على امتداد اليمن الواحد، نجده يقول: (وكان قد جعل الرصاص وأصحابه في النجد وغيرهم من المواضع سوراً بالغوا فيه على صفة المترس الحصين، عمروه أياماً ولا يظنون أن أحداً يقربه فضلاً عن أن يتجاوزوه، وقلما مقلماهم عليه بالرصاص كحاصب البرد)^(٣).

ونجده في عبارة أخرى يتطرق إلى ذكر الصعوبات التي واجهها القائد العسكري، أحمد بن الحسن أثناء تقلعه بقواته للإستيلاء على حضرموت، يقول: (وأخبرني بعض الخواص مكاتبة، أن الإمام -عليه السلام- قال وقد شكى عليه مولانا، أحمد بن الحسن، -أيده الله-، عظم ما لقي من التعب في هذا المخرج)^(٤).

(١) د/ سالم، سيد مصطفى: الفتح العثماني لليمن: (٥٠٤).

(٢) د/ سالم، سيد مصطفى: المؤرخون اليمنيون: (٧٧).

(٣) النص: ق (٢٠٠).

(٤) النص: ق (٢٩).

إن اتصال الجرُموزي بكبار معاصريه من رجال الدولة قد ساعده في تعميق كتاباته، وفي رفع شأنه بين مؤرخي عصره، ويرجع ذلك إلى علة نواحي منها: أنه من السادة الأشراف؛ يضاف إلى ذلك خلعتة للأئمة، بتوليته مناصب هامة في الدولة، منها شغله منصب عامل على نواحي آنس ووصاب^(١)، ثم بلاد عتمة^(٢) في آخر أمره.

ولعل من المهم أن نشير إلى أن مؤلفاته التاريخية لم تقتصر في محتوياتها على الجانب السياسي الذي شكل المحور الرئيسي في كل منها، بل تناولت أحوال الناس المعيشية - الإقتصادية، والإجتماعية - حيث يذكر على سبيل المثال، في كتابه - موضوع دراستنا - ضمن أحداث عام (١٠٦٤هـ/١٩٥٣م). أن أسعار العلف الخاص بالحيوانات قد ارتفعت نتيجة لقلّة الأمطار في أغلب مناطق البلاد بما فيها الأماكن المشهورة بزراعة هذه المادة، وهما مدينتا صنعاء وذمار، اللتان تضررتا هما أيضاً، فقلّ إنتاج الأعلاف مما سبب ارتفاع أثمانها، يصور لنا ذلك بقوله: (وبلغ ثمن العلف في صنعاء وذمار، وهما محل العلف وأوسع البلاد، وما أحدث الله فيهما من الأنهار الأخيرة، الحمل التبن ستة حروف، وثمانية حروف، ومن القصب الحزمة التي تحيط بها الإبهامات، عشرة كبار وتسعة كبار...)^(٣).

صورة أخرى يرسمها لنا الجرُموزي، يشير فيها إلى نقص في المواد الغذائية الحبوب، نتيجة الجذب الذي أصاب بعض المناطق، فيقول: (ذكر ما وقع في الجذب، وكان ابتداء نقص بعض الثمار من عام تسع وخمسين وألف، وأكبرها في بلاد القبلة وبلاد صعلة والشرفين وشهارة ونواحيها وصبيا وجهاتها)^(٤).

(١) الجرُموزي: (٥٠٨).

(٢) النص: ق (١٨٢).

(٣) النص: ق (١٨١).

(٤) النص: ق (١٨١ ب).

كما اهتم مؤرخنا- فضلاً عما ذكرناه- بالنهضة العمرانية، التي واكبت النمو الإقتصادي، وذلك من خلال تدوينه كلما تم بناؤه أو إصلاحه وترميمه من المساجد والمدارس ونحو ذلك مما كان موضع اهتمام كبار أولي الأمر من رجال الدولة، فنجدله يذكر الأعمال العمرانية التي تم إنجازها في مدينة ذمار، على يد محمد بن الحسن^(١) على نحو قوله: (... وسع الجامع الكبير، وعمر مرافقه وتفقد أوقافه... وعمر ما بقي في الجامع المقدس من معمر الحصين في ضوران... وعمر الصروح والمنازل التي بالقرب من القبة الشريفة وأقام الدرس والتدريس...)^(٢).

وأما ما يتصل بالنواحي الإجتماعية، فقد حرص الجرموزي على تضمين مؤلفه بعضاً من عادات الأهالي وتقاليدهم في بعض المناطق، أو ما كان سائداً في أوساط الناس بين طقوس إجتماعية أو دينية، فهو يتناول -على سبيل المثال- واحدة من الظواهر الشائعة والأكثر انتشاراً في غالب المناطق اليمنية، وهي ظاهرة الشعوذة؛ ففي يافع -كما نخبرنا الجرموزي- أن رجلاً يدعى (الحبيب بن سالم) كان قد ادعى المعرفة بأعمال الغيب، فأتمه عدد هائل من الناس، وكان مما ينسب إليه أنه يذهب إلى الصلاة في أوقاتها إلى مكة المكرمة، وجسده لا يبرح منزله بين أفراد عشيرته، ويصور لنا الجرموزي ذلك على لسان من زار هذا الرجل بقوله (... وكنا كذلك فنأى المؤذن لصلاة الظهر فقل: من حضر الحبيب ذهب، قل: وإذا به ساكن لا يتحرك حتى كأنه ميت وهم يتلاكون بأنه ذهب إلى مكة، فانتظروه وقتاً طويلاً، وإذا به قد تحرك وتكلم فقاموا للسلام عليه...)^(٣).

(١) هو: ابن أخ الإمام المتوكل على الله، أوكلت إليه جميع أعمال مدينتي إب وتعز، بما سمي في ذلك الحين (باليمن الأسفل)، انظر ترجمته، النص: ق (١٢).

(٢) النص: ق (١٧٣ب).

(٣) النص: ق (١٩٤ب).

ولم يقتصر الجرموزي على ذكر النواحي الإقتصادية والاجتماعية فحسب، بل إنه تعرض إلى الظواهر الطبيعية والبيئية التي حدثت في تلك الحقبة من الزمن، ومن ذلك يذكر أن ريحاً عاصفة هبت على مدينة ذمار سنة (١٠٥٦هـ/١٦٤٦م)، فدمرت فيها المباني وزلزلت البيوت، وقد وصف ذلك بقوله (وفي سنة ست وخمسين وألف، وقع في محروس ذمار ريح زعزع لم نعهد مثلها أخربت بيوتاً من ضعف عماراتها وزلزلت البيوت الكبار...)^(١).

وفي موضع آخر نجله يهتم برصد بعض الأوبئة التي كانت منتشرة في أوساط المجتمع آنذاك؛ كذكره لتفشي مرض الجذام في مناطق صعلة، حيث يقول: (...ولما كان عام ثلاث وستين وألف، انتشر الجذام وعظم في بلاد صعلة ونواحي قحطان...)^(٢).

على أن اهتمامات الجرموزي بالتأريخ للوقائع والأحداث، لم تصرفه عن الأدب، فاتخذ له مساحة لا بأس بها في اهتماماته عامة، فكان ممن يقرض الشعر، إلا أن المصادر التي تناولت ترجمته قد أغفلت الإشارة إلى مثل ذلك، عدا ما جاء في كتاب (عقود الجواهر) حيث تورد الترجمة التي تضمنها هذا الكتاب مقطعات من الشعر للجرموزي، إلى جانب قصيدة تقع في ست وخمسين بيتاً، قد أوردها مؤرخنا في نهاية كتابه النبذة المشيرة، وكان قالها في الإمام القاسم بن محمد، حيث يقول في بعض أبياتها:

كالقاسم المنصور شمر العدى

وفارس الهيجاء ليث الضراب

محي رسوم الدين من بعد ما

أضحى مبانيه جميعاً خراب

(١) النص: ق (١٨٧).

(٢) النص: ق (١٨٠).

قام فجلسى نوره ظلمة الفح

شاء وأحيا الدين بعد الزهاب^(١)

وهنا يبدو واضحاً أن هذه الأبيات وأمثالها تنم عن ملكة شعرية كانت لديه. مما يجعلنا نرجح أن كتباً بين تلك التي تناولت أخبار الدولة القاسمية ولا تزال مخطوطة لم نطلع عليها، لا بد وأنها قد حفظت له من شعره الكثير والجيد.

وهكذا نرى أن الجرزموزي كان على اطلاع ومعرفة بعلم عصره، ينبئنا بذلك كتابه الذي نتناوله بالدراسة، فهو إلى جانب اهتمامه بالتاريخ وتبعه بالرصد لمجريات العصر وأحداثه، كان على جانب كبير من الإلمام بالعلوم الأخرى، حيث نجد كتابه زاخراً بالإستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فضلاً عن قصائد الشعر والأمثال.

ولعله في ذلك شأنه شأن غيره من معاصريه الذين تكونوا بالثقافة الإسلامية التي سادت في تلك الفترة الزمنية.

مؤلفاته

كتب الجرزموزي خلال فترة حياته الحافلة بالعطاء أربعة مؤلفات، ثلاثة منها عن الدولة القاسمية، أرخ فيها للأئمة الثلاثة: الإمام القاسم بن محمد، وولديه الإمام المؤيد بالله، والإمام المتوكل على الله.

أما مؤلفه الرابع فقد تناول فيه أخبار ملوك اليمن منذ عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى زمنه.

ولم نقف في ما وقع بين أيدينا من مصادر ترجمته على إشارة تثبت إنشغاله

(١) الجرزموزي: النبذة المشيرة (خ) ق: (٥٠٥-٥٠٧).

بالكتابة في مجالات أخرى غير التاريخ، سوى كتابه (عقود الجواهر). ويكون بذلك كمن تخصص في علم التاريخ فأبدع فيه. وفيما يلي نتناول بالتفصيل نتاجه الفكري، متمثلاً في مؤلفاته الأربع:

١- النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة

ويتناول هذا الكتاب سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد (ت ١٠٢٩هـ/١٦١٩م) ولا يزال مخطوطاً^(١) وتعرف هذه السيرة أيضاً باسم (الدرة المضيئة في السيرة القاسمية). وقد تعرض فيها لجوانب حياة القاسم الشخصية والعلمية، والسياسة والحربية^(٢).

وكان الحافظ على تأليفه لهذا الكتاب هو ما يذكره الجرموزي نفسه في مقدمة كتابه هذا، بقوله: (...فلإني قد سمعت كثيراً من أخبار مولانا وإمامنا المنصور بالله القاسم بن محمد فرأيت أن أعلق في هذا المختصر ما أمكن ممن بقي، وأجعله في هذه الأوراق اليسيرة، توقيعاً لما أمكن من الجمل...)^(٣). وذلك أنه لم يكن خلال الفترة الأولى من حياة الإمام القاسم شاهد عيان وحسب، بل و..(سجل حوادثها المعاصرة له كذلك...)^(٤). وحرصاً منه على ألا تضيع أحداث هذه الفترة ووقائعها في طي النسيان، عمل على تدوينها وجمع أخبارها ممن شاهد أو شارك أو اتصل بالأحداث في حينها. وقد أورد نسب الإمام وذكر الرسائل التي كانت تتبادل بين الإمام القاسم بن محمد وبين أشخاص ممن ناصروه، وبعض العهود لتعيينات لأشخاص تولوا الحكم في بعض الأقاليم التابعة

(١) الحبشي: عبدالله بن محمد: مصادر الفكر الإسلامي: (٤٢٩)، ويقوم الباحث بإجراء الدراسة والتحقيق عليه لنيل درجة الدكتوراة.

(٢) د/ العمري: مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني: (٨٧).

(٣) الجرموزي: النبذة: (٤).

(٤) د/ العمري: (٨٧).

للإمام^(١). وتناول أيضاً ما قام به الإمام من اصلاحات في مجالات عديدة، كبناء المدارس والمساجد وشق قنوات للمياه المستخرجة من الينابيع... الخ.

أما القسم الأخير من الكتاب فقد أفرده للحديث عن ثورة الإمام، وهو الجزء التاريخي الهام من هذه السيرة، حيث تناول فيه تفصيلاً شاملاً لمقدمات الثورة التي قسمها إلى أربع فترات، امتدت الأولى من بدء دعوة الإمام القاسم سنة (١٠٠٦هـ/١٥٩٧م) حتى خروجه إلى برط، والثانية من خروجه من برط إلى إنعقاد الصلح بينه وبين سنان باشا، ثم جعفر باشا سنة (١٠١٤هـ/١٦٠٧م)، واختصت الثالثة بحملته ضد جعفر باشا سنة (١٠٢٢هـ/١٦١٣م).

أما الرابعة فشملت معاركه ضد محمد باشا، ثم وفاته في (١٢) ربيع الأول من سنة (١٠٢٩هـ/١٦١٩م).

كما اشتمل الكتاب ما تناوله المؤلف من تراجم لعدد من العلماء والفقهاء، وغيرهم من الأدباء ممن عاصروا الإمام القاسم.

وانتهى مؤرخنا من تأليف كتابه في عام (١٠٦٥هـ/١٦٥٤م)، أي في حيلة الإمام المتوكل على الله إسماعيل، وهو ما أشار إليه المؤلف نفسه، في نهاية كتابه بالقول: (حررت في أيام مولانا أمير المؤمنين، المتوكل على الله إسماعيل لعشر مضت في شهر ربيع الأول سنة خمس وستين وألف من الهجرة النبوية...)^(٢).

وتجدر الإشارة إلى أن هذه السيرة تعد - بلا ريب - مصدراً موثوقاً لمادة تاريخية غاية في الأهمية.

(١) الحبيد: (٦١).

(٢) الجرموزي: النبذة ٥٠٨، أورد الحبيد في مصدره السابق أن المؤلف انتهى من تأليفه عام (١٠٦٤هـ)، فيما أورد الحبشي في مصدر الفكر الإسلامي: (١٣٩) أن الانتهاء كان في عام (١٠٦٣هـ)، والصحيح ما أثبتته من المخطوطة نفسها.

٢- الجوهرة المنيرة في تاريخ الخلافة المؤيدية

أفرد الجرموزي كتابه هذا - والذي لا يزال مخطوطاً^(١) - للحديث عن سيرة الإمام المؤيد محمد بن القاسم، منذ توليه الإمامة بعد وفاة أبيه سنة (١٠٢٩هـ/١٦١٩م)، وحتى وفاته سنة (١٠٥٤هـ/١٦٣٥م) تطرق فيه إلى ما تمتع به الإمام من سجايا كريمة، كالورع والكرم، وكذا علمه، وما إلى ذلك من الخصال الحميلة.

وقد أبدى الجرموزي اهتماماً خاصاً بتسجيل ثورة الإمام المؤيد وحروبه التي خاضها ضد الأتراك من سنة (١٠٣٦هـ/١٦٢٦م) إلى أن تم إجلاؤهم من اليمن عام (١٠٤٥هـ/١٦٣٥م). يضاف إلى ذلك تلك الثورات التي قام بها نفر من المعارضين للمؤيد أمثال أحمد بن الحسن بن القاسم^(٢).

كما تناول تراجم للمعاصرين من علماء، وفقهاء، وأدباء، ممن عاصروا المؤيد ووالده الإمام القاسم، بالإضافة إلى من اشترك في المعارك التي دارت رحاها ضد العثمانيين^(٣).

ويتضمن الكتاب أيضاً تلك الرسائل والعهود التي كان يرسلها الإمام إلى أشخاص وجماعات في داخل اليمن وخارجه، تحتوي نصائحه وأراءه في تسيير شئون الدولة^(٤).

واهتم الجرموزي في نهاية مؤلفه بسرد مجريات الصراع الذي دار بين الإمام المتوكل على الله إسماعيل وأخيه أحمد، حول أحقية أي منهما في تولي الإمامة بعد وفاة الإمام المؤيد بالله محمد سنة (١٠٤٥هـ/١٦٣٥م).

(١) الحبشي: (٤٣٩) السيد: أيمن فؤاد: (٢٢٧-٢٢٨) وتقوم الباحثة أمة الملك الثور (الاستغفة بقسم التاريخ جامعة صنعاء) بالدراسة والتحقيق فيه لنيل درجة الدكتوراة.

(٢) انظر ترجمته: ه النص: ق (٢ب).

(٣) د/ العمري: (٨٧)، الحبيد: (٦٤).

(٤) الحبيد: (٦٥).

٣- تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار

وهو الكتاب الذي نُعني بدراسته، وتناول فيه الجرموزي سيرة الإمام المتوكل على الله إسماعيل، فعرض في مقلّمته للصراع الذي نشب بين أفراد الأسرة القاسمية، على تولى الإمامة بعد وفاة الإمام المؤيد وهو الصراع الذي انتهى بتولي الإمام المتوكل على الله إسماعيل إدارة شئون البلاد في عام (١٠٥٤هـ/١٦٤٤م).

كما تناول فيه حياة الإمام المتوكل على الله، السياسية والعلمية، إلى جانب إصلاحاته الاقتصادية، واهتم بشكل كبير بإيراد أخبار حروبه التي خاضها لبسط نفوذه على مناطق اليمن قاطبة. حيث استطاع ولأول مرة في تاريخ اليمن الحديث توحيدها تحت مظلة دولة مركزية واحدة.

وتطرق مؤرخنا في كتابه للعلاقات الخارجية التي أقامها الإمام، مع الدول العربية والإسلامية والأجنبية، وسوف نتناول ذلك تفصيلاً في معرض حديثنا عن الأهمية التاريخية للفترة الزمنية للموضوع.

وتوقفت أحداث الجرموزي في كتابه هذا عند سنة (١٠٧٤هـ/١٦٦٣م) ولا نعلم سبباً لتوقفه عند هذه السنة بالذات، فالفترة بين وفاته (١٠٧٧هـ/١٦٦٦م) وبين التوقف تمتد لثلاث سنوات. ولعله إنشغل فيها بكتابة مؤلفه موضوع الدراسة.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه السيرة كانت مصدراً هاماً ورئيسياً لمادة تاريخية اعتمدت عليها باحثة سعودية^(١)، ونالت بها درجة علمية -ماجستير- من جامعة الملك عبدالعزيز بجدة.

(١) سلوى الغالي، ورسالتها: (الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم ودوره في توحيد اليمن).

٤- عقد الجواهر البهية في معرفة المملكة اليمنية والدولة الفاطمية الحسينية

وهو رابع مؤلفات الجرهموزي بعد سيره الثلاث الأنفة الذكر. إلا أنه لم يقدر أهمية هذا الكتاب، كما يقول الدكتور حسين العمري: (سوى أناس قليلين منهم الشيخ أحمد الجاسر الذي يمتلك نسخة عن الأم المجهولة...)^(١).

تناول مؤرخنا في هذا الكتاب أخبار من ملك اليمن منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم انتهاءً بعصره، فقسمه إلى خمسة عشر فصلاً، خصص لكل دولة فصلاً (وانتهى فيه إلى سنة (١٠٠٧هـ - ١٥٩٨م) في النسخة التي سمعنا بها، ولا يعرف ما إذا كان لها بقية أو أن ثمة نسخة أخرى أكمل منها...)^(٢).



وصف المخطوطة

مركز تحقيقات ودراسات
مركز تحقيقات ودراسات
مركز تحقيقات ودراسات

البحث عن النسخ واختيار النسخة الأم

بادئ ذي بدء، أود الإشارة إلى أنني لما عزممت على تحقيق مخطوطة (تحفة الاسماع والأبصار بما في السير المتوكلية من غرائب الأخبار)، للمؤرخ (المطهر بن محمد الجرهموزي)، والتي تعنى بتاريخ اليمن الحديث - لإتصال ذلك باهتمامي وتخصصي - برزت أمامي العديد من الإجراءات التي كان عليّ اتباعها، سبيلاً في الإهتمام إلى النسخة الأصلية أو أي نسخ أخرى... إن وجدت.

وكانت أولى خطواتي في البحث هي التوجه إلى فهارس المخطوطات في المكتبات العامة والخاصة، مبتدئاً بفهرست دار المخطوطات التابع للمكتبة الغربية بالجامع الكبير، والتي تضم عدداً غير قليل من المخطوطات، ففهرست

(١) د/ العمري: المؤرخون اليمنيون: (٤٣).

(٢) د/ العمري: (٤٣).

بطريقة علمية، وبعد جهد مُضنٍ من البحث وفقاً لما هو متبع ومتعارف عليه في مثل هذه العملية، إتضح لي وجود نسختين للمخطوطة، الأولى برقم (٢٥٠٥) بينما حملت الثانية رقم (٢٥٠٤) فأخذت لكل واحدة منهما صورة.

وأود الإشارة بأن نسختي المخطوطة - في الدار - كانتا بورق قديم، بدا في حالة جيدة، وقد جُلِّدتا تجليداً سميكاً، إمتد من الغلاف الأول لكل منهما لسان مثلث سميك ليلتف حول المخطوطة، إمعاناً في الحفاظ عليها من التلف، وهي عادة جرى عليها نظام التغليف قديماً.

إلا أن ما اهتديت إليه لم يكن نهاية المطاف، بل عمدت إلى البحث في المصادر والمراجع اليمنية التي تطرقت إلى الحديث عن الأعلام (الأدباء، المؤرخين... إلخ) مثل (مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني) للدكتور (حسين العمري)، و(حوليات يمانية)^(١) للحبشي.

ولم يكن ما ذهبت إليه عبثاً، وإنما ليطمئن قلبي خاصة وقد ساورني الشك حينها في إحتمال وجود نسخ أخرى غير ما اهتديت إليه، فأردت بذلك أن أقطع الشك باليقين، وبالفعل فقد وُفِّتُ من خلال البحث في تلك الكتب في العثور على إشارة تفيد بوجود نسخة للمخطوطة في مكتبة الأحقاف^(٢) بتريم في سيئون.

أما ما يخص البحث في المكتبات الخاصة - لدى الأهالي - والتي تزخر بالعديد من المخطوطات القيّمة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: مكتبة القاضي زبارة، فلم أعثر في إحداهن على أية نسخة للمخطوطة، وزد على ذلك ما وقع بين يدي مؤخراً وهو كتاب للأستاذ عبدالله الحبشي

(١) السيد أمين فؤاد مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي: (٢٣٦-٢٣٨).

(٢) الحبشي: حوليات يمانية: (٢٤٠).

(فهرست مخطوطات بعض المكتبات باليمن)^(١) ويتناول الكتاب في طياته بالذكر العديد من المخطوطات المتواجدة في المكتبات لخاصة، والتي لم أجد بينها بعد بحث وتحراً دقيقين - في الكتاب - أي ذكر للمخطوطة، وبعد فترة من العمل الشاق في رسالتي هذه حصلت على نسخة مصورة بحوزة الوالد العلامة، القاضي (محمد قاسم الوجيه) رئيس المحكمة الاستئنافية سابقاً، وكنت قد أنجزت (حينها) شوطاً كبيراً في نسخ المخطوطة التي اخترتها من بين النسخ التي حصلت عليها.

وتوخياً للأمانة العلمية، وجب عليّ أن أشير في هذا الموضوع إلى أن الأستاذ (عبدالله الحبشي) أخبرني ذات يوم بأن هذه النسخة ربما تكون النسخة الأم؛ فحسبما جاء على لسانه وبالرغم من أنني كنت قد قاربت على الإنتهاء من عملية النسخ المضمّنة لمخطوطة، إلا أنني لم أتردد عن إحاطة أستاذي المشرف - الدكتور حسين لعمري - علماً بهذا الأمر، فما كان منه إلا أن وجهني باستكمال ما تبقى من النسخ، والإكتفاء بالإشارة إلى ما ذهب إليه الأستاذ الحبشي.

وفي الثاني عشر من مايو ١٩٩٦م، أي بعد أن كنت قد فرغت من العمل في إعداد رسالتي، تسلمت نسخة أخرى للمخطوطة (مكتبة الفاتيكان)، أرسلها لي أستاذي لمشرف مشكوراً من مقر عمله في لندن، إلا أن هذه الأخيرة - نسخة الفاتيكان - لم تُشر إليها أي من الفهارس (أنفة الذكر).

وقد سبق أن تحدثت مع أستاذي بشأنها، وذكرت له ما كان من أمر البحث عبد الله الحبيد، وتطرقه بالإشارة إليها في بحث كان قد أعدّه عن المؤرخ

(١) صدر الكتاب عن مؤسسة الفرقان، بلندن ١٩٩٤م.

الجرموزي في مجلة (المؤرخ العربي)^(١). علماً بأنه كان قد تعثر عليّ الوصول إليها- أي المجلة- لعدم احتواء أي من المكتبات^(٢) الخاصة منها والعامّة على نسخة منها. ولذلك حرصت على طلبها من بغداد-مقر صدورها- عن طريق أحد الطلاب الدارسين هناك، والذي قام-مشكوراً- بتصوير البحث من العدد المذكور للمجلة، وإرساله إليّ، كما تجدر الإشارة إلى أنني حاولت مع أستاذي المشرف غير مرة الحصول على نسخة لهذا المخطوط، ولما لم تجدي محاولاتنا هذه، قام أستاذي- بعد تعيينه سفيراً في المملكة المتحدة- بإرسالها إليّ مشكوراً من لندن، بعد أن توجه بطلب إلى مكتبة الفاتيكان في الحصول على نسخة منها.

وأما بالنسبة للنسخة التي اعتمدت عليها- واعتبرتها النسخة الأم- عند قيامي بعملية النسخ، فهي نسخة المكتبة الغربية في الجامع الكبير، والتي تحمل رقم (٢٥٠٥)، وأشارت إليها في رسالتي هذه بالرمز (أ). وقد انطلقت في إختياري لها مستنداً إلى جملة من الأسباب، نتعرض لها تفصيلاً في إطار الحديث عنها. وفيما يلي وصف للنسخ التي اعتمدت عليها عند تحقيقي للمخطوطة، كل على حدة:

١- نسخة المكتبة الغربية في الجامع الكبير، ويشار إليها ضمن الرسالة بالرمز (أ)، حملت رقم (٢٥٠٥)، تقع في (٣٠١) ورقة، وتضم كل صفحة منها (٢٧) سطراً، كُتبت بخط نسخي معتاد، وبعض كلماتها غير منقوطة؛ ولم يذكر اسم ناسخها.

٢- النسخة الثانية، وتتواجد هي كذلك في المكتبة الغربية في الجامع الكبير،

(١) الحيد: عبدالله: (مجلة المؤرخ العربي، العدد الثامن: ٦٠-٧٠).

(٢) المكتبة المركزية لجامعة صنعاء، مكتبة كلية الآداب، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء.

أشرت إليها بالرمز (ب)، حملت الرقم (٢٥٠٤) وتقع في (٢٠٢) ورقة، ضمت كل صفحة فيها (٣١) سطراً؛ كُتبت بخط نسخي معتاد ضعيف خال من النقط في معظمه؛ فرغ ناسخها الهادي بن الحسن القرشي المروني^(١) من نسخها في شهر محرم من السنة (١٠٩٣هـ/١٦٨٢م).

٣- نسخة مكتبة الأحقاف بتريم، وأشرت إليها بالرمز (ح)، حملت رقم (٣٦٦)، تقع في (٣٠٠) ورقة، ضمت كل صفحة فيها (٢٦) سطراً بمقياس (٢٩×١٩) سم؛ لم يُثبت اسم ناسخها فيها.

٤- نسخة مكتبة الفاتيكان، وأشرت إليها بالرمز (ف)، تحمل رقم (٩٧١)، تقع في (٢٢١) ورقة، ضمت كل صفحة فيها (٢٧) سطراً، كُتبت بخط نسخي واضح، لم يرد اسمُ لناسخها.

٥- وأخيراً نسخة الوالد القاضي محمد القاسم الوجيه، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الموضوع هو أن هذه النسخة مصورة هي كذلك، حيث كان الوالد (محمد قاسم الوجيه)، قد صورها -حسبما رواه لي- من شخص يدعى (الحضرمي) - وقد أطلعني على عنوانه، ورغبة مني في تقصي النسخ من مصادرها الأصلية، سعيت جاداً في البحث عن هذا الشخص - للإهداء إلى موضع المخطوطة - ولكن للأسف، بادت محاولتي الجادة هذه بالفشل، حيث تعثر عليّ الإهداء إليه، وتقع النسخة في (٥٦٢) صفحة، تضم كل صفحة فيها (٢٧) سطراً؛ كُتبت بخط نسخي معتاد وقد اكتفيت بالاستئناس بها.

ولما كنتُ أمام هذا العدد من النسخ لنفس المخطوط، توجب عليّ إجراء مقارنة دقيقة بينها، وهو ما أفضى إلى ترجيحي للنسخة الأولى (أ)، وهي النسخة التي نُقلت عن نسخة المؤرخ الأصلية، واعتبرتها النسخة الأم

(١) لم أجد له ترجمة.

للمخطوطة، ذلك لأنني لم أعثر على نسخة المؤرخ الأصلية. ويعود ما ذهب إليه في ترجيحي لها، إلى جملة من الأسباب الجوهرية، أوجزها فيما يلي:

١- إن النسخة (أ) لا يعترها نقص، كما تلتزم أحداثها التسلسل الزمني حسبما أرادها المؤلف، إضافة إلى أنها تنتهي عند السنة (١٠٧٤هـ/١٦٦٣م) وتحديداً في الورقة الأخيرة من أوراقها بالعبارة: (ثم ارتحل إلى أقر من بطنة حجور وأقام فيه، ثم صعد شهارة المحروسة بالله في منتصف جمادى الآخرة من سنة أربع وسبعين وألف^(١))، في الوقت الذي تنتهي فيه النسخة (ب) بالعبارة: (ولا تزال بعوثة إلى الأطراف لتنفيذ الأحكام، وبلاغ شريعة النبي عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم^(٢)). وتكون بذلك مقارنة بالنسخة (أ) لم تستوف الأحداث، وهو ما يعني نقصاً بمقدار ثمانية أوراق، استناداً للنسخة (أ).

٢- من الملاحظ أن الناسخ في النسخة (ب)، قد قَدِّمَ وأخَّرَ في ترتيب تسلسل الأحداث؛ وهو ما يتضح جلياً في الورقة (١٢٤/أ)، وتحديداً في السطر (السابع عشر) منها، فنجد أن الناسخ في النسخة (ب) وبعد أن تم تدوين زيارة الإمام المتوكل على الله إسماعيل لمدينة إرب، يواصل أحداث نسخته بالعبارة: (وتشدد بالأمر بالمعروف...). وهو مغاير لما هو مثبت لسباق الأحداث في النسخة (أ)، حيث أن العبارة وما بعدها، وقد كُتبت في الورقة (١٧/أ) من النسخة (أ).

وكمثال آخر لما جرى من تقديم وتأخير للأحداث في النسخة (ب)، نجد أنه في الوقت الذي ابتدأت فيه الورقة (٤٦/ب) من النسخة (أ) بنص هذه العبارة:

(١) النص: ق (٣٠٠ب).

(٢) النص: ق (٢٠١).

(ووجه غيره أيضاً إلى جهات للتذكير...) يرد ذكر أحداث هذه الفقرة في الورقة (١٧٦/ب) من النسخة (ب).

وقد عمد الناسخ في النسخة (ب)، علاوة على ذلك لإضافة بعض العبارات في حواشي النسخة، ليس لها علاقة بما جاء في المتن، ولا تحمل أي دلالة تثبت أنها من نفس سياق، فعلى سبيل المثال يرد في حاشية الورقة (٥٠/أ) عبارة: (هذه مفخرة للإمام المهدي، عادت بركاته...) ونجد أيضاً في حاشية الورقة (٥٣/ب) عبارة: (وبعضهم في جهة أنس قطع صفا، فوجد في قلب الصفا حنش...وعنده تراب يأكل منه...).

ويمكن أن نستشف من هذا كله، أن الناسخ في (ب) بما قام به من إضافات من ذات نفسه، إنما أراد ضرباً للأمثلة، أو تزويداً للقارئ بمعلومات إيضاحية أكثر.

كما يلاحظ أن الناسخ في النسخة (ب) عمل على تصغير الخط، الأمر الذي أدى إلى رص الأسطر بعضها فوق بعض، في مسافات متقاربة جداً يصعب معها قراءة المخطوطة، يضاف إلى ذلك أن الناسخ لم يشر إلى ما سقط من كلمات أو عبارات أثناء عملية النسخ - كما كان متبعاً حينذاك - وهو ما نوهنا إليه في هوامش النص.

وأما بالنسبة لنسخة مكتبة الأحقاف بترميم (ح) والتي قام بتصويرها لي - في التفاتة كريمة منه يشكر عليها - الأستاذ أحمد باوزير (عضو مجلس النواب سابقاً)، وأحد المهتمين في مجال المخطوطات، تُعدُّ في وضوح خطها الأفضل بين النسخ الأخرى، حيث كُتبت بخط نسخي جميل، ويتضح ذلك جلياً بما أولاه الناسخ من عناية بالعناوين الرئيسية والبارزة في المخطوطة - والتي كُتبت

باللون الأخضر والأحمر - بوضعها في مستطيلات، إضافة إلى ضبط الكلمات بالشكل (الفتح، والضم... إلخ)، ووضعه كذلك الأبيات الشعرية في مستطيلات عمودية، وقد أشارت فهرست مكتبة الأحقاف عند تناولها للمخطوطة إلى أنها نسخة خزائنية للمولى (الحسين بن الحسن)^(١) - رحمه الله -، كتبت في القرن الحادي عشر تقريباً، نتيجة - وكما أشرنا آنفاً - لعدم ثبوت اسم الناسخ فيها، أو ذكر السنة التي نُسخَت فيها، وما يجدر التنويه إليه هو أن النسخ يشوبها بعض العيوب وهي:

١- أن عدد الأوراق من (١-٣٤/ب) قد كتبت بخط مفاير لخط الناسخ، يعود إلى فترة زمنية معاصرة - وقتنا الحالي -، وأخبرني الأستاذ أحمد باوزير فعلاً عن علي سالم بكير (مسؤول مكتبة الأحقاف) أن هذه الأوراق حديثة، كتبها المؤرخ (محمد عبدالقادر بالمطرف)^(٢) بخط يده، حيث كانت الأوراق الأصلية - الأنفة الذكر - قد نُزعت من المخطوطة، وقد حاولت تقصي الحقائق لمعرفة الأسباب التي أدت إلى هذا العمل الممجي بحق التراث، فلم أهدئ إلى نتيجة.

٢- يلاحظ على النسخة (ح) ظهور بعض الإضافات بين الأسطر، ومثال ذلك ما جاء في الورقة (٩٧/ب) في السطر (الثاني والعشرين) منها، حيث ترد العبارة: (وأنا له السلطان) وقد كُتبت أعلاها عبارة (سلطان الهند) وتحديداً فوق كلمة السلطان كتعريف به. وقد تمت الإشارة إلى هذه الكلمات أو العبارة الخارجية عن متن النسخة (ح) في العديد من هوامش النص.

٣- عمد الناسخ إلى إغفال الإشارة إلى ما سقط من كلمات أو عبارات أثناء

(١) هو الحسين بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد (ت: ١٠٤١هـ/١١٢١م). زيارة: ملحق البدر الطالع (٢/٨٠-٨١).

(٢) أديب، شاعر، مؤرخ (١٩١٥-١٩٨٢م) له العديد من المؤلفات منها: (من أدب الثورة) و(تاريخ جزيرة سقطرى). (اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين: بلعطف الغائب الحاضر: ٢-٧).

نسخه للمخطوطة، كما جرت عليه عادة النُسخ حينذاك، ويظهر ذلك على سبيل المثال في الورقة (١٤٥/ب) حيث يتضح وجود نقص فيها بمقدار سبعة أسطر عما هو مثبت في النسخة (أ)، وبالتحديد في الورقة (٢٦٢/ب) منها، وقد تمت الإشارة لمثل ذلك في هوامش النص.

٤- يلاحظ كذلك أن الناسخ لم يتقيد بما ذهب إليه النُسخ عند نسخهم، نقلاً عن المخطوطات الأصلية، بترك مساحات بيضاء في بعض الأوراق، وهو تقليد اتبعه أيضاً مؤلفوا هذه المخطوطات أنفسهم، للدلالة على أن هناك حدث معين - لم يدون - مثل الرسائل أو قصائد الشعر، بل عمد إلى مواصلة الأحداث إذا ما صادفه مثل ذلك، مكتفياً بالإشارة في حاشية الورقة لمثل هذه العبارات (بياض رسالة) أو (بياض شعر)، ويبدو ذلك واضحاً على سبيل المثال في الأوراق (١/٥٠)، (١/٥٣)، (١/٢٢٨).

٥- وجود نقص في نهاية المخطوطة نحو ثمانية أوراق، عند مقارنتها بما هو مثبت في النسخة (أ). *مركز تحفة الاسماع*

وبالنسبة لنسخة الفاتيكان (ف)، فلم تخل هي الأخرى من عيوب ظاهرة، على الرغم من وضوح خطها، حيث نجد نقص في بدايتها قرابة ست وخمسون ورقة مما هو مثبت في النسخة (أ)، الأمر الذي يعني نقصاً ليس بالهين، أضف إلى ذلك ما أسقط في نهايتها من أوراق قاربت الثمان.

كما يتضح أيضاً مخالفتها لاتباع التسلسل الزمني في الأحداث - كما جاء في النسخة (أ) - وتكون بذلك قد نهجت نفس المنوال المتبع في النسخة (ب)، الأمر الذي يمكن أن يتخذ كدليل على أن كلتا النسختين (ب) و(ف) قد نسختا من نسخة واحدة، لم نوفق في الإهداء إليها، على أننا لم نجزم في ما ذهبنا إليه بهذا الخصوص، وإنما هي مجرد فرضيات لا أكثر.

وصف النسخة الأم

وهكذا تتضح - كما ذكرنا آنفاً - دواعي وأسباب ترجيحي للنسخة (أ)، باعتبارها النسخة الأم، ومن ثم الإعتماد عليها عند نسخ المخطوطة - لتحقيق المخطوطة - وتكون النسخة (أ) بذلك قد ألت - دون سواها من النسخ التي أشرنا إليها - بأحداث سيرة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام القاسم بن محمد، حتى السنة (١٠٧٤هـ/١٦٦٣م)، وهي السنة التي توقف عندها مؤلف السيرة (المطهر بن محمد الجرموزي)، كما أسلفنا الإشارة إلى ذلك عند حديثنا عن حياة المؤلف.

وبالنسبة للوصف العام للمخطوطة، فسنجد أنها كتبت في أوراق قديمة، بحالة جيدة، احتوت كل صفحة منها على (٢٧) سطراً، جُلِّدت تجليداً سميكاً، يمتد من غلافها لسان مثلث سميك يلتف حول المخطوطة إمعاناً في الحفاظ عليها، كما جرت عليه عادة التغليف حينها، وقد نُقِشت على جهتي الغلاف وكذا اللسان، نقوش عربية إسلامية.

وبلاحظ على ورقة عنوان المخطوطة تعليقات تدلل على مطالعة العديد من الأشخاص لها، كان آخرهم العلامة عبد الله بن أحمد بن محمد الوزير، والذي صارت في حيازته في شهر (جمادى الأولى سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٣م). توجد الآن - كما ذكرنا - في المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء

أما نسخها فقد كان بخط نسخي معتاد، مهمل النقط، وتحمل الرقم (٢٥٠٥). وقد استهل الناسخ عند كتابته لسيرة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بالبسملة.

كما حرص عند كتابة عنوان أو فصل أو سنة، على أن يكون بارزاً وبخط كبير، مستخدماً لذلك اللون الأسود، ويمزجه في بعض المواضع باللون الأحمر.

كما ميز لفظ الجلالة - عند كتابته له - باللون الأحمر وكذا اسم الإمام، وأفعال الرواية مثل (قال، أخبرني، ونذكر).

أما ما حدث بالفعل من سقوط لبعض الكلمات أو الجمل أثناء عملية النسخ لهذه المخطوطة فيعد أمراً طبيعياً يحدث في أي عملية للنسخ مشابهة لهذه. وللإشارة إلى مواضع السقوط هذه، عمد الناسخ - أثناء نسخه للسيرة - إلى التقليد المعتاد باستخدام إشارة سهم مقلوب () ثم قام بإثبات ما سهى عنه في حواشي الأوراق.

ونلمس أثناء تصفحنا للمخطوطة حرص الناسخ على دقة ووضوح متنها، وهناك أمور عدة تترجم هذا الحرص، مثلها إهتمامه بإيضاح الجمل، بما استخلعه من فواصل (ه) بين الجمل، مع رسم هذه الفواصل باللون الأحمر؛ وللتدليل على نهاية الجملة أو فقرة ما وضع الناسخ حرف الهاء (ه)؛ بينما يورد كلمة (انتهى) ليعني بذلك خاتمة الرسالة أو الحدث؛ وإضافة إلى ذلك استخدام الناسخ أيضاً إشارات الفواصل بلونها الأحمر، لتشطير الأبيات الشعرية، ثم رسمه عند نهاية كل بيت لهذه الإشارة (١٠).

وكما هو معروف، فقد حرص المؤرخون أثناء تأليفهم الكتب، على توخي الدقة في صياغة الأحداث، فعمدوا - كما جرت العادة حينذاك - إلى توثيقها بما يقع بين أيديهم من رسائل، وذلك لإضفاء المصداقية لما يكتبون، وأحياناً يحدث أن يفتقر هذا المؤرخ أو ذاك لمثل هذه الأشعار أو الرسائل، لسبب أو لآخر، فيلجأون في مثل هذه الحالات حرصاً منهم على أمانة مؤلفاتهم، على ترك بياض في الأوراق التي يرغبون في تثبيت ما يأملون بها.

لذا فقد التزم النساخ - أثناء نسخهم - بما وقفوا عليه في هذه المؤلفات، ونسخوها كما جاءت، وما يدل على هذا هو ترك الناسخ للمخطوطة (أ)

مواضعاً عدة من أوراقها، خالية من الأحداث [بباض] وكما أسلفنا الذكر، أن أغلب كلمات المخطوطة مهملة النقط، لا سيما وأنها عادة اتبعها النساخ حينذاك، على أن ناسخ المخطوطة (أ) حرص على وضع إشارات معينة للدلالة على الحروف غير المعجمة، فوضع - على سبيل المثال - إشارة (٠) أعلى حرفي (الراء والعين)، كما هو مشاهد في هاتين الكلمتين (المر، علب)، كوسيلة لتنبه القارئ أنهما غير منقوطين، وبالتالي تجنبه أي التباس يمكن أن يقع فيه أثناء القراءة.

أما بالنسبة لحرفي (الطاء، الدال) فقد وضعت أسفل كسل منهما إشارة (٠)، كما هو ملاحظ في هاتين الكلمتين (طالب) و(دله) وهو أسلوب سرى استخدامه - في المخطوطة - بتواتر مطرد من قبل الناسخ.

وتفادياً لأي إرباك قد يتولد لدى قارئ المخطوطة بخصوص تسلسل صفحاتها أثناء سردها للأحداث، عمد الناسخ إلى كتابة الكلمات الأولى من الصفحة الثانية (ب) في نهاية الصفحة الأولى (أ) من كل ورقة.

ومن جانب آخر أغفل الناسخ استخدام الهمزة في كل المواضيع التي تستوجب استخدامها، كما نهج في رسمه للعديد من الكلمات الرسم القرآني مثل (الصلوة، الزكوة، السموات) وهو ما سنتناوله عند الحديث عن منهج التحقيق.

وسنرى أن الناسخ حرص على تمييز أحداث رحلة الحبشة للعلامة الخيمي عن بقية أحداث المخطوطة، كما وردت في الأوراق (٨٧/ب - ١٠١/ب) ليطابق بذلك ما ذهب إليه مؤرخنا الجرموزي في مخطوطته الأصل، حيث كتب في وسط الورقة (٨٧/ب) وبشكل مثلث العبارة التالية (هذا بحث دخول القاضي العلامة حسن بن أحمد الخيمي - أسعده الله - في صفة دخول الحبشة عند سلطان الحبشة وما قاساه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً).

منهج المؤلف

عاصر المؤلف - كما سبق وأن أشرنا - ثلاثة أئمة، فترة زمنية هامة من التأريخ اليمني الحديث، كتب عنها كشاهد على ضوئه منهجه أثناء كتابته مؤلفاته.

ومن خلال دراستنا لمؤلفه (تحفة الأسماع) تبدو لنا معالم منهجه واضحة، فنجده يحدد في بداية كتابه الغرض من تأليفه، حيث يقول: (وقد دعاني محبة العترة النبوية كما أمرني رب البرية وجاءت الآثار المصطفوية...) (١) وإنه قد تناول قبل هذه السيرة سيرتي الإمام القاسم بن محمد، وولده المؤيد بالله، ثم يبين الاختلاف الذي نشأ عقب وفاة المؤيد الأمر الذي تمثل في ظهور أكثر من شخص يدعي أنه الأحق بالإمامة (٢)

ثم يبين بعناية بالغة، وتفصيل دقيق، المنهج الذي سار عليه في تناوله مؤلفه سيرة الإمام المتوكل على الله إسماعيل، في شتى جوانبها الشخصية والحربية والسياسية، حيث يقول في مقلمة مؤلفه: (فصل في ذكر نسبه، ومولده، ونشأته، وحليته، وخصايصه، وعلمه، وشجاعته، وورعه، وسجاياه، وصبره، ونفقته على الأمة، ودعوته، وكراماته، ونبذة من رسائله في الدعاء إلى الرشاد، ويسير مما امتدحه أهل العصر من العلماء والشعراء وعيون مما عاصره من العلماء...) (٣) ويفرد بالحديث بعد عرضه لموضوعات كتابه كل عنصر ذكره بشكل منفصل، فيقول: أما نسبه الشريف فهو أمير المؤمنين، وخليفة رسول رب العالمين، المتوكل على الله العزيز الرحيم، إسماعيل بن القاسم بن محمد... (٤).

(١) النص: ق (١/٨).

(٢) النص: ق (٢/١٢)، ب، (٤١/أ).

(٣) النص: ق (٤/ب).

(٤) النص: نفس الورقة.

ويختلف نهج الجرموزي في تناوله للأحداث عن نهج من عصره من المؤرخين ممن كتبوا عن الفترة، أمثال يحيى بن الحسين في مؤلفه (بهجة الزمن) والتي لا تخرج عن إطار المدرسة العربية الإسلامية الكلاسيكية^(١) بالتزامها بترتيب الأحداث على طريقة الحوليات^(٢) حيث اتبع أسلوب السرد القصصي في كتاباته، إلى جانب اهتمامه - بالطبع - بالتوقيت الزمني ورصد الأحداث بتبيان تواريخها.

وبحكم موقعه بصفته واحداً من كبار مسؤولي الدولة، ولسعة اطلاعه وقربه من الأحداث، كان يستقي معلوماته من مصادرها المباشرة، أمثال كبار موظفي الدولة ومستشاري الإمام، وغيرهم من القادة العسكريين الذين عاينوا وقائع الأحداث عن قرب وتتبعوها عن كثب، فهو في موضع -على سبيل المثال - يدون حديثاً دار بينه وبين الإمام، عند موت فاطمة بنت الحسن، زوج الإمام، في عام (١٠٦٥هـ/١٠٥٤م) فيقول: ومما أخبرني به مولانا أمير المؤمنين - يله الله - أنها جمعت حليها والفخر من ثيابها وأرسلت بها إلى والدتها... لتقطع نفسها عن الداعي إلى لبس شيء من ذلك...^(٣)، وفي موضع آخر يستقي معلوماته من المقربين للإمام والقائمين على خلعتة، فنجله يقول: (وأخبرني بعض الخدم لمولانا الإمام وهو من الترك الذين لا يعرفون هذه المقاصد)^(٤).

وقد شكلت تلك الرسائل والتي كانت تصل إلى الجرموزي، سواء أكانت من لدن كبار المسؤولين في الدولة، أو من لدن من يستعين بهم الإمام في تسيير أمور البلاد - وهم بمثابة المستشارين في وقتنا الحاضر - مصدراً آخراً من

(١) د العمري: ٤٢.

(٢) د سالم: ٥٠٣.

(٣) النص: ق (٢٢١ب).

(٤) النص: ق ٥٣ب.

مصادر توثيق أحداث كتابه، فنجد عند وصفه للضعوبات التي قابلها قادة القوات الإمامية أثناء سيطرتهم على حضرموت سنة (١٠٧٢هـ/١٦٦١م) يقول: (أخبرني بعض الخواص مكاتبة أن الإمام -عليه السلام- قال: وقد شكنا عليه مولانا الصفي أحمد بن الحسين ما لقي من المتاعب في هذا المخرج...) (١) ولم يكتب المؤلف في رصده للأحداث على هذا النمط في استقصائه الأخبار، بل عمد أيضاً إلى شهود العيان ممن شهدوا وقائع الحدث الذي يروونه ساعة حدوثه، فوثق تلك المشاهد في كتابه، دليلاً على مصداقية الحدث ووقوعه الفعلي. فعلى سبيل المثال عند تناوله لما كان من أمر أحمد بن الحسن، وسيطرته على عدن في سنة (١٠٥٥هـ/١٦٤٤م) بهجومه على أميرها الحسن بن عبدالقادر، بغية بسط نفوذه وإحكام سيطرته على المدينة...، يسوق الجرموزي هذا الحدث عن شاهد عيان أثناء تواجده وقت وقوع الحدث، فيقول: (...وأخبرني من شهد ذلك أن مولانا أحمد -حفظه الله- تقدم إلى بيت الأمير المذكور...) (٢).

ومصدر آخر أيضاً من مصادر تسجيل الأحداث، كان قد لجأ إليه الجرموزي، هو استقاؤه المعلومات عن طريق رسله الذين مثلوا حلقة الوصل بينه وبين الإمام في نقل قضايا ومتطلبات ناحيته عتمة، التي كان حاكماً عليها حينذاك، حيث يقول: (...مما أخبرني بعض المترددين من رسلي وقد وصف كثيراً من سعة صدره وضيافته...) (٣).

وسنلمس في ثنايا الكتاب أسلوباً آخر لمؤرخنا يتمثل في رصده بعض أحداثه، وكأنه يكتب مذكراته، فهو مثلاً يسرد لنا حدثاً ما، وفجأة يتوقف تاركاً

(١) النص: ق ١٩.

(٢) النص: ق ٥٩ ب.

(٣) النص: ق ١٦٥.

أكثر التفاصيل لنتائج ذلكم الحدث، لينقلنا إلى حدث آخر - كان قد شرحه من قبل - فيضيف أشياء قد استجلت عن الحدث نفسه، وكان قد رصدها في مذكراته، غير أنه لم يدونها في كتابه، ومن ثم يعود إلى السرد التاريخي بعبارة التقليدية^(١)، على مثل هذا النحو: (ولنرجع إلى أخبار صنعاء، وقد تقدم أن مولانا محمد بن الحسن...) ^(٢) أو: (رجعنا إلى أخبار صعلة، قد ذكرنا خروج مولانا أحمد بن الحسن...) ^(٣).

ولم يكن الجرموزي يختلف عن سائر مؤرخي عصره فيما يتعلق بتوثيق المعلومات والأحداث، فنقل عن كتب المؤرخين المعاصرين له. وهو بذلك قد اعتمد على مصادر لروايات بعض الأحداث، كان القصد منها التثبيت من صحتها، وذلك ما يتضح في كتابه (النبذة المشيرة) حيث وثق كثيراً من أحداثها مما استقاه من كتاب (روح الروح في ماجرى بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح) لمؤلفه المؤرخ: عيسى بن لطف الله^(٤)، كقوله: (قال عيسى بن لطف الله: إن قافلة قتلوا من محطة العجم فوق ستمائة...) ^(٥).

وفي موضع آخر يورد - نقلاً عن كتاب (اللآلئ المضيئة في أخبار الأئمة الزيدية)^(٦) - قوله: (...قال السيد العلامة أحمد بن محمد الشرفي: ومن كتبه - عليه السلام - جواباً علي...) ^(٧).

وفي مواضع أخرى كثيرة يكتفي الجرموزي بالإشارة إلى اسم المؤلف فقط،

(١) د/ سالم: (٧٣).

(٢) النص: ق (١٣٧).

(٣) النص: ق (١٠٢ب).

(٤) انظر مصادر ترجمته: (الشوكاني: البدر الطالع: ٥١٧٨).

(٥) الجرموزي: (النبذة المشيرة: (خ) ق ٥).

(٦) انظر مصادر ترجمته: (الشوكاني: ١١٩٨).

(٧) الجرموزي: ق (١٢٤).

كما يرد في عبارته هذه: (ذكرها السيد أحمد في كتابه) أو هذه (قالها عيسى بن لطف الله).

ونود أن نوضح أن ما كان من أخذه عن هذه المصادر، قد اقتصر - على النقل الحرفي ليس أكثر، فلا هو علق عليها اثباتاً أو نفيّاً أو ترجيحاً ولا هو عابها منتقداً.

ونشير - في هذا الموضع - إلى أن الجرموزي قد أفرد اهتماماً خاصاً بتلك الرسائل التي كان الإمام المتوكل على الله إسماعيل يتبادلها مع قواده أو حكام الأقاليم، والتي كانت تحمل أوامره وتعليماته وتوجيهاته لتدبير شئون الدولة، وكذا تلك التي كان يرسلها إلى أمراء ورؤساء الدول الأجنبية. وهكذا قام المؤلف بإثبات نصوصها في كتابه، فمثلت مادتها بذلك واثق بالغة الأهمية عن هذا العصر وما اتصل به من ظروف محلية وعلاقات كانت قائمة - بين الدول - آنذاك.

مركز تحفة الأسماع

من ذلك رسالة وجهها الإمام إلى السلطان بدر بن عمر الكشيري حاكم حضرموت، يأمره فيها بحل وثاق عمه وإطلاقه من السجن وتوليته على ظفار، كي تستقر له الأمور في حضرموت. والجرموزي ينقل نص تلك الرسالة، فيقول: (... وامتثال ما أمرناكم به من استقلاله إن شاء الله بأعمال ظفار يأمر فيها - إن شاء الله - بالمعروف، والنهي عن المنكر...) ^(١) وفي موضع آخر يورد رسالة بعث بها الإمام إلى شريف مكة، تتضمن عدداً من القضايا والمواضيع التي تهم الجانبين، فنجده يقول: (...الصنو السيد المقام ملك أهل البيت الكرام زيد بن محسن بن حسين بن أبي نمي بن بركات بارك الله عليه كما بارك على آبائه...) ^(٢).

(١) النص: ق ٢٢٥ أ ب.

(٢) النص: ق ٧٤ أ.

ومن منهجيته في الكتابة إهتمامه بما يرد بمطالع الرسائل ونهاياتها من البسمة والحمدله والشكر والثناء لله تعالى، يضاف إلى ذلك تسجيله للقوائد لولعه بالشعر النبي كان له فيه حظ وافر.

واهتم أيضاً بذكر عدد من الأعلام المعاصرين للإمام المتوكل من علماء وفقهاء وأدباء^(١).

وأخيراً فإننا نلمس عند استقراءنا تاريخ الجرموزي، أن كتاباته تتسم بالتحيز الشديد للإمام المتوكل على الله إسماعيل، فما صادف اسم الإمام مرة - على طول السيرة - إلا وأحاطه بألقاب التعظيم وهالات التقديس^(٢)، ولم يذكره مجرداً ولو مرة، كأن يقول مثلاً: (...أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين.. المتوكل على الله.. إسماعيل...)^(٣).

وقد كشف الجرموزي عن تحيزه هذا صراحة في مقلمة كتابه أثناء حديثه عن الغرض من تأليفه، حيث يقول: (ولقد دعاني محبة العترة النبوية...)^(٤). ويبدو ذلك أكثر وضوحاً في تخصيصه لصفحات عديدة يذكر فيها كرامات الإمام المتوكل، وفضائله، وكرمه، وحميد صفاته، وتبرز هذه الحقيقة بشكل أوسع عند ذكره للعثمانيين - سواء في كتابه هذا أو في غيرها من كتبه - فتكاد عباراته لا تخلو من السب والشتم والتحقير لهم، حتى أنه لا يأت بذكرهم إلا مشفوعاً بعبارات الدعاء عليهم، كأن يقول: (أقمأهم الله)^(٥) أو: (مع الترك أخذهم الله) أو (لعنهم الله). غير أن ما أظهره المؤلف من تحيز شديد لا يقلل من أهمية الكتاب وقيمه.

(١) النص: ق (٢٦-٣٤ ب).

(٢) د/ سالم: المؤرخون اليمينون: (٧٦).

(٣) النص: ق (٤ ب).

(٤) النص: ق (٨/١).

(٥) النص: ق (٧٠ ب).

لغته

اللغة أداة الكاتب التي يوصل من خلالها أفكاره ومشاعره وغير ذلك مما يهدف إلى إيصاله إلى قرائه، فهي جزء لا يتجزأ من شخصيته، ولذلك تبرز أهمية لغة المؤلف وأسلوبه في أنهما يكشفان عن هويته، ولذا وجب عليه الإلمام التام باللغة وتراكيبها وصياغتها.

ويتضح مما تقدم أهمية اللغة عنصراً أساسياً لقوام أي عمل كتابي وأي عيب في اللغة من ركافة في التركيب أو تنافر في اختيار الألفاظ، إنما هو عيب في مادة التأليف. وقد لا يكون لهذا الأمر نصيب كبير في المخطوطات التي تعتبر خلاصة تراث الأمة وعصارة أفكارها وقيمها وكل ما ينظم أمور حياتها آنذاك. إلا أن هذا لا يمنع وجود مثل تلك العيوب اللغوية في هذا المخطوط أو ذاك.

فأين يقع المؤرخ الجرموزي من كل هذا؟ إن من يقرأ كتاباته يستشف إلماماً باللغة، ومقدرةً فائقةً على التصرف بألفاظها وتوظيفها في تحقيق ما يصبو إليه. وانعكس ذلك في رصانة أسلوبه وسلامة لغته وسلاسة عباراتها. ولقد كانت مؤلفاته مصدراً هاماً للدراسة عدد من الباحثين -أشرنا إليهم آنفاً- منهم المستشرق سيرجنت^(١).

ونستثني بالقول أنه -أي الجرموزي- وغيره من المؤرخين يقعون أحياناً في مزالق اللغة، وهي ظاهرة يمكن تفسيرها على نحو أنهم يهتمون بالمضمون والمعنى أكثر من اهتمامهم بالأسلوب، وقد أشرنا لمثل هذه الأخطاء في منهج النشر. ويمكننا أن نُجمل القول بأن الجرموزي عموماً، كان كما ذكرنا، ذا اطلاع واسع باللغة واتسم برصانته اللغوية، فهو وإن كان مؤرخاً، إلا أننا نجد

(١) انظر كتابه ٦٩: SerjeNT, R,B, R:SaNa a, An Arabia n Islamic city, p:

بين الحين والآخر، يذهب إلى استخدام أسلوب أدبي بديع، يمكن الاستدلال عليه من عبارة كهذه: (ولما سكن الليل همس بخفاف ركابه...) (١) أو من قوله في موضع آخر: (...رسم له أعمالاً يمضيها وحدوداً يقيفها...) (٢). وعبارات كهذه تكشف عن مؤلف لا يلم بتركيب لغته وعباراتها وحسب، وإنما يردف ذلك ولع بجماليات اللغة ومحسناتها البديعية من جناس وطباق ونحوهما، كما في العبارتين السابقتين.

ونجد أيضاً في عبارات أخرى يستخدم السجع، وهي عادة جرى عليها المؤلفون في ذلك العصر، كأن يقول: وخيلهم مع ذلك تبارى في أعتها لم يمسا لغوب، ولا يُر عليها أثر الركود والنضوب... (٣).

ونجد في أماكن أخرى يستخدم أبياتاً شعرية جزيلة المعنى، وجرياً منه وراء تعميق فكرة يريدتها، مثل قوله:

رقود جباء الخيل تكبر في الجوى وهن أبران فيه عوائد

تغير إلى شرقٍ وغربٍ وتارة تأم بقيضة الفراقـد (٤)

وأما ما خطه قلمه من كلمات اللغة الدارجة فهي قليلة الاستخدام عنده، وهو بين الحين والآخر يورد بعض المصطلحات الغير العربية، منها ما هو مثل (جوامك) (٥) و(جبودي كرنبوي، أيشناء) (٦).

(١) النص: ق ٧٠ ب.

(٢) النص: ق (٦١) ب.

(٣) النص: ق (١٩٦).

(٤) النص: ق (٢٠٤) ب.

(٥) جوامك: رواتب.

(٦) ما بين القوسين المقصود بها: (ليتنا ما تعارفنا)، وقد أكد لي صحة المعنى الدكتور/ عادل سويلم؛ أستاذ الدراسات الشرقية بقسم التاريخ بجامعة صنعاء.

أهمية المخطوطة ومحتوياتها

(أ): أهمية المخطوط

تعتبر المرحلة التي تناولتها المخطوطة من أهم المراحل التاريخية لليمن الحديث، كونها قد حددت الملامح والمعالم للسياسة اليمنية في القرن السابع عشر الميلادي بما فيه من مجريات الأحداث التي أفرزها الواقع السياسي خلال هذا القرن. حيث أطلت اليمن في هذه الحقبة التاريخية على العالم كدولة مستقلة عن الدولة العثمانية تحظى بمكانة مرموقة.

وجاء تناول المخطوطة لهذه الحقبة الزمنية من تاريخ اليمن الواحد متسماً بالوضوح والجلاء التامين، فأبرزت الميزات الهامة والفريدة لهذه الفترة والتي تمثلت في الحنكة السياسية والشخصية القوية للإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بن محمد الذي يعد -بحق- إحدى الشخصيات اليمنية الهامة في تاريخ البلاد، فقد استطاع أن يجدد موقع اليمن على الخارطة السياسية حين بدأ بتوحيد اليمن تحت لواء دولة مركزية تحافظ على سيادته واستقلاله، خصوصاً بعد استقلاله عن الدولة العثمانية في عام (١٠٤٥هـ/١٦٣٥م) بينما كان معظم العالم العربي -ما عدا المغرب- يرزح في هذا الوقت تحت سيطرتها، الأمر الذي جعل من هذه الفترة نقطة تحول هامة رسمت بعمق ملامح اليمن المستقل.

وللحديث عن الأهمية التاريخية للمخطوطة، فإنه يمكن القول أنها قد اكتسبت أهميتها من أهمية الفترة التي أرخت -كما أشرت آنفاً- إلا أنه توجد هناك عدة جوانب أضفت عليها المزيد من الأهمية والفوائد الأخرى، ذلك أنها تناولت هذه الفترة الهامة، على نحو أوفى حيث غطت جميع أحداثها

ومجريات الأمور فيها، في الوقت الذي لم يتطرق إليه المؤرخون المعاصرون لها أو ممن كتب عنها على النحو الذي تناولته هي، ولم تعد دراساتهم سوى إشارات سريعة لسرد حوادثها، ومن المؤرخين المعاصرين لتلك الحقبة: المؤرخ يحيى بن الحسين^(١) صاحب (بهجة الزمن في حوادث اليمن)، والمؤرخ عبدالله بن علي الوزير^(٢) صاحب (طبق الحلوى وصحائف المن والسلوى) وهما رغم معاصرتهما للمرحلة إلا أنهما لم يتناولها بالصورة التي تناولها بها مؤرخنا الجرهموزي.

ويضاف إلى هؤلاء بعض من الدارسين والباحثين المعاصرين، ممن تناولها بالدراسة، مثل الباحثة السعودية سلوى الغالبي التي نالت درجة الماجستير على رسالتها الموسومة (الإمام المتوكل على الله إسماعيل ودوره في توحيد اليمن)^(٣). وكان اعتمادها كلياً وبشكل رئيسي على المخطوطة -موضوع الدراسة- ومن خلال استقراءنا لرسالة الباحثة اتضح لنا أنها لم تستفد منها كثيراً كما أنها استقت منها معلوماتها بعلاقتها دون تمحيص أو تدقيق، وجانب آخر كان له قدر كبير من إضفاء الأهمية على المخطوطة، تمثل في معاشة مؤرخنا الجرهموزي الفعلية لوقائع ومجريات الأحداث لهذه الفترة الزمنية، وكان لقربه من الإمام المتوكل على الله إسماعيل، رجل الدولة الأول، أهمية كبيرة في تسجيل الوقائع والأحداث من مصادرها -كالإمام نفسه- أو عبر المراسلات الشخصية إليه من قبل قادة الجيش والمقربين إلى الإمام.

ولقد ركزت بشكل كبير على الأوضاع السياسية التي صاحبت عصر

(١) انظر مصادر ترجمته: (زيارة، محمد بن محمد: نشر العرف: ٢٢٢/٣-٢٢٥) قلمت الباحثة أمة الغفور الأمير (الاستاذة بقسم التاريخ جامعة صنعاء): بتحقيق الجزء الأول من البهجة، لنيل درجة الماجستير.

(٢) نفسه: ١١٢/٢-١٢٨.

(٣) تم مناقشتها في جامعة الملك عبدالعزيز، بجده، طبعت ككتاب عام ١٩٩١م.

المتوكل، وذلك من خلال تناول مؤرخنا للأحداث التاريخية للفترة، فتطرق إلى كيفية تسنم الإمام لمقاليد السلطة، والعقبات الأولى التي طفت على السطح حينذاك، كدعوة أكثر من شخص بالإمامة لنفسه، ونشوب بعض الصراعات القبلية في صعلة وصنعاء. والأهم من هذا كله ما تناوله مؤرخنا من التفاصيل الدقيقة لتلك المعارك التي خاضتها قوات الإمام في مناطق أبين وعدن ولحج وياق والشعيب وحضرموت لبسط نفوذه عليها ومن ثم ضمها تحت لواء الدولة الواحدة.

ونلمس أهمية المخطوطة بالنظر إلى ما قلمته لنا من صورة واضحة عن العلاقات الخارجية التي أقامها الإمام مع عدد من الأقطار العربية والإسلامية، حيث عنى مؤرخنا بتوثيق تلك الرسائل التي تبودلت بين الإمام والأشراف في مكة، واليعاربة (سلطنة عمان اليوم) والحبشة، وكذا الدول المغولية في الهند وغيرها، كما جاء في ذكره أثناء تناولنا بالحديث عن الأوضاع السياسية.

وتبرز أهمية المخطوطة أيضاً في أنها تطرقت بين دفتيها إلى الجانب الإقتصادي، وهو ما يتضح تماماً من خلال ما ذكره الجرموزي أثناء سرده لما حدث من جذب ومجاعات في بعض المناطق، وارتفاع في الأسعار كمظهر لشحة الموارد الإقتصادية في منطقة دون أخرى، يضاف إلى ذلك تأكيده لاهتمام الدولة بالتجارة في البلاد والأنظمة والقوانين التي حددت التعاملات في السوق. وجانب آخر يكتسب قدراً كبيراً من الأهمية ألا وهو الأوضاع الإجتماعية، فقد تطرق مؤرخنا إلى بعض العادات والتقاليد التي كانت في مجتمعه كالاعتقاد بالشعوذة^(١)، وملابس الناس^(٢) ومناسباتها.

(١) النص: ق (١٩٣).

(٢) النص: ق (٢٠١).

كما رصد الجرموزي النهضة العلمية التي شهدتها عصر الإمام المتوكل على الله إسماعيل، ويتجلى ذلك في ذكره لعدد كبير من العلماء والفقهاء^(١)، والذين كان لهم اليد الطولى في هذه النهضة، ومما أضفى من أهمية على المخطوطة كذلك هو اهتمام مؤرخنا بذكر أحوال العالم الخارجي عبر ما كان يصل إليه من معلومات أو رسائل. فعلى سبيل المثال يذكر وبشكل موسع الأحداث والصراعات التي نشبت بين الأشراف^(٢) في مكة والحجاز نتيجة لخلافات أسرية حول السلطة. كما أنه ذهب لأبعد من ذلك فسجل وقائع رحلة العلامة الحيمي (ت ١٠٧١هـ/١٦٦٠م) المشهورة إلى الحبشة^(٣) كاملة، يضاف إلى ذلك تدوينه للرحلات التي قام بها بعض الرحالة الذين قلعوا إلى اليمن أمثال الرحالة أحمد بن أحمد القيرواني^(٤)، والذي رصد مؤرخنا وصفه لما شاهده خلال زيارته للعديد من البلدان.

ومن الأهمية بمكان أن نشير هنا إلى أن المستشرق البريطاني الكبير الراحل سرجنت (ت ١٩٩٣م) - وهو أحد كبار المختصين المعاصرين - قد أوضح في كتابه (صنعاء: مدينة إسلامية عربية) أهمية المخطوطة بقوله: (إنها تمثل قطعة كتابية جيدة وبارزة، بالنظر إلى مدى تغطيتها للأحداث، واختياراتها، وعرض مادتها، ونادراً ما تقارن بالتواريخ العربية لأي فترة)^(٥).

يتضح لنا مما سبق ذكره، الأهمية التاريخية لموضوع دراستنا. وحتى تتبلور موضوعات المخطوطة بشكل أوسع فسأفرد بالإيضاح كل ما أشرنا إليه من المواضيع الأساسية كلاً على حدة.

(١) انظر ترجمة العديد منهم في هوامش النص.

(٢) النص: (٧٢ب).

(٣) النص: ق (١٨٧-١٠١ب).

(٤) النص: ق (١٨١ب).

.Serjeant R. B. Lewcock: Sanaa An Arabian islamic City, London, ١٩٨٣ p: ٧٩(٥)

(ب): محتويات المخطوطة

١- الأوضاع السياسية

أ- السياسة الداخلية

يمثل عصر الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بن محمد مرحلة سياسية هامة في التاريخ اليمني الحديث، حيث برز كشخصية تاريخية يمنية مهمة في منتصف القرن السابع عشر الميلادي، وهو القرن الذي شهد منعطفاً تاريخياً هاماً تمثل في: (التداعي البطيء والطويل للإمبراطورية العثمانية... والتوسع الأوربي إلى كل جزء من المحيط الهندي)^(١).

فكان أن مهد خروج العثمانيين الأول من اليمن عام (١٤٠٥هـ/١٦٣٥م) للخطوة الأولى نحو إقامة دولة مركزية، حيث تولدت هذه الفكرة في أول أمرها في ذهن الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد، وازدادت معالمها وضوحاً إبان حكم الإمام المتوكل على الله إسماعيل، الذي خلف أخاه المؤيد بعد وفاته عام (١٠٥٤هـ/١٦٤٤م).

وقد ذكر مؤرخنا الصعوبات التي واجهت المتوكل على الله في بداية عهده بالحكم، والتمثلة في تلك الدعوات التي زاحمت المتوكل في دعوى الإمامة^(٢)، والتي حسمت في نهاية الأمر عبر مُناظرة -مع غيره ممن دعا لنفسه بالإمامة- في التاسع من شوال سنة (١٠٥٤هـ/١٦٤٤م) احتواها (مجلس عام لجميع أهل العلم وأهل الفضل)^(٣). حيث أفضى إلى تأكيد المجتمعين لأحقية الإمام المتوكل بالإمامة، لتوافر جميع شروطها فيه.

(١) Ibid: pV.

(٢) النص: ق ١٤١-٥٣.

(٣) النص: ق ٥٣.

ثم عمد الإمام المتوكل بعد أن وطد دعائم حكمه، إلى اتخاذ ضوران عاصمة له، لوقوعها في جانب أنس الحصين، والذي يصعب السيطرة عليه، إضافة إلى كونها مركزاً سياسياً وقيادياً. ولكي يثبت سلطته - كما يذكر الجرموزي في سيرته - شرع الإمام في إخماد عددٍ من حركات التمرد والعصيان في أكثر من منطقة، كما حدث مع الشيخ يحيى بن روكان، في بلاد خولان^(١). كذا ما جرى في شرعب سنة (١٠٥٩هـ/١٦٤٩م) حين رفض أهلها تسليم ما يخص الدولة من واجبات^(٢). والحوادث غير هذه كثيرة.

وقد قام الجرموزي بإعطاء صورة متكاملة عن الكيفية التي درج عليها الإمام في تعامله مع مدبري حركة العصيان تلك، فيذكر لنا أن الإمام بعد أن قبض على الشيخ بن روكان - الأنف الذكر - عفا عنه وحذره من أن يعود لمثل ذلك، بقوله: (أذن له بعد أن أعطاه كثيراً، وأحسن إليه إحساناً غفيراً)^(٣). ولم تكن تلك الإجراءات نتيجة لضعف الدولة في السيطرة على الأوضاع، وإنما كان ذلك لضرورة حتمتها هذه الأوضاع، تمثلت بالحاجة إلى كسب هؤلاء حتى لا يتكرر ذلك في قبائل أخرى. هذا إلى جانب أن فعلاً من هذا القبيل يترك الأثر الطيب في نفوسهم - أي المذنبين - ونفوس العامة على حدٍ سواء، مما ينعكس أثره إيجابياً بالإمتثال والطاعة للدولة. يضاف إلى ذلك أن الإمام اتبع سياسة التهيب مع رؤساء القبائل، وذلك من خلال ما جسده رسائله التي كان يوجهها إليهم للدخول في طاعته، والإنضواء تحت الدولة الأولى، وأبرز مثال على ذلك رسالته التي أرسلها للرصاص - حين تقلمت القوات الإمامية لمقاتلة لإنهاء تمرده - والتي رصدها مؤرخنا على هذا النحو، فيقول: (إنك إذا لم

(١) النص: ق ٦٤ب.

(٢) النص: ق (٢١٦ب).

(٣) النص: ق (١٧٠).

تطع الله سبحانه وتعالى بطاعة إمام الزمان، فأرفع الحرم والأطفال ومن لا حاجة إليه في القتل، فإني أبرئ الله مضره تلحقهم بسبيك...^(١).

ويورد لنا مؤرخنا نموذجاً آخر من أشكال التمردات، تمثل في موقف الطائفة الإسماعيلية (المكارمة)، وهي أقلية توزعت بين همدان المجاورة لصنعاء، وبيام نجران في الشمال منها، وحراز غرباً، وقد شكلت بمواقفها العدائية للأئمة - على مر تاريخ الأئمة في اليمن - مصدر إزعاج وإقلاق للدولة وأمنها. فيذكر الجرموزي أنها بدأت تنشط وبشكل كبير في تلك المناطق^(٢). وقد كان أن علاج الإمام هذه المسألة باستخدامه وسائل التهديد والوعيد لمن ينخرط (في هذا المذهب)^(٣)... بل وأعظم من ذلك أنه (استباح دمه وماله)^(٤).

ويوضح الجرموزي في سيرته السياسة التي اتبعها الإمام مع الأهالي، وما أولاه من إهتمام بأمر معيشتهم، حيث يذكر أنه كان يتفقد: (المظالم التي بين القبائل عموماً، وبين أهل كل بلدٍ خصوصاً وأقام القضية للفصل)^(٥) في قضايا الناس.

هذا فضلاً عن تتبعه - أي الجرموزي - للزيارات التي يقوم بها الإمام للعديد من المناطق^(٦) لتفقد أحوال الرعية والنظر في شكاويهم والبست فيها، حيث تمكن الإمام بنهج سياسته هذه من خلق جوٍّ من الشعور بالأمان والطمأنينة بين الأهالي، خاصة بعدما عاشوه من قلق وخوف، وعدم استقرار

(١) النص: ق (١٩٧ب).

(٢) النص: ق (٦٧ب).

(٣) النص: ق (١٦٩).

(٤) نفس الورقة.

(٥) النص: ق (٦٧ب).

(٦) النص: ق (٦٤ب - ٦٦ب، ١٧٣ب).

أثناء التواجد العثماني، لما مارسه ضدهم من ظلم، وما جلبته عليهم الحروب من ويلات ومآسي.

ورسم مؤرخنا وبدقة متناهية صورة واضحة للسياسة التي أتبعها الإمام كخطوة أولى لمد نفوذه إلى مدن ومناطق عدن ولحج وأبين والشعيب ويافع وبني أرض، وبلاد الرصاص وبلاد العولقي والفضلي^(١)، بغرض ضمها في إطار الدولة الواحدة. وقد لجأ الجرموزي بتقديم هذه الصورة عن سياسة الإمام في المرحلة الأولى، إلى رصد الوقائع والأحداث والمعارك - على نحو مفصل - التي خاضتها قوات الإمام بقيادة أحمد بن الحسن بن القاسم مع قبائل تلك المدن والمناطق.

كما بين وبشكل أوسع العملية النهائية، والهادفة إلى توحيد اليمن تحت لواء دولة مركزية واحدة، امتدت سيطرتها على حضرموت^(٢)، وما جاورها من مشرق اليمن وجنوبه، وشكلت بذلك مورداً اقتصادياً هاماً، كونها حلقة وصل بالتجارة الخارجية، وإحتوائها على عدد من الموانئ - كالملكلا والشحر - يضاف إلى ذلك تأمين حدود الدولة الجديدة مع جيرانها في الجانب الآخر.

وأثبت لنا مؤرخنا - في هذا الخصوص - عدداً من الرسائل^(٣) التي جرى تبادلها بين الإمام والسلطان بدر بن عمر الكثيري، قبل وبعد السيطرة - على حضرموت وظفار والشحر.

أما بالنسبة إلى الناحية الإدارية فلم يُفصّل مؤرخنا أي استحداث لأية

(١) النص: ق (١٩٢).

(٢) النص: ق (٢٥٥، ب، ٢٥٧).

(٣) النص: ق (٢٢١، ب، ١٣٠).

أنظمة إدارية في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل، إلا أنه من الواضح أن أمور الدولة وتسيير مصالح الأمة لم تكن تخرج عن دائرة السلطة للإمام وحده، يساعده في ذلك ولاة المدن وحكام النواحي الذين أوكل إليهم -الإمام- إدارة شؤونها، وهؤلاء كانوا على اتصال مباشر بالإمام، وكان ارتباطهم به عبر ما يصلهم من أوامره وتوجيهاته - عبر رسائله إليهم - يحثهم فيها على رعاية مصالح الناس وتسيير شؤون حياتهم^(١).

ويذكر مؤرخنا في هذا الشأن أيضاً ما كان يقوم به الإمام من جولات تفقدية^(٢) في العديد من المناطق للإطلاع عن قرب على أحوال الأهالي. ويذكر الجرموزي -منها- زيارته لصنعاء حيث مكث فيها أربعة أشهر في عام (١٠٧٢هـ/١٦٦١م)، تفقد في مقامه (قانون صنعاء^(٣))، وغير أموراً أنكرها، ودقق في معرفة المنكرات حتى لا يكاد يُخفي شيء...^(٤).

ولكي يضمن ولاء الأهالي للدولة، سعى الإمام إلى تعيين ولاة وحكام من أقربائه وخاصته، حيث أبقى - كما يذكر الجرموزي - أخيه أحمد بن القاسم على صعلة - وكان والياً عليها منذ تعيين أخيه الإمام المؤيد له - ثم عين عليها بعد وفاته - أي أحمد - ابنه الحسين بن أحمد.

وبالنسبة لما كان يسمى باليمن الأسفل - إب وتعز - فقد ولى عليها ابن أخيه محمد بن الحسن، وأمر أن (يستعمل على بلاد يافع السيد المجاهد شرف الدين بن المطهر...)^(٥)، وعين (على بلاد الرصاص ودثينة وما والاها الفقيه المجاهد محمد بن علي بن جميل...)^(٦).

(١) النص: ق (١٧ب-١٦٩).

(٢) النص: ق (١٦٤ب-١٦٧).

(٣) تطرقنا للحديث عنه في الأوضاع الاقتصادية.

(٤) النص: ق ٢٦٤.

(٥) النص: ق ٢١٤.

(٦) نفس الورقة.

وإذا ما انتقلنا للحديث عن التقسيمات الإدارية فسنجد أن مؤرخنا لم يتطرق إلى ذلك في سيرته، حيث لم يذكر أي إجراء يتعلق بهذا الجانب ولو ضمناً، وهو ما يمكن تفسيره من أن الإمام المتوكل على الله إسماعيل قد أبقى على التقسيمات الإدارية العثمانية^(١) السابقة.

وللحديث عن الجيش يمكن القول أن السيرة - كما لمسنا من مطالعتنا لها - لم تشر إلى قيام جيش منظم بالمعنى الصحيح - كما هو في عصرنا الحالي - حيث كان غالب الجيش عبارة عن فرق من القبائل، ممن كان يهتمها كسب المغنم كما هي العادة أثناء الحروب، وسنرى أن تلك الفرق لم تكن مستقرة في أماكن أعدت خصيصاً لهذا الغرض - معسكرات - وإنما كانت القبائل إذا ما دعت الضرورة تلجئ - كما يقول الجرموزي - نداء الحرب عند سماعها (النفر)^(٢).

ويتضح من خلال السيرة أن الإمام كان هو السلطة المطلقة على الجيش - يقابله في عصرنا الحاضر القائد العام للقوات المسلحة - وأسند مهمة قيادة وتنظيم وصرف رواتب الجنود إلى ابني أخيه أحمد بن الحسن^(٣)، ومحمد بن الحسن^(٤)، ويساعدهما عدد من القادة ممن يعينهم الإمام.

ب- السياسة الخارجية

لم يقتصر مؤرخنا الجرموزي في سيرته على ذكر سياسة الإمام الداخلية فحسب - كما أشرنا آنفاً - بل اهتم بتتبع السياسة الخارجية ورصد معالمها، وما كانت عليه من نهج، وذلك من خلال ذكره - في سيرته - لتلك العلاقات

(١) انظر لمزيد من التفاصيل، د/ سالم، سيد مصطفى: الفتح العثماني: ٤٩٥.

(٢) النص: ق (١١٩٤).

(٣) انظر ترجمته في النص: ق (٢ب).

(٤) انظر ترجمته في النص: ق (١٢).

التي أقامها الإمام المتوكل، مع عدد من الأقطار العربية والإسلامية، وبعض من الدول الأوروبية.

لذا اختص العديد من صفحات السيرة ليضمونها تلك الرسائل التي تبودلت بين الإمام وعدد من رؤساء تلك الأقطار.

ومما يورده الجرموزي في هذا الجانب ذكره لما شهدته علاقة الإمام بأشراف مكة من تطور كبير وملحوظ - وهي العلاقة التي كان أخوه الإمام المؤيد بالله محمد قد بدأها بعد خروج العثمانيين من اليمن - وأسس لها في عهده، وهو ما سنلمسه بوضوح من خلال تلك الرسائل التي وثّقها - مؤرخنا - في سيرته التي تبودلت بين الجانبين.

فمثلاً يذكر الجرموزي أنه في سنة (١٠٦٤هـ/١٦٥٣م) قام الشريف زيد بن محسن^(١) بإرسال رسالة إلى الإمام يشرح له فيها تطورات الأحداث في بلده، وما كان من تبعات نتيجة خلافه مع ابن عمه الشريف عبدالعزيز بن إدريس^(٢)، يناشده فيها (إمداده بالمال ويستطلع رأيه... في معاملة ابن عمه)^(٣) إلا أن الإمام - إلتزاماً منه بثوابت سياسة الدولة الخارجية - رأى ذلك شأنًا داخلياً بين الأشراف في مكة فدعا إلى ضرورة الصلح بين الأطراف المتنازعة^(٤).

وفي ظل تنامي قوة الإمام كان أن ارتأى بسط نوع من النفوذ الإسمي على الحجاز تبعاً لما يذكره الجرموزي في سيرته، ففي عام (١٠٦٨هـ/١٦٥٧م) قام الإمام المتوكل بإرسال الفقيه الحسين بن يحيى النحوي إلى بلاد ينبع وما والاها

(١) انظر ترجمته في النص: ق (٧٣ب).

(٢) انظر ترجمته في النص: نفس الورقة.

(٣) نفس الورقة.

(٤) النص: ق (٧٣).

من بلاد الحجاز (للتعليم والإرشاد) ^(١) فرحب به أهل ينبع حيث (أقيمت الجمعة ودعوا الناس للإمام، ورفعوا مناره وأعلنوا شعاره) ^(٢). على أن الشريف زيد بن محسن قد رأى أن تصرفاً كهذا يُعدُّ تدخلاً في شؤنه الداخلية، هذا إلى جانب خشيته من العثمانيين -الذين كانوا يفرضون سيطرتهم آنذاك على مكة والحجاز- ومن بطشهم فـ (عظم عليه... أن يُتَّهَم من قبل السلطنة) ^(٣). وحسماً لتفاهم الأمر بين الطرفين، وتردي العلاقات بينهما، أمر الإمام بعودة الفقيه النحوي في سنة (١٠٧١هـ/١٦٦٠م) إلى البلاد ^(٤).

ولم تكن علاقة الإمام تنحصر بأشراف مكة والحجاز، بل إنها امتدت لتشمل الأحساء والقطيف -من جهات نجد- فكان أن وصل اليمن عام (١٠٩٥هـ/١٦٤٩م) الشريف عبدالقادر بن نعمة الله بن الحسين، على رأس وفد كبير، كسفير من حاكم الأحساء ^(٥) لتعميق أواصر العلاقة بينهما، والتي لم تقف عند حدود تبادل الرسائل والهدايا بين الطرفين وحسب، بل تجاوزت ذلك إلى (...موالاة أهل تلك الأطراف بحسن الولاء والإجابة والإشادة بذكر الإمام في تلك الأقطار، والدخول في الطاعة...) ^(٦).

أما بالنسبة لعلاقة الإمام بالحُكَّام اليعاربة (سلطنة عمان حالياً) فقد كانت على الضد من علاقته بالأشراف في مكة، حيث ظلت في تأرجح مستمر مداماً وجزراً. ومثلت فترة ضم الإمام لحضرموت والشحر وظفار أكثر المراحل اشتداداً وتأزماً في هذه العلاقة، حيث وجد الإمام نفسه -بعد سيطرته

(١) النص: ق (١٧٥).

(٢) النص: ق (١٧٦).

(٣) نفس الورقة.

(٤) النص: ق (١٧٦ب).

(٥) النص: ق (٢٩٣ب).

(٦) نفس الورقة.

على تلك المناطق - أمام قوة بحرية كبيرة - في يد الطرف الآخر تتحكم بخطوط سير السفن البحرية، مما حتم عليه أن يحمي منافذه البحرية التجارية على طول الساحل الممتد من حضرموت إلى الشحر.

ولعل ذلك يتضح عند ذكر مؤرخنا للهجوم الذي قامت به قوات اليعاربة على جعفر بن عبدالله الكثيري، الذي كان والياً على ظفار بحجة اعتداءاته على السفن التجارية في البحر، وقد تمت مراسلة القائد العسكري أحمد بن الحسن، أثناء تواجده في حضرموت حين أفاده (إن الله سبحانه وتعالى مكننا من هذا الضال الضلول، وقد أخرجناه من البندر، والتصرف لكم فيه وفينا...) (١).

وأشار مؤرخنا - في سيرته - إلى واحدة من العلاقات المهمة والتي حرص الإمام على إبقائها وهي علاقته بالدولة العثمانية.

والعلاقة وإن كانت غير مباشرة بالسلطان العثماني، إلا أننا نلمسها بوضوح من خلال إستقرائنا للمخطوط، مثلها تعامله - أي الإمام - مع الدويلات التي كانت تخضع للسيطرة العثمانية. فهو مثلاً يذكر أن الإمام رفض مد الشريف زيد بن محسن بالمال والسلاح لحسم خلافه مع ابن عمه الشريف عبدالعزيز بن إدريس (٢)، في عام (١٠٦٤هـ/١٦٥٣م) لأنه كان يرى أن تدخله سوف يثير عليه الدولة العثمانية التي كانت تبسط نفوذها على أراضي مكة والحجاز آنذاك.

ومما يدعم ما ذهبنا إليه في وجود علاقة كهذه - علاقة الإمام بالدولة العثمانية - هو ما كان من رفض الإمام للتعاون مع درويش بن محمد، الذي قام بثورة على الوالي العثماني أحمد باشا في الحبشة (٣).

(١) النص: ق (٢٥٨-٢٥٩ب).

(٢) النص: ق (٧٣ب).

(٣) النص: ق (٧٦ب).

ويبين مؤرخنا علامات ذلك الحرص، بشكل أكثر وضوحاً عند ذكره ما كان من تجاهل الإمام لمطالب وفد قدم من العراق، من مدينتي البصرة وبغداد عام (١٠٧٤هـ/١٦٦٣م)، يحمل شكوى ضد الوالي العثماني حسين باشا، لما يمارسه من ظلم ضد الأهالي هناك، وكان يطلب (...المعونة...على إستنقاذهم من أيدي الروم...)^(١).

وتطرق مؤرخنا أيضاً إلى تلك العلاقات التي أقامها الإمام المتوكل على الله إسماعيل مع الدولة الصفوية (إيران حالياً) حيث ربطته علاقة ود وصداقة قوية، يمكن الاستدلال عليها من خلال تلك الرسائل^(٢) والهدايا المتبادلة بين الجانبين، والتي وثقها الجرموزي في سيرته.

ولقد شهد عهد الإمام المتوكل على الله تطوراً ملموساً، على مستوى العلاقات مع الدولة المغولية (الهند حالياً)، حيث تبودلت العديد من الرسائل بين الإمام والسلطان شاه^(٣) جهان ثم من بعده ابنه السلطان محمد أوزنكريب^(٤). وسنرى أن الإمام حرص من خلال هذه الرسائل على إيضاح فضائل آل البيت على المسلمين ووجوب طاعتهم، كما شدد على ضرورة إقامة الشريعة الإسلامية، وهو ما يمكن أن نلمسه في إحدى رسائل السلطان محمد أوزنكريب إلى الإمام عام (١٠٧١هـ/١٦٦٠م) يستأذنه فيها تطبيق أحكام الشريعة في بلاده، وكان أن رد عليه الإمام -كما ذكر مؤرخنا- بالموافقة على طلبه هذا بقوله: (...وجعلنا لكم ولاية عامة في جميع الأقطار التي تحت وطأتكم...وأذننا لكم في جهاد المخالفين ومناينة الظالمين، وإقامة الحدود على أهلها، وأخذ

(١) النص: ق (٢٩٤ب).

(٢) النص: ق (٢٠ب، ٢٩٠ب).

(٣) وهو محي الدين الملقب عالم كير (١٦١٨-١٧٠٧م) سادس أباطرة المغول في الهند المنجد: ٨٩.

(٤) انظر ترجمته في هامش النص: ق ١٢٢٦.

الحدود من أربابها...^(١). ونستشف من خلال هذه الرسالة، نوعية العلاقة القائمة بين الإمام وسلاطين الدولة المغولية، حيث كانوا يرون في الإمام مرجعيتهم الدينية - كإمام الأزهر حالياً - يرجعون إليه في العديد من أمورهم الدينية.

إلا أن ما زاد من توثيق الصلة بين الجانبين يرجع في نظرنا إلى عامل هام يتمثل في العلاقة التجارية التي كانت قائمة بين اليمن والدولة المغولية (الهند) حينذاك، ويتضح ذلك بشكل أكبر من وجود ذلك العديد الكبير من التجار البانيين^(٢) في أكثر من موضع في اليمن، وهو ما سيتم الإشارة إليه عند تناولنا للأوضاع الاقتصادية.

وارتبط الإمام المتوكل على الله إسماعيل كذلك بعلاقة جيدة مع بلاد الحبشة - والتي كانت تضرب جذورها منذ القدم - بحكم علاقة الجوار بين البلدين. وقد قدم لنا الجرموزي صورة واضحة لعمق تلك العلاقة، من خلال توثيقه لرحلة الحبشة^(٣) كاملة في سيرته، والتي قام بها الحيمي بناءً على تكليف من الإمام لمقابلة إمبراطور الحبشة فاسيلاداس (ت ١٠٧٨هـ/١٦٦٧م).

وسنرى أنه في الوقت الذي شهدت فيه اليمن قيام علاقات بينها وبين بلدان من العالمين العربي والإسلامي؛ نجد أنها لم ترتبط بأية علاقات مع الدول الأوروبية، باستثناء بعض التبادل التجاري مع كل من هولندا وبريطانيا^(٤). ولم يذكر لنا الجرموزي تفاصيل تذكر وجود تبادل تجاري بين تلك

(١) النص: ق ٢٧٣ ب.

(٢) النص: ق ٢١٥ ب - ٢١٦ أ.

(٣) النص: ق (٧٨ ب - ١٠١ أ).

(٤) لمزيد من التفاصيل، انظر: د/سالم، سيد مصطفى: الفتح العثماني: ٦١-١٩٩؛ وراجع اليمن والغرب: ماكرو إريك: تعريب د/ العمري: (١٩-٣٥).

الدولتين واليمن، عدا ذكره من أنه كان لهاتين الدولتين (...مواضع في المخاء معتادة...تجتمع إليهم بضائعهم وغالبها الجوخ وما غلا من الأمتعة...)^(١).

كما رصد - مؤرخنا - بالتفصيل أعمال القرصنة^(٢) التي كانت تمارسها سفن هاتين الدولتين، طمعا منها في السيطرة على التجارة المارة في البحرين الأحمر والعربي، وأتبعها - أي الجرُموزي - بذكر الإجراءات التي اتخذها الإمام لحماية بلاده إزاء مثل تلك الأعمال.

٢- الأوضاع الاقتصادية

مما لا يختلف فيه اثنان أن الجانب الإقتصادي رديف أساسي للجانب السياسي لاكتمال بناء الدولة، ولعله ومن حسن الحظ أن الجرُموزي لم يغفل الحالة الاقتصادية في البلاد وتسقط أخبار الأسعار ومواسم الحصاد، لهذا نجد أن السيرة قد حوت بين دفتيها مادةً غزيرةً عن هذا الجانب، وعن نواحي البلاد بشكل عام. والجرُموزي في هذا المنحى شأنه شأن غيره من مؤرخي المدرسة العربية الإسلامية الكلاسيكية.

واهتم مؤرخنا بشكل خاص برصد المتغيرات الاقتصادية التي حدثت إبان حكم الإمام المتوكل على الله إسماعيل.

وفيما يلي سنحاول إيضاح ما ذهب إليه مؤرخنا من خلال مجالات هامة وهي:

- أ- المجال الزراعي.
- ب- المجال التجاري.
- ج- النهضة العمرانية.

(١) النص: ق (٢٨٦ب).

(٢) النص: ق (٢٨٦ب-٢٨٨ب).

أ- المجال الزراعي

نجد أن الجرموزي عند ذكره - في سيرته - للمجال الزراعي قد رسم لنا صورة حية عن الوضع الزراعي في اليمن خلال حكم الإمام المتوكل، واستوفى - إلى حد ما - جوانبها عرضاً وتفصيلاً، تؤكد أن اليمن قد اعتمد اعتماداً كلياً على إنتاجه المحلي من الحبوب.

على أننا نعلم جميعاً أن المناطق شحيحة الأمطار، كثيراً ما تكون عرضة لحوادث أزمات غذائية - كالمجاعات - يصاحبها ارتفاع في أسعار الأغذية بجميع أنواعها، واليمن وهي إحدى الدول التي تتخذ من مياه الأمطار مصدرها الوحيد للزراعة، تتعرض بين فترة وأخرى لشحة في الأمطار، مما ينجم عنه الكثير من المشاكل في هذا الجانب.

ومما أورده الجرموزي - في هذا الخصوص - ذكره لما أصاب اليمن من نقص شديد في المواد الغذائية، وبالذات الحبوب - وهي المصدر الرئيسي للغذاء - وذلك لشحة في الأمطار في العام (١٠٦٤هـ/١٦٥٣م) فيقول: (ارتفعت الأسعار في السهل والجبل، وكان فيها شذائد هائلة.. اجتمع أهل الأسباب في تهامة إلى الحجاز، وبلاد صعلة، واليمن الأسفل، وجهات عدن، وذكروا السعر واستوائه... وأن الطعام صار كالفلفل يكاد أن يساع بالميزان...) (١) حيث بلغ سعر (حمل الذرة خمسين حرفاً...) (٢).

ولعله من نافلة القول أن نوضح ما لهذه الأزمات وما يصاحبها من تردٍ في أوضاع الأهالي، من أثر بالغ ينعكس سلباً على الوضع بصورة عامة، من معاناة الأهالي وعجزهم من توفير لقمة العيش الضرورية، وقد أصبحت

(١) النص: ق (١٨١).

(٢) النص: ق (١٧٧).

حينها صعبة المنال؛ وما تولده هذه المعاناة من تضرر وسخط، مما يدفع الأهالي - في الغالب - إلى إعلان تمردهم على الدولة، والدخول في صراعات وخلافات في ما بينهم بحجة تأمين لقمة العيش. الأمر الذي أوضحه مؤرخنا عند ذكره فيما سبق لارتفاع الأسعار بقوله: (ويكاد الناس يأكل بعضهم بعضاً...)^(١).

وبعد أن فصلنا ما جاء في ذكر الجرmozى لهذه الخائفة التي حلت بالبلاد في عهد الإمام المتوكل على الله، سنأتي على ما ذكره من موقف الدولة والتدابير التي اتخذتها بشأن الأزمة، حيث يذكر أنها كانت تضع تجاه مثل هذه الصعوبات والأزمات تدابيراً وحلولاً كفيلاً، ولو بصورة مؤقتة لمواجهة ما يحدث من الصعوبات جراء نقص الحبوب، وعلى سبيل المثال يذكر أنه في عام (١٠٦٤هـ/١٦٥٣م) أصاب مناطق بلاد ضوران أنس حاضرة المتوكل ومركز حكمه نقص شديد في الحبوب، فقامت الدولة على إثره بتوزيع الحبوب على المتضررين من مخازن (الحصن المحروس بالله... من الطعام من أيام مولانا الحسن ومولانا الحسين - رحمة الله عليهما -)^(٢) وفي كثير من المناطق في عموم البلاد كان الأهالي يتخذون - حيلة منهم - هذه المخازن وهي ما كان يطلق عليها سابقاً بالمدافن (كصوامع الغلال اليوم) لتخزن كميات من الحبوب كاحتياط لمواجهة الأزمات. ويتضح ذلك جلياً من مطالعتنا - في السيرة - لما حدث عند سيطرة قوات الإمام على مناطق الرصاص في عام (١٠٦٥هـ/١٦٥٤م) حيث قامت بإخراج ما في مخازنه من الحبوب والتي لكثرتها جعلتهم أن (...باعوا القمح ببقشة...)^(٣) أما في حالة نفاذ مخزون الدولة من مادة الحبوب

(١) نفس الورقة السابقة.

(٢) النص: ق (١٩٧ب) الحسن والحسين أبناء الإمام القاسم بن محمد، وهما الشقيقان الأكبران للإمام المتوكل على الله إسماعيل، وقد توفي الأول سنة (١٠٤٨هـ/١٦٣٧م) والآخر سنة (١٠٥٠هـ/١٦٤٠م) إنظر مصادر ترجمتهما في هوامش النص: ق (١٩٧ب).

(٣) النص: ق (١١٧٢)، والبُقشة: عملة في الأصل كانت متداولة في اليمن منذ القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ويعتقد أنها كانت لعملة سميت أكشس (AKCES) التي كانت تضرب في المقاطعات العثمانية الأخرى. (راجع أحمد قائد بركات: الموسوعة اليمنية: ١٦٣-١٦٣٨).

فكان كما يقول مؤرخنا: (يُطلب الطعام من الجهات المتعلّقة)^(١) والتي تمتلك مخزوناً فائضاً عن حاجتها لتوزيعه على المناطق المتضررة.

كما أوضح الجرموزي - إلى جانب ما تقدم ذكره في هذا المجال - إهتمام الدولة بلجمال الزراعي، ومثل إقامة السدود وتعميرها واحداً من جوانب هذا الإهتمام، يذكر منها الجرموزي ترميم سد الإمام^(٢) في صنعاء - على سبيل المثال - والذي استفادت من ترميمه عدد من الأراضي الزراعية حيث (..سقى أهل شعوب أموالهم من الجراف والروضة والحشيشة..)^(٣) ولم يقف هذا الإهتمام عند هذا الحد بل تعداه إلى شق القنوات وحفر الغيول^(٤).

ب- المجال التجاري

لم يكن النجاح الذي حققته الدولة في المجال التجاري بأقل منه في المجال الزراعي، فقد شهدت اليمن خلال حكم الإمام المتوكل على الله إسماعيل حركة تجارية واسعة، وهو الأمر الذي عاشره الجرموزي، حيث رصد - في سيرته - جانباً من مظاهر الحياة التجارية حينذاك، فهو يشير مثلاً إلى وجود التجار البانين - وهم من الهند - بأعداد هائلة حتى وصل الحد بهم - لكثرتهم - أن (كل مدينة أو سوق لم يخل منهم...)^(٥).

ولقد لعب هؤلاء التجار كما يوضح ذلك مؤرخنا، دوراً كبيراً في التبادل التجاري وشئون المال، فمال الناس (إليهم للشراء منهم والإستدانة والمراحة في أموالهم...)^(٦). إلا أن الإمام رأى أن وجود هؤلاء التجار البانين بأعداد كبيرة،

(١) النص: ق ١٨٠.

(٢) كان يقع شرقي شعوب بمدينة صنعاء. (راجع العمري: مائة من تاريخ اليمن: (٧٠).

(٣) النص: ق (١٧٣أ).

(٤) النص: ق (١٧١ب-١٧٣).

(٥) النص: ق (٢١٥ب).

(٦) نفس الورقة.

وما يمارسونه من إحتكار للتجارة واستغلال لظروف الناس المعيشية - بما يمارسونه من مراوحة في أوساط الناس - قد يؤدي إلى إحتكار قبضتهم على إقتصاد البلاد. وهو ما كان يستدعي تحركاً من قبل الدولة لتفادي الوصول إلى وضع كهذا.

فكان أن قام الإمام سعياً منه للحد من نفوذهم التجاري ببعض الإجراءات، والتي يذكر منها مؤرخنا ما قام به في عام (١٠٥٩هـ/١٦٤٩م) من فرضه للجزية عليهم، على أن يكون (...على كل نفر قرشاً في كل شهر...) (١) مقابل إقامتهم في البلاد، غير أن غالبيتهم رفضت دفع الجزية (...وعادوا إلى الهند وهو الذي أراد - عليه السلام - من تقليبهم...) (٢) يضاف إلى ذلك أنه حدد أماكن خاصة بهم للبيع والشراء (٣)، بعد أن تم رفع العديد من الشكاوي ضدهم من قبل الأهالي بسبب تعاملهم بالربا. وهو ما كان من شأنه أن شل حركتهم، وحد من انتشارهم في العديد من المدن والمناطق، مما أدى بالتالي إلى تساؤل نسبة بيع بضائعهم وانحسار تجارتهم.

وقد بين مؤرخنا في سيرته حرص الدولة في تأمين وسائل العيش للتجار القادمين إلى المدن سواءً الأجانب منهم أو التجار المحليين، حيث أشار إلى إنشاء أماكن خاصة بإقامتهم.

ففي صنعاء مثلاً أنشأ محمد بن الحسن سمسرة (لم يُعمّر في صنعاء مثلها، ولا في اليمن ما يشاكلها) اشتملت على طبقات تحتوي على مائة واثنين منزلاً... فتبادر إليها التجار وأخذوا من مرافقها خطوطاً... (٤).

(١) النص: ق (٢١٦ب).

(٢) نفس الورقة.

(٣) النص: ق (١٧٣).

(٤) النص: ق (١٧١ب). ويبدو أن ذلك كان نظاماً خاصاً بما يشبه المالك والبنوك في أوروبا، وهذا ما ذهب إليه الدكتور حسين العمري، في الموسوعة اليمنية: (٥٤١٧) عند تعريفه لمصطلح السمسرة، حيث أشار إلى التسمية التي أطلقت على المكان الذي كانت تجري فيه عمليات السمسرة والتجارة ويتخلل فيه التجار البيع والشراء.

وشمل ذلك الإهتمام بالمدن الساحلية، وبالتحديد الموانئ البحرية فيها، وهو ما أشار إليه مؤرخنا حين ذكر أنه أثناء زيارة أحمد بن الحسن لمدينة عدن في عام (١٠٧٢هـ/١٦٦١م) أمر ببناء (الداير المتصل بالساحل مما يلي البحر نحو نصف ميل^(١)). كما أبلى الإمام المتوكل على الله إسماعيل حرصه الشديد على سن الأنظمة والقوانين التي تحدد معايير التعامل بين التجار والأهالي، وهو ما وضحه الجرموزي، حيث أشار إلى تفقد الإمام في إحدى زيارته لمدينة صنعاء في سنة (١٠٧٢هـ) (قانون المدينة)^(٢) - وهو المسمى بقانون صنعاء - والذي سنه في عام (١٠٦٦هـ/١٦٥٥م).

وبإزدياد حركة النشاط التجاري بين اليمن والعالم الخارجي، ابتداءً تأسيس نظام جمركي للبضائع الواردة، وقد أورد الجرموزي في مخطوطته أرقاماً لما تم توريده لخزينة الدولة من رسوم جمركية على البضائع، حيث يذكر أن السلطان بدر الكثيري أرسل في سنة (١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) رسالة إلى الإمام يوضح فيها إجمالي الرسوم المستحقة على التجار البانيين في ميناء الشحر لمدة ثلاثة أشهر، ومقدارها (مائتان وعشرون قرشاً وثلاثمائة حرف وخمسة عشر ذهباً أحمر)^(٣).

ولما كانت العملة تعد أساساً للإستقرار الإقتصادي والمعيشي في أي بلد، ولذلك نجد أن مؤرخنا الجرموزي لم يفضل هذا الجانب في سيرته وقد ذكر - كمبدأ متعارف عليه - أن الإمام أمر أثناء إقامته في شهارة سنة (١٠٥٦هـ/١٦٤٦م):

(١) النص: ق (٢٨٩ب).

(٢) القانون يحدد التعاريف والأسعار، والضرائب، للسلع المعروضة في السوق، إضافة إلى أنه حدد الأجرة اليومية للعمل في كافة المهن القائمة حينذاك مثل العمارة، التجارة، والمقاصص... وبين فيما أورده أيضاً البضائع المحلية التي يمارس بيعها التجار. لمزيد من التفاصيل انظر: السياغي: قانون صنعاء ٥/ العمري: الموسوعة اليمنية: ٦٥٠٢-٦٥٠٢؛ العمري أيضاً في مجلة الإكليل، العدد الثاني والثالث: (١٩٨٣: ١٠٤-١٠٥).

(٣) النص: ق (١٢٧).

(بإقامة دار الضرب فيها، وجعلها أربعة أنواع: درهماً كبيراً على وزن الدرهم الإسلامي في نهاية من طيب الفضة، مكتوب في أحد جانبيه لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفي الآخر: المتوكل على الله أمير المؤمنين إسماعيل وتاريخ الضربة، ومحلها بمحروس شهارة.

والنوع الثاني قطعة أغلظ منها وأثقل في الوزن مكتوب في جانبه اسمه - عليه السلام - وشهارة المحروسة، فالثمان من الأولى حرف واحد، ومن الثانية الخمس منها حرف واحد، فيكون الحرف من الأولى ثماناً ومن الأخرى خمساً. والنوع الثالث: كل بقشة بقشتين يكون الحرف منها عشرين كبيراً.

والنوع الرابع كما سبق قبلها من ضربية اليمن البقشة برأسها، والحرف أربعون كبيراً^(١).

فكان لهذه العملة كما يشير الجرموزي رواجاً كبيراً، وتداولها الناس حتى أنها وصلت إلى (مكة والمدينة)^(٢).

ولقد تطرقت السيرة إلى تلك العلاقات التجارية التي أقلمها الإمام المتوكل على الله إسماعيل مع الهند، ويتضح ذلك جلياً من خلال التجار الذين كانوا يصلون إلى اليمن، فعلى سبيل المثال يذكر الجرموزي أنه في عام (١٠٧٢هـ/١٦٦١م) وصل إلى ميناء عدن عدد من التجار الهنود على مركبين كبيرين، وكان كل مركب منهما - كما يصفهما الجرموزي - قد شُحن بأربعمائة بندلة... وكل بندلة لم يسعها باب الفرضة وإنما أخرجوها من باب الساحل^(٣). ويوضح لنا هذا حجم البضائع التي كانت تستوردها الدولة،

(١) النص: ق (١٦٦-١٦٧).

(٢) النص: ق (١٦٧).

(٣) النص: ق (٢٨٠).

يضاف إلى ذلك وجود العديد من التجار البانين - كما أشرنا آنفاً - الذين كانوا يمارسون النشاط التجاري في أغلب مدن اليمن كصنعاء وعدن والحديدة... وساحل الخليج العربي^(١).

ولم تكن العلاقات التجارية تنحصر بالهند وحدها، بل كانت هناك علاقات تجارية مع دول أخرى كتلك التي مع كل من مكة والحجاز^(٢)، وإيران^(٣)، والحبشة^(٤).

وأما بالنسبة للدول الأوربية فيوضح مؤرخنا أن اليمن أقامت علاقات غير مباشرة مع كل من هولندا وبريطانيا، فهو يذكر أنه كان لتجار تلك الدولتين (مواضع في المخاء لبيع التجارة مثل الجوخ والأمتعة الغالية)^(٥)، إلا أن تلك العلاقات لم تشهد تطوراً ملحوظاً - كما أشرنا - ويعود السبب كما يشير مؤرخنا إلى قيام السفن البريطانية والهولندية بأعمال القرصنة^(٦) في البحرين الأحمر والهندي ضد السفن المارة فوق مياههما، وبالذات تلك المتجهة إلى اليمن فترتب على ذلك أن قلَّ التبادل التجاري مع تلك الدولتين حينذاك.

ج - النهضة العمرانية

لقد كان من الطبيعي أن يصاحب ذلك الانتعاش الإقتصادي والتجاري حركة دلت عليها الكثير من الشواهد التي أبلى الجرموزي حرصه في تدوينها في مؤلفه، وكان أبرزها ما يذكره من الأعمال التي قام بها الإمام

(١) لمزيد من التفاصيل انظر: د/ العمري: اليمن والغرب: (١٩-٣٥).

(٢) النص: (ق ٢٧، ب ٧٥).

(٣) النص: (ق ٢٠، ب ٢٩٠).

(٤) النص: (ق ١٧٦).

(٥) النص: ق (١٧٣)؛ وراجع د/ العمري، يمانيات: (٤٧-٥٠).

(٦) النص: ق (١٢٨٧).

نفسه، وكذا كبار مسؤولي الدولة كمحمد بن الحسن بن القاسم، والذي كان مسؤولاً عن إدارة مدينتي إب وتعز، حيث قام بتوسيع الجامع الكبير بنمار، وأصلح مرافقه؛ يضاف إلى ذلك قيامه بعدد من الإصلاحات في العاصمة (ضوران)، حيث أصلح مرافق الجامع المقدس^(١) في الحصين، وأضاف في بنائه، فضلاً عن اهتمامه بالنواحي الخدمية للعاصمة، ومن أهمها: إستخراج المياه الجوفية لتلبية مطالب المدينة منها؛ كما أنه بنى (حصن كحلان في نواحي خُبان)^(٢). وأقام عدداً من الأماكن الخاصة لطلبة العلم في مدينة دُمْت، ولعل أهم ما قام به هو إنشاؤه للسمسرة^(٣) التي في مدينة صنعاء كنزل للتجار القادمين إلى المدينة، وكذلك (الدار الكبرى الواقعة على المدينة بالقرب من المدرسة الشرقية)^(٤).

وأوضح مؤرخنا كذلك اهتمام الدولة بالمدن الرئيسية التجارية، والتي تعكس الصورة الحضارية في اليمن أمام العالم الخارجي. فهو يذكر أن أحمد بن الحسن أقام العديد من المنشآت الحيوية في مدينة عدن (١٠٧٢هـ/١٦٦١م) حيث استدعى عدداً من (العمارين من بلاد يافع واليمن وصنعاء لتعمير الدوائر وخاصة الدائر المتصل بالساحل، وكذلك عمر دار السعادة والتي كانت دار الإمارة، ثم عمر ستة دوائر غيرها)^(٥) يضاف إلى ذلك قيامه بترميم وإصلاح بعض مدارس^(٦) العلم في المدينة.

(١) النص: ق (١٧٢).

(٢) النص: ق (١٧٢ب).

(٣) نفس الورقة.

(٤) نفس الورقة.

(٥) النص: ق (٢٨٩ب).

(٦) نفس الورقة السابقة.

٣- الأوضاع الاجتماعية

في إطار حديثنا عن الأوضاع السياسية والاقتصادية، يمكن ملاحظة الأثر الكبير الذي انعكس على الوضع الاجتماعي، وبهذا الخصوص أورد مؤرخنا بين دفتي مخطوطته ما يوضح ذلك، حيث برزت -إستناداً للجرموزي- في مناطق ألوية صنعاء وحجة شمال البلاد قبيلتان هما: حاشد، وبكيل، ظهرت أهميتهما بالعديد من الفخوذ والبطون المتحلة والمتفرعة منها.

وفي مناطق تعز وإب -ما كان يسمى باليمن الأسفل- برزت مجموعة من القبائل^(١) -كما يتبين في المخطوطة- كان لها محيطها المؤثر.

أما بالنسبة لمدينة عدن ولحج ويافع وحضرموت، فكان للقبائل فيها دورها البارز الذي لعبته في التاريخ السياسي لفترة حكم الإمام المتوكل على الله إسماعيل، حيث يشير مؤرخنا إلى أن قبائل (يافع، بني بلاد الرصاص..المصعبين..العواتق، آل كثير، وبلاد الفضلي والعمودي، وما والاها إلى حضرموت)^(٢) جابهت القوات الإمامية في بدايات مد نفوذها إليها.

ويورد مؤرخنا الجرموزي في مخطوطته ذكر عدد من حركات العصيان والتمرد لعدد من القبائل في السنوات الأولى لتسليم الإمام المتوكل لزام السلطة، فعلى سبيل المثال يذكر أنه لما أعلن إبراهيم المؤيدي في سنة (١٠٥٤هـ/١٦٤٤م) دعوته ومعارضته لدعوة الإمام قام بتجميع عدد من قبائل صعلة حوله، مما اضطر الإمام إلى الإسراع في قمع عصيانها^(٣). وتكرر مثل ذلك العصيان -في صعلة- مرة أخرى في سنة (١٠٦١هـ/١٦٥٠م) بمساندة من

(١) لمزيد من التفاصيل راجع د/ العمري: مائة عام: (١٣٠).

(٢) النص: ق (١٩٢).

(٣) النص: (ق ١٠٢ أب).

قبائل مداك وعرو آل بوصان^(١). ويبرز مؤرخنا في موضع آخر صورة أخرى من صور العصيان القبلي تمثلت في امتناع بعض القبائل من تسليم الزكاة كما فعلت أهالي بلاد حولان العالية^(٢)، أو الامتناع عن تسليم الواجبات كما في حل قبائل شرعب^(٣)، وقبائل يافع^(٤).

كما رسم مؤرخنا الجرموزي عبر صفحات مخطوطته صورة واضحة للفئات والشرائح الإجتماعية القائمة آنذاك، ويمكن تقسيمها حسب درجات القرابة والعلاقة والتعامل العلمي - تبعاً للجرموزي - إلى أربع طبقات:

الأولى: وهم طبقة الأشراف من (أهل بيته وشركاه في نسبه الطاهر)^(٥).

الثانية: وهم الذين عاصروه من أصحاب أبيه وأخيه، الإمام المؤيد بالله^(٦) من الحكام ورؤساء القوات الإمامية والمقربين إليه.

الثالثة: وهم (الذين فقهوا في زمانه وانتشر علمهم وفضلهم في أوانه)^(٧).

أما الرابعة: فتمثلها العامة من الناس.

ولقد أوضح مؤرخنا - كما أشرنا آنفاً - هذا التقسيم أثناء رصده لممارسات الإمام لحياته اليومية، فهو مثلاً يذكر أن الإمام أمر في إحدى زياراته لمنطقة كوكبان سنة (١٠٦٤هـ/١٦٥٣م) لتفقد أحوال الرعية هناك، بـ (أن يكتب له أسماء كبار الأشراف في كوكبان، ثم من بعدهم في طبقاتهم، ثم لكل بما يليق به، وأعطاهم، ثم من بعدهم كذلك...)^(٨).

(١) النص: ق (١٠٢-١٠٣).

(٢) النص: ق (١٤/ب).

(٣) النص: ق (٢١٦/ب).

(٤) النص: ق (١٩٢/أ).

(٥) النص: ق (٢٧/أ).

(٦) النص: ق (٢٧/ب).

(٧) النص: ق نفس الورقة.

(٨) النص: ق (١٧٣/ب).

ومما لا شك فيه هو أن ما يكون من عادات وتقاليد لأي أمة، لا يمكن تجاهله أو إغفاله مطلقاً عند الحديث عن نوع الحياة الإجتماعية السائدة فيها، ذلك أنها جزء لا يتجزأ من مجمل النشاط الإجتماعي لأفرادها. والجرموزي وهو يسعى لتصوير الحياة الإجتماعية لمجتمعه في هذه الفترة من حكم المتوكل، وقد رصد - بين ما رصده من ممارسات وطقوس إجتماعية ودينية - لواحدة من أبرز الظواهر التي درج على ممارستها أفراد مجتمعه حتى كادت كل منطقة من اليمن لا تخلو من نوع من ممارستها، وتلك هي ظاهرة الشعونة والإعتقاد بالشعوذين. وهي الظاهرة التي لا تزال قائمة إلى حد التاريخ.

أما ما ذكره الجرموزي عند تناوله لهذه الظاهرة، فيمكننا أن نورد واحدة من الصور التي احتوتها مخطوطته، وهي الصورة التي نقلها لنا من يافع، حيث يذكر أن رجلاً كان بها يُدعى الحبيب بن سالم، وكان من أمره أن كان يدعى المعرفة بأعمال الغيب، فكان أن (أمه كثير من الناس للإستشفاء به... وكان يوهم الناس أنه يذهب إلى الصلاة في أوقاتها إلى مكة...) (١) بينما جسده باقٍ في منزله!

وهكذا تتواتر جهود الجرموزي وهو يرصد مجتمعه في كل حركته وسكناته في كبير أمورها وصغيرها، حيث نجد يصف في موضع آخر، عادة كانت تمارسها الناس، وهي الملبس والسلاح، حين يذكر لنا طريقة لبس السلطان صالح من بلاد يافع، ومعه سائر أفراد قبيلته، فيقول: (وإنما لباسهم... كسائر مشايخ المشرق، ميزر ولحفة... وسلاحه البندق كغيره ويبالغ في حليتها وحلية العدة وكذا كبار أصحابه غالب سلاحهم ذلك.. ولا يركبون الخيل هو ولا آباؤه، وإنما يسير مع أصحابه كأهلهم ويطولون الشعر ويسرحونه) (٢).

(١) النص: ق (١٩٣) ب.

(٢) النص: ق (٢٠١).

ونراه في موضع ثالث يتتبع نشاط بعض من المذاهب الدينية، فهو مثلاً يذكر أن الإمام تصدى للطائفة الإسماعيلية - والتي كانت تشكل على امتداد تأريخ الأئمة مصدر قلق وإزعاج لها - مخافة اتساع محيط دائرتها في أوساط المجتمع خاصة، وقد بلغه أن في (همدان، صنعاء، وحراز، من أتهم ببقائه على باطنهم الخبيث، وأنهم الحقوا القديم بالحديث...) (١).

وقد رصد مؤرخنا - في مخطوطته - إحدى رسائل (٢) الإمام الموجهة إلى دعة الطائفة، يدحض فيها بالبيان والحجة ما تدعو إليه هذه الطائفة، ويذكر أن الإمام قد استمال بعض الدعة، ممن كشفوا له النشاط السري لأفراد الطائفة مثل عبدالله بن سعيد الذي (باين الدعة وخالفهم وذلّ على عوراتهم...) (٣).

وسرى أنه ونتيجة لما كانت تسببه هذه الطائفة من إقلاق وإزعاج للسلطة، بأن الإمام قد حصر نشاطها، وهو ما يتضح جلياً من خلال أوامره باستباحة دم ومال من ينخرط فيها (٤). يضاف إلى ذلك ذكره - أي الجرموزي - لانتشار الجبرية، والإباحية (٥) في حضرموت.

ولعلنا نقول: إن الناحية الدينية قد برزت إلى السطح كجزء من الصراع السياسي في بعض المناطق، وهو الأمر الذي يذكره الجرموزي عند إشارته إلى أن قبائل يافع كانوا (يكرهون الزيدية خصوصاً...) (٦)، الأمر الذي استغله رؤساء قبائل يافع في تأجيج قبائلهم وحثهم على محاربة قوات الإمام عقب

(١) النص: ق (٦٧-١٦٩)؛ وراجع د/ العمري: يمانيات: ٨٣-٩٣؛ وانظر: د/ فيض الله، حسين: الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن.

(٢) النص: ق (١٦٨).

(٣) النص: ق (١٦٩).

(٤) النص: ق (١٦٩).

(٥) النص: ق (٩٢أ).

(٦) النص: ق (٩٢أ).

سيطرة الإمام - كما أشرنا عند حديثنا عن الناحية السياسية - على هذه المناطق، وضمها تحت لواء الدولة اليمينية الموحدة.

وفضلاً عن ذلك كله تطرق الجرموزي إلى ظاهرة انتشار الأوبئة والأمراض التي كانت تصيب الأهالي. فهو يذكر مثلاً أنه في سنة (١٠٦٣هـ/١٦٥٢م) انتشر الجذام وعظم في بلاد صعلة ونواحي قحطان^(١)..^(٢).

٤- الأوضاع العلمية

شهد عصر الإمام المتوكل على الله إسماعيل نهضةً علميةً وفكريةً لا مثيل لها، كانت وليدة للإستقرار السياسي والإقتصادي، حيث (نبغ علماء وأدباء كبار في اليمن في حقبة تدنى فيها الفكر العربي الإسلامي...)^(٣).

ولنا أن نشير في هذا السياق إلى أنه لم يكن الإستقرار السياسي والإقتصادي هو العامل الأول والوحيد في إرساء القواعد الصلبة والثابتة لنمو نهضة علمية وفكرية بذلك المستوى الرفيع الذي ظهرت به أيام المتوكل، بل إن هنالك عوامل أخرى لا تقل أهمية عن هذا العامل - إن لم تكن أيضاً تتفاوت أهميتها نقصاً وزيادة لهذا الأخير - كانت قد لعبت دوراً فاعلاً في إرساء المناخات الصحية اللازمة - كما هو الحال في كل زمان ومكان - لبلوغ المجالات العلمية والفكرية مقاصدها وتحقيقها أعلى مراتب التفوق والإنجاز. ويمثل الفكر الزيدي واحداً من أهم تلك العوامل، كان لها الفضل الكبير في أن تكتسب النهضة العلمية والفكرية شأواً عالياً في مجمل الحياة العلمية.

(١) النص: ق من قبائل عسير. راجع الحجري: (٦٠٣/٢).

(٢) النص: ق (١١٧٤).

(٣) د/ العمري: مائة عام من تاريخ اليمن: (١٦).

ويعود ذلك إلى أن هذا المذهب لم يكن كغيره من المذاهب حيث (تميز بالحرية الفكرية والحرص على ضرورة حض العلماء على الإجتهد والبحث عن حلول لما يواجههم من المشكلات الشرعية والاجتماعية ورفض المقولة التي تذهب إلى أن باب الإجتهد قد أوصد منذ زمن بعيد في نظر بقية علماء المسلمين ومقلديهم...)^(١).

وليس بغريب أن تشهد الحركة العلمية ذلكم النمو والإزدهار، طالما ووجدت الدولة التي ترعى متطلبات نهوضها، والدولة في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل، كما يذكر لنا الجرموزي، قد جسدت هذه الرؤية خير تجسيد، فكانت النموذج الأول في ذلك، حيث أولت العلم والعلماء النصيب الأكبر من جل اهتماماتها المختلفة، وحفظت لهم مكانتهم العالية ومرجعية ذلك هو أن الإمام نفسه كان - وهو أكبر باعث لهذا الإهتمام - أحد علماء زمانه، وكان قد برع في علوم الدين، وتعلم على يديه العديد من طلبة العلم. ولم يكن الإمام صاحب قدر بسيط في علمه، بل إنه عَلم من أعلامه، وواحد من جهابذته، ذاع صيته عالياً في الداخل والخارج، حتى أن ذكره كما يقول الجرموزي (ملا الرقاع والبقاع)^(٢).

ولقد قرّب العلماء^(٣) منه وأجزل لهم العطاء، وكان إذا ما زار مدينة أو قرية اصطحب معه (أكابر العلماء وطلبة العلم يأخذون عنه ما يريدون، وهو يبذل ويفيض عليهم من بيوت الأموال ما يحتاجون إليه...)^(٤). وقد أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات في مجال الفقه والحديث والتي ما تزال مخطوطة^(٥).

(١) نفس المصدر السابق (١٧) وراجع: د/ العمري: بمانيات (١٣-٢٧).

(٢) النص: (ق ١٥).

(٣) النص: (ق ٢٢٧ب).

(٤) الشوكاني: البدر الطالع: (٢٤٨/١-٢٤٩).

(٥) انظر الملحق الخاص بمؤلفات الإمام المتوكل على الله إسماعيل، وراجع الحبشي، عبدالله: مصادر الفكر الإسلامي: (٦٢٠-٦٢٣).

ولعل هذا الإهتمام الذي أبداه الإمام المتوكل على الله إسماعيل بالعلماء قد كان له وقعه وأثره الفاعلان على رجال الدولة في العناية بطلاب العلم. وهذا ما رصدته مؤرخنا في سيرته، فعلى سبيل المثال أشار إلى قيام محمد بن الحسن بإنشاء وإصلاح العديد من دور العلم في كل من فمار وإب لتلقي (الدرس والتدريس)^(١) وكذا قيام أحمد بن الحسن في سنة (١٠٧٢هـ/١٦٦١م) بإصلاح وترميم بعض المدارس في مدينة عدن^(٢).

وكانت المساجد هي مراكز تلقي العلم، حيث لم تكن توجد في تلك الفترة، أماكن بعينها عُدت لهذا الغرض - كالمدارس والجامعات، وغيرها من دور العلم الحديثة - فكانت المساجد بمثابة المدارس^(٣).

وإزاء تزايد أعداد طلاب العلم، وخصوصاً الوافدين إلى المراكز العلمية في المدن، اهتمت الدولة ببناء المنازل لغرض (إقامة الدرس)^(٤) وهيأت لهم الظروف المعيشية فيها؛ ولأن صنعا قد مثلت أيامها واحداً من أهم المراكز الإسلامية العلمية البارزة في ذلك الوقت، فقد أمها عدد غير بسيط من العلماء العرب والمسلمين، أمثال الشيخ العلامة أحمد بن محمد الجوهري^(٥)، والشيخ العارف منصور بن يوسف بن منصور المصري الأزهري^(٦)، ويذكر مؤرخنا الجرموزي في مخطوطته، بأن هؤلاء العلماء قد تلقوا كل إهتمام ورعاية من قبل الإمام، حيث أمن لهم محل إقامتهم، وهياً لهم سائر جوانب معيشتهم الأخرى. بل وأكثر من ذلك، حيث يشير إلى تلك الجلسات العلمية التي

(١) النص: ق (١٧٣ب).

(٢) النص: ق (٢٨٩ب).

(٣) لمزيد من التفاصيل. انظر: مجلة الإكليل، العدد الثاني والثالث: (١٩٨٣م: ٢٩٤-٢٩٧).

(٤) النص: ق (١٧٣ب).

(٥) النص: ق (١٩١).

(٦) النص: ق (١٨٨).

عقدها الإمام معهم، والتي تبودلت خلالها العديد من المناقشات والمناظرات الدينية القيمة، ولقد اتخذ بعض من هؤلاء العلماء من اليمن مقراً دائماً لإقامتهم، مثل الإمام المحدث عبدالرحيم اللاهوري الهندي الذي (تعلق بجانب الإمام للحمة العلم)^(١).

ولم يقتصر ذكر الجرموزي على إهتمامات الإمام بالجانب الديني وحسب، بل تعداه إلى جوانب أخرى كثيرة، شملت الأدب الذي كان - كما يقول مؤرخنا- محل اهتمام خاص لديه، الأمر الذي يفسر تصدر الشعر في العديد من المناسبات، والتي رصدها لنا الجرموزي في مخطوطته، وهي دليل على ازدهار الأدب، وبالذات الشعر حيث احتل موقع الصدارة بين غيره من الأجناس الأدبية الأخرى.

ولابد من الإشارة إلى أن الإمام كان ممن يقرض الشعر، وقد أورد مؤرخنا بعضاً مما قل في إحدى قصائده عند بسط نفوذه على حضرموت، حيث قل:

يقول إمام الحق والله عونـه

على خاذل للحق رام التباسه

عزما على اسم الله نصر دينه

ونهدي إليه من أراد اقتباسه^(٢)

وقد ضمن مؤرخنا بين دفتي مخطوطته ذكر العديد من العلماء^(٣) الذين عاصروا الإمام المتوكل على الله إسماعيل، وكانت لهم بصماتهم على الحياة الفكرية، وأثروا المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات. نذكر منهم

(١) النص: ق (٢٢٧ب).

(٢) النص: ق (٢٠٣ب).

(٣) انظر ترجماتهم في هوامش النص.

على سبيل المثال أحمد بن صالح بن محمد بن أبي الرجال (ت ١٠٩٢هـ/١٦٨١م)،
والحسين بن يحيى بن محمد السحولي (ت ١٠٧٣هـ/١٦٦٢م)، وأحمد بن سعيد الهبل
(ت ١٠٦١هـ/١٦٥٠م)، وعبد القادر الخيرسي (ت ١٠٧٧هـ/١٦٦٦م)، وأحمد بن
يحيى بن أحمد حابس الدواري (ت ١٠٦١هـ/١٦٥٠م).

٥- الظواهر الطبيعية

لم يقتصر مؤرخنا الجرموزي في مخطوطته على التطرق للموضوعات
السياسية والإقتصادية والاجتماعية منها، بل سعى إلى رصد الظواهر الطبيعية،
كسُير النجوم ومواسم الأمطار، وسقوط الشهب، ووقوع الصواعق، وهبوب
العواصف، مما عاصر حدوثها أيام حكم الإمام المتوكل على الله إسماعيل.

فهو على سبيل المثال، قد رصد وقوع كارثة أمت بنمار سنة (١٠٥٦هـ/١٦٤٦)،
عندما هبت رياح شديدة - ما يسمى بالإعصار في وقتنا الحاضر - على المدينة
وأدت إلى حدوث أضرار مادية جسيمة فيها. حيث نجله يذكر هذا الحدث
بقوله: (وفي سنة ست وخمسين وألف وقع في محروس دمار ريع زعزع لم نعهد
مثلها، وأخربت بيوت مما ضعف عمارتها، وزلزلت البيوت الكبار)^(١).

وفي موضع آخر نجله يصف وقوع صاعقة شديدة على مدينة صنعاء
في سنة (١٠٥٥هـ/١٦٤٥م)، أدت - كما يقول - إلى سقوط الأجزاء العلوية من
(المنارة الشرقية في الجامع الأعظم، وشقت الجدار الشرقي من الجامع وجمعت
فراش شرقي الجامع بعضه على بعض)^(٢).

ونجله أيضاً يتتبع مواسم هطول الأمطار، حيث يسجل لنا ما أحدثته هذه

(١) النص: ق (٢٠٣ب)

(٢) النص: ق (١٨٦ب)

الأمطار في آخر سنة (١٠٧٢هـ/١٦٦١م) من خراب في مدينة صنعاء، نتيجة لهطولها المتواصل، فيقول: (وفي أواخر سنة اثنتين وسبعين وعشر من ثلاث وسبعين وألف حصل المطر، السانع في اليمن، غالب أوقات الليل والنهار وطال، فحرب من دور صنعاء نحواً من سبعين داراً، وقل ما بقى من بيوتها ومساجدها لم يتشقق)^(١).

ويتطرق مؤرخنا كذلك إلى ذكر ظواهر كونية، فهو مثلاً يصف تساقط بعض النجوم سنة (١٠٦٢هـ/١٦٥١م) حيث يقول: (وفي عام اثنتين وستين وألف، انتشرت النجوم وتساقطت في نحو ثلثي الليل حتى ظن من رآها أنها تقدم من السماء)^(٢).

وفي موضع آخر نراه يتبع سير أحد النجوم، في سنة (١٠٦٢هـ/١٦٦٥م) فيقول: (وفيها أو بعدها بعام طلع نجم صغير له شعاع يقلمه ويعقبه شعاع حتى غلب ذلك الشعاع جرمه، فصار كأنما هو شعاع ابتداءه من جهة الجنوب، ويسير جهة الشمال، ويمضي في كل ليلة نحو ثلاث منازل حتى قطع أفق السماء ما بين عدن والمشرق إلى جهة القبلة في نحو عشرة أيام) وهكذا يكون مؤرخنا قد استوفى في مخطوطته، ذكر وقائع الأحداث لما شاهده أو نُقل إليه من أخبارها خلال معاصرتة لفترة حكم الإمام المتوكل على الله إسماعيل، الأمر الذي جعل من مخطوطته ودراستها وتحقيقها وإخراجها إلى حيز الوجود ضرورة تستوجبها الأهمية التي اكتسبتها هذه المخطوطة، إلى جانب الأهمية التي اكتسبتها الفترة الزمنية التي أرخت لها، والتي تعد واحدة من أهم الفترات الزمنية - كما أشرنا في بداية دراستنا - في التاريخ اليمني الحديث.

(١) النص: ق (١٨٧ب).

(٢) النص: ق (١٨٦ب).

منهج النشر

إن الغرض من تحقيق أي مخطوط هو ضبط نصه، كما أراد صاحبه، فإن كان بخطه فهو الأصل، وإن كان للمحقق تصحيحات عليه فله أن يضعها في الحاشية.

أما إذا كان من نسخ ليست أمهات - أصول - فله أن يأخذ من أقدمها وأفضلها الأصل وما عداها مساعداً، وفي هذه الحالة وعندما يوجد خطأ ما في الأصل وكان هنالك ثمة تصحيح في النسخ الأخرى فلا مانع من تثبيت الصحيح والإشارة إلى ما جاء في أصل النص في الحاشية، وإذا كان هناك خطأ إملائي كرره المؤلف أو الناسخ مراراً، ففي حالة كهذه يتم تصحيحه على ما هو دارج في كتب اللغة والأدب.

ولعلي أستطيع - على ضوء ما سبق - أن أقول إنني قد إتبعته عند تحقيقي مخطوطة تحفة الأسماع والأبصار - موضوع الدراسة - أصول وقواعد المنهج العلمي المتبع في تحقيق النص. واعتمدت عند تحقيق المخطوطة أربع نسخ، اخترت أفضلها، لأسباب أوضحتها في معرض حديثي عن نسخ الكتاب.

وعند نقلي لخط الناسخ صادفتني بعض الصعوبات، تمثلت في صغر حجم كلمات المخطوطة، نتيجة التصوير على الميكروفيلم مما أدى بالضرورة إلى استخدامي لعدسة مكبرة بشكل مستمر - وهو ما عانيت منه الأمرين -. يضاف إلى ذلك وجود عدد كبير من الكلمات المهملة، قمت توخياً للدقة والأمانة بنقل هذه الكلمات عن طريق فك رموزها وتقريبها إلى معانيها الصحيحة بعد مقارنتها بالنسخ الأخرى؛ ذلك أن أي خطأ في تصويب المعنى سيؤدي بالنتيجة إلى تغيير لمعنى العبارة كاملاً، وأما التي لم استطع التوصل

إلى فك رموزها، فلم يكن أمامي من حل سوى تركها كما هي برسمها، مشيراً إلى ذلك في الهامش بعابرة (كذا في الأصل) أو بعابرة آخرة (لعلها كذا).

وقد عمد الناسخ عند نسيانه لكلمة ما أو لعبارة ماء أثناء نسخه وضع إشارة (٧) أو (صح) تنبيهاً للقارئ لما أراد الناسخ أن يوصله إليه، وإزاء ذلك قمت متوخياً الدقة التي انتهجتها في نسخ المخطوطة، بوضع الكلمة في مكانها الصحيح مع الإشارة إلى ذلك في الهامش.

وقد كان من الضروري التنبيه إلى الأخطاء واللحن عند مؤرخنا كي لا يظن القارئ أن ما كتبه المؤلف صحيحاً، ومن ثم عملت على تصحيح ما هو مهم في الأصل، والإشارة إلى ذلك في الحواشي مثل: (..وهو حينئذ لم يكن قد كتب..)^(١) سنجد أن العبارة في الأصل: (وهو حينئذ لم قد كتب...) وتم - لهذا الغرض - إضافة كلمة أو حرف ووضعها بين حاصرتين معقوفتين من لدينا ليكتمل بذلك المعنى، وأشارت في الهامش: (وهو لحن وقومته).

وصححت الأخطاء الإملائية - بما يتوافق وأسس الكتابة المتداولة في عصرنا - كأن تكون التاء التي استخلمها الناسخ مفتوحة على أنها مربوطة، فأقوم بتعديلها إلى الصحيح مثل زكوات صلوات فصارت زكاة، صلاة.

أما ما يخص الأخطاء النحوية واللغوية فلم أصحح منها إلا ما كان مُجِلاً بالمعنى، أو مثل تصحيحه ضرورة مُلحة، فمثلاً: الهمزة: دأب الجرموزي على إهمالها أو عدم وضعها في مكانها الصحيح مثل: فقاها (فقاها)؛ وفي موضع آخر عمد مؤرخنا على تخفيف الهمزة، واضعاً عوضاً عنها ياءً كأن يرسم وسائط بهذا الشكل (وسائط) أو الفائضة بالالفائضة، وهو ما لم أذهب

إلى تغييره، بل تركته كما في المتن، لكونها - أي مثل هذا الرسم للكلمة - تعود إلى لغة العصر، مع الإشارة إلى ذلك مرة أو مرتين، وإيضاح أن ذلك لن يتكرر.

وأما ما تم اضافته من النسخ الأخرى إلى النسخة التي اعتمدت عليها - في نسخي للمخطوطة - من عناوين أو مواضع أو تواريخ فقد تم وضعها بين حاصرتين معقوفتين.

وبالنسبة لأسماء الأعلام والمواضع والمصطلحات عملت على تضمين رسالتي بتعريف لكل منها كما خرجت الآيات والأحاديث، تاركاً بعض الأماكن التي لم أعثر لها على تعريف المصادر، سواء كانت (معجم البلدان لياقوت الحموي) أو (معجم القبائل والبلدان للحجري) أو (اليمن الكبرى للويس) وكذا (كتاب الإحصاء الصادر عن الجهاز المركزي للتخطيط). والظاهر أنها قد اندثرت أو أنها أماكن صغيرة أو غير مأهولة بالسكان حالياً، فكان أن أغفلتها هذه المراجع.

وما جاء في النص من الأعداد قد صاحبها الأخطاء بشكل أو بآخر، فقامت بتصحيحها وأنه هنا إلى أنني اتبعت نمطاً واحداً في صياغة الأعداد، فمثلاً عمد الناسخ إلى كتابة العدد بهذا الشكل، أربع مائة، ومرة أخرى أربعمائة، فجعلت رسم العدد على النحو التالي: أربعمائة ومحوه، مكتفياً بالإشارة لمثل ذلك مرة أو مرتين في الهامش.

كما عملت إلى وضع ما صادفني من إضافات كتبت بغير خط الناسخ في الهوامش مع الإشارة إلى ذلك.

وما لفت انتباهي أثناء عملية النسخ، وجود بياض في أكثر من موضع

فعلى سبيل المثال، يسرد المؤلف أبياتاً من الشعر بمناسبة معينة، فإذا ما انتهى منها يورد هذه العبارة: (ومما قيل في هذه المناسبة) ولا يأتي بالقصيدة، إلا أن الناسخ كان يشير في بعض جوانب تلك الأوراق بعبارة (بياض في الأم) وهو ما أشرت إليه بوضع نقاط على السطور أثناء النسخ [...] لنذكر في الهامش أن الورقة بياض، مع الإشارة إلى مقدار ذلك البياض في ورقة المخطوط.

وقمت بوضع عناوين جانبية للمخطوطة والتي أوردتها الناسخ على حواشي أوراق المخطوطة، وقد أشرت إلى ذلك في هوامش النص.

أما بالنسبة للعناوين التي تدخلت في وضعها فقد أبرزتها ما بين معقوفتين، ونوهت إلى ذلك في هوامش النص بالعبارة التالية (ما بين المعقوفين عنوان أضفناه على طريقة النسخ).

وأما بخصوص الآيات القرآنية التي جاءت أكثريتها ناقصة، فقد اكتملتها في الحواشي، وفيما يتعلق بالأحاديث الشريفة فقد اقتصرنا على الإشارة إلى أوثق المراجع وأكثرها أهمية، أورد ذكر هذه الأحاديث التي تضمنها النص، وكانت هذه المراجع التي أشرنا إليها في الهوامش متأخرة أو أقل أهمية من الكتب الستة.

ولقد أورد مؤرخنا الجرموزي في مخطوطته وقائع وأحداث رحلة الحبشة^(١) التي قام بها العلامة الحسن بن أحمد الحيمي - كما أشرنا سابقاً - ولم يقم مؤرخنا سوى بنقلها كما أوردتها مؤلفها - الحيمي - إلى مخطوطته.

ونود الإشارة إلى أن الرحلة قد تم تحقيقها^(٢) - قام بنشرها الباحث المصري

(١) النص: ق (٨٧ب-١٠١ب).

(٢) في كتاب جاء تحت عنوان (سيرة الحبشة، الحسن بن محمد الحيمي، تحقيق مراد كامل، الطبعة الثانية، دار العالم العربي، القاهرة).

مراد كامل - لذا اكتفيت بتثبيتها دون الدخول في تحقيقها توخياً للأمانة العلمية، والحفاظ على متن المخطوطة دون اسقاط أي حدثٍ منها.

وستغني هذه الرسالة المكتبة اليمنية بالعديد من أسماء القرى والمدن وأسماء الأعلام.

وما قمنا به من عمل متواضع، مثلته هذه الدراسة التي بين أيدينا، نأمل أن يكون سناً للباحثين في التاريخ اليمني الحديث، كما ونرجو أن تكون علامة مضيئة يهتدي بها كل قارئ يهتم بمعرفة تاريخ هذا البلد العظيم بلدنا اليمن.

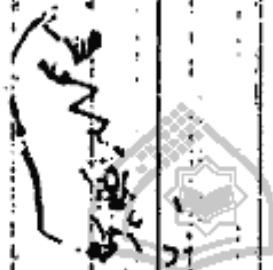


مركز تحقيقات كليات العلوم، صنعاء

الحمد لله العليم على خلقه بلا منازع . ابو جرد فلاحه لو شردوا
 فاسم الذي اورد في البرهان وراعيه في كل ما يحيط به
 ولا يخفى الاوقاس . **واشهد** ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
 المعالي من الابد . **واشهد** ان محمدا عبده ورسوله
 الى المسكون والناس . الذي ازل عليه الله من طين من الملايكه وشيئا
 من النبي صلى الله عليه وعلى اله الطيبين من الانبياء . **واشهد**
 ان علي بن ابي طالب خاتم النبيين الذي انزل الله به الامامة
 الامامة . وله الاجماع الذي عليه حقايق النبي واولاده في الكليات
 والشهد على الناس . **والحمد لله** الذي هدانا لهذا الذي كنا
 نجهلون به . **واشهد** ان الامام المصطفى ان كسب حلالا فهو حلال
 وسعيه . **هو** كانا واقامنا او مجرد عشرين . وللتبويس الكرام قضا
 باهلا كما انه سبحانه على بيوتنا عدونا . **واسم** الذي عرفنا الامام الاعظم
 وحده امير على اهل بيوتنا . **المختار** بالله امير المؤمنين النبي
 من محمد بن رسول الله صلوات الله وسلامه على زوجته الطاهرين في الدنيا والآخرة
 والمطهرين . **واسم** الذي عرفنا عليا بن ابي طالب . **واسم** الذي عرفنا
 الامام الكاظم . **واسم** الذي عرفنا القائل **المؤيد** بالله امير المؤمنين محمد بن
 موسى الصادق . **واسم** الذي عرفنا علي بن ابي طالب . **واسم** الذي عرفنا
 من شريف وكرم ابن جواد . **واسم** الذي عرفنا علي بن ابي طالب . **واسم** الذي عرفنا
 الوصف لصفه فلما سمع الله الله . **واسم** الذي عرفنا بالدين . **واسم** الذي عرفنا
 سجد محمدا . **واسم** الذي عرفنا علي بن ابي طالب . **واسم** الذي عرفنا
 على اهل الامم . **واسم** الذي عرفنا علي بن ابي طالب . **واسم** الذي عرفنا
 من الخلافة . **واسم** الذي عرفنا علي بن ابي طالب . **واسم** الذي عرفنا
 العلامة الامير . **واسم** الذي عرفنا علي بن ابي طالب . **واسم** الذي عرفنا
 في الدين . **واسم** الذي عرفنا علي بن ابي طالب . **واسم** الذي عرفنا
 اعلم اخيه الامام . **واسم** الذي عرفنا علي بن ابي طالب . **واسم** الذي عرفنا
 وان خالها . **واسم** الذي عرفنا علي بن ابي طالب . **واسم** الذي عرفنا

الورقة الأولى (أ) من المخطوطة (أ) دار المخطوطات.

ثم نزلت في بيت فاس من اعمال جبل عيال يزيد ثم الى الانبياء ثم الى السودة
 وجد بلقاء اهل كركم الملائكة بالذوق والصفات واقام في السودة
 ثم انزل الى ارض من بلده حموز واقام فيه ثم صعد سماره المجرى
 في سفحها في الاخرى كسرة اربع كسرين والتم



مركز توثيق ودراسات
 مكتبة تراثية

وقد اذعن بعد مساندة وتعالى اسم ولله هم العارفة والاحالة فكانت حيا وكبريت
 ما مضى بها المثل والفرق بين وتزويج مع الامام للاعمال الخصلة وكان الامام عليه السلام
 وسيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين من اهل البيت عليهم السلام
 في كل يوم من المديني والعام فحضره وحده اليه الامارات والسادة المذكورين
 ولما مضى ولما مضى بالاحتيا ما مضى في العشر وما في السجون من قدم الاقران
 فترجع حجاج المسلمين وقرى المسكن ولا تتركه مع الاطفال لسبب الاحكام وسلاج
 من بعد الله عليه وطله افضل الصلاة والسلام من العاشر العاشر من شهر رجب
 في شهر الحارث الا هنيء ما تبارك به ما هنيء نصحت



امان من غيبي قد مضى لنا وسيدنا شانا بالثنا
 اما ما انما حصل احسن وقال له من قد مضى وقتنا
 وقال له وقتنا في حبه اهل البيت رضوان الله عليهم
 فامور في ما ملته فكيفما بحسب اسم من رخصه وكنا

ساجد

من رضا والرسول للعباد في يوم الجمعة وسام ان السلام
 اليه من سائر الامم والحق في ايدى من ساء به المجلس
 فامور في ما ملته فكيفما بحسب اسم من رخصه وكنا
 من يوم الحرام ١٤٣٣ هـ روضة طلسم

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله القيم على خلقه مناس الوجوه
 فلا حد لوجوده ولا قياس الذي لا يدركه الحواس
 ولا يحيط به الأركان ولا تحله الأنفاس وأشهد
 أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المتعالى
 عن الأنداد والأجناس وأشهد أن محمد
 عبده ورسوله إلى الجنة والناس الذي
 أنزل عليه أن الله اصطفى من الملائكة
 رسلاً ومن الناس صلى الله عليه وعلى
 آله مطهرين من الأرجاس وأشهد
 أن عيسى بن مريم طاب خليفته بالدليل
 الذي لا شك معه ولا الياس وإن الأملية
 في ولده للأجماع الذين عليه كافة الناس
 وأنهم قرناء الكتاب والشهداء على الناس
 وبعد فإنه حدان المعتقد النبوية
 كما أنكرت رب البرية وجاءت
 به الآثار المصطفوية كتبت جملاً يسيرة
 مع وسيع سيرة مولانا وإمانا ومجد
 عصره والشبهه محوى الكيم فينا بأفلاك
 الله سبحانه على يد به عددنا ونفيه الذل
 عن أعناقنا الأمام الأعظم رحمة الله على
 أهل عصره من الأمم المنصور بالله أمير المؤمنين

مع ماله كما لو سوي كمال فقال منهم مع الائمة عليهم السلام كالا امام الامم
 الدين الامير من قبله ومن بعده قضاء وكالاته باليمن مع في مهمات الامم
 كما ناوله لان المنصور بالله عليهم اكا بهر واعوانه وقد تقدم ذكر مشاهيرهم
 وقد ذكرنا في مقدم من اخبار الامام القاسم عليهم انا تقدمهم به الامم
 والامم من بني العاقبان عمرو واهل السوء من هدم درهم وتبع الامم
 الامام كما اخبرني مرقق برزاي وهو في جبل سيزارة المدم في بلدة
 فرق لهم كثيرا ودعا الى الله سبحانه وتعالى لهم بالسلم بالعمارة ان الله
 فكانت عليه جوارحها ضرب بها المشل في ارض اليمن وقد تقدم ذكر هذه
 في اسع المصنف الامام المنصور بالله القاسم بن محمد عليه وتقولوا الامام الامير
 الجليل كان الامة ام عليهم في ستة تفع وحسيد والف تروج الشريعة
 الفاضله ميمونة بنت السيد اعلم الحسن بن الحسين بن ابراهيم بن ابي
 واقام في جوارحه وتورد اليه مزارا والسادة المذكورون في امانته
 وفوره بالاحسان ما فوته المحصر وشاق المسلمين وتقدم الى اقر العيون
 بون جليل المسلمين في يوم السكاين ولا تزال به وشه الى الامم
 الاحكام وبلا شريعة النبي عليه وعلى الدافض الصلوة والتلام

ثم كما وجد من سيرة مولانا امير المؤمنين المتوكل على الله تعالى العالمين اسمعيل بن
 المؤمنين القاسم بن محمد بن رسول الله صلى الله عليهم اجمعين

مآكت
 شرازة اهل الحيا لآكل حرة
 الحسد العبد العلاء والافضل الجاوي للعاقبة والمه الى شرف الاسلام والسنة
 الحسين بن القاسم بن المؤمنين القاسم بن محمد بن علي حفظه الله لانهم

الورقة الأخيرة (ب) من المخطوطة (ج) مكتبة الأحقاف.

فصل نذكر فيه خروج من لا يا الضفي احمد بن الحسن اطال اسمعاه
 الى عدن وخرج وابن و الاميل عليها قد تقدم في سنة الامام ابو عبد الله عليه السلام
 ضفة مائة الامير الكبير عبدالقادر بن محمد بن علي بن سليمان ضاح حنفر و حسن
 ركاه وانه كان يزوي عنه عرب و صفة مائة مع السخا الذي لا يراه و فيه من الله
 و ملازمة لوضائف الصارة و كان فيما احبرني حي الشيخ المجاهد علي بن عثمان
 الغزي الحبري رحمه الله و كان ابي الفقيه علي بن المعافا الدماري و احبرني
 ايضا بحيلة ما فضلاه القاضي حشام الدين الهادي بن عبد الله الحارثي ان سلطا
 اجرت من بلاد الحبشة ضلع مدينه منته كان نصرانيا فخالطه تجاز من المشركين
 اشرف حضرموت المعروف بنى باعلوي فاسلم و اسلم معه جمهور اهل عائلته و غير
 ملك النضاري صاحب المدينة و كان عليه المشركون فقتلوا و استولوا على مدينه و ملكه
 و كان قد تزوج امرأة من الاشرف اليا علوي و ولده منها ولد سماه محمد ان اخذ من
 جملة من اخذ من اصحاب السلطان هو و امه و قد استمر عندهم اربع اشهر و كان
 يدعى ولدها لذلك بالترتيب محمد فلما صاروا عند صاحب الحبشة و احبره بها سريرة
 عظمها و جعل لها ولدها اقطاعات و جعل على مكافاتها حزمها لانها لطفا اليه غير ذلك
 غنا لغيره ثم انه ادخل و ابرها هذا الملب و علموه مع اولادهم لا يحيل و صغوه بالسر
 حتى كان من العظماء فيهم و من غاظمهم و كانت والدة مخوفة بامه و سكرت عليه فغله ثم انها
 تلت عليه ثمان القران فذاقه و اهلها على حظه و كانت امه لا يحفظ كبير من القران
 فوصفت له تجاز الاسلام و طلبت منه ان يات بها من اجل ان الحضرموت فادخل اليها
 اخبرهم فكتب معه الى اهلها ان يتناولوا اليها بقاري يصل اليها بقريها و ولدها فغلقوا
 و قرأت هي و ولدها على غاية من الاحتقان ثم رجع و ابرها الى الاسلام و قد كبر اسمه في
 النضاري و ظهرت زهبا بنته و يها دنة و قد جعل بعنه و اعطا و كان يزور الدنيا
 و يسفل معهم الى المدين حتى احال مسره و والدة المسح و كان على ذلك و اعطا
 و فلغة منسبه عليها و ال غير صاحب المدينة في فمات من العوم نبلا خيم الساج و المديا
 كان هذا الشريف الواعظ مخالط صاحب المدينة و صاحب القلعة و فظلم ^{البعيد}
 عنه و عنها و من اهل الدنيا و هظم ذكره فرائله ضلع القلعة ان خالطه كما خالط
 صاحب المدينة و غيره فاعتدى اليه و بعد عنه و لما كثر من صاحب القلعة ^{الطالبة}
 فقال لاجل و جوب حقه و سوا لكن اصل معك الباب فقط فتر ضلع القلعة

الامير منه بالعسكر الى اطراف الشام كنجران ومشرق صغره، يعني هما، واولام الامام
 عليه السلام في السودة الى نخل ذي الحجة، وهو في كل ما استنبر الله سبحانه ويزن باي
 في الغود منها الى سفارة الخزينة بالله او المقدم الى صبغها وحسن الدراع فان
 اهله منه كما تقدم فتقدم في العشر الاواخر من ذي الحجة الى جوار من اعمال طلحة
ولكن كطرفا من اجاز قرية حورية في الدولة الموردية والمنوكية، وهذه
 البلد صفة مدينة معجزة تعال من الناس سادتهم الاشراف المعزوفون بالحجاف
 وهم من ولد الامام المصطفى بالله العنيم بن علي العباسي عليه السلام، فيهم علماء وكبراء
 وفيهم مع ذلك كمال ديني كانوا منهم مع الامة عليهم السلام كالامام الاعظم شرف
 الدين عليه السلام، ومن قبله ومن بعده فضاة وولاة ورجح في مهمات الامور، ثم كانوا
 مع موافا المصطفى بالله عليه السلام كتابه واعوانه، وقد تقدم ذكر مشاهيرهم
 وقد ذكرنا فيما تقدم من اجاز الامام العنيم عليه السلام ما شهدهم به الاتراك ومن
 والاهم من بني المغافا بن عيزر واهل السودة من هدم دينهم، وبيع انازهم، والامام
 كما اخبرني من اتبعه راي في حل شربان المهدي في بلدهم والمخرق فيرقم كثيرهم
 ودعا الى الله سبحانه وتعالى لهم ولبلدهم بالتمارة والاقالة، فكانت عمارة حور
 مما نصرت بها المثل في ارض اليمن، وكولوا مع الامام للاعمال الحليلة، وكان الامام
 في سنة سبع وثمانين والفا، بروح الشريعة الفاضلة، بنت السيد الاعلم المنين
 ابن الحسين بن علي بن ابراهيم بن المهدي، واقام في جوزمدة، وينجد اليه مزارا واليه
 المذكرون في اعانته، وملك في وجوده بالاحسان ما بعوته الحضر، وضاق بالمسلمين في حدم
 الى اقر المصطفى بالله، بوضع خواجه المسلمين، وبنو المتاكين، وكانوا يعونه الى
 الاطراف لسفيد الاحكام، وبلاغ شريعة النبي عليه وعلى اله افضل الصلوة والسلام
 منهم القاضي الغلامه محمد بن علي بن محمد الجولبي الهومي، فانه ارسله ما هذه
 تحتها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ تَسْتَوَاعِنُ وَيَسْتَوَاعِنُ
 الْيَوْمَ لِلَّهِ الْعِزُّمُ غَاثُ حَلْفِهِ بِالْمُرَاسِرِ الْمَرْجُودِ فَلَا حُدُودَ لِرُجُودِهِ وَلَا فِئَاسَ
 الرَّيِّ لِأَيِّ رَكْبٍ بِالْحَوَاسِ وَلَا حَيْبُوبَ الْأَكْوَانِ وَلَا عِلْمَ الْأَفَاقِ وَلَا سِحْرَ الْإِنِّ
 إِلَّا اللَّهُ اللَّهُ وَجْدَهُ لَا سُبْحَانَ لَهُ الْمَعَالِي تَمْرٌ لِلْبَلْعِ أَدُّ وَالْأَسْعَانِ وَالْمَسْرُودِ أَنْ
 يَسْتَأْذِنَ مِنْهُ وَيَسْتَوَاهُ إِلَى الْحَمْدِ وَالنَّاسِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْبَحْثَ إِنَّهُ يَضَعُ لِمَنْ
 مِنَ اللَّيْلَةِ زَيْلًا وَيُزِيلُ النَّاسَ بِمَنْزِلِهِ يَرْجُو عَلَيْهِ مِنْهُ وَمَنْ لَمْ يَلْمِ إِلَّا بِمَنْزِلِهِ
 مِنَ الْأَرْجَانِ وَالشُّبُوحِ أَنْ يَلْمِ مَنْ لَمْ يَلْمِ إِلَى طَالِبِ حَلْفِهِ بِالْبَلْعِ الَّذِي لَا يَشْكُرُهُ
 وَلَا يَبْتَسِمُ وَإِنَّ الْأَمَامَةَ فِي وِلَايَةِ الْأَجْمَاعِ الَّذِي تَبَايَعُوا لَهُ النَّاسُ وَالْمَعْرُوفُ
 الْكِتَابِ وَالشُّرُوحِ إِلَى النَّاسِ وَتَعْرِفُ قَائِمًا بِرَأْيِ مَجْدِهِ الْوَتَرِ السُّبُوحِ
 كَمَا سُرِّيَتْ رَيْبُ الْهَيْبَةِ وَجَاءَتْ بِهِ الْأَنْزَارُ الْمَصْدُوقَةُ أَنْ كُنْتُ بِحَمَلِ الْمَسْرُودِ مِنْ وَتَرِ
 وَأَمَانًا وَمَجْدُهَا وَالْمَنْتَبَهُ أَوْشَى الْكَلِمُ مَنَا بِأَهْلِ الْأَكْبَادِ تَبَايَعُوا بِهَا
 وَيَعْبَهُ الْأَنْزِلُ عَرَاغًا قَبْلَ الْأَمَامِ الْأَعْظَمِ وَجَدَهُ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ تَبَايَعُوا مِنْ الْأَمَامِ
 بِنَاهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَتَمِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ زَيْنِ اللَّهِ ضَلَّتْ أُمَّهُ وَتَسَلَّمَ عَلَى مَنْ وَجَدَهُ
 الطَّاهِرَةَ فِي الْبَيْتِ وَالْمَحْزُومَةَ وَالنَّهْجَ كَانَ تَرْكَبُهُ مَنَا وَحَلْفَهُ عَيْشَانَا بِالْحَبَابِ
 وَالْأَدْلَى الطَّاهِرَةَ وَلِبَهُ الْأَمَامِ الْأَمَلِ وَالْحَلْفَةَ الْعَادِلِ الْوَلِيَّ بِاللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 مُحَمَّدِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ضَلَّتْ أُمَّهُ وَتَسَلَّمَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ الَّذِي تَلَّتْ لَدُنْكَ كَذَلِكَ
 حَمَلًا مِنْ شَيْبَتِهِ وَبَيْتًا مِنْ مَوَارِدِ دَعْوَتِهِ وَتَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ بَعْضِ الرِّضَى
 أَضْعَفَهُ فَلَمَّا أَضْعَفَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَاجْتَارَهُ مَا لَبِثَ مَقْبُولًا شَيْئًا مَّا كَوْنُ حَمَلِهِ مِنْ رُوحِ
 ذِيهِ أَعْدَانِ أَطْفَرُ حَمْدَهُ وَأَعْلَى كَلِمَتِهِ وَتَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَاطِمَةُ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ مَقَامَهُمْ
 فَجُجِرُوا وَتَسَلَّمَ قَوْمُ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِي بَابِهَا وَأَمْرًا مِنَ الْعِلَافِ الْمُنْتَزِعِ فَطَالَتْ وَأَوْجَلُوا
 وَهِيَ كَانَتْ مَنَا السُّبُوحِ الْأَمَلِ وَالنَّهْجِ الْأَمَامِ بِالطَّرِيقِ زَيْبِ حَمَلِ الْجَلَدَةِ السُّبُوحِ
 أَخْلَافِ الْبَرِّ وَحَقِّ الْخَافِيَةِ ضَرْبِ الدِّينِ أَحْمَدِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَسْرُودِ بِأَدْنَى الْعَالَمِينَ
 أَطَالَ اللَّهُ بِنَاهُ وَتَسَلَّمَ عَلَيْهِ الْأَمَامِ وَتَسَلَّمَ عَلَيْهِ دَعَى إِلَيْهِ الْعِيُونَ وَبِنَاهُ رُوحِ
 أَنْ تَكُونَ وَإِنْ خَانِ الْأَقَابِ حَقِّ الْمَسْرُودِ رُضَا الْوَجُودِ وَإِنْ خَالِ الْعَالَمِ الْمَسْرُودِ
 وَيَا عَفْوُ مَنَا بِنَاهُ عَقِبَ الزُّرِّيِّ مِنْ يَوْمِ الْبُرْدِ فِي تَبَايَعِ وَعِشْرِينَ رُجْبِ الْأَشْبَهَةِ أَرْبَعًا
 وَخَمْسِينَ وَالْفِ مَنَزَلِ الْأَمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامِ الشَّرِيفِ مِنْ دَعْوَةِ الطَّاهِرَةِ مِنْ سَيِّدِ الْوَجْهِ
 شَهَارِ عَمْرٍ بِاللَّهِ بِالْمَقْبُولِ وَلَمْ يَعْزِفْ حَمْدَهُ وَقَالَ الْأَمَامُ بِالْمَوَاضِعِ وَهُمْ مَوْلَانَا السُّبُوحِ

الورقة الأولى (أ) من المخطوطة التي بحوزة الوالد القاضي محمد القاسم الوجيه والتي أكتفيت بالإستئناس بها.

بفيه الكفن قال النبي يا رسول الله قواد اليمين وقواد الشمال
 من قواد وقواد واليمين والاشهاد اليمين والاشهاد الشمال
 ونعم اليمين نعم اليمين واليمين واليمين واليمين واليمين
 محمودم تاج الميراثم السلام سنة وسمعة والحمد لله

سنة ١٢١٥



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی جمهوری اسلامی ایران

تحفة الأسماع والأبصار

بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار

للمؤلف: المطهر بن محمد الجرموني

مركز تحفة الكمبيوتر علوم إلكترونية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين، رب يسر وأعن. الحمد لله القيوم على خلقه بلا مراس، الموجود فلا حد لوجوده ولا قياس، الذي لا يدرك بالحواس، ولا تحيط به الأكوان ولا تحله الأنفاس، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له المتعالي عن الأنداد والأجناس، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلى الجنة والناس، الذي أنزلَ عليه: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [المج: ٧٥]، صلى الله عليه وعلى آله المطهرين من الأرجاس، وأشهد أن علي بن أبي طالب خليفته بالدليل الذي لا شك معه ولا التباس، وأن الإمامة في ولده للإجماع الذي عليه كافة الناس، وأنهم قرناء الكتاب والشهداء على الناس.

وبعد: فإنه حداني محبة العترة^(١) النبوية كما أمرني رب البرية، وجاءت به الآثار المصطفوية أن كتبت جملاً يسيرة من وسيع سيرة مولانا وإمامنا ومجدد عصرنا، والمشبه بموسى الكليم فينا، بإهلاك الله سبحانه على يديه عدونا، ونفيه اللذ عن أعناقنا، الإمام الأعظم، وحجة الله على أهل عصره من الأمم، المنصور بالله أمير المؤمنين القاسم بن محمد^(٢) بن رسول الله - صلوات الله

(١) العترة: هم (آل البيت) والمقصود بهم هنا أئمتهم وعلمائهم المصنفون الفقهاء.

(٢) هو: القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد (٩٦٧-١٠٢٩هـ/١٥٥٩-١٦٢٠م) فقيه، عالم، تتلمذ على مشاهير علماء عصره، فبرع في العلوم الشرعية والفقهية، ويعتبر الإمام القاسم من أهم الشخصيات اليمنية التي ظهرت في القرن السابع عشر الميلادي، لدوره الكبير والبارز في محاربة الأتراك بعد أن ادعى الإمام سنة (١٠٠٦هـ/١٥٩٧م) في جبل قارة شمالي الشرف، وجرت بينه وبين الأتراك معارك وحروب استطاع خلالها أن ييسط سيطرته على أغلب الأقاليم الشمالية بين (صعدة) و(صنعاء) حتى تم الإتفاق بينه وبينهم في نهاية الأمر على أن تفره الدولة العثمانية على ما تحتمل يده وهو غالب المناطق الجبلية، على أن يعترف بسلطنتهم في اليمن. له العديد من المؤلفات، أشهرها كتاب (الأساس)، توفي في شهارة. (د/ سيد: الفتح العثماني ٣٥٤-٤١١هـ/د/ العمري: مصادر التراث: ٢٤٩-٢٥٥؛ الجرهموزي: النبة المشيرة) (خ: ق: ٥-٦).

وسلامه على روحه الطاهرة في الدنيا والآخرة-، ولما كان بركته فينا وخليفته علينا بالحجج الباهرة والأدلة الظاهرة ولله الإمام الكامل، والخليفة العادل، المؤيد بالله أمير المؤمنين محمد بن أمير المؤمنين- صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين-، علقت لذلك كذلك جملاً من سيرته، وزبداً من فوائد دعوته، ونبذاً من غريب ما أعطاه الله من بعض الوصف لصفته. فلما قبضه الله إليه واختار له ما لديه مقبولاً عمله، مشكوراً سعيه، محموداً فعله، بعد أن أظهر حجته وأعلى كلمته، ونشر دعوته، فأظلمت على أهل الإسلام معالمهم فمالجوا^(١)، وتعتتق قوام^(٢) أهل الإيمان فهالجوا^(٣)، وأشفقوا من الخلاف المفرق وطاشوا وعالجوا، وكان مولانا السيد الأفضل، والعلم العلامة الأطول، ربي حجر الخلافة النبوية، ورضيع أخلاف الدوحة العلوية، صفي الدين أحمد^(٤) بن أمير المؤمنين المنصور بالله رب العالمين -أطال الله بقاءه- في مقام أخيه الإمام، وشقيقه الهمام، فزع إليه العيون، ولقاهه رضى أن يكون وإن خالف الأقلون حفظاً للموجود وصيانة للحدود، وأن الحال [١/ب] الحال المعهود فبايعوه وشايعوه عقيب الزوال من يوم الخميس في سابع وعشرين رجب الأصب سنة أربع وخمسين وألف [٦ديسمبر ١٦٤٤م]^(٥) بمنزل الإمام -عليه السلام- الشرقي من داره الطاهرة من سعدان ومحروس شهارة^(٦) -عمرها الله بالتقوى-، ولم يعرف حينئذ وفاة الإمام إلا الخواصر، وهم: مولانا السيد العلامة شرف الدين

(١) فمالجوا: إختلقت أمورهم واضطربت المنجد: ٧٩.

(٢) تعتتق: كلمة غير واضحة في الأصل، وبقية النسخ، ويبدو رسمها هكذا كما أثبتته.

(٣) فهالجوا: ناروا وتحركوا. المنجد: ٨٧٩.

(٤) هو: أحمد بن الإمام القاسم بن محمد، الحسني (١٠٠٧-١٠٦٦هـ/١٥٩٧-١٦٥٥م).

قرأ على إبراهيم بن يحيى السحولي. تولى لوالده جهات صعدة، وبقي عليها حتى وفاته. (زيارة: ملحق البدر الطالع: ٤٢/٢).

(٥) ما بين المعقوفتين أضفناه للإيضاح، ولن نشير إلى ما يقع مثلها.

(٦) شهارة: بلدة في جبل الأهنوم على مسافة (١٦٠ كم) تقريباً من صنعاء. (الأكوع: هـ: البلدان

اليمانية: ١٧٨).

الحسين^(١) بن أمير المؤمنين المؤيد بالله، ومولانا العلامة الفاضل صارم الدين إبراهيم بن أحمد بن عامر بن علي^(٢)، والسيد العلامة الطاهر التقي عبدالله بن أحمد بن إبراهيم القاسمي الشرفي^(٣)، والسيد العلامة حسام الدين ناصر بن محمد بن يحيى المعروف بصبح القاسمي الغرباني^(٤)، والسيد الزاهد العلامة محمد بن الحسن بن شرف الدين الحمزي الكحلاني^(٥)، والسيد الكبير الأعلام شرف الدين الحسن بن محمد بن صلاح القاسمي الشرفي^(٦)، والسيد الحبر العلامة شرف الدين الحسن بن علي بن صلاح القاسمي العبالي^(٧)، والسيد العلامة المتقن ضياء الدين عز الدين بن دريب بن مطهر السلیماني التهامي^(٨)، والسيد العالم الكبير الحسين بن محمد بن علي الحسيني الخوثي^(٩) وغيرهم.

(١) هو: الحسين بن الإمام المؤيد بالله محمد بن الإمام القاسم بن محمد الحسيني (ت ١٠٨٤هـ/١٦٧٣م) قرأ على يد

والده وعلى عمه الإمام المتوكل على الله إسماعيل. توفي في شهارة (زيارة: ملحق البدر الطالع: ٨٩٢

(٢) هو: إبراهيم بن أحمد بن عامر بن علي، الحسيني الشهاري (١٠١٨-١٠٥٦هـ/١٥٦٩-١٦٤٦م). قرأ على يد الإمام المؤيد بالله محمد، كان من أعيان علماء عصره وأزهدهم وأكرمهم، توفي في شهارة. زيارة: ٢٧٢.

(٣) هو: عبدالله بن أحمد بن إبراهيم بن علي بن محمد الحسيني الشرفي، قرأ على الإمام القاسم بن محمد وعلى عبد الحفيظ المهلا. له التفسير الموسوم (بالصايح الساطعة الأنوار). (زيارة: ملحق البدر الطالع: ١٣٧٢).

(٤) هو: الناصر بن محمد بن محمد بن يحيى الغرباني (ت ١٠٧٢هـ/١٦٦١م) كان عالماً محققاً، قرأ على الإمام القاسم بن محمد، دعا لنفسه في سنة (١٠٢٩هـ/١٦١٩م) إلا أنه أعلن ولانته للإمام المؤيد بالله محمد، وبقي مدرساً بشهارة حتى مات. (زيارة: ٢٢٢/٢).

(٥) لم أجد له ترجمة.

(٦) لم أجد له ترجمة.

(٧) هو: الحسن بن علي بن صلاح بن محمد بن أحمد القاسمي العبالي (ت ١٠٦٥هـ/١٦٥٤م)، كان عالماً، محققاً، زوجه الإمام القاسم بن محمد ابنته (جمانة)، ومن تلاميذه الإمام المتوكل على الله، توفي في حصن ظفير حجة. (زيارة: ملحق البدر الطالع: ١٤٧٢).

(٨) هو: عز الدين بن دريب بن المطهر بن دريب بن عيسى بن دريب، السلیماني، التهامي (ت ١٠٧٥هـ/١٦٦٤م)، قاضي فقيه. قرأ على سعيد بن صلاح الهبل وعلى الإمام المؤيد بالله محمد، له حاشية على البحر الزخار وكتابات أخرى، توفي في بلدة الطويلة في جهات كوكبان، ودفن بقرب الجامع الذي عمره فيها. زيارة: ١٤٧٢.

(٩) لم أجد له ترجمة.

ومن الفقهاء سيدنا القاضي العلامة في كل فن، ولسان أهل الحق في قطر اليمن، شمس الدين وقمطر^(١) علوم آل طه ويس، أحمد بن سعد الدين بن الحسين بن محمد المسوري^(٢) - أطل الله بقله -، والقاضي العلامة الفاضل جمال الدين علي بن سعيد الهبل الخولاني^(٣)، والقاضي العالم الأكمل، والمعول عليه فيما أشكل، صلاح بن نهشل الذنوبي الحجبي^(٤)، والقاضي العالم المجاهد شرف الدين الحسن بن علي بن صالح الأكوخ^(٥)، والفقير العالم الفاضل عماد الدين وأبو المساكين يحيى بن محمد بن حسن بن حنش^(٦) أمين بيت مال المسلمين، وولده العلامة شرف الدين الحسين بن يحيى^(٧) وغيرهم من الفضلاء. ثم انتقلوا إلى الإيوان الكبير المنصوري الغربي، وقد ظهر للناس وفاته - صلوات الله عليه - فهم يموجون بحيرة ويصيحون حسرة، كما يقول السامع: إن القيامة^(٨) قامت، ولقد رأيت كثيراً يسعون لغير مقصد، وأخبرني غير واحد أنهم رأوا مثل ذلك، واتصل سماع الأصوات بجبال الأهنوم^(٩)، فاجتمع عيون الأهنوم من السادة والفقهاء والمشائخ وغيرهم إلى شهارة قبل

(١) القمطر: ما يصفان فيه الكتب، والمقصود هنا أنه مكتبة علم.

(٢) هو: أحمد بن سعد الدين بن الحسين بن محمد بن علي المسوري (ت ١٠٧٩هـ/١٦٦٧م) قاضي، فقيه. قرأ على الإمام القاسم بن محمد وكان أحد كتبه، ثم اتصل بالإمام المؤيد بالله محمد، وصار أكثر الأمور منوطاً به، وشارك في الكثير من أمور الإمام التوكل على الله إسماعيل. (الشوكاني: البدر الطالع ٥٨٨؛ العمري: المؤرخون اليمنيون: ٤٨).

(٣) كان حاكماً بشهارة أيام الإمام المؤيد بالله محمد، فلما مات انتقل إلى بلاده خولان، وسيقت إليه واجباتها، وبها توفي في سنة (١٠٧٤هـ/١٦٦٤م). الجنداري: الجامع الوجيز (خ) ق: ١٤٧.

(٤) لم أجد له ترجمة.

(٥) لم أجد له ترجمة.

(٦) لم أجد له ترجمة.

(٧) هو: الحسين بن يحيى بن عبدالله بن الحسن بن يحيى، حنش، الشهاري (ت ١٠٩٤هـ/١٦٨٣م) قرأ على الحسن بن علي العبالي وصلاح الذنوبي. له حاشية على البحر الزخار. زيارة: ملحق البدر الطالع ٩١٢.

(٨) القيامة: ساقطة في (ب).

(٩) جبال الأهنوم: من جبال حجة وهي بالشمال منها. (الويسني: اليمن الكبرى: ١١٧).

الطفل^(١) آخر ذلك النهار، والبيعة مستمرة يقتلي الآخر بالأول، وكانت لبلاد شهارة والظواهر^(٢) والمغرب^(٣) إلى بلاد صعلة^(٤) وجهات المشرق نحو الشهر.

نعم! ولما فرغ مولانا أحمد من صلاة^(٥) المغرب وقد قام لجهاز الإمام - عليه السلام - من قام من الفضلاء، كسيدنا الفقيه [١/٢] العالم عز الدين محمد بن ناصر الغشمي^(٦) وغيره من الخواص، فبعث مولانا أحمد - أطل الله بقاءه - كتبه مضمونها الإعلام بوفاة الإمام - عليه السلام -، وما توجه عليه من القيام ووجه بها الرسل في الليل، وكان أولها إلى مولانا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - وإلى مولانا محمد بن^(٧) الحسن - أيده الله - ثم إلى سادتنا إلى صنعاء، ثم إلى صعلة ثم إلى كل جهة، وترى الطرق كلها سعاة، وسبحان مقلب القلوب، فإني أقسم بالله صريح قسم، لا صريح خط بقلم، ما رأيت كبيراً ولا صغيراً، ولا عالماً ولا متعلماً يقطع على تمامها أو يعتقد التزامها، أو لم يشرط عند طلبها ما لم يلزمه من أحكامها، إما ديني أودنيوي، وإنما يقول كل أحد ممن رأيناه عسى تنتظم بها أمور الناس، وتقرُّ بها الأمور

(١) كذا في الأصل. ولم نهتد إلى تحريجها.

(٢) الظواهر: الظاهر ضد الباطن وكل ما ارتفع من البلدان يسمى ظاهراً، والظواهر هنا: همدان، وبني صريم وظاهر الخويت. الحجري: ٥١٣/٢.

(٣) المغرب: بلاد لاعة في حجة وما إليها. (الحجري: ٧١٥/٢).

(٤) صعلة: مدينة مشهورة شمالي صنعاء، على مسافة (٢٢٠ كم)، وهي حاضرة محافظة صعلة. (الحجري: ٤٦٧/٢ - ٤٨٠؛ الأكوغ: هـ: البلدان اليمنية: ١٧٥).

(٥) رسمها في الأصل رسم قرآني: (الصلوة) ولن نشير إلى ما يقع من مثلها.

(٦) لم أجد له ترجمة.

(٧) هو: محمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد (١٠١٠هـ - ١٠٧٩هـ/١٦٠١ - ١٦٦٨م)، قرأ على أحمد بن يحيى حابس وصديق بن رسام، كان مهيب الجانب، شديد الوطأة، ملاحظاً لجانب العلم والعلماء، وكما هو واضح في السيرة فهو أحد قادة القسوات الإمامية، اعتمد عليه الإمام المتوكل على الله إسماعيل في الكثير من أموره، تولى على جميع اليمن الأسفل (إب، تعز). توفي في الروضة، ودفن فيها. (الشوكاني: البدر الطالع: ١٥٩٢ - ١٦٠؛ جازم: تاريخ اليمن: ٢٣٧ - ٢٤٠).

على معهود الأساس، إلا أربعة من العيون المذكورين أظنهم والله أعلم قطعوا على التمام وأنها أنفع للإسلام والله أعلم.

ومن عجيب ما رأيت بعد صلاة المغرب وقد ملت إلى جنب جدار الإيوان، فقعدي إلى جنبي أحد العلماء المذكورين، فقلت له: يا سيدي قد ورد أن بعض أهل الكتاب الأول قال: ما كنتم يا معشر العرب إذا هلك أمير تأمرتم بآخركم ما زلتم بخير رواه العامري عن مسلم، فقال لي: وا عجبا لك ترى هذا الأمر يتم؟ فقلت: وكيف ذلك؟ فقال: لا يأتي جواب بتمام من جميع البلاد أو ما ترى الحاضرين ومقالمهم فكيف بمن غاب! ولكن والتفت إلى مولانا أحمد، وقال: الله يعينه، الله يلاطفه فقد وقع في ورطة! أو كما قال. ثم قال أيضاً: إذا جعل له لقباً، فليقل المفوض إلى الله! وهو حينئذ (لم يكن قد كتب) ^(١) اسمه في قليل أو كثير، فكان كما قال: من خرج من شهارة ما عاد إليها!

[دعوة المتوكل على الله إسماعيل] ^(٢)

ثم وصل الخبر بدعوة مولانا أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وخليفة الصادق الأمين، المتوكل على الله العزيز الرحيم، إسماعيل بن أمير المؤمنين -أيده الله تعالى- أمين.

فازداد ذلك وتقوى الخلف كذلك، وظهر من الجمهور ما أضمره وكثر، حتى لم يبق في شهارة المحروسة بالله تعالى إلا من لم يجد سبيلاً إلى الخروج إما رهبة أو حياءً من اسم الهرب.

وصار من في شهارة المحروسة بالله إلى اجابة مولانا-أيده الله تعالى- متفقين

(١) ما بين القوسين في الأصل: (لم قد كتب) وهو لحن قومناه.

(٢) ما بين المعقوفتين عنوان أضفنه من لدينا.

الكلمة، وإنما اختلفوا في كيفية المخرج، وكان كل أحد يستدني صديقه أو أصدقاؤه ولا هم له ولا لهم إلا الخلاص، ثم استوحش منهم مولانا أحمد^(١) فازدادوا نفوراً، وامتنع الأكثرون من نائله^(٢) إما استقلالاً وإما شكاً، وقد صار معظم عسكره في صنعاء المحروسة بالله. وقد أمد من أجابه بالمال، وأما الرجال فلم يقف أحد على رأيه [٢/ب] وكان ما سيأتي إن شاء الله تعالى، والدخول في هذه البيعة والخروج منها لم أر أحداً رجع فيهما إلى الشرع أو إلى فتوى عالم، وإنما الناس يدخلون كما تقدم ويخرجون كذلك.

نعم! فقد حصل من سيق هذه المقلمة صفة بيعة مولانا صفى الدين^(٣) - أطل الله بقاءه - ودعوة مولانا أمير المؤمنين - أطل الله بقاءه - وكان مولانا الإمام - عليه السلام - في حصن ضوران^(٤) المحروس بالله، بعد أن طلع من تعز العدنية^(٥) وجهاتها ومولانا عز الإسلام محمد بن الحسن - أطل الله بقاءه - في محروس مدينة إب^(٦) فأما الإمام - عليه السلام - فإنه لما وصله الخبر بوفاة الإمام [المؤيد]^(٧) - عليه السلام - عقيب الزوال من يوم الأحد سلخ^(٨) رجب

(١) هو: أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد، الإمام المهدي (١٠٢٩-١٠٩٢هـ/١٦١٩-١٦٨١م). كان من كبار القواد لقوات الإمام المتوكل على الله، وكما هو واضح من خلال أحداث السيرة، تم على يديه ضم العديد من المدن (عدن، لحج، أبين، حضرموت) تحت سيطرة الإمام المتوكل واستمر قائماً بها حتى مات بالفراس، ودفن بمشهدته المشهور فيها. (الشوكاني: ٤٣١-٤٤٤).

(٢) نايله: عطايله.

(٣) صفى لقب من اسمه (أحمد) ويضاف للتبجيل (الدين) فيصبح (صفى الدين)، والمقصود هنا أحمد بن الحسن.

(٤) ضوران: جبل كبير في أنس ويدعى أيضاً الداغ، وفي سفحه الشمالي تقع مدينة ضوران المشهورة وقد تهلمت بفعل زلزال في (٢٧ صفر ١٤٠٣هـ/١٣ يناير ١٩٨٢م). الحجري: ٥٥٤/٢.

(٥) عدني: جنوبي، وعكسها الشام (شمال).

(٦) إب: إحدى محافظات الجمهورية اليمنية يحدّها من الشمال محافظة صنعاء، ومن الجنوب محافظة تعز، ومن الشرق وصاب وحيس. الويسي: اليمن الكبرى: ٦٠.

(٧) ما بين المعقوفتين أضفناه للإيضاح.

(٨) سلخ: آخر الشهر. (المنجد: ٤٦٧).

الأصب، أو غرة شعبان عام أربع وخمسين وألف [١٦٤٤م] عظم عليه الخطب، وحل لديه الكرب، فدخل منزله وخلى^(١) بنفسه، وطلق^(٢) ينظر في أمره وقد رأى^(٣) أن دعوة صنوه^(٤) الصفي غير راجعة إلى شرائط^(٥) الإمامة المعتبرة، وإنما مركزها النظر في الحادثة، وعظم عليه الشقاق والوفاق وأن الإمامة من أصول^(٦) الدين واستمرار التكليف بها إلى يوم الدين، ولا عذر عن التزامها لجميع المكلفين. فقام لذلك وقعد وأتهم وأنجد وحلّ وعقد، وقد اجتمع إليه العيون من العلماء الفضلاء، منهم سيدنا القاضي العلامة الحبر^(٧) وحسنة الدهر صارم الدين إبراهيم بن حسن العيزري الأهنومي^(٨)، والقاضي العالم المحقق عز الدين محمد بن صلاح السلامي^(٩)، والقاضي العلامة صلاح الدين صلاح بن علي الوشاح^(١٠) الحاكم الأنسي^(١١)، وغيرهم، فنصوا عليه، ووجهوا أمر الخلافة إليه، وسيأتي إن شاء الله تعالى الدليل على استحقاقه المقام بما هو كالضياء^(١٢) من الظلام، والله الموفق والسدّد.

(١) في الأصل، وبقية النسخ: (خلا).

(٢) طفق: ابتدأ وأخذ. المنجد: ٤٦٧.

(٣) في الأصل: (را).

(٤) الصنو: الأخ.

(٥) شروط الإمامة في (المنهب الزيلعي) أربعة عشر شرطاً منها: أن يكون صاحبها مكلفاً، ذكراً، علويّاً، فاطميّاً، سليم الحواس والأطراف، مجتهداً عادلاً، كريماً.

(٦) في الأصل: (أصل).

(٧) الحبر: العالم الصالح. (القاموس المحيط: ٢١٢).

(٨) هو: إبراهيم بن الحسن بن سعيد بن محمد العياني، العيزري، صارم الدين (ت ١٠٧١هـ)، قاضي عالم، تولى القضاء والكتابة للإمام المتوكل على الله إسماعيل. توفي في مدينة صنعاء ودفن في مقبرة خزيمية. (زيارة: ملحقات البدر الطالع: ٤٢).

(٩) هو: محمد بن صلاح بن سعيد بن القاسم، السلامي، الأنسي، عز الدين (ت ١٠٦٣هـ/١٦٥٢م) برع في علم الكلام، ويعد من أعيان دولة الإمام المتوكل على الله إسماعيل. (الجندي: الجامع الوجيز (خ) ق: ١٤٣؛ زيارة: ٢٠١/٢).

(١٠) لم أجد له ترجمة.

(١١) المقصود: قاضي بلاد آنس.

(١٢) في الأصل: (كالضياء) على عادة الناسخ في عدم كتابة الهمزة، ولن نشير إلى ما يقع من مثلها.

[دعوة محمد بن الحسن]^(١)

وأما مولاي العزي^(٢) محمد بن الحسن - حفظه الله تعالى - فإنه لما بلغه وفاة الإمام - عليه السلام -، ودعوة عمه الصفي كما تقدم اجتمع إليه عيون من السادة والفقهاء، فعولوا عليه بالقيام^(٣) فأجابهم وأنشأ دعوة مشروطة، لعلها في يوم الإثنين ثاني شهر شعبان، إن لم تتقدمه [دعوة]^(٤) أولى ونأتي بها إن شاء الله عند ذكر تعارض الدعوات.

وأما صعلة المحروسة بالله تعالى وجهاتها فإن السيد العلامة صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين المؤيدي^(٥) لما بلغه وفاة الإمام - عليه السلام - أنشأ دعوة في العشة^(٦) من أعمال الحقل^(٧) وحضرها جماعة من الفضلاء، ونأتي بها إن شاء الله كما تقدم.

فحصل من هذا أن الدعوة أربعة في قطر واحد ومذهب واحد وبصحة إمامة مولانا أمير المؤمنين وسيد المسلمين، وخليفة كتاب رب العالمين، ورسوله الأمين المتوكل [١/٣] على الله العزيز الرحيم، يعرف الحق ويظهر الصديق:

وكيف يصح في الأفهام شيء

إذا احتاج النهار إلى دليل

(١) ما بين المعقوفتين أضفناه من لدينا، على علة الناسخ.

(٢) العزي: لقب من اسمه محمد.

(٣) إعلان نفسه إمام.

(٤) ما بين المعقوفتين أضفناه للإيضاح.

(٥) هو: إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين بن علي بن الحسين، الحسيني المؤيدي، صارم الدين

(ت ١٠٨٣/هـ ١٦٧٢م)، فقيه عالم، قرأ على صلاح بن أحمد المهدي. له عدد من المؤلفات منها: (الروض

الحافل شرح الكافل) توفي ببلدة العشة بالقرب من مدينة صعلة، ودفن فيها. (زيارة: ٩٢-١٠٠؛

الجنداري: الجامع الوجيز (خ) ق: ١٥١؛ الحيشي: مصادر الفكر الإسلامي: ١٦٣).

(٦) العشة: قرية من سحار وأعمال صعلة (الحجري: ٦٠٥/٢).

(٧) الحقل: هو القاع الواسع، والمقصود هنا حقل صعلة. (الحجري: ٢٧٧/١؛ الأكوغ: هذا البلدان

اليمانية: ١٠١).

فصل: والدليل على إمامة مولانا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - استكمال شرائطها^(١) بالإتفاق من أهل عصره، وعن تقدمه وتأخر عنه من الدعاة، فإن من تقدمه مولانا أحمد ومولانا إبراهيم فعذرهما عدم علمهما بدعوته الجامعة وإمامته النافعة، وللحادثة^(٢) وتباعد المسافة، ومعنى إجتماعهما على إمامته أنهما لم ينفياها لنقص فيه، وإنما حجة كل واحد منهما التقدم عليه، وتنقطع حجتهما بما سيأتي إن شاء الله تعالى، فحصل الإجماع فيه منهما والخلاف فيهما منه ومن غيره والله أعلم.

والتأخر عنه مولانا عز الدين محمد^(٣) - أطال الله بقاءه - فإن دعوته مشروطة كما تقدم، فلما نظر وأجال الفكر، وقدم وأخر عرف الحق الأبلج، ولم يجد عند الله سبحانه وتعالى عن المبايعة المخرج، وهذا هو الذي صرح به أهل المذهب بلا عوج، إن للناظر ينظر في اجابة الإمام ولو طال لتبين له المنهج. كما روي عن أمير المؤمنين زيد بن علي - صلوات الله عليه - أنه قال: (البصيرة البصيرة ثم الجهاد)، فلما لزمته الحجة واستبانة المحجة^(٤) قام وشمر وأوى^(٥) ونصر، وشن الغارات بالفجاج^(٦) الأكبر، وكان ما سيأتي إن شاء الله تعالى، فحينئذ قام الإجماع بدليلها وكفى به هادياً، وعلى صحتها منادياً.

وأما ما سيأتي من أيام خدار وثلا وما يتعلق بهما من ذي الأذى^(٧) فإن ذلك لم يكن لتناهب وتغالبا^(٨) وإنما ساقها حكمة إلهية، وآية سماوية، يعلم ذلك من

(١) أي شروط الإمامة.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) محمد بن الحسن.

(٤) المحجة: جافة الطريق. (المنجد: ١١٨).

(٥) وأوى: رقى له ورجحه. (المنجد: ٢٢).

(٦) الفجاج: الطريق الواسع بين جبلين. (القاموس: ٢٠٨).

(٧) في الأصل: (الأذى) كما جرى عليه النسخ، ولن نشير إلى ما يقع من مثلها.

(٨) تغالب: قهر. (المنجد: ٥٥٦).

شهدها أو صلَّق شاهدها، رحمة من الله لعباده - ونعمة منه على بلاده، وسنرى في سياقها آية ذلك إعلاناً، وليس الخبر كالعيان^(١)، فصح بهذه الجملة ما قلناه من الإجماع على إمامته - عليه السلام - التي يمكن الدليل عليها من الكتاب والسنة والإجماع، بما يستدل على إمامة أمير المؤمنين زيد بن علي - صلوات الله عليه - ومن بعده من الأئمة كما هو مذكور في مواضعه من كتب أئمتنا - عليهم السلام - وشيعتهم - رضي الله عنهم - ونزيد إلى ذلك ترجيحات، ولما تقدم مؤكدات، وهي مما يُحتج بها على السيد صارم الدين^(٢) كما سنرى إن شاء الله تعالى في الرد عليه وهي كثيرة، ونذكر منها ما أمكن إن شاء الله تعالى.

[علمه وفطنته]^(٣)

الأولى: ما زاده الله من سعة العلم، لا سيما الفقه الذي المدار عليه^(٤) والمرجوع إليه، فإن كل فقيه من أهل العصر قطع بتحقيقه فيه وكفى دليلاً على صدقهم ما يراه المتأمل والسائل، إن الجواب في مذهبه وحكاية غيره كأئمة هو في راحة يسه اليمين، أو في طبق من صين^(٥) وقد صرح بذلك الإمام الهادي^(٦) - صلوات الله عليه - وغيره أنه من المرجحات.

الثانية: جودة الفهم والذكاء والفطنة، فلم أر - وأجلى الأمور المشاهدة - مثله، وكذا سمعت كثيرين يذكرون ذلك، أمّا في العلم وما يتعلق به فظاهر،

(١) كالعيان: كالشاهدة.

(٢) إبراهيم المؤيدي.

(٣) ما بين المعقوفتين من لدينا.

(٤) المدار عليه: ما يجري عليه غالباً. (المنجد: ٢٢٨).

(٥) طبق من صين: طبق يُتخذ لتقديم الشيء عليه، وهي الأنية النسوية لى بلاد الصين. (المنجد: ٤٤٣).

(٦) وهو: يحيى بن الحسين بن القاسم، الرسي (٢٤٥-٢٩٨/١٨٥٩-٩١م) عالم، قرأ على أبيه الحسين بن القاسم، وعمه الحسن بن القاسم، مؤسس المذهب الزيدي في اليمن، وتاريخ الهادي ملئ بالحوادث العظام، وله العديد من المؤلفات منها: (كتاب الإمامة، كتاب العملة). (الحيشي: مصادر الفكر الإسلامي: ٥٠٦-٥١٨).

وأما في فصل الخصومات [٣/ب]، أو المواعظ النافعات، أو الكلام الذي يتعلق بالبيان والتعليمات، فكأنه لا يعرف شيئاً منه قبل الكلام فيه، فإذا التفت إلى باب منه فكأنما أطل على حقيقته وشاهد كنهه^(١) دخيلته^(٢) وكأنما يعرف ذلك من بحر، ولا يتكرر شيء من درر كلامه كما يجري لكثير من غيره، ولقد عرفته قبل الدخول في الإمامة، وهو لا يعرف كثيراً من أحوال الناس لما كان عليه من الخلو بالعلم، والشغف به، وكان لا يخالط غير أهله، ولا يأنس إلى سواه في نهاره وليله.

ولما حضرت معه في بعض المجالس في يوم المظالم^(٣) في الشهر الثالث أو الرابع من دعوته فكأنما شاهدت غير من عرفت، وأقسم بالله إنني تأملتة فإذا هو خلاف ما عهدته من جميع أحواله، وأنه فصل خمس خصومات في خمسة مقابيل^(٤) في كل قيل دعوى وبينه لقوم آخرين مع غير ذلك مما عرض في ذلك المجلس من وافد وسائل^(٥) ومسلم^(٦) وهذه الزيادة هي أعظم ترجيح، وقد ذكرها علمائنا، حتى قال بعضهم لم يشترط السلف مع الورع غيرها.

الثالثة: الرفق بالرعية والتواضع لضعفاء الأمة المحمدية، والتحنن^(٧) عليهم، وإيثارهم غالباً على كثير من أغراضه وأغراض خاصته ما شاهد الحال يغني عن السؤال، والوصف يقبح للمحسوس بالبصر.

ورابعها: وهو ما سيأتي في الحجّة على ترجيح إمامته على السيد إبراهيم

(١) كنه: جوهر الشيء وأصله وغايته. (القاموس المحيط: ٢٩٣/٤).

(٢) دخيلته: مذهبه وجميع أمره. (القاموس: ٢٨٧٣)..

(٣) يوم المظالم: اليوم التي تقدم فيه الشكاوي.

(٤) مقابيل: جلسات تناول القات.

(٥) سائل: طالب الحاجة.

(٦) مسلم: قادم للسلام والتحية.

(٧) التحنن: العطف عليهم.

وهي وجود الناصر، فإنه لم يحصل لأحدٍ من الأئمة - عليهم السلام - ما حصل له - عليه السلام -^(١) مع هذا الاختلاف من إقبال القلوب إليه من كل قريب وبعيد، مع أن غالب الأئمة - عليهم السلام - إذا قام الإمام بعد الإمام كثر عليه الاختلاف وقل الائتلاف، لغنى^(٢) أهل الدنيا عنه بما في أيديهم، ولتفرغ كثير ممن يدعي العلم للتعليل بالقوادح^(٣) عليهم كما ترى في كثير من أحوال الماضين، وهي كثيرة وهو - عليه السلام - لم يلق أحد دعوته بغير القبول، وتكاثرت نذوره فكانت أكثر من نذور أبيه وأخيه مع كثرتها - سلام الله عليهم أجمعين - وفي كل عام بل شهر بل يوم زيادة والحمد لله رب العالمين.

ويكفي دليلاً لهذه الجملة أنه دعا ولم يكن عنده إلا دون المائة الرجل تفرقوا رسلاً.

وأما رتبة الحصن^(٤) المحروس بالله، فإنهم اشتغلوا به كما سيأتي إن شاء الله تعالى، مما أخبرني من شهد ذلك أنه كان يسود خطوط الدعوة على ضرب من الاختصار، وكان كل من حضر مجلسه يسود لنفسه ويأتي إلى الإمام فيعلم عليها^(٥) فما كان ثاني شهر أو ثالثه إلا وقد جمع الله له اليمن من مكة إلى عدن، وقد صارت عساكره وخيله لا تكاد تنحصر، فهل المراد بكلام أهل المذهب لم يتقدمه مجاب عبارة (الأزهار)^(٦) أو أنهض منه [٤/أ] كعبارة (الأثمار) أو أكمل كعبارة (الفتح الغفار) غير هذا مع غير ذلك من الترجيحات، مما قصر الفهم عن إدراكه وكلّ الوهم لضعف التصرف في جوامع ملاكه، وأعلم أن الله سبحانه وتعالى ألقى في قلوب المسلمين لمولانا أمير المؤمنين الميل الشديد

(١) في الأصل وبقية النسخ: (عليهم).

(٢) في الأصل: (لغنا) على عادة الناسخ.

(٣) القوادح: النقص والإعابة في الشيء (المنجد: ٦١١).

(٤) رتبة الحصن: فرقة عسكرية، والحصن هنا هو حصن صوران (المدينة).

(٥) يُعلم عليها: يضع ختمه عليها أو يوقع.

(٦) وهو كتاب (الأزهار في فقه الأئمة الأطهار) للإمام أحمد بن يحيى المرتضى.

والحب الأكيد، والأمل الصالح، والفضل الراجح، غير أنهم ربما يرون في أيام دعوته الميمونة أنه - عليه السلام - لا يقوى على هذا التكليف العظيم، والفرض الواجب العميم، لما عليه الناس من الاختلاف، وذلك أنه - عليه السلام - في أيام أخيه مولانا أمير المؤمنين المؤيد بالله^(١) لا يعرف أحوال الناس لاشتغاله بالطلب والإكباب عليه سمرًا وسحرًا، وأصائلًا وبكرًا، فلما صار الأمر إليه، ودارت حوائج الإسلام عليه زاده الله في هذا الشأن، ما ظهر لأهل الإيمان وفاق به الأقران، وأن الله سبحانه وتعالى ألقى عليه الهيبة والجلالة، والقدرة في كل حالة على القيام بهذا الفرض العظيم والتكليف الجسيم، بما لا يقال له فيه قرين، ولا ما يقرب منه في أمر الدنيا والدين، فإنه - عليه السلام - يلي أكثر الأعمال بنفسه الشريفة، ويباشرها بيده الكريمة حتى في نفقات الوافدين من الأمراء والسلاطين، والفقراء والمساكين، على ضرب من التفضيل. مما أخبرني الثقة ممن شهد ذلك أنه - عليه السلام - ظن في مخازن بيت المال تقصيراً فقصد المَخْزَنَ^(٢) وأمر بالصرف في الناس حتى أتى على آخرهم، ومن ذلك أن غالب خزائن بيت المال وصرفها بيده وأن ما يوجه أسماء المعينين إلى خازن معين، ولم يكن في يسره غير ما أعطاه - عليه السلام - وعينه.

ومما سمعت من حي القاضي الخبير في القضاء، الألمي^(٣) في الاستنباط والإمضاء، عبدالهادي بن أحمد الثلاثي^(٤) المعروف بالحسوسة - رحمه الله -، وقد سمع من بعض الأصحاب الخوض في التفضيل كما يحصل في المجالس من

(١) الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم.

(٢) في الأصل وبقية النسخ: (مخزان)، والمخزن: المكان الذي تحفظ فيه الحبوب.

(٣) الألمي: الذكي المتوقد (القاموس: ٨٥/٣).

(٤) هو عبد الهادي بن أحمد بن محمد بن الحسن، الثلاثي، المعروف بالحسوسة (ت ١٠٤٨هـ/١٦٣٧م).

قاضي، فقيه، عالم أصولي، قرأ على عبد الرحمن بن عبدالله الخيمي، ولي القضاء بصنعاء، كان يحفظ مجموعات القاسم والهادي وغيرهما من الأئمة وتبليها عن ظهر قلب توفي في ثلث.

(الشوكاني: البدر الطالع: ٤٠٥/١).

القل والقييل، إن قال: اعلموا يا أصحاب أن الأمور إلى الله سبحانه، والخيرة بيده، فلا يستعظم الكبير، ولا يُستحقر الحقير، فإن الأمر لله العلي الكبير، أو لا ترون أن الإمام الشهيد أحمد بن الحسين^(١) - عليه السلام - اتفق أهل زمانه أنه أكثرهم علماً، وأرجحهم حِلماً، غير أن في سيرته ما يخالف الصواب، فهو لأجله غير فاضل [ولما علم الله سبحانه منه خلاف ما قالوا نشر فضله في الآفاق]^(٢) ومع ذلك يزداد إلى يوم التلاق حتى أنهم الآن لا يلحقون به أحداً من سبقه من الأئمة - عليهم السلام - ولا ممن لحقه، وكذا حي^(٣) الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى^(٤) - عليه السلام -، اتفق أهل زمانه على فضله وأنه السابق في محامده ونبله، غير أنه قاصر في فقهه، وإن كان عربياً مفسراً ومحدثاً، ونحو ذلك فنشر الله فقهه في الأرض، ورجع إليه أهل عصره ومن بعدهم [ب/٤] في السنة والفرض، أو كما قل - رحمه الله - وهذا الآتي من ذلك، فإن أهل عصر مولانا - عليه السلام - شهدوا له بكل فضيلة، وأنه المعصوم من كل رذيلة، إلا النهوض والعزيمة في المضاء^(٥) والزجر، فأظهر الله سبحانه وتعالى ما أغمضوه^(٦)، ونشر في الآفاق ما أنكروه، حتى فتح الله تعالى عليه

(١) هو أحمد بن الحسين، المكنى بأبي طير (٦١٢-٦٥٦هـ/١٢١٥-١٢٥٨م) دخل في صراع طويل مع سلاطين آل رسول الذين قوي نفوذهم في ذلك الوقت، توسع في نفوذه بعد معركة بيت نعلمة (٦٤٧هـ/١٢٤٩م) مع آل رسول. له عدد من المؤلفات: (المفيد الجامع لمنظومات غرائب الشرائع)، قتل في إحدى المعارك مع خصومه. (الحبشي: مصادر الفكر الإسلامي: ٥٤٨-٥٤٩).

(٢) ما بين المعقوفتين أضفناه من بعض النسخ.

(٣) حي: حيلة.

(٤) هو أحمد بن يحيى بن المرتضى، الحسيني، الإمام المهدي لدين الله (٧١٤-٧٤٠هـ/١٣٦٢-١٤٢٧م)، فقيه، مجتهد، عالم، دعا لنفسه بالإمامة بصنعه في شوال ٧٩٣هـ/١٣٩١م عقب وفاة الإمام الناصر لدين الله، وبعد صراع دام نحو من عام مع الإمام علي بن الإمام الناصر، ألقى به في السجن بقصر صنعاء (٧٩٤-٨٠١هـ/١٣٩٢-١٣٩٨م)، وفي السجن ألف كتاب الأزهار، وله أيضاً مؤلفات كثيرة منها: (الغيث المدرار، البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار)، توفي بمرض الطاعون. (د/ العمري: مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني: ١٩٢-٢١٧؛ الشوكاني: ١٢٢٨، زيارة: أئمة اليمن: ٣٦٢-٣٢٠).

(٥) كذا في الأصل وبقية النسخ.

(٦) أغمضوه: اخفوه، وطمسوه.

الأرض ذات الطول والعرض، بما لم ينله أحد من الأئمة — عليهم السلام — فكم مخافة به أمنت، وكم مفازة خالية سكنت، وكم ظلامه^(١) رجعت، وكم شريعة به رفعت، وكم بدع به قطعت، والحمد لله على ما أعطى، والشكر والثناء على ما أولى.

[نسب الإمام المتوكل على الله إسماعيل]^(٢)

فصل: في ذكر نسبه الشريف، ومولده، ونشأته، وحليته، وخصايصه، وعلمه، وشجاعته، وورعه، وسخائه، وصبره، وشفقته على الأمة، ودعوته، وكراماته، ونبذ من رسائله في الإرشاد والدعا إلى الرشاد، التي أشار الله سبحانه إليها وحث عليها بقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٣) ويسير مما امتدحه أهل الإجماع من العلماء والشعراء وعيون^(٤) من عاصره من العلماء، ومن ولي منهم القضاء^(٥) وتعداد عماله^(٦) — عليه السلام — من العلماء الكملاء وعيون الكبراء.

أما نسبه الشريف فهو أظهر من الشمس وضحاها والقمر إذا تلاها، ونذكره تبركاً لا إظهاراً، ونرقمه لتدليه لا إخباراً! فهو أمير المؤمنين، وخليفة رسول رب العالمين، المتوكل على الله العزيز الرحيم: إسماعيل بن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد^(٧) بن علي بن محمد بن الرشيد بن أحمد بن

(١) ضلامة: ما كان من الظلم. (القلموس: ١٤٧/٤).

(٢) ما بين المعقوفتين عنوان أضفنه على طريقة النسخ.

(٣) الآية: (٧) من سورة الرعد، وبدايتها: ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾.

(٤) عيون: أكابر وعلية القوم.

(٥) في الأصل، وبقية النسخ: (القضى).

(٦) عماله: من يتولون أمور الدولة في النواحي.

(٧) راجع: (الشوكاني: ١٤٧-١٤٨)؛ الحبشي: ٦٢٠-٦٢٦.

الأمير الحسين بن علي بن يحيى بن محمد بن الإمام يوسف الأصغر الملقب بالأشل بن الإمام الداعي إلى الله القاسم بن الإمام الداعي إلى الله يوسف الأكبر بن الإمام يحيى المنصور بالله بن الإمام أحمد الناصر لدين الله بن الإمام يحيى الهادي إلى الحق بن الحسين الحافظ بن الإمام القاسم ترجمان الدين نجم آل الرسول بن إبراهيم الغمر طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشبه برسول الله صلى الله عليه بن الإمام الحسن الرضى المثنى بن الإمام الحسن السبط أمير المؤمنين بن علي أمير المؤمنين وسيد الوصيين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وأمه - عليها السلام - الشريفة الفاضلة الطاهرة، أم المساكين تقيّة، بنت شمس الدين بن الحسن الجحافي^(١) من أشرف حبور، وذرية الإمام القاسم بن علي العياني^(٢) - عليه السلام -.

مركز تحقيقات كميونير علوم إسلامي

[مولده]^(٣)

وأما مولده الشريف فإنه ولد في منتصف شعبان من عام تسع عشرة وألف في محروس شهارة - حرسها الله بالتقوى -.

وروي أن والده الإمام - عليه السلام - لما وصلته البشرية بمولده الشريف سرّاً كثيراً، وتناول المصحف الشريف وفتحته متبركاً به وليسأل الله سبحانه التوفيق إلى اسمه، فكان أول ما فتحه من المصحف الكريم [٥/١]

(١) انظر الحبشي: نساء يمنيات: ٤٤.

(٢) هو القاسم بن علي بن عبدالله، العياني، المنصور بالله ٣٦٠-٣٩٣هـ/٩٢٢-١٠٠٢م، دعا لنفسه بالإمامة في سنة ٣٨٨هـ/٩٧٧م، فلجأته إلى ذلك قبائل اليمن، له العديد من المؤلفات منها (كتاب الرد على الرافضة) وكتاب (التوحيد). (الجبشي: مصادر الفكر العربي: ٥٢٤-٥٢٥).

(٣) ما بين المعقوفين عنوان أضفناه على طريقة الناسخ.

قول الله عز وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾^(١) فسماه بذلك واستبشر به كثيراً، ثم ولد بعله شقيقه الفاضل إسحاق بن أمير المؤمنين - عادت^(٢) بركاتهما -، وهو المقبور في صرح مشهد أبيه، مات صغيراً وله من العمر [...]»^(٣)، وكان الإمام - عليه السلام - كثيراً ما يحمله [في صغره يعني مولانا - عليه السلام - ولقد رأيت حي والده - صلوات الله عليه - يأمر بحمله]^(٤) بين يديه وهو يجهز السرايا^(٥) والبعوث مع غيره من أبنائه وأبناء أبنائه، غير أنه كان أخصهم وأصغرهم سناً، فكان يضعه في حجره إذا دعا مع إرساله السرايا والغارات ويأمرهم بالتأمين على دعائه، ولذلك تراه يحفظ كثيراً من أفعال والده - عليهما السلام - وأقواله وهو في تلك السن، وإنما ذاك لفرط ذكائه.



مرکز تحقیقات کتب و تاریخ اسلام

[نشأته]^(٦)

وأما نشأته الطاهرة، فإنه معروف بالطهارة ومخايل^(٧) الفضل عليه ظاهرة.

مما أخبرني به - صلوات الله عليه - أنه أكل مع والده - عليهما السلام - طعاماً فوجد في المرق^(٨) عظماً من بقر، فيه شبه المغرفة فشرب بها مرقاً كما يفعل الصبيان وهو في ما دون أربع سنين فانتهره^(٩) الإمام - عليه السلام - وأخذ العظم ورمى به كراهة للتشبه بأهله.

(١) الآية: (٣٩) من سورة إبراهيم.

(٢) في الأصل، وبقية النسخ: (عاقبة).

(٣) بياض في الأصل وبقية النسخ.

(٤) ما بين المعقوفتين أضفناه من (ب).

(٥) السرايا: الجيوش.

(٦) ما بين المعقوفتين عنوان أضفناه على طريقة الناسخ.

(٧) مخايل: المظنة: ومنها ظهرت منها مخايل النجابة. (المنجد: ٧٠٢).

(٨) مرق: شربة اللحم، الماء الذي أغلي فيه اللحم فصار دماً. (المنجد: ٧٥٨).

(٩) فانتهره: زجره أي منعه ونهاه. (القاموس: ١٥٦٢).

قل - عليه السلام -: فبكيت، وقلت: فلم أما فلان، وذكر بعضهم قد رأته شرب كذلك؟ قال: ففعل الإمام - عليه السلام - بمن ذكرته ما منعه من ذلك فأنا إلى الآن والحمد لله والله ما أعلم أني أهويت^(١) بها إلى فمي أو كما قال.

[أوصاف الإمام المتوكل على الله]^(٢)

وأما حليته^(٣) - عليه السلام - فإنه معتدل القامة، أسمر اللون، مقرون الحاجب، عظيم^(٤) اللحية، أشعر^(٥) الذراعين، مسيح البطن، قوي الحركة، كثير التبسم، رقيق بالأصحاب، رحيم بالضعفاء، حسن الخلق والسمت، إذا قعد في العلماء كان لسانهم الناطقة، وكلمتهم الفارقة، داخل في أهل الدنيا لمعرفة لأحوالهم، خارج عنهم وعنهما لاعتزالها واعتزالهم:

تجاوز حد المدح حتى كأنه بأحسن ما يشي عليه يُعاب

وأما خصائصه فكأنه في جميع أحواله وأوقاته كالعبد الذليل بين يدي مالكة الجليل، عليه السكينة والوقار، لا يفتر لسانه عن ذكر الله، حتى إنه إذا تحدث مع خاص أو عام يحرك شفثيه بعد ذلك بذكر الله سبحانه، وغير ذلك مما يطول تعداده، ويعسر إيراده، ومن ذلك ما جبله الله سبحانه عليه من الوقار والمهابة، ويجري في مقامه الكريم اللُّغَط^(٦) والخصام والضنك والزحام، مع أجناس العوام^(٧) لما هم عليه من العي في الكلام، فقد يتكلم بعضهم بما يظهر منه الخطأ في الكلام، في حق الله جل وعلا [ه/ب] وحق الإمام، فيتأذى من ذلك

(١) أهويت: القيت.

(٢) ما بين المعقوفتين أضفناه على طريقة الناسخ.

(٣) حليته: صفته.

(٤) عظيم اللحية: كثيف اللحية.

(٥) أشعر الذراعين: كثير الشعر. (المنجد: ٣٩١).

(٦) اللُّغَط: أصوات مبهم لا تفهم. (القاموس: ٢٨٣/٢).

(٧) العوام: عامة الناس.

من بحضرتة من العلماء الأعلام، وربما يظهر منهم الاستنكار، وقد يضحك بعضهم لذلك وهو - عليه السلام - على أتم صفة الوقار، وأعلى منزلة في النظر والاستبصار، وتعداد ذلك يطول، ولا يقدر الحاكي لجلاله وشريف خلاله غاية المقول.

[علمه]^(١)

وأما علمه - عليه السلام - فالشهور من غير نزاع أن ذكره ملأ الرقاع والبقاع، فصار كما قل بعض أصحاب والله - عليه السلام - وقد ذكر علم أخيه مولانا أمير المؤمنين المؤيد بالله - عليه السلام -:

وعن علمه فاسأل إذا كنت جاهلاً تبتك عنه كبه والرسائل

[مؤلفات الإمام المتوكل على الله إسماعيل]^(٢)

ومن مصنفاته النافعة ما ظهر واشتهر، منها ما قل القاضي العلامة شمس الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجل^(٣) - أسعده الله - فاكتفينا بما ذكره - أيده الله تعالى - فقال: منها (العقيدة الصحيحة)^(٤) في علم الاعتقاد من غرر الكتب كل ما تضمنه مقتبس من كتاب الله تعالى ونحو ذلك النحو ليكون الخلاف بين المنازع له وبين ربه، فإنه ساحكى فيها عقيلة في الغالب إلا بلفظ الذكر

(١) ما بين المعقوفتين عنوان أضفنه على طريقة الناسخ.

(٢) ما بين المعقوفتين أضفنه من لدينا على طريقة الناسخ.

(٣) هو أحمد بن صالح بن محمد بن علي بن محمد بن سليمان، المعروف بأبي الرجل (١٠٢٩-١٠٩٢هـ)

قاضي عالم. قرأ على الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، ومحمد بن الحسن بن الإمام القاسم، برع

في كثير من المعارف، وله عدد من المؤلفات منها: (مطلع البدور ومجمع البحور). (الشوكاني: ٦٠٨-

٦١ العمري: مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني: ٢٨/د العمري: المؤرخون اليمنيون: ٤٧).

(٤) للإمام المتوكل على الله إسماعيل، العديد من المؤلفات، ذكرها الحبشي في كتابه (مصادر الفكر:

٦٢٣-٦٢٤). وانظرها في الملحق رقم (٢).

الحكيم، وشرحها بشرح مفيد من أعجب الكتب، وابتكر فيه أدلة في بعض المواضع مما ألهمه الله قاطعة للخصم، قرأت^(١) عليه مراراً في مواقف حافلة يحضرها الخصوم، ويتكلمون بما عرض وشرحها جماعة، منهم الفقيه الفاضل صالح بن داود الأنسي^(٢) وبعض أهل الاحساء، وبعض المصريين، وهو الشيخ حجازي، وبعض قضاة الفقهاء الشافعية^(٣)، واشتهرت في الأقطار في أسرع وقت.

ومن مصنفاته (المسائل المرتضة إلى جميع القضاة) فيها ما يعتمدونه في الأحكام، وفيها آداب أيضاً لهم.

وله حاشية لم تكمل على منهاج الإمام المهدي^(٤) - عليه السلام - في علم الأصول، وله من الرسائل ما يضيّق بذكره الكاغد^(٥) مع أنه في غاية الإتقان، من ذلك رسائله في الطلاق الثلاث متكررة مكرسة نقل فيها من وافق أهل البيت من فقهاء المذاهب الأربعة، وأبسطها الموجهة إلى القاضي عبدالقادر المحيرسي^(٦)، ومنها رسالة في المخابرة مبسطة، ورسالة في ابطال الدور، ورسالة في الخلع إذا كان العوض^(٧) من الغير، ورسائل على كلمات من الحديث، وقواعد مفرقة في أصول الفقه، وله رسائل مبسطة فيما يؤخذ من الجبايات، وفي إهدار ما وقع في أيام البغلة مكرسة أيضاً.

(١) في الأصل وبقيت النسخ: (قرنت).

(٢) هو صالح بن داود الأنسي، الحلقي (ت: ١٠٦٢هـ/١٦٥١م)، قاضي، عالم محقق. قرأ على أحمد بن علي الشامي، والإمام المتوكل على الله إسماعيل. له عدد من المؤلفات منها: (شرح العقيدة الصحيحة). توفي في قرية حدقة من بلاد أنس. (زيارة ملحق البدر الطالع: ١٠/٢؛ الجامع الوجيز - خ - ق ١٤٣).

(٣) كذا في الأصل: ولعلها الشافعية.

(٤) وهو الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى المرتضى. انظر (الحبشي: ٥٨٣).

(٥) الكاغد: القرطاس (الورق)، وهي كلمة فارسية. (المنجد: ٦٨٩).

(٦) هو عبدالقادر بن علي المحيرسي،/الزبيدي، الحيمي (ت: ١٠٧٧هـ/١٦٦٧م) قرأ على محمد بن عز الدين المفتي. له حاشية على شرح الأزهار. (الشوكاني: ٢٧٠)؛ الجندي: الجامع الوجيز - خ - ق ١٤٨، الحبشي: ٢٢٠-٢٢١).

(٧) وردت الرسالتان تحت عنوان واحد (رسالة الماير في ابطال الدور). راجع (الشوكاني: ١٤٧/١).

[شجاعته]^(١)

وأما شجاعته فشهد بها جماعة من مخالطيه، وأخبرني أيضاً من سمعها من حي الحاج المجاهد سيف الإسلام أحمد بن عواض الأسدي [٦/أ] - رحمه الله - وقد حج معه في عام اثنتين وأربعين [و ألف] فعرفها لموجبها في السفر الميمون وكغارته الهائلة إلى المشرق لاستدراك ولد أخيه مولانا الصفي - أيده الله - فإنه اقتحم مخاوف ومواضع لم يتصل بها من أهله غيره، مع قلة عسكره وذات يده^(٢). وهو في كلها واضح الجبين، قليل على الصبر عليه القرين.

ومن ذلك قيامه - عليه السلام - في عصابة يسيرة وقد حشدت عليه العساكر من صنعاء وشهارة وغيرهما، وأيضاً مع تفرق أصحابه وقتلهم؛ فخرج من الحصن المحروس في أنفار^(٣) للقاء تلك العساكر المتكاثرة، وغير ذلك مما يشهد له بالثبات.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی جمهوری اسلامی ایران

[ورعه]^(٤)

وأما ورعه الشحيح^(٥)، وتقشفه الصريح فمما لا يفتقر إلى بيان، ولا يختلف فيه اثنان، فإنه مشهور بترك كثير من المباحات والمعتادات بقدره يوجبها المقدور، وعزيمة لا يتعلق بها غبار الأمانى والغرور، وأبوابها غفيرة وأعدادها كثيرة.

قال القاضي المذكور ما لفظه: ومن عجائب عزماته ما أخبر به عن نفسه الكريمة، قال: لما أشدت الأمر بيننا وبين الصنو^(٦) أحمد أيام الدعوة وتوجهت

(١) ما بين المعرفتين عنوان أضفنه على طريقة النسخ.

(٢) ذات يده: ما ملكت يده. (المنجد: ٢٤٠).

(٣) أنفار: أشخاص.

(٤) ما بين المعرفتين عنوان أضفنه على طريقة النسخ.

(٥) كذا في الأصل، وبقيّة النسخ.

(٦) المقصود به أحمد بن القاسم.

جماهير العساكر إلى صنعاء ثم إلى خدار^(١) ونحوه، تأملت فقوي عزمي على أني أترك خليفة في الحصن المبارك، وأترك العساكر المتصادمة كما هي، وأتوجه من طريق الحيمة^(٢) ونحوها حتى لا يشعر الصنو أحمد إلا وأنا في جبال الأهنوم^(٣) ويكون العراك هنالك، فإني أعلم أن قلوبهم عندي فخرجت بما احتججه إلى سلحات ضوران فاتفقت بالسيد الجليل هاشم بن حازم^(٤)، ولم يكن دخل في البيعة فترثت عنده حتى صلح أمره وباع ثم تجدد من الأنظار ما هو أرجح، وقل القاضي المذكور^(٥) [أيده الله]^(٦): من ورعه - عليه السلام - أني كنت عنده في شناضة من أعمال جهران^(٧) فأخذ الجند في الرمي بالبنادق وشاركهم - عليه السلام -، فأعطاه بعض الجند بندقاً من أحسن البنادق، فمنع أن يرمي بها فسألته، فقل: هذه البندق أرسلها القاضي الحسن بن علي الأكوغ^(٨) وأظن بعضها من آداب^(٩) وبعضها من زكاة.

ومن ذلك أن السيد الحسن بن المنتصر الهادي عامله على بلاد الحرجة اشترى له جارية بستين قرشاً منها خمسون دفعها من نذر قبضه للإمام، وعشرة اقترضها من الزكاة، فلما وصلت إلى الإمام - عليه السلام - ودخلت إلى بيته، أخبره بذلك فتعب الإمام كثيراً، وقال لي: هذا السيد ما أحسن في تصرفه،

(١) خدار: قرية مشهورة من بلاد الروس جنوبي صنعاء تبعد عنها (٤٥) كم. (الحجري: ٣٠٥/١).
(٢) الحيمة: نلحيتان من بلاد حراز (الحيمة الداخلة والحيمة والخارجية) تقعان إلى الغرب من صنعاء. (الحجري: ٣٠٢/١).

(٣) الأهنوم: ناحية تقع إلى الشمال الغربي من صنعاء وتبعد عنها حوالي ١٤٠ كم تقريباً. (الحجري: ٩٥١/١).
(٤) كان له تعلق بالعلم وأهله، توفى في سنة ١٠٥٤هـ/١٦٤٤م. ودفن في بلدة زبيد (جازم: تاريخ اليمن: ١٠٦).

(٥) هو القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجل.

(٦) ما بين المعقوفتين، أضفته من (ب).

(٧) جهران: حقل واسع فيه قرى عديدة ومزارع كثيرة، وهو ناحية مركزها معبر من أعمال آنس، تقع شمال نمار على مسافة ١٥ كم. (الحجري: ٢٠١/١، الأكوغ: هـ البلد اليمانية ٨٥).

(٨) هو الحسن بن علي بن صلاح بن سليمان الأكوغ (٩٦٠-١٠٢٤هـ/١٥٥٢-١٦١٥م) قاضي ورع. كان أحد أجواد الزمان. (زيارة: ٧٤/٣).

(٩) آداب: غرامة مالية تفرض على من يقوم بأعمال فوضى وعمرد.

ولقد والله تخرجت عن النظر إليها، فهل عندك مصرف للزكاة؟ قلت: نعم. فقال: أطلبه الآن يخرجها من بيتي، فطلبت بعض الفقهاء، فخرجت إلى بيت الفقيه المذكور ووهب له جارية ومن ثمنها خمسون [٦/ب] قرشاً من النذر كما ذكرنا، وسيظهر كثير من ذلك في أثناء السيرة والله الهادي.

[تدبيره]^(١)

وأما تدبيره النافع فلا أعظم وأجلى المعلومات المشاهدة الإعتراض عليه من ذوي الحنكة والتدبير في تدبيره ولا جرى للمعترض لسان في تهجين^(٢) أموره مع كثرة من يريد ذلك، وهذه النبذة كافية والله أعلم.

وأما سخاؤه فأظهر من الملوان^(٣)، وما لا يختلف فيه إنس ولا جان، ومن عرف سير الأئمة - عليهم السلام - وجده سابقاً لكثير منهم - صلوات الله عليهم - فما أحقه بما قيل في جده أمير المؤمنين - عليه السلام -:

أمواله للسائلين غنيمته وله بأخذهم لها استغنام

وما قيل في مثله من الأئمة - صلوات الله عليهم -:

سألت عنه فقالوا ليس تتلمسه إلا بأمرين مشهورين فأعترف

سخاء كف وإن لم يسق باقية وبذل روح ولو أدى إلى التلف

ونذكر طرفاً مما يدل على ما وراه من ذلك أن صاحب البصرة حصل بينه وبين أخ له يسمى فتحى باشا من ملوك العجم اختلاف فوصل إلى الإمام - عليه السلام - في عام إحدى وستين أو اثنتين [وآلف]^(٤) [١٦٥٠م]^(٥) ويريد

(١) ما بين المعقوفتين أضفناه من لدينا على طريقة النسخ.

(٢) تهجين: العيب في الأمور. (المنجد: ٨٥٦).

(٣) الملوان: الليل والنهار.

(٤) ما بين المعقوفتين أضفناه للإيضاح.

(٥) ما بين المعقوفتين أضفناه للإيضاح، وسبق أن أشرنا إلى ذلك في منهج التحقيق ولن نشره إلى ما سيأتي.

العود إلى ديار الروم لمنازعة أخيه فأعطه - عليه السلام - مالا يضبطه الواصفون بعدد من ذلك أن حي السيد العلامة محمد بن أحمد بن أمير المؤمنين - رحمه الله - أرسل من المناء^(١) إلى الإمام - عليه السلام - بنفائس من جميع الأجناس التي لا يقدر الحاكي تقديرها ولا قيمتها، فأرسلها الإمام - عليه السلام - (بحوالفها وخواتمها)^(٢) لهذا الباشا في ساعة واحدة، فقال حي السيد - رحمه الله - : إنا جمعناها في كذا سنين، وخرجت لهذا في وقت واحد.

[وقال] القاضي المذكور - أيده الله - : ومن عجيب ما رأيت من عطائه أنه وفد إليه الشريف عمار بن الشريف بركات الحسيني المكي فأعطه ما يشق ذكره في هذا المقام فأخبرني من لفظه - حفظه الله - أن فيها ثلاثين خلعة لا يعرف لها اسم إلا أنها من تحف الملوك، وأعطه نقداً ثلاثة آلاف قرش، ومن الخيل عدد كبير من جعلتها حصان من مراكيبه - عليه السلام - .



مرکز تحقیق ونگارش اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

[كرمه]^(٣)

ومن كرمه ما أخبرني به سيدي العلامة إبراهيم بن محمد المؤيدي بصنعاء، قال: وصلت إليه، وقلت له: قد وفد معي من الضعفاء والأشراف من رأيت، وأنا أستحيي من إتعابكم في السؤال لهم مع عزمي أنني لا أذكر شيئاً مما يحصل، فقال له الإمام - حفظه الله - : يا صنو إبراهيم هذا مال ليس لي ولا لك إنما هو للمسلمين، فإذا عرفت استحقاق أحد فيك مثل يدي قد فوضتك، قال: فأعطيته الرقاع^(٤) فكان جملة ما علم فيه ثمانية آلاف حرف. انتهى.

وأما الوفود من جميع الجهات عموماً وملوك المشرق خصوصاً فما لا يحيط به الوصف، ولا يتمكن جامعهم من الرصف [١/٧] أخبرني

(١) المخذل: ميناء معروف على ساحل البحر الأحمر غربي تنز، يبعد عنها حوالي ١٠٠ كم (الحجري: ٦٩٤-٦٩٧).
 (٢) ما بين القوسين يقصد به: من أولها إلى آخرها كما يفهم من سياق النص.
 (٣) ما بين المعقوفين عنوان من الحاشية.
 (٤) الرقاع: الأوراق.

الوالد الحسين - أسعده الله - أنه سمع من السلطان بدر بن عبدالله^(١) صاحب حضرموت^(٢) الآتي ذكره وقد حدث بعض العيون أنه حسب ما صار إليه في ليلة العيد من الإمام - عليه السلام - ولمن يتعلق به فكانت قيمته كخراج حضرموت في عام واحد، ومن ذلك أنه قل ما يعود بشيء من ثيابه في كل يوم وإنما يهبها إما ابتداءً، وإما لذوي السؤال الملح والوجه الكلح^(٣) وإنسي سألته عن صحة صلاة من يفعل ذلك فإنه ربما يأخذ كسوته من لا يعتاد لبس مثلها ولا حالة له. وقلت: إنما ذلك من شدة الحياء وما أخذ بمثله فذلك المحرم، فقال: مقسماً بالله لا يجد في نفسه من ذلك شيئاً أو كما قال. وكم عسى أن أذكر مما شاهده العيان من الإنس والجان ولكني أزيد على ذلك اليسير أمرين:

أحدهما: ما تحمله من المشاق وأخرجه من الأموال مما لا يحصى ولا يقال له جامع فيطاق، منها ما أخرجه من الأموال والخيل والجمال، وما يلحق بذلك مما لا يحصيه إلا الله ذو الجلال في فتح حضرموت وما والاها، وأنه لما ملكها بعد ذلك وهبها للسلطان بدر بن عمر^(٤) الذي لجأ إليه. وكان من أسباب ما كان ما وقع عليه مما هو مذكور كما سيأتي إن شاء الله تعالى فإنما مثل هذه الواقعة إلا ما يروى عن يوسف الصديق - صلوات الله عليه - في إرجاع ملك مصر لملكها بعد حين، ورده على أهلها أثمان ما أكلوه في السبع السنين.

(١) هو بدر بن عبدالله بن عمر بن بدر بن أبي طويرق، تولى الحكم بالقوة بعد أن قبض على عمه السلطان بدر بن عمر. توفى سنة ١٠٧٥هـ/١٦٦٤م بسيون. (هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية: ٧٤-٨٣).

(٢) حضرموت: إحدى محافظات الجمهورية اليمنية، تشمل مدناً عديدة منها (المكلا، الشحر، دوعن، تريم، شبام). تقع إلى الشرق من عدن بحوالي ١٠٠٠ كم منها. (الحجري: ٢٦٣-٢٦٧؛ الأكو، ه: البلدان اليمنية: ٩٧-١٠٠).

(٣) الوجه الكلح: وجه عيس. (القلموس: ١/٢٥٤).

(٤) هو بدر بن عمر بن بدر بن أبي طويرق، الكثيري. (ت ١٠٧٣هـ/١٦٦٢م) تولى سلطنة حضرموت بعد وفاة والده سنة (١٠٤٥هـ/٦٣٥م)، كان على جانب عظيم من الدهاء وبعد النظر، توفى في المدينة المنورة (باوزير، سعيد عوض: صفحات من التاريخ الحضرمي: ١٥٥؛ هاشم: محمد: تاريخ الدولة الكثيرية ٦٨-٧٤؛ البكري، صلاح: حضرموت وعدن وإمارات الجنوب العربي: ٢٥).

الثاني: ما صار الناس فيه من السعة بعد أن كانوا بخلاف ذلك فإن دعائم الإسلام انتصبت بالأمراس من عيال^(١) أولاد المنصور - عليه السلام - وما ذلك إلا لسعة خاطره الكريم، لتوفير ما في أيديهم بعدم^(٢) المشاحة^(٣) فكانوا ملوكاً للإسلام يتمكنون من الإحسان والإنعام، ولإعداد ما يجب إعداده لحوادث الأيام، ومن ذلك ما يراه - عليه السلام - من ظهور السعة والتصرفات الواسعة على كثير من عماله وخواصه وخواص أولاده من الكفريات وما يظهر معهم من الآلات والعمارات والضياع والمستغلات، كما ذكر نحو ذلك السيد الإمام حجة الإسلام الهادي بن إبراهيم^(٤) المعروف بابن الوزير - رضوان الله عليه - في كتابه المسمى (كاشفة الغمة) واصفاً لسخاء الإمام الناصر لدين الله صلاح الدين - عليه السلام - بقوله: فكم دور من فضله عمرت، وضياع ملكت، ومضايق توسعت، أو كما قال، وما ذلك إلا لكرم طبعه وسعة صدره، وأن الحسد المنموم، والغل المشؤم، وسوء الظن الذي لا يقل معه الصديق لا يعرض له وكأنه محفوظ عنه بحفظ الله سبحانه وتعالى، وهذه إن جعلناها من السخاء فخلق بها من مثله، وإن جعلناها من الصبر وحسن التدبير وتحمل الأمر العظيم كما ذكرناه في صاحب حضرموت فأحق أن تلصق [ب/٧] بشريف خلاله وزكي أحواله.

(١) عيال: أبناء.

(٢) ساقطة من (ف).

(٣) المشاحة: أي إن الأمر بين ثابت لا مناقشة ولا ملاحكة فيه. (المنجد: ٣٧٦).

(٤) هو الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن الفضل بن المنصور، الوزير (٧٥٨-٨٢٢هـ/١٣٥٧-١٤١٩م)، عالم، قرأ على إسماعيل بن إبراهيم النجواني، وعبد الله بن الحسن الدواري، له عدة مؤلفات منها: (كاشفة الغمة عن حسن سيرة إمام الأئمة). توفي في فمار. (الشوكاني: البدر الطالع: ١١٦٣-٣٦٨؛ شرف الدين، أحمد بن حسين: تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن: ٢٨١).

[صبره وشفقته]^(١)

وأما صبره على تحمل الأعباء، والكبح الشديد لما يبلغ من الأنباء، ويتحفظ عليه من المعالم الدينية والدنيوية شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً، فمما لا يمكن حصره، ولا يدرك قعره، لا سيما مع الشدائد التي سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى وانثيال أهل الحلجات إليه مع طمعهم في نايله الذي لا يجد ولا يحصى له عد. فمما يمكن أن يدعي له المدعي عدم المشارك من آبائه - عليهم السلام - والله أعلم.

وأما شفقته على الأمة عموماً وعلى الضعفاء منهم خصوصاً فيشهد بذلك ما تراه في أثناء سيرته النافعة من جمل ذلك.

وأما الإحاطة بها فما أبعداها لا سيما على مثل جامع هذه التوقيعات^(٢) من ذلك أن غالب أوقات طعامه لا تكون إلا ومعه مسكين أو ملهوف يأكل معه ويختص به، وإني قلت له مرة وهو في محروس الحسين^(٣) - عمره الله - وقد رأيت رجلاً ترك الإمام - عليه السلام - إلى أن سلم من صلاة الجمعة فترامى^(٤) إلى أمامه داخل المحراب، وحل بين الإمام والانصباب^(٥) على الدعاء المعهود، فرثه برفق حتى أعانه إلى موضعه الأول، فقلت له - عليه السلام - في غير ذلك المقام: لو تركت الخدم يمنعونه كما منعوا غيره، فقل: مقسماً بالله إنني قد قضيت حاجته في سواد هذه الليلة، وذلك أني سمعته يتظلم وقد مضى من الليل شطر وقد رقد^(٦) كل أحد فيما أعلم وقلت لنفسي: بقي لي من القدرة ما أنظر في قضاء حاجة هذا الملهوف، ولا وجدت من يستدعيه فقممت وفتحت

(١) ما بين المعقوفتين من لدينا على طريق الناسخ.

(٢) المؤلف: المظهر بن محمد الجرهموزي.

(٣) مقر حكم الإمام المتوكل على الله إسماعيل، الذي بنه في صوران آنس.

(٤) جلس بين يديه.

(٥) الإنصباب على الدعاء: إقلمة الدعاء. المنجد: ٨١١.

(٦) رقد: نام.

له الباب وأسرجت^(١) له الشمعة، وأوصلته مرقدني مكاناً خاصاً والله قسماً ما قد دعوتك إليه يعنيني! قال: ثم غسلت له يده وطلبت له الطعام وسألته حاجته، وقضيت ما إليّ منها، وأحلت ما بينه وبين خصمائه إلى الشرع الشريف أعزه الله، والمناظرة عند القاضي فعادوني بما رأيت وكذا غيره مما لا أحيط به.

[دعوة الإمام المتوكل على الله]^(٢)

وأما دعوته فقد تقدم أنه لما بلغه وفاة الإمام - عليه السلام - وعول عليه من عول بالقيام نشر دعوة جامعة، وحجة قاطعة، صفتها: أنه كان يوقف كل طائفة من المسلمين على وجوب الإمامة بالجملة، ثم استحقاقها ووجه لزومه بالقيام لها، ثم يعظ ويذكر بما لم يسمع بمثله من غيره، حتى أنهم يتفرقون على ذكر ما سمعوه، ويخبر كل أحد في بلده وما أودع أسماعهم، ثم يذكر فضائل الله عز وجل على ضرب من التفصيل بعد أن يقدم على ذلك حمد الله الذي لا إله إلا هو بجماع المحامد كلها، ثم يصلي ويستلم على نبيه صلى الله عليه وعلى آله كذلك، ثم يبأيهم كما بويح عليه الأئمة [١/٨] - عليه وعليهم السلام -
.....^(٣)

[كرامات الإمام المتوكل على الله]

[٨/ب] وأما كراماته - عليه السلام - فلنذكر منها يسيراً، من ذلك أنه دعا وليس عنده مال ولا رجل فاستنزل بالله سبحانه معارضيه في أقل من شهر كما هو في السيرة، ومن ذلك البركة في الأموال فإنه - عليه السلام - وضع على الرعيّة كثيراً من معاون المعتادة التي كان يستعين بها

(١) أسرجت: أضاءت.

(٢) ما بين المعقوفتين أضفناه من لدينا على طريق النسخ.

(٣) باقي الورقة بياض في الأصل، وبقية النسخ.

والله وأخوه - صلوات الله عليهما - وكثر الله في الرزق والخيرات وتمت البركات، ومن عرف الحال سابقاً وعرفه لاحقاً عرف أن ذلك من خوارق العادات وأن النفقات في وقته - عليه السلام - تضاعفت فكان من ترضيه الخمسة الحروف والعشرة يطلب في أيامه الخمسين الحرف والمائة ويحصل له.

ومنها ما أخبرني به ثقات أصحابه - عليهم السلام - وسمعت منه - عليه السلام - شيئاً من ذلك أن النفقات على جميع أصناف المرتزقة تقل وتعدم، فإذا شغلته حلجاتهم جاءه^(١) أضعاف ذلك المحتاج إليه، من حيث لا يحتسب، ولو نذكر الحكاية في تفصيل ذلك لطل.

ومن ذلك عمارة البلاد ومساجدها ومناهلها^(٢) تضاعفت في أيامه مع الشدائد المذكورة في السيرة، ولا نرى منه - عليه السلام - ولا من ولاته [إلا]^(٣) كل الإلتفات إلى ذلك، وإنما ذلك بركة، واقتدى به وبأفعاله المخالفون في المذهب.

ومن ذلك ما رواه القاضي العلامة المكين الحسن بن أحمد الحيمي^(٤) في خبر مسيره^(٥) إلى ملك الحبشة.

ومن الكرامات الخارقة منها عظم هيبة أصحابه - عليهم السلام - وكانوا نحو ثلاثين نفرأ، وكانوا يمرون على العظماء من الكفار ومن في جوارهم من

(١) في الأصل وبقية النسخ: (جاء) على عادة الناسخ، ولن نشير إلى ما يقع من مثلها.

(٢) مناهلها: مواضع شرب الماء. (القاموس: ٦٣/٤).

(٣) ما بين المعقوفتين أضفناه للإيضاح.

(٤) هو الحسن بن أحمد بن صلاح اليوسفي اليماني، الحيمي (ت ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م) كان أحد أعيان الإمام

المؤيد بالله محمد بن القاسم وأخيه الإمام المتوكل على الله، ومن أكابر العلماء، اعتمد عليه الإمام

المتوكل على الله في فض الكثير من القضايا - كما هو مبين في السيرة - أرسله الإمام إلى الحبشة،

وبعد عودته ألف كتباً عن الرحلة سمى (رحلة الحبشة). (الشوكاني: البدر الطالع: ١٨٩١-١٩١).

(٥) انظر تفاصيل الرحلة: النص: ق (٨٧-١٠١ب).

المسلمين ولهم الهيبة في أرض لا لملك^(١) الحبيشة عليهم سلطان، وكذلك في قرار مملكته ومحل سلطانه، كان هؤلاء النفر لهم حامية وعليهم الهيبة والجلالة، والعادة الجارية أن ملك الحبيشة تغفل^(٢) عن رسل ملوك الإسلام من الروم والهند وغيرهم، وربما لا يجدون السبيل إلا العودة كما جاؤا.

وأما رسله - عليه السلام - فعظموهم التعظيم الذي لا وراه^(٣) وأن بعض النساء في ذلك المحل من مكان السلطان أسلمت ولاذت بأصحاب القاضي خوفاً من أن يردوها إلى النصرانية، وقد سمع صاحب القاضي كثرة الكلام فخرج والسيف مغمدة في يده فهرب الذين أرادوا إرجاع المرأة فرقا وخوفاً.

قل القاضي^(٤) - أيده الله - : ولا يقال بأن ذلك خوف من ملكهم فهو نصراني، ولا يرضى الإسلام لنفسه كيف لغيره، وأيضاً فإنهم فرقوا من السيف لما رأوه فلو كان خوفهم من السلطان لمنعهم ذلك من إرادة الهجوم على مكان المسلمين. انتهى.

ومن مثل^(٥) ذلك كثير مما حكاه القاضي شرف الدين - أيده الله - كما في سيرته، من أعظمها أن القاضي - أيده الله - ومن معه من المسلمين لم يقطعوا^(٦) بين بلاد المسلمين التي فيها الأتراك وبين بلاد المشركين التي يليها صاحب الحبيشة فاجتمع عليهم قوم أعتام^(٧) حرباً للمسلمين والمشركين فكادوا يأخذونهم وحاصروهم^(٨) في هضبة من غير ماء، فأمدهم الله تعالى بغارة من المسلمين لم يكن لهم علم بقربهم منهم، وإنه خلف أولئك القوم غدره

(١) الإمبراطور فاسيلاداس (١٠٤٢-١٠٧٨/١٦٣٢-١٦٦٧م).

(٢) تغفل: أهمل.

(٣) الذي لا وراه: الذي لا مثل له.

(٤) الحسن بن أحمد الخيمي.

(٥) ساقطة من الأصل، والإضافة من بقية النسخ.

(٦) يقطعوا: يعبروا.

(٧) كذا في الأصل.

(٨) في الأصل وبقية النسخ: (حاصروهم).

الكفار خصوم لهم [أي الكفار] ^(١) نهبوا أهاليهم وأموالهم باعوهم في بلاد المسلمين وهم ينظرون.

ومن ذلك تحكم أهل الحرمين الشريفين لأوامره والإعتزاء إليه وقبول قوله من غير شوكة تنالهم، ولا كفاية من المال تصلهم، فإمّا أرزاقهم من مصر والشام والعراق وغيرهم كما ذلك معلوم.

ومن ذلك الكرامة العظمى وهي قضية السلطان جعفر بن عبدالله بن عمر الكثيري ^(٢)، فإنه وصل إلى الإمام - عليه السلام - وباعه وأحسن إليه وأعطاه ما لا يقدر قدره، وذهب إلى حضرموت، ثم غدر بعمه السلطان بدر بن عمر ^(٣) وهو وال للإمام - عليه السلام - على ظفار ^(٤) وما والاها من البلاد المنسوبة إلى حضرموت كما سيأتي، وقتل ولده وأخذ ظفار، ولجأ عمه إلى الإمام - عليه السلام - من طريق البحر الأحمر وبلاد المهرب ^(٥) فكان معه تلك المخارج ^(٦) التي لم يسبق إلى مثلها في أرض اليمن، والأهوال التي لحقت المسلمين في الزمن، وعاد جند ^(٧) الإمام من حضرموت - وهو أي جعفر المذكور - في ظفار على عتوه وغفلة، وعادت تلك المحلطة ^(٨) المنصورة التي يقال

(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من (أ) والإضافة من بقية النسخ.

(٢) هو جعفر بن عبدالله بن بدر الكثيري، تولى مدينة ظفار بحضرموت أيام المتوكل على الله إسماعيل (باوزير، سعيد عوض: ١٥٥؛ هاشم: ٨٩).

(٣) هو بدر بن عمر بن بدر بن أبي طويرق، الكثيري (ت ١٠٧٣هـ/١٦٦٢م)، تولى السلطنة سنة ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م بعد وفاة والده كان عظيم المكر وبعد النظر دخل في صراع مع أفراد أسرته كما يتبين ذلك من خلال السيرة. انظر (هاشم: ٦٨-٧٤).

(٤) ظفار: مدينة على ساحل حضرموت، بالقرب من سلطنة عمان. (الحجري: ٥٦٤/٢؛ الأكوغ: ه البلدان اليمانية: ١٩٣).

(٥) وهي (المهرة): إحدى محافظات الجمهورية اليمنية، تقع إلى الشرق من حضرموت. (الحجري: ٧٢٥/٢؛ الأكوغ: المصدر السابق: ٢٧٧/١).

(٦) المخارج: المواضع. (القاموس: ١٩١٨).

(٧) في الأصل، وبقية النسخ: (أجناد).

(٨) الأماكن التي يتواجد بها العسكر.

أولها في تريم^(١) وأقاصي حضرموت، وآخرها في حصن ضوران من غير أن يقضوا حاجة من الظفر بالمذكور، واستقروا في صنعاء المحروسة بالله من محرم إلى شهر شعبان من العام المذكور آنفاً، ولم يشعر الإمام - عليه السلام - ثم وصل إلى الإمام - عليه السلام - ولم يكن بينه وبينه إلا مسافة الطريق.

وأخبرني بعض الخواص مكاتبة أن الإمام - عليه السلام - قل: وقد شكى عليه مولانا الصفي أحمد بن الحسين - أيده الله - عظم ما لقي من التعب في هذا المخرج وأنه لم يحصل له المقصود من الظفر بجعفر هذا المذكور، فقل الإمام - عليه السلام - وقد وقع في نفسه الرقة لمولانا أحمد للمسلمين: وأنا أطلبه من الله سبحانه وتعالى، وأسأله أن يُمكن منه بحوله وقوته، وأخذ في الدعاء على ذلك فكان ما ذكرناه من وصوله بغير شعوره.

[قضية الفضلي وغدره]^(٢)

ومن ذلك قضية الفضلي^(٣) أنه غدر ونكث وأثار الفتنة التي [٩/أ] خرج لأجلها مولانا الصفي - أيده الله تعالى - في شعبان سنة إحدى وسبعين [وألّف]^(٤) وأنه طلب الأمان من مولانا أحمد وضمّانة بعض سلاطين المشرق، وفعلوا له ذلك مرة أو مرتين ثم نكث وأخذ في الهرب إلى مغاور وبلاد لا تليها دولة حق ولا غيرها، فتجرد لطلبه ولدا مولانا الصفي أحمد بن الحسن - أيدهما الله - فيمن خف فأدركوه في بعضها من غير عهد ولا عقد، ووصلا به إلى والدهما أحمد بن الحسن - حفظه الله - وقد تجرد من ألفاقه وثيابه

(١) تريم: إحدى مدن حضرموت وهي مدينة عمرة بالعلم والعلماء. (الحجري: ١٤٣٨، الأكوغ هـ: البلد: ٦٠).

(٢) ما بين المعقوفتين عنوان أضفته على طريقة المؤلف.

(٣) الفضلي: إحدى قبائل أبين. (لقمان: حمزة علي: تاريخ القبائل اليمنية: ٢٢٥، والفضلي هنا المقصود به زعيم القبيلة.

(٤) ما بين المعقوفتين أضفته على طريقة الناسخ.

لينخفي حاله فأمكن الله منه، ووصل إلى الإمام - عليه السلام - كما وجدوه على حالته عارياً منفرداً.

قال القاضي أحمد بن صالح - أيده الله -: وفي أثناء هذه الغزوة كرامة عظيمة.

قال مولانا صفى الإسلام - حفظه الله -: توجهنا إلى محل قريب من جبل أهل فضل، وكان هنالك في المخيم الذي أردنا فيه الإقامة بقرب الجبل بيران^(١) فيهما ما لا يعرف قدره، فكنا تقدمنا متوكلين على الله، ومستندين إلى ما بلغنا أنهما بيران، فلما وصلنا وضربت الخيم ولم أكن [قدماً]^(٢) استقرت^(٣) في محلي، وإذا قائل يقول: فرغ الماء ولم يبق شيء، قل: فأخذني ما قدم وما حدث، وقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، وتفكرت كيف يكون العمل إن عدنا إلى المخيم فهو بعيد وما عندنا من الماء ما يبلغنا إليه، وإن تقدمنا فالأمر عظيم لذلك رجعت إلى الله تعالى، فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب حتى انصبت السماء بما فيها، وأقام الجند هنالك على خير مقام وهذه مشهورة متواترة.

قال المولى: سبحانه وتعالى هو مولانا نعم المولى ونعم النصير. انتهى.

[قُلُوبُ قَوْمِ الدَّعْجَنَةِ]^(٤)

ومن ذلك أنه وصل إلى الإمام - عليه السلام - قوم يسمون الدعجنة من بلاد بني حزام، وأهل طريق مراحل الحجاز يشكون من شيخ لهم يسمى: مرعي بن بشار، من البلاد التي لا يقدر عليها في العادة ملك الحجاز، ولا ملوك اليمن وإنه غزاهم واستعان عليهم ببعض قبائل الحجاز، وقتل منهم نحواً من

(١) بيران.

(٢) ما بين المعقوفتين أضفناه للإيضاح.

(٣) في الأصل، وبقية النسخ: (استقرت).

(٤) ما بين المعقوفتين عنوان أضفناه من الحاشية.

أربعين رجلاً، واستاق^(١) من أموالهم خمسمائة من الإبل ومثلها أو أكثر من البقر، وعشرة آلاف من الغنم، فبعث معهم الإمام - عليه السلام - الشيخ الرئيس الكامل عامر بن صلاح الصائلي^(٢)، وهذا الشيخ من أهل الصبر على إصلاح مثل هذا الداء، فسار من محروس الدامغ^(٣) أكثر من عشرين يوماً وعالجهم^(٤) حتى أرجعوا ما كانوا أخذوه ووصل بهم إلى أبي عريش وحكموا للشريعة، وأرجعوا لكل واحد من المذكورين حقه من دم ومال، واستخلص منهم فوق ألفي حرف مصري [١٠/أ] كعقوبة ولم يكونوا^(٥) قبلها متحكمين لأحد ولا يطمع في إيواء من وصلهم إلى بلادهم منهم، فضلاً أن ينقاد للشريعة المطهرة أعزها الله تعالى ونحو ذلك كثير.

ومن ذلك ما رواه الشيخ سعيد بن علي القحطاني وغيره ممن حضر حصار العسكر من أصحاب الإمام - عليه السلام - في أحور^(٦) بعد الغدر، الذي كان من آل ذيب وآل كازم أن العسكر المذكورين انحصروا^(٧) في بعض بيوت أحور ولم يجدوا من البارود والرصاص شيئاً إلا ما في عددهم، وقد تكاثرت عليهم جموع القبائل فكانوا كاليائسين من أنفسهم، فإذا بهم وجدوا في البيت الذي هم فيه جراباً^(٨) مملوءاً باروداً ورصاصاً، والرصاص مصبوب^(٩) كأنه لكل

(١) استاق: أخذ.

(٢) عامر بن صلاح الصائلي: أحد الحكماء، جعله الإمام المتوكل على الله إسماعيل محل القضايا التي كانت تحدث بين الناس. (جلازم: تاريخ اليمن: ١٩٣).

(٣) الدامغ: جبل ضوران، من أشهر جبل أنس. (الويس: اليمن الكبرى: ٧٥).

(٤) عالجهم: بحث الأمور معهم وعالجها. (المنجد: ٥٢٥).

(٥) في الأصل، وبقية النسخ: كانوا.

(٦) أحور: واد فيه قرى شرقي أبين. (الحجري: ٦٠/١).

(٧) كذا في الأصل، وبقية النسخ.

(٨) في الأصل، وبقية النسخ: (جرباً).

(٩) مصبوب: موضوع. (المنجد: ٤١٣).

بنلق^(١) بقدرها كأنها صبت عليها ولم يكن لأهل أحور علاج^(٢) في البنادق فهذا من الكرامات الخارقة وسيأتي إن شاء الله.

ومن ذلك حصول الجراد مع قدوم عسكر الإمام - عليه السلام - لحرب صاحب حضرموت وجموعه المذكورين في السيرة، فإنه ظهر الجراد إلى وجوه أهل حضرموت أمام العسكر الإمامي فانهزموا ولم يكن الجراد يظهر قبل تلك الساعة ولا رأوها بعدها.

ققل بعض العسكر وكان الجراد كله أبيض على لون واحد.

ومن ذلك ما أخبرني به كثيرون من خاصته من أهل شهارة، إنه لما رجع - عليه السلام - من السودة^(٣) إلى شهارة لافتقاد أعمالهم وتقرير أحوال أهلها، وكان الماء إذ ذاك منقطعاً وإنما كان يأتي به الشقة^(٤) من خارج شهارة، وإنه دخل بيته الشريف النبي بالقرب من مشهد الإمام ذي الشرفين^(٥) - عليه السلام - وأخبره أهل البيت المذكور أنهم لا يقدرّون على تحصيل الماء مع ما عرف من أحوال غيرهم من البيوت، فأغلق على نفسه في حجرة من أعلى داره مفتوحة^(٦) إلى السماء وأخذ في الدعاء إلى الله والتضرع باكياً، فأرسل الله سبحانه وتعالى مطراً غزيراً فكان عليه من أوله إلى آخره، وقد سأله أهله أن يُكتن^(٧) معهم فما عاد إلا وقد إلتفت عليه ثيابه، والماء يسيل

(١) بنلق: بندقية.

(٢) علاج: خبرة.

(٣) السودة: قرية مشهورة تقع في الشمل الغربي لمدينة صنعاء على بعد ١٠٠ كم تقريباً. (الحجري: ٤٣٤/٢).

(٤) الشقة: جمع (شاقى)، كلمة علمية تعني العمل.

(٥) الإمام ذي الشرفين: هو محمد بن جعفر بن الإمام القاسم العياني، توفي بعد سنة ٤٧٨ هـ.

(٦) في الأصل، ويقية النسخ: (منفتحة).

(٧) يُكتن: أي يجتمعي من المطر.

من لحيته الطاهرة، وكانت آية باهرة، فارتوى الناس ودخل برك المساجد ما كفى والحمد لله رب العالمين.

وقال القاضي المذكور -أيده الله-: ولم يعزم الإمام إلى شهارة إلا بعد أن بلغ إلى أهلها من الشلة فعزم إليها قاطعاً من الله بحل العقدة.

ومن ذلك ما كان في شهر رمضان في ليلة العيد [١٠/ب] فإنه كان في ليلة العيد قد أهب^(١) -عليه السلام- أشياء كثيرة لجمع الناس في السمرة كما جرت العادة، وأتم كل واحد افطاره عند العتمة، ولم يكن ثم مطر، فلم يشعر الناس إلا بمطر، فقال بعض القائلين: أظن والله اعلم أن الإمام سأل الله أن يمد بهذا المطر ليكون عنراً عن السمرة إلى الناس يقبل على الطاعة، فلما أصبح العيد حكى الإمام -حفظه الله- ذلك عن نفسه، وإنه قال: لما أتممت الإفطار دار في خلدي أن هذه ليلة متلجرة لله وأورد الصلاة، فأنا أسأل الله أن يمن بمطر يكون عنراً، فما كان إلا هنيهة وقد جاد السحاب بما فيها.

ومن ذلك ما تيقنته من جماعة حضروا عنده بوادي الفروات^(٢) من أعمال سنحان^(٣) وسمعت منه -عليه السلام- أيضاً اتفق خبرهم أنه -عليه السلام- بات في دار عمرو^(٤) وعند طلوعه صنعاء، وكان منفرداً عن الأجناد طلباً للرفق بالرعية، وفرقهم في جهات تقوم بهم، فلما بعد هوني^(٥) من الليل خرج

(١) أهب: قطع. (المنجد: ٨٥).

(٢) وادي الفروات: يقع في سنحان. (الحجري: ٤٣٣/٢).

(٣) سنحان: مديرية تقع جنوب صنعاء، حوالي ٣٠ كم تقريباً. (الحجري: ٤٣٣/٢؛ الاكوع: ه البلدان اليمانية: ١٥٦).

(٤) دار عمرو: من قرى سنحان قرب صنعاء. (الحجري: ٣٢٥/١).

(٥) هوني: أي مضى شيئاً.

إلى الصحراء ومعه أربعة أنفار من خلمه الثقات، منهم الحاج محمد الجرباني وغيره، وكان معهم شمعة، فقال الإمام - عليه السلام -: أطفؤها لئلا يكون علماً في الصحراء فأطفأوها، وبعد في المذهب حتى قضى ما أراد، ورجع إلى جماعته، وقال: ليت لنا^(١) ماء نستنجي به. قالوا: نحن لا نعرف هذه الجهة، فبينما هم كذلك إذ أقبل رجل بماء، قضى من ذلك ما أراد من الإستنجاء، ثم عادوا فلما أخذوا في الطريق آتين أنارت الشمعة، وعادت كما كانت مضيئة والحمد لله رب العالمين.

ومن كراماته - عليه السلام - بإجابة الدعوة، ما أخبرني به الوالد الحسين - أسعده الله - أن رجلاً كان يتردد في الباب الشرقي الإمامي في معمور الحصن يسمى علي الجوفي أكثر^(٢) على الإمام - عليه السلام - قرع باب المسجد الصغير الذي تعود الإمام الصلاة فيه، وراتب^(٣) القرآن بمعمور الحصين وهو ما أسسه مولانا الحسن - رحمه الله - فكان من الجوفي المذكور الأذية للإمام بالأصوات والبذاء، فقال الإمام - عليه السلام - ادفعوا عنا هذا الله يصيبه ويشغله كما شغلنا، فلما سار خطأ يسيرة ووجد أهل البارود يحملونه يريدون أن يرموا بالطلاعات^(٤) لبعض الأسباب، فأراد هذا أن يحمل شيئاً على المعهود من جفنه^(٥) فعلقت النار بالنار عليهم من غير فعل فاعل، فحرق المذكور دون غيره وبقي يتقلب في جراحاته حتى هلك بعد ثلاث أو أربع [أيام]^(٦).

ومن ذلك قضية (عبد) الجمال وكان يلي جمال مولانا - عليه السلام - وذلك أن الإمام - عليه السلام - رآها غير موافقة [١١/أ]، وكان قد طلب شيئاً

(١) لنا) ساقطة في الأصل والإضافة من بقية النسخ.

(٢) أكثر: كمر من فعل الشيء. (المنجد: ٦٧٤).

(٣) راتب: السنة التابعة للفرض أو المؤقتة بوقت مخصوص. وهو الورد. (المنجد: ٢٤٧).

(٤) الطلعات: ربما تكون آلة لرمي طلقات البارود.

(٥) جفنة: وعاء.

(٦) ما بين المعوقين أضغنه للإيضاح.

منها لبعض الغزاة إلى جهات المشرق، فعتب على الجمال المذكور، فقال الجمال للإمام - عليه السلام - في محضر الناس: إنك لا تستر مني^(١) ولا من الجمال، وضعف أمره - عليه السلام - وتأفف بخلمته، فقال الإمام - عليه السلام - احبسوه أصابه الله تعالى، فما وصل الحبس إلا ومات في تلك الليلة أو التي بعدها.

ومن ذلك أن بعض النساء لبعض أهل خلمته ادعت عليه نقصاً في معتادها، وكلمته بالتعلي في القول، وهو إذ ذاك في قصر صنعاء بعد صلاة الفجر مشغول بأوراده^(٢)، فقال لبعض أهل بيته: شغلنا هذه شغلها الله بنفسها، فاصرفوها عني أو كما قل، فما أمست تلك الليلة إلّا وقد خرجت عليها عقرب لسعها في مواضع من بدنها وهي تصيح أنا جار الله^(٣) وجار الإمام، وتقول استحلوا لي^(٤) منه فشفيت بعد ثلاثين يوماً أو نحوها.

ومن ذلك ما اشتهر في أيام الجراد المذكورة في هذا المختصر، أنه كان من نذر من الزراع على الإمام - عليه السلام - دفع الله تعالى عنه الضراء أو بعضها وكثرت لذلك النذور، وأن رجلاً من عتمة^(٥) يسمى صالح بن عمر بن عامر من بلاد الثلاثاء^(٦) نذر على الإمام - عليه السلام - بزبدي^(٧) من الطعام فأخذت الجراد الذي تحت ماله والذي فوقه وحفظ الله زرعه، وصار علماً بين ذلك وغير ذلك مما يطول.

(١) لا تستر مني: لا تقدر علي، وهي علمية.

(٢) بأوراده: الأوراد جمع ورد، وهو الأدعية والأذكار.

(٣) جار الله وجار الإمام: طلب المساعد والحماية، وهي عبارات تستخدم عند حدوث أي مكروه لشخص ما.

(٤) استحلوا لي: طلب الصفح والعفو.

(٥) عتمة: مديرية مشهورة في الجنوب الغربي من صنعاء على مسافة ١٢٠ كم تقريباً، وهي تابعة لمحافظة ذمار. (الحجري: ٥٧٦٢-٥٧٨).

(٦) الثلاثاء: إحدى قرى مديرية عتمة.

(٧) الزبدي: أربعة أرطل، حوالي (٢ كيلو). (شهاب، حسن صالح: عند فريضة اليمن: ١٢٦).

ومن ذلك رجل آخر من أهل المغرب الصغير يسمى يوسف بن محمد الربيعي لما رأى الجراد وصلت نذر على الإمام بشيء من ثمرته، وعاد بيته، ومنع أن يحمي زرعه، فأخذ الجراد ما فوقه وتحتة، وبقي ماله سالماً دون غيره.

[كتابه في التحذير من المعاملة في الربا]^(١)

وأما رسائله ومكاتباته - عليه السلام - فمنها هذا الكتاب في التحذير من المعاملة في الربا.

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، كتابنا هذا إلى من بلغه من المسلمين كثرهم الله وأعزهم، وعلى من بلغه أن يبلغه إلى من لم يبلغه إن شاء الله. سلام الله عليكم وإنا نحمد الله إليك ونصلي ونسلم على محمد وعلى آل محمد، وإني أمركم بتقوى الله في جميع أمركم، وفي سركم وعلانيتكم، فاتقوا الله وأطيعون ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٢) وأرغبكم فيما رغب الله من طاعته التي ثوابها الجنة ونعيمها، وأحذركم ما حذر الله من معصيته التي جزاؤها النار وجحيمها، ثم اعلموا أن من أعظم ما أوعده الله عليه النار، وأوجب على من لم ينته عنه غضب الجبار، الربا الذي حرمه الله [١١/ب] وشلّد في تحريمه أعظم تشديد، وأنزل في التخويف منه أعظم الوعيد والتهديد، فقال عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا التَّبِيعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ التَّبِيعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي سِي

(١) ما بين المعقوفتين عنوان أضفناه على طريقة الناسخ.

(٢) الآية: (٥١) من سورة: آل عمران.

الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ»^(١) فصور الله عز وجل في هذه الآية الكريمة عاقبة آكل الربا عند قيامه إلى الحشر بأقبح الصور التي لا يرضاها أحد لنفسه، وهي صورة النبي يتخبطه الشيطان من المس، ونقم على أهله مساواتهم بين البيع وبين الربا، فأنخبر الله عز وجل أنه تبارك وتعالى أحل البيع وحرم الربا، وليس ما حرم الله تعالى وأوعد عليه النار كما أحله ووعد فيه البركة، ثم أنخبر عز وجل أن من جاءه موعظة من ربه فانتهى عن الربا غفر له ما كان سبق منه مع وعيله بأن مرده وأمره إليه، وأن من عاد من أهل النار خالداً فيها مخلداً، ثم شنع عز وجل الربا بأن الله يمحقه وما محقه الله فأي خير فيه وأي بركة عنده، ثم سمى صاحب الربا الذي لا ينتهي عنه بأقبح الأسماء ووصفه بأشأم^(٢) الصفات بقوله: «وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ»^(٣) ثم قال عز وجل بعد هذه الآيات: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»^(٤)

فأنخبر أن الذين يؤتيهم الأجر، ويؤمنهم من الخوف والحزن هم من اتصف بصفات المؤمنين الذين حرموا ما حرم الله من الربا، وأحلوا ما أحل الله من البيع، وعملوا الصالحات التي أمر الله بعملها وصلوا وزكوا، كما قال عز وجل فيهم في آية أخرى: «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ»^(٥)، لا الذين أحلوا ما حرم الله وارتكبوا الربا وقد وعظهم الله تعالى، ثم أكد تحريم الربا بقوله عز وجل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ، فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا

(١) الآيتان: (٢٧٤-٢٧٥) من سورة البقرة.

(٢) كذا في الأصل وبقية النسخ.

(٣) الآية: (٢٧٦) من سورة البقرة، وبدايتها: «يُحِقُّ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِيهِ الصَّلَاتِ...».

(٤) الآية: (٢٧٧) من سورة البقرة.

(٥) الآية: (٢٧) من سورة النور.

فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ، وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَأَعَادَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَكَرَ الْأَمْرَ بِتَرْكِ الرَّبِّ، وَأَذَنَ مِنْ لَمْ يَفْعَلْ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ الْأُمُورِ وَأَشَدُّهَا، وَمَا لَا تَقُومُ لَهُ الْجِبَالُ الرَّوَاسِخُ وَالشَّمُ الشَّوَامِخُ، وَلَا السَّمَاوَاتُ وَلَا الْأَرْضُ مِنْ حَرْبِ اللَّهِ [١/١٢] وَرَسُولِهِ. فَيَقَالُ لِصَاحِبِ الرَّبِّ: خُذْ أَهْبَتَكَ وَسِلَاحَكَ لِلْحَرْبِ، فَأَيُّ قُوَّةٍ لَهُ عَلَى ذَلِكَ! وَأَيُّ تَهْدِيدٍ أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ! وَأَيُّ أَمْرٍ أَفْجَعَ وَأَفْظَعَ عَلَى الْعَبْدِ الضَّعِيفِ مِنْ مَحَارِبَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؟! وَكَيْفَ لَا يَنْتَهِي عَمَّا نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَعْلَمُ ضَعْفَهُ وَعَجْزَهُ! وَقُدْرَةَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ، وَيَغْتَرُّ بِشَيْءٍ حَقِيرٍ يَنَالُهُ مِنَ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ يَسْتَبَدِّلُ بِهِ هَذَا الْوَعِيدَ الشَّدِيدَ وَعَدَاوَةَ اللَّهِ الْقَوِيَّ الْمُبِيدَ فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَإِيَّاكُمْ وَالِدُخُولِ فِي شَيْءٍ مِنْ شُبِّهِ الرَّبِّ، فَإِنَّ الرَّبَّ شَيْعِبٌ كَثِيرَةٌ كُلُّهَا مَهْلِكَةٌ مَرْدِيَةٌ مَوْبِقَةٌ مَشْقِيَةٌ، وَمَنْ ذَلِكَ مَا نَعِيدُكُمْ بِاللَّهِ مِنْهُ مِمَّا انْخَذَهُ بَعْضُ الْمُرْبِيِّينَ وَالظَّالِمَةَ مِنْ عِبَادِهِ طَرِيقاً إِلَى الرَّبِّ، مِنْ إِعْطَاءِ الْحَبِّ لِلْمُحْتَلِّجِينَ وَقَتِ الْحَاجَةِ عَلَى صُورَةِ الشَّيْطَانِ وَالْبَيْعِ وَالتَّأْجِيلِ تَوْصِلاً إِلَى أَنْ يَقْبِضُوا مِنْهُمْ عِنْدَ الرَّخِصِ أَضْعَافَهُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ فِيهَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٢).

ومن ذلك بيع الشيء بأكثر من سعر يومه لأجل التأجيل من بز أو غيره، وأعظم من ذلك من يبيع بدين قد أغلاه، ثم ينقد لمن اشتراه منه دون ما باعه منه ويشتريه منه، وهو من مسألة العينة التي عظم النهي عنها ووقع كثير من الناس فيها.

ومن ذلك صرف نحو القروش بالبقش مصريها وعنديها، وصرف

(١) الآيات: (٢٨٠، ٢٧٩، ٢٧٨) من سورة البقرة.

(٢) الآيات: (١٣٠، ١٣١، ١٣٢) من سورة آل عمران.

المصري^(١) أيضاً بالعددي^(٢) لتفاوت وزنها وعدم تيقن المساواة فيها، وقد شرط نبيكم صلى الله عليه وآله^(٣) وسلم في حلها التساوي فقال: «الذهب بالذهب مثلاً بمثل يداً بيد»^(٤) فحرم صلى الله عليه وآله البيع والشراء فيهما إلا أن تكون متساوية وحاضرة، وقل في آخر الخبر: «فمن زاد أو ازداد فقد أربى».

وأمثل ذلك كثيرة مما يسببه جهل المبايعين، وعدم تفقهم في الدين، وقد ورد في الأثر الصحيح عن سيد الوصيين علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- أنه قل: (الفقه ثم الفقه ثم التجارة، أنه من باع أو اشترى ولم يسأل عن حرام ولا حلال ارتطم في الربا، ثم ارتطم، فاسألوا عن ذلك وعن أمور دينكم) كما قل الله عز وجل: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٥) ولا تفعلوا بفتوى من يتتبع بكم الرخص وزلات العلماء، فإن ذلك يهلك نفسه ويهلككم، ولكن اسألوا من ظهرت عليه التقوى، وعرف بتجنب الأهواء، ودلكم على ما فيه اجتناب الشبهة، والورع عن مواضع الريبة، واتعظوا بما حتم الله به آيات النهي عن الربا من قوله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ [ب/١٢] مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٦) اللهم هذه معذرة إليك، وبلاغ إلى عبادك فمن أطاع واتقى، نسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد، وتبارك له في نفسه وماله وولده وتجارته، ومن لم يقبل الموعدة وأعرض عنها، فلا تبارك له في نفسه ولا ماله ولا ولده، واحقق ما لديه، وانزع البركة من بين

(١) الريال المصري: لا تعرف قدره وسيكون من المفيد من قبل المهتمين - المقارنة بينه وبين ريل صنعاء في نفس الفترة.

(٢) العددي: أي العملة الصغيرة التي بين أيدي الناس والتي سكتها الإمام المتوكل على الله إسماعيل صرفاً للريال وكانت تسمى بالبقش.

(٣) ما بين القوسين في (ب): سلم.

(٤) الحديث: مسند أحمد بن حنبل (٢٤/١).

(٥) الآية: (٤٣) من سورة: النحل، وبدايتها: ﴿...وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم﴾.

(٦) الآية: (٢٨١) من سورة: البقرة.

يديه، وأذقه سوء عاقبة ما اختار لنفسه، إنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ثم اعلّموا أن حكم البايع في ذلك والمشتري من غضب الله ووعيده على سواء، فلا يغتر المحتاج أن حاجته تسوغ له الدخول في الربا، فإن رسول الله ﷺ لعن الربا وأكله ومؤكله وبايعه ومشتريه وكاتبه وشاهديه، كما لعن الخمر وشاربيها وعاصرها وحاملها والمحمولة إليه نعوذ بالله من لعنة الله، ولعنة رسول الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[جواب الإمام المتوكل على الله على القطابري]^(١)

ومن ذلك ما أجاب به - عليه السلام - على السيد صفي الدين أحمد بن محمد القطابري^(٢) إلى مدينة صعلة يتضمن فوائد جليلة.

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، الوالد السيد الأجد العلامة الأوحد شمس الدين أحمد بن محمد القطابري - حفظه الله - وأتحفه بشريف السلام وأزكى التحية والإكرام. وبعد فإنه وصل كتابكم الكريم، وما ذكرتم من دخولكم إلى محروس صعلة، واتفاقكم بالصنو صفي الدين أحمد^(٣) بن أمير المؤمنين - حفظه الله - فقد أصبتم وأحسنتم، وجزاكم الله خيراً وبارك فيكم. وزكى أعمالكم وأصلح بكم وما ذكرتم من ضعف ثمرة البلاد، وأنه لولا ذلك لعولتم على الصنو صفي الدين الخروج بنفسه لإزالة ما بتلك البلاد من المنكرات وأحكام الطاغوت، فنسأل الله أن يعين على ما يرضيه، وأن لا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، ولا بسيئات أعمالنا إنه هو الغفور الرحيم، وليعلم

(١) ما بين العقوفتين عنوان أضفته على طريقة الناسخ.

(٢) الجرموزي: النبتة المشيرة: (خ) ق: (٥٦).

(٣) الصنو أحمد: أخو الإمام المتوكل على الله إسماعيل.

الوالد - رعاه الله وحفظه - أن البداية في هذا الشأن بلجانب الأعلى الذين هم ورثة الأنبياء وأهل بيت المصطفى في استقامة دينهم، والتوقف على حدود ربهم، وتجنبهم أكل الحرام، وتوقفهم على شريعة جدهم سيد الأنام، هو المقدم الأهم والمقصد الأعظم، فإنه لا يستقيم الناس إلا بإستقامة سراتهم وعلمائهم، فإذا كانوا يأكلون ما حرم الله عليهم من الزكوات، ويطلبون في ما يجب لهم أحكام الطاغوت، ثم يرومون^(١) من الناس الاستقامة، وهم على هذه الحالة فقد خانوا وخدعوا، وكيف يقوم الظل والعود أعوج [وكيف يقوم الفرع والأصل منحني] ^(٢). وقال تعالى ﴿تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ^(٣) فتناصحوا في ذلك ولا تكتموا فإنه [١٣/١] بلغنا أن السيد فلان لما ذهب عليه شيء يسير من عنبه لم يرض فيه بحكم الله، وإنما طلب فيه أحكام الطاغوت حتى ذبح له رأساً بقر وأكل هو وأهل بيته نصفهما، وتبع ذلك من الغرامة ما لا يحتاج إلى تعديده لعلمكم به، ومثل هذا التذكير من الله سبحانه مما ابتلى به من نقص الثمرات والخوف من أشرار القبائل، إنما هو ليتذكر من يرجع إلى الله ويتوب إليه عن معاصيه الظاهرة والباطنة، ومن أعظم ما يجب إصلاحه وعدم التهاون أنا رأينا بيان زكاة الجهة الجماعية على حقارته قد صرف عن مصارفه، ووضع في غير محله، وجعل لخاصة الخاصة من بني هاشم وهم الفاطميون منهم، كأنه ضاق عنهم وسيع رزق الله الذي وسع من طلعت عليه الشمس فيما بين مشرق الأرض ومغربها إلى هذا الذي ألزم الله نبيه بتنزيه ولده ومن قرب إليه عنه، ولم يقع في ذلك تنه^(٤) ولا تغفل لمراد الله لهم ولا لما أراه من وضعه في المصارف التي بينها

(١) يرومون: يطلبون. (القلموس: ١٢٤/٤).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقطة في بقية النسخ.

(٣) الآية: (٤٤) من سورة البقرة.

(٤) تنه: ترك، ونهي. القاموس: ٢٩٦/٤.

في كتابه الكريم، فعكس المراد في ذلك حتى حرم المصارف عنها بأجمعهم وصرفت فيمن حرمها الله عليه، فإننا لله وإنا إليه راجعون، فإن قالوا: الحاجة والفقر ألجأنا إلى تناول ذلك، قلنا: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزَلُّوا﴾^(١) ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٢) فهذه بلوى من الله قد اختبر بها عباده، وقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(٣).

ثم ليتفكروا كم هم من الناس وما حاجتهم من حاجاتهم، وهل سمعوا قول الله تعالى ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(٤) وقول الله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٥). وانظروا مثل الذين خلوا من قبلكم من سلفكم وأهل بيت نبيكم، واسمعوا أخبارهم فإنهم كانوا أشد احتياجاً منكم، ولم يحملهم ذلك على ارتكاب ما لا يحل لهم، ولكن صبروا وعفوا ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾^(٦) وإنما الأحق بأهل هذا البيت الشريف، والمنصب العالي المنيف، أن ينفقوا أموالهم في الوجوه التي أمر الله تعالى بالإنفاق فيها، ومدح المنفقين فيها، وذم البخل بها في معظم كتابه المبين، وعلى لسان رسوله الصادق الأمين صلى الله عليه وعلى آله الأكرمين، وأن

(١) الآية: (٢١٤) من سورة البقرة.

(٢) الآية: (٢) من سورة العنكبوت.

(٣) الآية: (١٥٥) من سورة البقرة.

(٤) الآية: (٦) من سورة هود، ونماها: ﴿ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾.

(٥) الآية: (٣٢) من سورة الطلاق، وبداية الآية: (٢) ﴿فلذا بلغن أجلهن فلعسكنوهن

بمعروف أو فلنقرهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان

يؤمن بالله واليوم الآخر...﴾، ونما الآية: (٣) ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد

جعل لكل شعب قلدرا﴾.

(٦) الآية: (١٢٦) من سورة النحل.

يكونوا من أهل اليد العليا، وأن يدّ المعطي خيراً من يد المستعطي، وإنما الفضل بالإنفاق في سبيل الله لا يأخذ ما أحل الله، كيف بمن أخذ ما حرم الله ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ [١٣/ب] وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(١)، وليس لمعتل أن يعتل بعدم اليسار الكثير، فإن جهد المقل أفضل الصدقة، وقد مدح الله تعالى الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وذم الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات، والذين لا يجهدون إلاّ جهدهم فيسخرّون منهم سخر الله منهم ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ، الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

ولما كنت أيها الوالد -حمك الله وعافاك- من أهل التقوى [و]ومن تحب الآخرة لا الأولى^(٣) وحملة العلم، رأينا أن نجعل هذا الكلام في كتابك لتبلغه إلى كافة من عندك من أهل البيت الشريف، ولتكون معيناً على ذلك بما تعلمه من الكتاب والسنة، فإننا وإن كنا نرى جواز التأليف منها للهاشمي، فإن تبليغ ما أنزل الله على لسان رسوله ﷺ^(٤) من أعظم الفروض وأكدها، فأردنا الخروج عن العهدة وإبلاغ الحجة وإظهار ما نهى الله [عز وجل]^(٥) عن كتمانها

(١) الآية: ١٧٧ في سورة البقرة.

(٢) الآية: ٢٦٧ من سورة البقرة.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة في الأصل (١)، والإضافة من بقية النسخ.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة في الأصل (١)، والإضافة من بقية النسخ.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقطة في بقية النسخ.

في نحو قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(١) وفي قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾^(٢).

فمن لم يخف من هذا الوعيد فما يخاف بعده؟ اللهم إن الحلال ما أحللت، وإن الحرام ما حرمت، وأنا أبرا إليك من تحليل ما حرمت، ومن تحريم ما أحللت، فمن كان جاهلاً لمقالي فهذه مقالي ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣) ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾^(٤).

ومن أسباب الرزق الجهاد في سبيل الله، فهذه القبائل المعطلة للأحكام، التاركة الصلاة والصيام، قريب منكم جاهدوهم واستعينوا عليهم، وسيفتح عليكم من الغنائم ما يغنيكم به الله عن ارتكاب المآثم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ، إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ [١٤/١] وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ تَعْبُدُونَ﴾^(٥). وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(١) الآية: ١٥٩ من سورة: البقرة.

(٢) الآية: ١٧٤ من سورة: البقرة.

(٣) الآية: (١٠٨) من سورة: يوسف.

(٤) الآية: (٨٨) من سورة: هود.

(٥) الآيات: ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، من سورة: البقرة، ونظام الآيتين: ١٦٩، ١٧٠ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلِ نَتَّبِعُ مَا أَفِينَا عَلَيْهِ ءَأَبْدَأْنَا أُولُو كُنْ أَعْبَادُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ و﴿مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاه ونداء صم بكم فهم لا يعقلون﴾.

[رسالة إلى الحكام والولاة في تعريم الأجرة]

وهذه الرسالة له - عليه السلام - إلى جميع الحكام، والولاة في الجهات المحمية، يحذروهم وينصحهم ويلزمهم التنزه عن مواقع التهم من أخذ الأجرة^(١) التي بلغه عن بعضهم أنه يشرطها لنفسه إن احتاج إلى سيرة مسافة، أو لأعوانه في أي أمر يريد تنفيذه، ويقول ذلك من فرض العامل الذي عليه تنفيذ أحكام الشرع.

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد: حمداً لله على نعمائه، وشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ودعائه بأسمائه، وأن محمداً عبده ورسوله وخاتم أنبيائه، وسيد أصفياؤه، والصلاة والسلام عليه وعلى أهل بيته وأمنائه، فإن من أحق من توقي مواقع التهم في الإسلام، من ترد إليه الأحكام، وترجع إليه من القضاة والحكام؛ لأنهم مبلغون عن الله عز وجل ورسوله ﷺ، فشانهم أن يتنزهوا عما نزه الله عنه رسله - صلوات الله عليهم - من أن يظن بهم طلب الأجر المعجل، وإيثار هذا التافه من الدنيا الذي ليس عليه معول، وفي ذلك ما حكى الله عن نبيه محمد ﷺ فيما علمه من قوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ﴾^(٢). وقال عز وجل: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾^(٣).

وحكى ذلك عز وجل عن جميع أنبيائه - صلوات الله عليهم - كما حكى

(١) ما كان يفرض من الملك على الأهالي، حيل المشاكل التي كانت تقع في ما بينهم، أو مع الدولة.

(٢) الآية: (٩٠) من سورة: الأنعام، وبدايتها: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهدهم اقتله﴾.

(٣) الآية: ٤٧ من سورة: سبأ، وتعلمها: ﴿وهو على كل شهيد﴾.

في سورة هود عن نبيه نوح: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾^(١)، وعن هود: ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾^(٢) وحكى في سورة الشعراء صيغة واحدة عن جماعة من أنبيائه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾^(٣).

فجعل نفي ذلك عن نفسه ثالثاً للأمر بتقوى الله وبطاعته، وما شأن حكم الشريعة فيما يأمر أو ينهى عنه، إلا حكم المبلغ لحكم الله، والمرشد لعباده إلى أمر الله، سواءً تولاه بنفسه أو بعث عليه نائياً، كما هو كذلك في حق الأنبياء - صلوات الله عليهم - ومن يبعثونه من الرسل للتبليغ عنهم، بل تعلق التهمة والعياذ بالله بمن انتصب لفصل شجار المسلمين، وتصدر للحكم بنفس أو مال لرجل على آخر أعظم من تعلقها بمن لم يكن إلا متجرداً للدعاء إلى الله، والنهي عن عبادة غير الله، مع اقتران تأييد الله له على التصديق والتنزيه بالمعجزات الباهرة، والآيات الظاهرة، كما لا يخفى ذلك على من تأمل بل أشار [٤/١٤١/ب] إلى ذلك عموم صفة النبي ﷺ بأنه يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، وعموم قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «هدايا الأمراء غلول»^(٤) مع أن في كل من العمومين خصوصاً معنوياً لكنه في النبي ﷺ بأن التهمة نادرة.

وفي جانب غيره من العمال بأنها أكثرية ظاهرة حتى جاء عن أمير المؤمنين وسيد الوصيين - كرم الله وجهه - في بعض الصور، وعند بعض الحوادث صيغة العموم في إلحاق الهدية بالصدقة وقوله: فكل ذلك محرم علينا أهل

(١) الآية: (٢٩) من سورة: هود، وتامها: ﴿...وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾.

(٢) الآية: (٥١) من سورة: هود.

(٣) الآيتان: (١٠٨، ١٠٩) من سورة: الشعراء، وتام الآية: (١٠٩) ﴿...إن أجري إلا على ربِّ العالمين﴾.

(٤) الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير: (٧٩٦).

البيت، وإن كان المراد به بشهادة القرابين تلك الصورة الخاصة بيئها على اختلاف مواقع التهمة، وأن المقترن بها يلحق بمعلوم الحكم حرصاً على التبليغ عن الله عز وجل على وجه لا تشوبه الأغراض الدنيوية ليكون خالصاً لله عز وجل من جميع وجوهه، ولتكمل به الحجة على عباده، وتتم به المعذرة لمن يبلغ عن الله ورسوله، ومع ذلك فإن الله عز وجل ومع ضمانه لرزق عباده في مثل قوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١) لما علم أن التكليف لا يتم إلا بإن تجري أرزاق الأنبياء-صلوات الله عليهم- ومن يبلغ على الوجه الذي تجري عليه أرزاق سائر عباده من التعليق بالأسباب والوجوه، عوض نبيه ﷺ أطيب رزق من المغاتم، وعوض من يتصدى للأحكام ونحوها أرزاقاً من أموال المصالح التي لا منة فيها ولا تهمة ولا مسوغ لأحد مثل الحاكم لما يأخذ من رزق الله الجاري على أيدي الأنبياء والأئمة-صلوات الله عليهم- إلا قيامه بفرض ما هو فيه، ومنعه عما عداه، فعليه مع ذلك تولي كل واقعة بين الخصوم يحتاج إلى توليها بنفسه، أو من يقوم مقامه ولو برحلة قريبة أو بعيلة من غير أن يأخذ على ذلك أجراً من المتحاكمين إليه؛ لأن ثمرة حكمه هو ذلك وبه يتم وما لا يتم الواجب إلا به حكمه حكمه، وإنما يسوغ فرض شيء من الأجرة لغيره لا بنفسه، مثلاً لو اضطر مع إذن الإمام لضرب من المصلحة كعدم ما يرزق النائب في تلك الحال أو دفع مفسدة، كما إذا أذن الإمام في العقوبة عند استحقاقها من المال، وهذا بفضل الله في زمننا هذا لا ملجئ إليه.

أما الأول: فإنه ما من حاكم ولا متعلق به إلا وله رزق معلوم ونصيب في بيت المال مقسوم.

(١) الآية: (٦) من سورة: هود.

وأما الثاني: فإن الآداب المتوجهة لدفع المفسد لها مصارف معينة، غير أعوان القضية الذين قد تقررت أرزاقهم، وهو الجنود والعسكر الذين يقع بهم التنفيذ، وعليهم يدور دفع المفسد، ومثلهم أرصدت الآداب، ومثلها [١٥/أ] أرصدوا، وذلك من فرض الولاية الذي ينهي إليهم الحكام حال التمرد عما وجب عليه من حق فيحسب ذلك من أرزاقهم النبي ليس لهم غيرها، ويلتحق بذلك ما قد تدعو إليه الحاجة من أجره ما يحتاج منه إلى عمل ممن لا تعلق له برزق من المغنم ولا من المصالح ولا من الآداب المفروضة لدفع المفسد، كمن يستعين به من الزرعة^(١) إلا جانب في قسمة أو تقويم تعود مصلحته على المتحاكمين، وترجع منفعته إلى المتخاصمين وهو في حقيقة الأمر عامل لهم مع عدم من يقوم بذلك على وجه ممن استقر رزقه في أموال الله، وإنما دعت إليه الضرورة، إن الحاكم ومن ينوب من قبله غير بصير في المطلوب منه، وأجرته بتراض بينه وبين الخصمين إن أمكن، وإلا فرض له الحاكم بالعدل والقسط على وجه لا يقارنه تهمة ولا جور، للإضطرار إلى مثل ذلك في بعض الأحوال، بل لأنه يكون أقرب إلى العدل وأبعد عن تعلق التهمة بالحاكم، ويوهم الإدلاء إليه في أكل أموال الناس بالباطل، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِنَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢) وهذه الآية وما يشابهها من كتاب الله عز وجل من أعظم ما ينبغي أن يعتبر بها حكام الشرع المطهر أعزه الله، ويحملون أنفسهم على التبعاد عن موضع كل تهمة أو مضنتها ولذلك كان مرجواً مع الكلام^(٣) النبوي^(٤) قوله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقضن مواقف التهم»^(٥).

(١) الزرعة: الموضع الذي يزرع فيه. (القاموس: ٣٥/٣).

(٢) الآية: (١٨٨) من سورة البقرة.

(٣) في الأصل، وبقية النسخ: (لكم) على ما جرى عليه الناس.

(٤) في الأصل وبقية النسخ: (النبوية).

(٥) الحديث: ابن سعد الطبقات الكبرى: (٨٣).

وقص الله عز وجل ما تقدم ذكره في حق أنبيائه - صلوات الله عليهم - وأشار في معنى توحي التهمة في القصص أيضاً عن أنبيائه وأوليائه - صلوات الله عليهم - بما يقتضي أن توحي تهمة الطمع أو الجور أو ارتكاب المفصلة، وإن عارضته مفصلة أخرى تجب إشارة لأربابه على مقابله. فحكى عن يوسف - صلوات الله عليه - ﴿هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي﴾ مع ما يترتب على ذلك من أذيته بالسجن وغيره، كما كان ذلك أهون من نسبة ما أرادت نسبه إليه إذ إذائه - عليه السلام - بالسجن وغيره من كبار المعاصي، وكمل ذلك في قصته - عليه السلام - وقد أرسل إليه الملك ليطلقه عن السجن وهو من المصالح بل من دفع المكاسب أن قال: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَمَا سَأَلَهُ مَا بَالَ النُّسُوءِ اللَّائِمِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾^(١) الآيات. مع أنه تذكير بأمر منسي. ولما أذن الله عز وجل بأخذ أخيه توسل إليه بما شرعه الله له وأذن فيه من الذريعة التي تنفي عنه - عليه السلام - الظلم والجور، وإن كان فيها نسبة السرقة إلى أخيه لتفاوت ما بين حالتيهما في اعتبار دفع المفصلة [١٥/ب]، وحكي عن مؤمن آل ياسين^(٢) - سلام الله عليه - لما أعياه أمر قومه، وهو كاتم لإيمانه أنه صرح بقوله للمرسلين: ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ﴾^(٣) مع أن ذلك أفضى كما في الأخبار إلى قتله؛ لكنه كان مفسدته أهون من مفسلة اعتقاد أنه لم يؤمن، ولذلك قال: فاسمعون، وجاء في الخبر عن النبي ﷺ قوله: «إنها صفة»، لمن رآه يسايرها لما كان مفسلة تجويز أن يظن به ﷺ سوء طهره الله عنه أهون من مفسلة تجويزه أن الرائي ممن يظن ذلك، مع أنه قد جوز في حقه المعصية وهي ظن السوء به ﷺ، وجاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - : (فإن

(١) الآية: (٥٠) من سورة يوسف، والآية: ﴿وقل الملك أتوني به فلما جاءه الرسول قل ارجع إلى ربك

فاسأله ما بل النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيهن عليم﴾.

(٢) مؤمن آل ياسين: هو (حبيب النجار). (انظر الشجري: كتاب الأمالي للإمام المرشد يحيى بن الحسين: ١٣٩).

(٣) الآية: (٢٥) من سورة ياسين.

أسكت يقولوا جزع من الموت، وإن أقل يقولوا حرصاً على الملك، ولا واسطة بين القول والسكوت. فلتختار السكوت - عليه السلام - كما ذلك معلوم من حاله لما كان مفلسة اعتقادهم أو دعواهم عليه أنه حرص على الملك أعظم من مفلسة اعتقادهم أنه جزع من الموت، إلى غير ذلك مما لا يحصى مما يستنبط من كتاب الله عز وجل ومن سنة نبيه ﷺ، ومن أقوال أئمة الهدى وسيرهم.

وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[رسالة في الحث على الصلاة وحجاب النساء]

وهذه الرسالة أرسلها - عليه السلام - إلى البلاد تتضمن الحث على الصلاة، سيما إلى الجهة التي بلغه عنها التساهل بها والحجاب من النساء. بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وكتابتنا هذا معذرة إلى الله وبلاغ إلى جميع المسلمين المكلفين من الرجال والنساء سلام الله عليكم فإننا نحمد الله إليكم، ونصلي ونسلم على محمد وعلى آل محمد ونأمركم بإقامة هذه الصلوات الخمس، وتعلم ما تجب به الطهارة، والأوقات والقبلة والأذكار والقراءة والركوع والسجود، وأن لا تتهاونوا بها ولا تضيعوها، فإن الله عز وجل لم يحقن اللماء إلا بها، ولا أوجب الإسلام إلا لأهلها فقل عز وجل: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَاحْضَرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلٌّ مَرْصِدٌ لِّئِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

(١) الآية: (٥) من سورة التوبة، وبدايتها: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم...﴾.

وحكى تبارك وتعالى جواب أهل النار لما سئلوا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمَسْكِينِ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ، وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ، حَتَّى آتَانَا الْيَقِينَ، فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ^(١).

وجاء عن رسول الله [١٦/أ] ﷺ: «إن الصلاة هي الفارقة بين الكفر والإسلام».

وأنه ﷺ كان إذا غزا قوماً انتظر وقت الصلاة هل ينادون إليها، فإن نادوا إليها وإلا صبحهم واستباح أنفسهم وأموالهم وسبى نساءهم وذرائعهم، فأبى واجب أعظم من هذا الواجب الذي من أحل به من الرجال والنساء كان حكمه حكم المشركين الذين أباح الله دماءهم وأموالهم وسبيهم، وأبى واجب أعظم من هذا الواجب الذي أخبر أهل النار نعوذ بالله منها أنهم سلكوا في سقر من أجله، ومن الذي يرضى بمثل ذلك لنفسه أو لأهله أو لولده وهو يسمع قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئس المصير^(٢)».

هذا وبلغنا أن النساء مع قطعهن للصلاة وتهاونهن بها لا يحتجبن عن الأجناب، ولا سيما ابن العم والحل وأقارب الزوج، ولا ينهاهن الرجال

(١) الآيات: (٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧) من سورة المدثر.

(٢) الآيات: (٦، ٧، ٨، ٩) من سورة التحريم.

القوامون عليهم من أهلهم وأزواجهن عن ذلك، فكانوا شركاء لهم في الإثم، والله يقول: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ، وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾^(١) إلى آخر الآية الكريمة. وفيها ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾.

وقال عز وجل مؤدباً لأصحاب نبيه ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾^(٢). مع جلالة قدر أصحابه، وجلالة قدر أزواجه. فاتقوا الله وتقربوا إليه. تنالوا إن شاء الله خير الدارين، والله حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

[رسالة للإمام حول الغلاء وقلة الثمار والأمطار]^(٣)

وهذه تذكرة منه - عليه السلام - في غرة سنة أربع وستين وألف [١٦٥٣م]. وقد استمر الغلاء سنتين لقلة الثمار والأمطار.

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. كتابنا هذا تذكرة إن شاء الله تعالى لأنفسنا ثم للأخص فالأخص بسائر المسلمين كثر الله جماعتهم، وجمع على [١٦/ب] التقوى والخير قلوبهم وأيديهم ونياتهم واعتقاداتهم سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فإني أحمد الله إليكم وأسأله

(١) الأيتان: (٣٠، ٣١) من سورة النور، وتام الآية: (٣١) هي ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْتِبَاءِ مِنَ الرَّجُلِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِرِجْلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوَسَّوْا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

(٢) الآية: (٥٣) من سورة الأحزاب.

(٣) ما بين المعقوفين عنوان أضفنه على طريقة النسخ.

أن يصلي ويسلم على محمد وعلى آل محمد، وأذكركم ونفسي بنعمة الله علينا جميعاً.

أما نحن أهل بيت رسول الله ﷺ، فيما فضلنا به بعد الإيمان به وبملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر من ولادة نبيه ﷺ، التي هي من أعظم الفضائل والنعم الجلائل، ثم الولاية على عباده والوساطة بينهم وبين ربهم بما ينالون به ثوابه ويتقون عقابه. وفي مثل ذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(١). وتطهيره لنا عن أوساخ ما في أيدي الناس كالزكوات.

وأما سائر المسلمين فيما أنعم الله عليهم من الإسلام، واتباع نبيه ﷺ وأهل بيته وسائر النعم، وبأن النعمة على المتبوع نعمة على التابع. كما أن النعمة على الوالد نعمة على الولد. ولذلك حكى عز وجل عن نبيه: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢).

وحكى عن عباده المتقين له مثل ذلك في قوله عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَلِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾^(٣).

(١) الآية: (٢١) من سورة المائدة.

(٢) الآية: (١٩) من سورة النحل، وبدايتها: ﴿فتبسم ضاحكاً من قولها وقد...﴾.

(٣) الآيتان: (١٥، ١٦) من سورة الأحقاف.

وقال عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أُيِّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾^(١). فجعل نعمته على عيسى -صلوات الله عليه- نعمة على أمه، ثم أمره بذكر نعمته عليه وعليها، وأنه لا غنى لي ولا لكم عن الله عز وجل وذكره وشكره، والاعتصام بحبله، والالتجاء إليه في السراء والضراء، والشدة والرخاء، والعافية والبلاء، وفي كل خطرة وطرفة، وفي ما دون ذلك. وإن الله ذكرنا جميعاً في هذه السنين بشيء من نقص الثمرات ونحوها ليلبونا بذلك، ويعرضنا للتذكر والتذاكر والصبر والتواصي به، وبالحق كما قال عز وجل: ﴿وَتَبَلَّوْا نَكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾^(٢).

وقال: ﴿وَتَبَلَّوْا نَكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبَلَّوْا أَخْبَارَكُمْ﴾^(٣).

ومع ذلك فإنه لم نبتل من ذلك وله الحمد إلا باليسير المذكر للغني والفقير. أما الغني فليغنم النفقة في سبيل الله، وأما الفقير فليغنم الصبر على اختبار الله، وليكون ذلك موقظاً للإنباء إليه عز وجل، والتضرع لجلاله، والالتجاء إليه وحده، كما قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾^(٤). مع ما ابتلى به عز وجل من عظمت عليه نعمة الله منا ولاة الأمر من النظر للمسلمين في أحوالهم، وما فيه حفظ نفوسهم وأموالهم، وحراسة حوزة الإسلام -زاده الله تعالى عزاً وحراسة-

(١) الآية: (١١٠) من سورة المائدة، وتعلمها... تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جاءتهم البينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين.

(٢) الآيات: (١٥٥، ١٥٦، ١٥٧) من سورة البقرة.

(٣) الآية: (٣١) من سورة محمد.

(٤) الآية: (٤٢) من سورة الأنعام.

وتعظيم أمر الإسلام بالشعارات التي لا تنفذ دعوة الحق إلا بها، ولا كلمة الله إلا عنها وما نعد لها. ونقصد به وجه الله من موادها وما للمساكين وابن السبيل والضعفاء والأيتام والأرامل ومن له حق في أموال الله من مهاجري وأنصاري، ومن في قوته قوة الإسلام - أعزه الله تعالى وحفظ معلمه - والأخذ على أيدي العصاة، ومن يتنازع إلى الظلم، كأجناد الحق، وأعاون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في البر والبحر، مع ما من به من اتساع نطاق الإسلام - أعزه الله - ودعوة أهل الحق أعلاها الله، وكلمة آل محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم التي هي كلمة الله، وما يتم به إن شاء الله معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَلُمَّتْ صَوَامِعُ وَيَبِعُ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(١).

مركز تحفة الأسماع

وبعد هذه الشلة الرخاء بعد الضيق بفضل الله وإحسانه وجميل عوائده السبغة، وقد قل عز وجل ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٢).

وقال النبي ﷺ: «اشتلي أزمة تنفرجي»^(٣).

وقال ﷺ: «لئن أكون في شلة أنتظر الرخاء أحب إلي من أن أكون في الرخاء أنتظر الشلة»، لكننا جميعاً محتاجون إلى أن نذكر بعضنا بعضاً.

أما نحن ولاة أمور المسلمين فنحسن النية إن شاء الله وقصد وجه الله فيما نأتي وفيما نذر، وما نقوله وما نفعل، وما نأمر وما ننهي، وما نعطي وما نمنع، وأن نؤدي أمانة الله لأهلها كما أمر الله تعالى.

(١) الأيتان: (٤٠، ٤١) من سورة الحج، وبداية الآية: (٤٠) ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حَقِّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾.

(٢) الأيتان: (٦٥) من سورة الإنشراح.

(٣) انظر الحديث في فيض القدير (٥١٦٨).

وأما سائر أهل بيت رسول الله ﷺ فبالتجنب بما أمكنهم لما حرم الله عليهم من هذه الزكوات، وماله حكمها والإلتجاء إلى الله عز وجل، فإن الله لا يضيعهم، ولا ييأسوا^(١) إن شاء الله مع تورعهم فيها [١٧/ب] وأن الأرزاق بيد الله الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو عز وجل يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^(٢). وبالتورع عن ذلك يفتح لهم أبواباً لم تكن في حسابهم، كما قال عز وجل وهو أصدق قائل، وأوفى واعداً: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٣). وقال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾^(٤). وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾^(٥). ويرضون بما يسر الله لهم مما يحل لهم، إما على أيدي ولاية أمر المسلمين أو بالسعي من حيث أذن رب العالمين. (والعض على الصبر بالتواجد)^(٦). فهم أهل بيت النبوة ومنازلهم منازل الصبر.

وأما غيرهم فبالتعفف ما أمكنهم عن تناول شيء مما غيرهم أولى به وأحوج، وقبول ما يعطون في هذه الساعة إن شاء الله مما لا يجدون عنه بدءاً، حتى يفرج الله عز وجل علينا وعليهم، وعلى جميع عباده باتساع الثمار ونزول الأمطار، التي نأمر أنفسنا ونأمرهم جميعاً باستنزائها إن شاء الله تعالى، واستجلاب بركتها بالتوبة والاستغفار، فإنه عز وجل يقول: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ

(١) في الأصل: ولا يسؤ.

(٢) الآية: (٥٨) من سورة الذاريات.

(٣) الأيتان: (٢، ٣) من سورة الطلاق، وبداية الآية: (٢) ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ فَلَمْسُكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عِلْقٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَظَّعُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾. وتام الآية: (٣): ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالْحَقِّ قَدِيرٌ﴾.

(٤) الآية: (٤) من سورة الطلاق، وبدايتها: ﴿وَاللَّائِي يَتَسَنَّ مِنْ الْحِيضِ مَنْ نَسَأْتُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعُدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضُنَّ وَأُولَاةُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾.

(٥) الآية: (٥) من سورة الطلاق، وبدايتها: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ...﴾.

(٦) ما بين القوسين مثل يضرب عند بلوغ الشيء أشده. (المنجد: ٧٩١).

كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيَمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴿١﴾.

ويقول عز وجل: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ، أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ، وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ، إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

ويقول عز وجل: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾^(٢). وبالتواصي بالحق والصبر، والرحمة، والتأمر بالمعروف، والتناهي عن المنكر، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت الحرام، وتحليل ما أحل الله، وتحريم ما حرم الله، وحسن الإخاء في الله، وتطهير القلوب عن الغل والحسد والكبر والرياء والمباهاة وحب الدنيا، وكثرة التضرع إلى الله عز وجل بالتوبة والإستغفار والخشوع له عز وجل، والخضوع. فإن الله عز وجل يقول: ﴿إِنْ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّجُومِ مَسْخَرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ [١/١٨] حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثَقَالًا سَقَنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُشْكُرُونَ﴾^(٣).

(١) الآيات: (١٠، ١١، ١٢) من سورة نوح، وبداية الآية: (١٠): ﴿فقلت...﴾.

(٢) الآيات: (١، ٢، ٣، ٤) من سورة هود.

(٣) الآية: (٥٢) من سورة هود، وبدايتها: ﴿ويا قومي...﴾.

(٤) الآيات: (٤٥، ٤٥، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨) من سورة الأعراف.

[رسالة الإمام المتوكل لأهل البيت حول الزكاة]^(١)

وهذه الرسالة أنشأها - عليه السلام - في غرة سنة أربع وستين وألف [١٦٥٣م] تتضمن النصح لأهل بيت النبوة، والأغنياء عن تناول الزكاة المحرمة عليهم وإن جاز له اعطائهم حرم عليهم قبضها، وكان إنشاؤها في معمور حبور^(٢):

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلى الإنس والجن أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الذين أراد الله تطهيرهم وإذهاب الرجس عنهم، وسلم عليه وعليهم، وعلى عباده الذين اصطفى، ورسله الذين اختارهم واجتنبى.

أما بعد: فإن أقبح العصيان ما وقع منه على علم واطقان، كمعصية العلماء الذين جعلهم الله [تعالى]^(٣) ورثة الأنبياء، ولا سيما إن كانوا من أهل بيت المصطفى لما في ذلك من الانسلاخ عن ما آتاهم الله من الآيات، وبيع العظيم بما أوتي بالثمن القليل من متاع الدنيا واتباع الشهوات: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤).

(١) ما بين المعقوفتين عنوان أضفناه على طريقة الناسخ.

(٢) حبور: بلدة مشهورة من مديرية ظليمة فيها مركز المديرية، تقع في الشمال الغربي من صنعاء على مسافة (١٤٠) كم، وهي من البلدان المشهورة بالعلماء والتعلمين. (الحجري: ٢٢٧-٢٢٨)؛ الحجري: ٥٦٧٢.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة في (ح) و (ف).

(٤) الآيتان: (١٧٥، ١٧٦) من سورة الأعراف.

والإنسلاخ من آيات الله تعالى هو أن تعلم ما علمه الله تعالى ورسوله ولا تعمل به إخلاداً إلى الأرض واتباعاً للهوى، ومخادعة لله: ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون^(١). فما أظلم من يتلو وتلى عليه: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾^(٢) وما أقبح من يروي ويروي له أنها لا تحمل لذوي القربى، وما أسوأ من يملي وتلقى عليه أنها لا تحمل للأغنياء وهو يصرى نسبه في الهاشميين الخيار أو من أهل الجلة واليسار، ولا يرفع لذلك الذي تلى وتلى عليه، وأنبيى ولا يبني عليه فيما بينه وبين الله أساساً كأن لم يقرع سمعه قول الله تعالى: ﴿آتَاكُمْ مِّنَ النَّاسِ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾^(٤) [ب/١٨].

وقوله: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبَسَّلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدَلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾^(٥). وإلا فما العذر بعد العلم بذلك وبأن الله هو الرزاق دون الإقتحام على المهالك، ولو أنه اعتمد التقوى وترك ما لا يحل له ولا يجب لصديق وعد الله له في قوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٦) ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ

(١) الآية: (٩، ١٠) من سورة البقرة.

(٢) الآية: (٦٠) من سورة التوبة.

(٣) الآية: (٤٤) من سورة البقرة.

(٤) الآية: (٥١) من سورة الأعراف.

(٥) الآية: (٧٠) من سورة الأنعام.

(٦) الآية: (٢) من سورة الطلاق.

وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١١﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنَ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾. وَقَالَ: ﴿وَأَلُو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٣﴾. وَقَالَ: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِن لَّهُ مَعِيشَةً سَنَكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تَنْسَى، وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى، أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِن فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٤﴾.

يعني ذوي العقول فيعلمون أن التهاون بأوامر الله ورسوله هو الذي أهلك القرون الماضية، والأمم الفانية، وأي تهاون أعظم من الإستمرار على أكل ما حرم الله من الزكاة بما في ذلك من أنواع المعاصي التي أولها ترك الطاعة لله ولرسوله.

وثانيها إن عدم الحظ على طعام المسكين من موجبات تصلية الجحيم، فكيف من أكل ما عينه الله له وفرضه على غيره في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ.

وثالثها: إن الله ما حرم الزكاة على الهاشمي إلا تنزيهاً لرسوله ﷺ وتشريفاً، فأكلها من ذوي قربه ﷺ لم ينزه الرسول ﷺ ولم يشرفه لتلوته^(٥). بما أمر بتنزيهه فرع رسول الله صلى الله عليه وآله وفرع أصول عنه.

(١) الآية: (٩٦) من سورة الأعراف.

(٢) الآية: (٦٦) من سورة المائدة.

(٣) الآية: (١٦) من سورة الجن.

(٤) الآيات: (١٢٣-١٢٨) من سورة طه، وبداية الآية (١٢٣): ﴿قُلْ امْطُورُوا مِنْهَا جَمِيعاً لَعْنَتُكُمْ لِبَعْضِ

عَدَاؤِهَا فَمَا يَأْتِيكُمْ مِنْهَا هَلْأ...﴾.

(٥) كذا في الأصل، وبقيّة النسخ.

ورابعها: أن البر والخير إنما هو في الإنفاق، لا في الأخذ ولو من وجوه الحل^(١) وطيب الأرزاق، وأكل ما حرم عليه تاركاً للإنفاق الذي دعا الله إليه المقل والمكثر، والموسع والمقتصر، وذم التساخر ممن أعطي اليسير وسخر منه، وأوعده العذاب الكثير، وقد ضم إلى ذلك أن أخذ من غير وجه الحل الواضح بل من الحرام المخزي الفاضح، واستلذ به المأكل والمشرب والمنكح، وكأنهم لم [١/١٩] يعلموا ما مضى عليه السلف الصالح، من صبرهم على ما يحل وإن جاعوا، وعضهم النواجذ على دين الله ولو أنهم هلكوا حتى مضى على آل محمد الأيام والليالي، ولم توقد في بيوتهم النار، ورقعوا ثيابهم مرة بعد أخرى، ولم يخشوا من العار^(٢).

[إذا المرء لم يندس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل]^(٣)

وأطعموا طعامهم لوجه الله، وصبروا على قشف^(٤) العيش ابتغاء مرضات الله، أفلا تخشون أن تكونوا كالذين قال الله فيهم: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرَثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْتَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٥). فليتذكر المؤمنون بما ابتلاهم الله من نقص الثمرات ولا يغفلوا عن ذلك فلا أمر ما قصر الله علينا في كتابه الكريم أخبار الماضيين، وأخبر أن سنته فيهم هي سنته في الباقين، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ، فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا

(١) الحل: الحلال.

(٢) العار: العيب. (المنجد: ٥٤٠).

(٣) ما بين المعقوفين ساقطة من الأصل (١)، والإضافة من بقية النسخ.

(٤) قشف العيش: ضيق العيش وسوء الحال. (القلموس: ١٩١/٣).

(٥) الآية: (١٦٩) من سورة: الأعراف.

عَلَيْهِمْ أَبْوَابُ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ، فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»^(١).

فإن ظنوا أن اعطاء الإمام يحل من ذلك ما حرمه الله عليهم فقد أعظموا الذنب وأفرطوا في الجهل، فإنه قد شرع الله للإمام أن يتألف^(٢) من الزكاة، ولم يخص أحداً دون أحدٍ وقد قال رسول الله ﷺ: «إني لأعطي الرجل العطية يخرج بها يتأبطها ناراً»^(٣).

وقد كان المنافقون يلمزون رسول الله ﷺ في الصدقات، فإن أعطاهم منها رضوا وإن لم تحل لهم؛ لأنهم إنما رضوا لما أعطوا لا لما أوجب الله تعالى عليهم من الطاعة لله ولرسوله، وقال فيهم: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَحْضِرُونَ، وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ، إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»^(٤).

فبين الله في هذه الآية مصارف الصدقات بياناً شافياً على لسان رسول الله ﷺ أنه قدم إعطاء المؤلفة على كثير من ذوي الإستحقاق، وإن الذين لم يعطهم خيراً من الذين أعطاهم، فقل فيما رواه [١٩/ب] البخاري ومسلم وغيرهما: «إني أعطي قوماً أخاف ضلعهم وجزعهم وأكل قوماً إلى ما جعل الله تعالى في قلوبهم من الخير والغنا منهم عمرو بن تغلب»^(٥).

(١) الآيات: (٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥) من سورة الأنعام.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) الحديث: الترغيب والترهيب للمنذري: (٥٧٥/١).

(٤) الآية: (٥٨، ٥٩، ٦٠) من سورة التوبة.

(٥) الحديث: مسند أحمد: (٩١/١).

وقال: «إني أعطي رجالاً أتألفهم، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعون إلى رجالكم برسول الله، فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به إنكم سترون بعدي أثره شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فإني على الحوض»^(١).

وقال: «إني أعطي قوماً أتألفهم لأنهم حديث عهد بجاهلية»^(٢). فأخبر ﷺ بوجه التأليف، وأنه لا يحل لمن أعطه على ذلك شيئاً مما أعطه، فاتقوا الله ولا تغيروا نعمة الله، واتقوا الشبهات وتجنبوا المحرمات ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣). ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٤).

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم.

مركز تحفة كويتية للدراسات والبحوث

[رسالة من الإمام للشاه عباس الحسيني]^(٥)

ومن مكاتباته - عليه السلام - إلى السيد السلطان شاه عباس الحسيني ضمنه شفاعة لرجل أتاه من بلاد السلطان المذكور يسمى صفى الدين قلى، واستعطافاً لقلب السلطان عليه:

بسم الله الرحمن، الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى المقام النبي أيد الله به العترة النبوية، والمحل النبي مجد الله به العصاة العلوية، والشرف

(١) الحديث: الألباني، صحيح الجامع الصغير: (٣٦٥٨).

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) الآية: (٥٣) من سورة: الأنفال.

(٤) الآية: (١٠٨) من سورة: يوسف.

(٥) ما بين المعقوفتين، عنوان أضفنه من الحاشية.

السامي الرفيع الذي به ازداد شرف الملة المحمدية، والفخر العالي المنيع، الذي لا يزال يصعد به السعد إن شاء الله إلى كل رتبة عليّة، حيث استقر ركاب أخينا وابن عمنا وأبينا كريم المنصب، شريف المراتب، طاهر المناسب، فخر الآل الإمام الوصي الأمين، الأنزع البطين، المتختم باليمين، علي بن أبي طالب، السلطان الأعظم، والشاه الخطير الأكرم، عباس شاه الحسيني - أحسن الله إليه - وأتم نعمه عليه، وبلغه صالح الأمل فيما لديه، ولا برح ناصرًا للدين الحنيف، حامياً لحمى أهل البيت النبوي الشريف، قامعاً بسيف سطوته إن شاء الله وجهاده كل ذي زيغ وتحريف، والله يهدي إلى سوحه الكريمة، ومعاليه الفخيمة شرائف تحياته المباركة الزاكية^(١) وانعاماته المتداركة النامية، وكراماته التي هي إن شاء الله بحجر الدارين [٢٠/١] متممة، وبكل مقصد صالح وافية.

وبعد: حمداً لله إليه على ما أنعم به وأولى، وسؤاله [أن يصلي] لنيبه المصطفى، ووليه علي المرتضى، وأمته فاطمة الزهراء، وصفوته الحسن والحسين، إمامي الهدى، وهؤلاء [هم الأئمة]^(٢) الذين أورثهم الكتاب والحكمة، واختصهم بالكرامة والعصمة، ومنح الأئمة منهم الرأفة والرحمة، صلواته وبركاته وترحماته وتحياته وسلامه الذي يرفع لهم به الدرجات في دار السلام، ويؤتيهم به الوسائل في أرفع مقام وأعلى سنام، فإنه كما أن شيمة أهل البيت النبوي، والمنصب المصطفوي، والنسب الشريف الفاطمي العلوي، ما خصهم الله به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحفظ حدود الله والدعاء إلى سبيل الله، والجهاد لمن حاد الله ورسوله ولذلك صدقهم ما وعدهم

(١) الزاكية: جمع زكاة وهي النامي الطيب. (المنجد: ٣٠٣) ت.

(٢) ما بين القوسين ساقطة من الأصل (١)، والإضافة من بقية النسخ.

(٣) ما بين القوسين من (١) و (ف) والإضافة من بقية النسخ.

من اظهار دينهم الذي هو دينه، وعلو كلمتهم التي هي كلمته، فلم تزل رايات الحق بهم في أقاصي البلاد وأدانيها سابقة، وسيوفهم الماضية في كل زمان ومكان بين الحق والباطل فارقة^(١)، كما بلغكم جلد الله سعيكم من ظهور دعوة الله وله الحمد، ودعوة أهل بيت رسوله ﷺ في هذه الديار، وبلغنا كذلك ظهورها على أيديكم في تلك النواحي والأقطار، فإن من شيمتهم - صلوات الله وسلامه عليهم - ما هو من خلق جدهم - صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الكرام - وصفته التي وصف بها في التوراة والإنجيل والقرآن، وأدبه الله بها في قوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾^(٢). وقوله: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٣). ولا سيما بعدما من الله به من القدرة وتفضل به من التأييد والنصرة، وإن تعفوا أقرب للتقوى، وهو من شكر نعمة الله عز وجل على ما أولى وبلغ من الرجوى.

ولما وصل إلينا متحمل كتابنا صفي الدين ابن إمام قلبي حقق لنا ما تفضل الله به علينا وعليكم وعلى المسلمين من استعادتكم لما كان خرج على الحوزة فيما مضى من بلاد قندهار^(٤) وما تيسر لكم والفضل لله من الإذالة^(٥) من العدو وأخذ الثأر، وطلب منا هذا الكتاب إلى شريف ذلك المقام ليكون إن شاء الله وسيلة له تراحمكم بالعفو عنه والصفح والتجاوز كما هو مقتضى خلائفكم الكرام، لعلمه بأن [٢٠/ب] مثلنا ومثلكم وإن تناءت الديار، وحالت عن تكرار التواصل متباعدات الأقطار، فالقلوب إن شاء الله في أمر الله

(١) فارقة: كل ما فرق بين الحق والباطل. (المنجد: ٥٧٩).

(٢) الآية: (١٣) من سورة المائدة، وبدايتها: ﴿فَمَا نَقِضَهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ وجعلنا قلوبهم قاسية يحفرون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم...﴾.

(٣) الآية: (٣٤) من سورة فصلت.

(٤) قندهار: إحدى مدن أفغانستان. (الحموي: يقوت: معجم البلدان ٤٠٢/٤ - ٤٠٣).

(٥) الإذالة: الإهانة. (المنجد: ٢٤١).

وأمر رسوله وأهل بيته بقلب واحد، والأيدي في التظافر إن شاء الله والتظاهر على حب الله عز وجل وحب رسوله وعترته الطاهرة كف وساعد، وكيف لا والنسب الفاطمي يجمعنا، وذلك من فضل الله وامتته، والفخار العلوي شملنا، وذلك من أجل إحسان الله ونعمته، والبيت النبوي وكسائه يضمننا، فالحمد لله بكل محامده، ونسأله أن يجعلنا لربنا من الشاكرين، وأن يدخلنا في رحمته، فأسعفناه إلى ذلك، وطل ما تشوقنا إلى الأسباب، وسارعنا إلى مطلبه رغبة في التواصل الذي شرعه الله بين الأهلين والأرحام وكمل به التواد والتحاب، وقلنا كما يقل (جزى الله الأيام خيراً) إذ فتحت لنا هذا الباب، ورفعت الحجاب، راجين من فضل الله أن يجمع لنا بين أداء حقه في ما يجب للأخ المسلم على المسلم فضلاً عن ما يجمع لذي الرحم على نبي الرحم، مما مدح الله به عباده المؤمنين من التواصي بالحق والصبر، والتواصي بالصبر والمرحمة، والتواصل على ما يحبه منا ويرضى به عنا من إقامة ما شرع من دينه على ما أمر به، وجمع الكلمة والإشراك إن شاء الله في الدعاء إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، فنكون إن شاء الله ممن شملته دعوة أبونا إبراهيم وإسماعيل - صلوات الله وسلامه عليهما وعلى آلهما - فيما حكى عنهما في قوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾^(١) وبين تصديق أمل الوافدين إن شاء الله فينا وفيكم بما أنتم أهله من الإحسان والبر والتجاوز، والستر والأمانة^(٢) إن شاء الله على نفسه وماله وأهله واندراجه إن شاء الله تحت فضلكم كما أتاكم الله من فضله، حامدين الله في انتهاء الخطاب، كما حمدناه في أول الكتاب، مصليين ومسلمين على نبيسه ووصيه، وأهل بيته المطهرين الذين أنزل الله فيهم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ

(١) الآية: (١٢٨) من سورة البقرة، وتعلمها: ﴿...وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾.

(٢) ساقطة من (ف).

الْقُلُوبُ، الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُ^(١). وحسبنا الله ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

حرر بتاريخ شهر شوال من عام إحدى وستين [سبتمبر ١٦٥٠م] وألف بحروس شهارة - حرسها الله -.

[رسالة الإمام المتوكل على الله إلى الشريف زيد بن محسن]^(٢)

وله - عليه السلام - إلى الشريف الأكرم الأعظم زيد بن محسن بن حسين [٢١/أ] بن حسن بن أبي نمي^(٣).

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، غرر المجد النصيرة، ودرر الفخر المنيرة، وسحب الخير المطيرة، ورياض الكرم الوريقة^(٤) وحياض الشرف الدهيقة^(٥)، ومجامع الفضل التي هي بكل مجد رفيع خليقة، وبكل ثناء ومحملة حقيقة، ما جمعته أخلاق الصنو السيد الشريف المعظم الخطير المكرم، حامي حمى حرم الله الأمين المحرّم: زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن محمد بن بركات بن أبي نمي - بآرك الله لنا وللمسلمين في أفعاله كما بآرك في أسمائه -، وزاده مما أولاه من خير دينه ودنياه وسابغ نعمائه وأهلئ إلىه من شريف سلامه وإكرامه وإنعامه وإعظامه ما يبلغه إن شاء الله في طاعته ورضاه غاية مقصده ومرامه.

(١) الأيتان: (٢٩٢٨) من سورة الرعد.

(٢) ما بين المعقوفين، عنوان أضفنه على طريقة الناسخ.

(٣) هو: زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي (١٠١٤-١٠٧٣هـ/١٦٦٢م) أمير مكة، تولى ولايتها سنة (١٠٣٤هـ/١٦٢٤م) كان فيه دهاء وحزم، توفي بمكة (دحلان: أحمد بن زيني: خلاصة الكلام: ٧٩٧٤).

(٤) الوريقة: الضليلة. (القلموس: ٢١١/٣).

(٥) الدهيقة: المتلثة. (القلموس: ٢٤١/٣).

وبعد: فإنه وصل كتابكم الكريم الشريف الوسيم صحبة الأديب الأريب حسين بن علي^(١) - رعه الله - جواباً على جوابنا عليكم في شأن ما يتعلق بالصنو السيد الأنجب مهنا بن قتادة، والشريف الأوحد محمد بن حسين - رعاهم الله - وحرصنا في أمرهما على ما كنا ذكرناه لكم من إيجاد الحال في أمر الله والتعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحفظ الضعيف وابن السبيل عن عبث المفسدين، فإن ذلك لا يتم إلا بالإجماع وحسن النية في الجميع من الجميع، وإن كرهته النفس فقد قال عز وجل: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٢) وقد وصينا الجميع بذلك وأخذنا عليهما ولا نترك إن شاء الله جهداً في إصلاح الحالتين، كتفقد الوالد أمر ولده إن شاء الله، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ثم عرفنا ما اشتمل عليه كتابكم الكريم من تلك النصائح، وتحقيق الأحوال والأراء الميمونة المباركة إن شاء الله، واستمداد ما عندنا من ذلك بعد استخارة الله عز وجل والإعتصام بقوته وحوله إنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأنتم حفظكم الله لم تدعوا في ذلك إلا إلى خير، ولا دللتم إلا على رشد، ومثل ذلك فرضنا وفرضكم، ومطلبنا ومطلبكم، والذي نعول إن شاء الله على التقرب إلى الله عز وجل به، ودعاء عباده إليه والاستعانة به تبارك وتعالى، وحسبنا الله ونعم الوكيل عليه.

وإنما بدافع الأيام والليالي ما هو المقصد الأعظم والمطلب الأكبر، وقوفاً عند

(١) هو: الحسين بن علي بن إبراهيم المهدي جحاف، الحيدري (ت ١٠٥٩هـ/١٦٤٩م)، عالم، فقيه، قرأ على إبراهيم بن المهدي، والإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، توفي في حبور. (زيارة: ٨٧/٢).

(٢) الآية: (١٩) من سورة النساء، وبدايتها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَهْبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِغُلَامَةٍ مَبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ...﴾.

حد التكليف وحاله في زمانه ومكانه ورجاله، فإن الله عز وجل بنى ذلك على البلوى والإمتحان، ومعاناة هذا الخلق من صديق وعدو، وقريب وبعيد [٢١/ب] وابتلينا جميعاً وابتلوا بسد علم الغيب مع ما عليه الدنيا وأهلها، كما أشرتم إليه من إشارهم لجانبها وعدم نظرهم في عواقبها واستحكام الأهواء على أكثر أهلها، ووقوفهم تحت ظلها، وهو كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾^(١) وقال: ﴿الْم، أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾^(٢).

فنسأل الله أن يجعلنا ممن تلقى التكليف الوارد عنه عز وجل بالقبول له والصبر عليه والتأدب بأدابه، فإنه عز وجل نوع التكليف مع العدو أنواعاً فتارة جهاده بلحجة والملاينة في القول والمعاملة والإعراض عن كثير مما يكره من أحواله، كما قال عز وجل: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣).

وتارة بالجهاد بالسيف الذي هو أعظم الدرجات وأرفعها، وإليه تنتهي المقاصد، وعليه يدور التكليف، وبه يتبلج وجه الحق، قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ

(١) المؤمنون: ٣٠.

(٢) الآيات: (١، ٢، ٣) من سورة العنكبوت.

(٣) الآيات: (٣٤، ٣٥، ٣٦) من سورة فصلت.

الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرَ مَنْ لَمْ يَنْصُرْكُمْ مِنْ اللَّهِ فَتَنْصُرُوا بِهِ، يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُنُوزًا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٧٢﴾

وتارة بالجنوح إلى السلم عند جنوح العدو إليها، كما قل عز وجل: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ، وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

ولكل من ذلك وقت وقد نصب الله الأمارات عليه، والإشارات إليه بحسب حل الطالب والمطلوب، والصبر على تحمل مشاق كل حد من ذلك في وقته وحاله، فإن الصبر ملاك كل خير، وأصل كل بركة ورشد، وعنه يتفرع غلبة الرسل والمؤمنين التي وعدهم بها ورغبتهم فيها [٢٢/١] فقل عز وجل: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَبِوَجْهِ الْقَوْمِ الْأَشْقَاتِ﴾^(٢) وقال عز وجل: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٣).

وقل عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاذْتَمَنَّا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤) وكم كرر عز وجل في كتابه الكريم الأمر لنبيه ﷺ بالصبر، وحكى كذلك أمره به رسله وصلحي أتباعهم، وما نالوا من حسن عاقبته وظفره وعزته التي هي لله ولرسوله

(١) الآيات: (١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤) من سورة الصف.

(٢) الآيات: (٦١، ٦٢، ٦٣) من سورة الأنفل.

(٣) الآية: (٥١) من سورة غافرت.

(٤) الآية: (٢١) من سورة المجادلة.

(٥) الآية: (٤٧) من سورة الروم.

وللمؤمنين، فقال عز وجل: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾^(١) وقال: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾^(٢)، وقال عز وجل: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣) وقال عز وجل: ﴿وَأُورِثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةَ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾^(٤) إلى غير ذلك من آيات الكتاب الحكيم، وصبرنا وصبركم إن شاء الله على مثل ما أشرتم إليه من معاناة هؤلاء الظلمة، ومن يميل إليهم، واستعداد الله عليهم في رد كيدهم في نحورهم، وإيقاع شرهم بهم، اقتداء بأولئك الذين قل الله فيهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾^(٥) وقد فعل سبحانه وتعالى فله الحمد، فما أعظم من مكر من أشرتم إليه فيما مضى في بيت الله الحرام ومشاعره العظام المرة بعد المرة فكانوا كأصحاب الفيل، وكما قل الله عز وجل: ﴿كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٦)، وقال عز وجل: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٧) وقال عز وجل: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٨) وإنما نستعين الله عز وجل

(١) الآية: (٦٠) من سورة: الروم.

(٢) الآية: (١٢٧) من سورة: النحل.

(٣) الآية: (٤٩) من سورة: هود.

(٤) الآية: (١٢٧) من سورة: الأعراف.

(٥) الآية: (٩٠) من سورة: الأنعام، وتامها: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾.

(٦) الآية: (٦٤) من سورة: المائدة، وبدايتها: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا

بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا

وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

(٧) الآية: (٥٤) من سورة: آل عمران.

(٨) الآيتان: (٥١، ٥٠) من سورة: النحل.

لنا ولكم على أداء حقه تبارك وتعالى في توخي هذه الحالات والتارات^(١)، وإعطاء كل فريضة منها حقها، فعند الحرب ما قال الله عز وجل: ﴿فَإِذَا تَقَفْتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾^(٢) وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَخْتَمْتُمُوهُم فَسَبُّوا الوَثَاقَ فَإِذَا مَنَا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [٢٢/ب]، سيهديهم ويصلح بالهم، ويدخلهم الجنة عرفها لهم، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ^(٣) وعند العهد والميثاق الوفاء به والصبر عليه وعض الناجذ وخياطة أطرافه وجوانبه من غير دخل في الهدنة ولا غش لخدعة، فإن الله عز وجل قال: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(٤) وعند البلوى بالخلطة لاقامة شعائر الله عز وجل ومعالم دينه الذي في مثلها يقول: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^(٥) ويقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾^(٦) كهذا الشعار الأعظم، والحج الأكبر لديكم الذي قال عز وجل فيه: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(٧) واغتفر الله عز وجل للمؤمنين إن يطوفوا بين الصفاء والمروة والأصنام

(١) التارات: الإغلة مرة بعد مرة. (القلموس: ٣٩٥/٨).

(٢) الآية: (٥٧) من سورة: الأنفل.

(٣) الآيات: (٤، ٥، ٦، ٧، ٨) من سورة: محمد.

(٤) الآية: (٣٤) من سورة: الإسراء، وبدايتها: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ...﴾.

(٥) الآية: (١٢) من سورة: الشورى ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾.

(٦) الآية: (١٥٩) من سورة: الأنعام، وتتمها: ﴿وَإِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

(٧) الآية: (٢٧) من سورة: الحج.

عليها منصوبة، وقباب الكفر بها مضروبة، فقال عز وجل: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾^(١) وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَيْدِيَّ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢) وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ، فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣) وفرضنا وفرضكم الأخذ إن شاء الله بلحزم والحذر، مع ما يقام به ذلك الفرض ويؤدى به ذلك الركن، وأنتم به أمانة وفد الله عز وجل، وحفظهم وحراستهم عن المتمردين من الدفع والتي هي أحسن، ومع شلة الشكيمة على أهل العدوان عليهم والمضارة لهم، والتحكك بضعفائهم، وكما عود الله عز وجل في ما مضى الجميل، ونرجوه لنا ولكم وللمسلمين في المستقبل إن شاء الله، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وسنفعل إن شاء الله في إقبال وفد الله إليكم، وحجاج بيته عليكم، مما أشرتم إليه ما نجد إليه سبيلا، بحسب مقتضى الحال، وما نرجوا به إن شاء الله مع كفاية الله عز وجل المعونة على أداء حقه وحقكم وحق المسلمين واثقين لنا ولكم بقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾^(٤) [٢٣/أ] وقوله عز وجل: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ

(١) الآية: (٢) من سورة المائدة.

(٢) الآية: (٢) من سورة المائدة.

(٣) الأيتان: (١٩١، ١٩٢) من سورة البقرة، وبداية الآية: (١٩١): ﴿واقتلوهم حيث ثقتموهم واخرجوهم

من حيث اخرجوكم والفتنة أشد من القتل﴾.

(٤) الآية: (٣٨) من سورة الحج.

يَكْفُ بِأَسِّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا^(١) وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾^(٢) مع التآسي بقوله عز وجل ﴿لَا يَفْرُتُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وِبَنَسِ الْمِهَادِ﴾^(٣) والتوسل إليه برحمته وجميل عوايده أن يهيء لنا ولكم أسباب التدبير الإلهي، بما يقطع به دابر القوم الذين ظلموا ويمحو بدعهم، بحسب ما كَلَّفَ والإستبشار بمثل قوله ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَجَمِي مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٤).

وأما ما ذكرتم - حفظكم الله - في شأن كتابنا إليكم من أجل حسن بن علي^(٥) - رعه الله - وتلك الحركة التي لم تخف عليكم ما ترتب عليها من إخافة السبيل^(٦) والضعيف، الذي فرضنا وفرضكم وفرضه الدفاع عنهم، فإنما أردنا بذلك الإعتذار إلى الله عز وجل وإليكم وإليه بما أمكن من النصيحة التي هي أقل حق المسلم على المسلم، وأقامها ﷺ مقام النصر الحقيقية، إذ قل ﷺ: «انصر أخاك ظالماً - فقل - أو مظلوماً، فقل له: يا رسول، أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً. فقل: نصرك إليه ظالماً أن ترده عن ظلمه»^(٧) أو كما قل.

ولم يرد أن تتحملوا من ذلك ما لا جهد لكم به ولا طاقة، فإن الأمر إذا بلغ ذلك سقط عنا وعنكم فرض الأخذ على يده، ولم يسقط عنا وعنكم فرض

(١) الآية: (٨٤) من سورة: النساء.

(٢) الآية: (٣) من سورة: الطلاق، وبدايتها: ﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ وتامها: ﴿قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾.

(٣) الآية: (١٩٦) من سورة: آل عمران.

(٤) الآية: (١١٠) من سورة: يوسف.

(٥) لم أجد له ترجمة.

(٦) السبيل: الطريق: المنجد: ٣٢٠.

(٧) الحديث: أخرجه البخاري: ١٦٧٣.

القول بحسب الإمكان، ولذلك قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) [فقال وحرَضِ المؤمنين]^(٢) بعد قوله لا تكلف إلا نفسك تدل على تحريض المؤمنين من تكليف نفسه، فإن لم يمكن، فإنكار المنكر بالقلب كما ورد في الحديث النبوي، إن ذلك أضعف الإيمان، فإن لم ينكر القلب المنكر مكر فجعل أعلاه أسفله، ونعوذ بالله لنا ولكم من ذلك، وعلينا وعليكم ابلاغ الجهد، والأخذ إن شاء الله بعزيمة الصبر والمصابرة والمرابطة لأمره، كما قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣) والتوسل إلى الله بضعفنا إلا بقوته، وعجزنا إلا بمعونته، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل. بتاريخ شهر شعبان عام اثنين وستين وألف [يوليو ١٦٥١م] [٢٣/ب].

ومما امتدحه به أهل الإجابة من الشعراء ما قاله الشيخ أبو الفرج

الجزائري المكي^(٤):

مركز تحفة كويتية

تركن ذوي الألباب خيراً عقولهم

مهتكة الأستار في الوصل والصد

ففي القرب بالإدلال ينهين لنا

وفي البعد والهجران وقد على وقد

بكل تلاوتنا ولم يشف ما بنا

على أن قرب السدار خير من البعد

(١) الآية: (٨٤) من سورة النساء، وتتمها: ﴿...عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً﴾.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقطة من الأصل (أ)، والإضافة من بقية النسخ.

(٣) الآية: (٢٠٠) من سورة آل عمران.

(٤) لم أجد له ترجمة.

بلى ليس بعد الدار يا صاح ضاير
 إذا كان إسماعيل متجسع الوفد
 شهنشاه شاه شاه إمامنا
 ووالي ولاية الأمر مسرعة الوفد
 إمام سمي فرع السماكين راقياً
 إلى رتبة عليا راق على السعد
 [٢٤/١] إمام فقي الهيجاء عذر بأسه
 أسود السرى هيهات ما صولة الأسد
 إمام إذا ضاق الزمان توسعت
 خلایقه الحسينى فجاءت على القصد
 وإن ناب أمر معضل قسام رأيه
 مقام جيوش عرفت في صفا السرّد
 ودبر ما الأملاك حافلة به
 فيتضح المطلوب من غير أن يبيدي
 تضل ملوك الأرض خاضعة له
 فجيارهم عند الملاقاة كالوغد
 ذليلاً حقيراً ليس يعرف ما الذي
 يدبره من حاله النذل والكذ
 به الحمد مقروناً كسى الله وجهه
 بهاءً ونوراً شاهدين على الجمّد
 فطالع المسعود والجند جده
 كذا السعد رق قسام منزلة العبد

وللنصر إقبال عليه مرفعاً
 إلى أن رقى الأعداء بالعر والحمد
 فإقباله لزازيرين جنابه
 كإقبال عطشان على أعذب الورد
 إذا شئت أن أحصي صفات كماله
 فذلك شيء ضاق عن حصره جهدي
 يعم جميع العالمين نواله
 فيوسعهم جوداً يفوق عن عمد
 يفكر في أمر إذا زاد أمره
 وإلا فأمر همه ليس عن عمد
 وقام مقام الجيش إسفار وجهه
 فلا مقطب يوماً ولا هو بالصلد
 ترى القطب والنيرين شمساً لعله
 كذا الشمس من خدامه وذوي الوجد
 هو البطل المنصور ذو الفخر والعلی
 ورب الندى والأمر والحل والعقد
 ورب المعالي والعوالي وبيضاها
 وفارسها حقاً إذا قل من يُحسدي
 ولا بس صافي النسج من جود حوكها
 كدر كدر كالتواقب كالملد
 صنایع داود مواريسث أحمد
 ملايس إسماعيل مالكننا المهدي
 توارثها من البد بعد والبد
 إليه فقرت واستقرت من الرد

وأكرم فضل الله في كل أرضه
 فدام ودمنا راتعي عيشه الرغد
 له عزة موروثه عن جدوده
 يقصر عنها كل ذي حسب عد
 نجوم سماء بل بسدور كواكب
 شمس أراض في أراض من الجدد
 صغيرهم في المهدي للأمر خاطب
 كبيرهم للنيرات على مهدي
 يهد سبل الحق منذ كان منهم
 إمام ترقى سهوة الطهيم الجدد
 وما زال منهم حيث كانوا جنوده
 له الفضل بعد الله من فيض ما يسدي
 فيا أيها المنصور بالسعد جده
 ويا أيها المشكور بالحمد والجد
 خذ الفوز في إسعاف حالي تجدد به
 ثواباً فإني والزمان على حقد
 فإني وإن كنت الغريب فإني
 تجاه أمير المؤمنين ذوي جد
 ألا لا أرى الأيام في شماتة
 إذا كنت لي فالدهر يخدمني وحدي
 لقد طال مكثي يا ابن بنت محمد
 فخذ بيدي واغنم ثنائي مع حمدي

[٢٤/ب] ولا تستمع قول الوشاة ققلما

يحاول واشٍ غير إعراض ذي ود
 فخلها ابن أم الجود من فكر خادم
 بمدحكهم أغلى من المسجد التقى
 بقيت لنا كهفاً وهفاً وموئلاً
 ويحر نوالٍ لم يزل دائم المسد
 عليكم سلام الله ما هب شمأل
 علسي أثلث الجزع فالبان فالزند

وللولد السيد شرف الدين الحسن بن مطهر - حفظه الله تعالى -:

لك الخير دعنى أي هذا المعنف
 ونفسي فمتك النصح قول مزخرف
 بسمي عن العذال وقر فلتيم يصنخ
 وقلبي عصي عنهم متعنف
 إن سميتي ذا لوعة وصباية
 ودعني على الخدين هام يكفكف
 حسبت باني هايم القلب في الدما
 نكلت واني بالخرائد مكلف
 واني سباني طرف أعيد أكحل
 واني سباني مايس القد أهيف
 فحساً لقلبي إن هواها وشفه الـ
 ظمى ولما ريقها العذب قرقف
 ولكني أهوى المعالي عزيزة
 فيا ناقتي سيراً ويا عذلي قفوا

وحشي حتى تتركبي العز والعلی

إلى حيث أثمار المعالی تقطف

إلى حضرة السامي على الخلق عن يد

وأكرم من يولي الجمیل وينصف

إمام الهدى سُم العدى واسع الجدا

بحار الندا عن كفه ليس تنزف

إمام به الأيام تضحك فرحة

عليها طيور السعد والنصر عكف

بدا في سماء المجد بلداً فأشرقت

به الأرض وانجابت بذلك أسدف

به رفعت أعلام آل محمد

كما خفض الشرك الذي أهله نفوا

وللعادل والتعريف كل مكار

على الدين ممنوع التعابير يصرف

ومن سنة المختار كل منكر

غدا وهو للناس الجميع معرف

بدولته الإيمان واليمن سحبه

على اليمن السامي به هن وكف

لهم حرم والناس في ساير الدنا

ومن حولهم مع ما لهم تتخطف

هو الناس إلا أنه غير قلب

هو البدر إلا أنه ليس يكلف

هو البحر إلا أنه الخلسو مشرباً
هو البر إلا أنه ليس يخلف
هو الليث إلا أنه غير موحش
هو الغيث إلا أنه ليس يصدف
يداه لمن يغني ندها تسارعا
بحر مديد من نضار فيغرف
[٢٥/١] وأفكاره كم أنتجت من جواهر
العلوم التي ما قد نحاهما مصنف
يقسم في الطاعات لله وقته
وذلك طبع لا زم لا تكلف
فظوراً لسرب العرش يكي تذلاً
بمحرابه والدمع في الخد يندرف
وطوراً يحل المشكلات وتارة
أوابدها اللاتي شردن يولف
وطوراً لشمل المشركين مبدد
وطوراً لشمل المسلمين مؤلف
وأونة في جحفل ترمسي به
عناجيج للبيد التاييف تخطف
ينهل مهما شاء كل عصبص
ويدني بعيد الأمر منه ويزلف
فيحشد أرضاً أمها الأرض كلها
وتلك به تزداد قدراً وتشرف
إذا قال فالدر الثمين جنادل
وإن صال فالشم الشوامخ ترجف

بهذا اقتربت أعداؤه مد تلامهم
 إذا جاء نصر الله والفتح مرهف
 وكم صنعوا من إفك أسحارهم له
 وألقوه لما جمعوه وألقوا
 فألقى عليهم عزمه متوكلاً
 فكان عصا موسى له يتلقف
 وجمعهم مثل والهشيم مكسر
 وريح مواضيه البواتر جرجف
 حوى المجد طراً والفضائل عن يد
 فمن رام يحصيها فذاك التلصف
 هي الشمس ألا أنها الشهب كثرة
 ولا الشهب محصاة ولا الشمس توصف
 فيا ابن رسول الله يا خير قائم
 على منبر العلياء والعدل يعرف
 ويا نجل من ضاء الزمان بنورهم
 ومن قبل قد مدت من الشرك أسجف
 ويا وارث المجد التليد وشايداً
 قواعد من بعد ما هو أحنف
 ويا ابن أمير المؤمنين وصنوه
 وأنت أمير المؤمنين المشرف
 لك الله ما هذا الفخار الذي له
 دلائل اعجاز وآي يكشف

سموت فأرباب الفضائل كلهم
 على زعمهم من دون شأواك وقف
 بقيت لنا ذخراً وكهفاً ومعقلاً
 منيعاً بالطفاف المهيم من تخفف
 وللدين عمّاراً وللشرك هادماً
 وللأفق بدرأ نيراً ليس يخفف
 وهماك نظاماً ظاهر النقص زانه
 مدحك لا اللفظ البديع المرصف
 أروم به منك الدعاء الذي به
 لفضلك كم قوم ذوي سقم شفوا
 تشریف نظمي والتماس تبرك
 فمدحك أعلى كل مدح وأشرف
 وخذها وأسبل ثوب سر فضلا
 إذا شابها نقصانها والتعسف
 فلولا ودادك الذي قد غديت به
 رضيعاً بحمد الله والله أعرف
 لما ساعدتني مع فهامة باقل
 على عظم الرمي قواف وأحرف
 [٢٥/ب] ودم رافلاً في ثوب نصر وسؤدد
 وكل الذي تهوى وترجوه مسعف
 عليك صلاة الله بعد نيه
 كذا الآل ما لبي الأنام وعرفوا

(١)

(٢)

[٢٦/ب] [فصل في ذكر عيون العلماء في وقته القائلين بإمامته من الذرية النبوية
والفرقة الزيدية وغيرهم]

وهم طبقتان كما تقدم في سيرة أبيه وأخيه -عليهما السلام-:

الأولى: الذين عاصروه من أصحاب أبيه وأخيه ومن في طبقتهم وقد تقدم
ذكرهم ونسبهم وبعض من شريف خلالهم وإعادة ذكرهم هنا لشهادتهم
بإمامته واستنادهم إلى ولايته.

والطبقة الثانية: التي فقهوا في زمانه وانتشر علمهم وفضلهم في أوانه من
أهل البيت -عليهم السلام- وشيعتهم -رضي الله عنهم-.

منهم السيد العلامة، البحر الفهامة، شيخ آل الرسول، وحجة ذوي العقول،
أحمد بن محمد بن صلاح القاسمي الشرفي وقد تقدم.

ومنهم السيد العلامة علي بن إبراهيم الحيداني، وقد تقدم، توفي في شهر
شوال سنة إحدى وسبعين وألف [يونيو ١٦٦٠م].

ومنهم السيد العلامة حسام الدين ناصر بن محمد بن يحيى المعروف بصبح
القاسمي الغرباني، وقد تقدم، توفي عام اثنين وسبعين وألف [١٦٦١م]
في شهر رجب.

(١) كانت الورقة بياض، إلا أنه قد تم الكتابة عليها بمقدار تسعة عشر سطراً قصيدة وهي بخط غير خط
الناسخ، مطلع القصيدة:

وفاك يصحبة الإسعاد والظفر عياله سحب الإقبال تنهمر

(٢) الورقة (٢٦/ب) بياض.

ومنهم السيد العالم الزاهد^(١) الورع العابد المحتاط عز الدين محمد بن الحسن بن شرف الدين الحمزي الكحلاني، وقد تقدم (توفي سلخ شعبان سنة ثلاث وستين وألف)^(٢) [١٦٥٢م].

ومنهم السيد الفاضل الطاهر العالم فخر الدين عبدالله بن أحمد بن إبراهيم القاسمي الشرفي، وقد تقدم (توفي سنة إحدى وستين وألف)^(٣) [١٦٥٠م].

ومنهم السيد العالم أحمد بن محمد بن صلاح اليحيوي القطايري وقد تقدم (توفي سنة سبعين وألف)^(٤) [١٦٥٩م].

ومنهم السيد العلامة المجاهد الصمصامة^(٥) شمس الدين أحمد بن علي الشامي وقد تقدم، توفي يوم الأحد في شهر شوال عام إحدى وسبعين وألف [١٦٦٠م].

ومنهم السيد الفاضل العالم العامل علم الدين القاسم بن نجم الدين الهادي من هِنُوم، وقد تقدم توفي سادس عشر شهر الحجة الحرام عام أربع وستين وألف [٢٩ أكتوبر ١٦٥٣م] في بلدة من جبل ذري^(٦).

(ومنهم السيد الجليل العالم النبيل شرف الدين الحسين بن محمد الحرابي)^(٧) وقد تقدم.

ومنهم السيد الجليل المجاهد العلامة فخر الدين عبدالله بن عامر بن

(١) ساقطة في الأصل (أ)، والإضافة من بقية النسخ.

(٢) ما بين القوسين ساقطة من (ب).

(٣) ما بين القوسين ساقطة من (ب).

(٤) ما بين القوسين ساقطة من (ب).

(٥) الصمصامة: لغة تعني السيف القاطع. (السري: أحمد: الموسوعة اليمنية: ٥٧٥/٢).

(٦) جبل ذري: أحد جبال الأهنوم. (الهمداني: صفة جزيرة العرب: ١٢٧).

(٧) ما بين القوسين ساقطة من (ب).

علي^(١) [ابن]^(٢) عم الإمام - عليه السلام - كان - رحمه الله - عالماً متفنناً على طريق قدماء العترة - عليهم السلام - كثير الرواية عنهم، مشغولاً بها، كثير الصدقة لا سيما على ضعفاء الأشراف، وله مؤلفات نافعة وأشعار كثيرة، توفي في شهر رجب سنة ستين وألف [أكتوبر ١٦٥٠م].

ومن أهل بيته الطاهر [١/٢٧] وشركائه في نسبه الطاهر، وفرع مشكاة نوره الزاهر، وهم طبقتان أيضاً كلهم حرصوا على العلم فكانوا قراره، وولعوا بجماع الحمد فكانوا شموسه وأقماره، زادهم الله فضلاً ونبلاً.

منهم مولانا السيد إمام، ومليك العترة الكرام، وتاج الشرف في جماعتهم الأعلام، محمد بن الحسن ابن أمير المؤمنين المنصور بالله، له العلم الغزير، والفضل الشهير، مشغولاً بهما، حريصاً عليهما، أشبه الناس بعمه أمير المؤمنين المؤيد بالله - عليه السلام - مع النهضة والرئاسة، والحلم والأناة والسياسة، يلي غالباً أعمال الخاصة والعامة بنفسه، ويجمع بقلمه الشريف أرزاقهم والنظر في أرفاقهم في القرب والبعد بما لا يعلم في غيره، وله مصنفات مفيدة، ومسائل عديدة، ورسائل بالغة - أمتع الله بحياته - وقد تقدم.

ومن كراماته الشهيرة ما كتبها القاضي العلامة الورع الفهامة محمد بن إبراهيم بن يحيى السحولي^(٣) - أطل الله بقاءه - ما لفظه: ومن الغرائب أنه وصل إلى صنعاء في تاريخ واحد وعشرين شهر صفر سنة اثنين وسبعين

(١) هو: عبدالله بن عمر بن علي، الحسيني (ت ١٠٦١هـ/١٦٥٠م) عالم، أديب، له مؤلفات منها: (التصريح بالذهب الصحيح)، و(شفاه الأوام)، توفي في حوث. (زيارة: ١١٣٣/٢؛ الحبشي: مصادر الفكر الإسلامي: ٥٥، ٢١٩).

(٢) ما بين المعقوفين، أضفناه من زيارة: (١٣٣/٢).

(٣) هو: محمد بن إبراهيم بن يحيى بن صلاح السحولي الشجري، عالم، حافظ خطيب شاعر، مولده ونشأته بصنعاء، وأخذ في فنون العلوم عن والده المتوفى سنة ١٠٦٠هـ وعن الإمام المتوكل على الله إسماعيل وغيرهم من مشاهير علماء عصره (الوجيه: ٨٣٣).

بعد الألف [٢٦ أكتوبر ١٦٦١م] كتاب من سيدي جمال الدين علي بن أحمد^(١) بن أمير المؤمنين - حفظه الله - ما صورته: بسم الله الرحمن الرحيم، شهد من سنذكر والله خير الشاهدين بأنه لما كان آخر شهر محرم سنة اثنتين وسبعين بعد الألف [٢٦ أغسطس ١٦٦١م] ذبح الجزار علي بن صالح بن علي رأس غنم في مجزرة مدينة صعلة المحروسة بالله فوجد في ثوب بطن الكبش مكتوباً بقلم القدرة الإلهية محمد بن الحسن بن أمير المؤمنين - وفقه الله - وكتب سيدي جمال الدين شهادته ومن وقف على ذلك فقل: علي بن أحمد بن أمير المؤمنين وفقه الله، أحمد بن صلاح الوحش - وفقه الله -، السيد حسين بن غوث الدين^(٢) حضر علي القليل وغيره مراراً كثيرة، وعبله بن علي شجرة الوادعي، قال علي القليل: اطلعت على كسرة^(٣) من شحم ثوب بطن مكتوباً فيها بعروق الدم ما هذا شكله: محمد بن الحسن بن أمير المؤمنين، وشهد صلاح بن علي الهدوي - وفقه الله -

ومنهم مولانا السيد العلامة جمال الإسلام والمسلمين علي بن أمير المؤمنين المؤيد بالله، عالماً متبحراً، من أوعية العلم المصون، وهو مع ذلك ورع زاهد خفي الزهد لا يعلم أنه عمر حجراً على حجر ولا توسع كغيره فيما وسع الله به على المسلمين على يدي سلفه - صلوات الله عليهم - وقد تقدم.

(١) هو: علي بن أحمد بن الإمام القاسم بن محمد (١٠٤٠-١١٢١هـ/١٦٣٠-١٧٠٩م)، أخذ من علماء عصره، وجمع بين العلم والرئاسة والفضل والأدب وتحقيق العلوم له شرح على البحر الزخار، دعا لنفسه بعد الإمام المهدي أحمد بن الحسن، ثم تولى بلاد صعلة أيام الإمام المؤيد بالله محمد بن المتوكل، ودعا لنفسه ثانية أيام صاحب المواهب وتلقب بالداعي، وخطب له بجهة صعلة وضربة السكة باسمه، وقد دارت بينه وبين المهدي صاحب المواهب عدة حروب آلت إلى رجوعه إلى صعلة واستمراره على ولايتها حتى وفاته. (زيارة: ١٥٧٢-١٥٧).

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) كسرة: قطعة، وهي علمية.

ومنهم أخوه السيد العلامة السنخي، الرئيس الناهض الكمي، شرف الدين الحسين^(١) بن أمير المؤمنين [٢٧/ب] المؤيد بالله معروف السخاء والصبر وكمال المرؤة، وظهور الفتوة وقد تقدم.

ومنهم السيد العلامة الفهامة عز الدين محمد بن الحسين^(٢) بن أمير المؤمنين المنصور بالله، كان ذكياً فهماً، كاتباً، بليغاً، أميراً، منصوراً، وقد تقدم، توفي - رحمه الله - ثاني شهر شوال عام سبع وستين وألف [١٤ يوليو ١٦٥٦م] وقبر في باب السبحة^(٣) في صنعاء مشهور هنالك، وفيه مراثي منها ما قاله الفقيه وجيه الدين عبدالرحمن بن محمد الحيمي^(٤) - رحمه الله تعالى -:

أتدري من تضمنه اللحد وأي فتى يكفنه الصعيدُ
 وأية بضعة للمصطفى قد حواه القبر واللحد المشيدُ
 وأي مهذب لا عيب فيه سوى أن ذكر عليها تريدُ
 ففيه الغيث والغيوث المرضي وفيه المجد والبحر المديدُ
 سقاك محمد غيث ملت صدوق الودق هطال يجودُ
 شرفت معالياً وسموت مجداً للذكر لا يزول ولا ييئدُ
 فيا نجلى الحسين انعم طويلاً بدار عيشها عيش رغيدُ

(١) هو: الحسين بن الإمام المؤيد بالله محمد بن الإمام القاسم بن محمد (ت ١٠٨٤هـ/١٦٧٣م) قرأ على والده وعمه المتوكل على الله إسماعيل. مات في شهارة ودفن بها. (زيارة: ١٩٧٢).

(٢) هو: محمد بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد الحسيني (ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م). أخذ من علماء عصره، له كتب (منتهى المرام شرح آيات الأحكام) كان من أكابر الأمراء وقواد الجيوش في دولة عمه الإمام المتوكل على الله إسماعيل. توفي في صنعاء (زيارة: ١٩٧٢).

(٣) باب السبحة: أحد أبواب صنعاء القديمة.

(٤) هو: عبدالرحمن بن محمد بن نهشل، الحيمي (١٠٦٨هـ/١٦٥٧م) عالم. قرأ على الحسن بن شمس الدين ويحيى بن أحمد الصابوني، اشتغل بالتدريس ومن جملة تلاميذه العلامة (الحسن بن أحمد الجلال) (ت: ١٠٨٤هـ)، توفي بصنعاء ودفن بجزيرة الروض. (الشوكاني: ٣٤٠/١).

وللفقيه العلامة جمال الدين علي بن محمد بن سلامة^(١) - عافاه الله تعالى -:

هي القصة العظمى خطوب تعازمت
 فيما أجل الخطاب هذا وأجمعها
 نديم التقى قد صار يعنى فينبغي
 بأن خطوب الدهر أن توقعها
 في ناعياً للمجد والجود والتقوى
 أخالك مسلوب التقى ومروعا
 بعمك هذا انهد ركن مشيد
 من المجد والدين الخيف تضععا
 وأضحت ربوع المجد وهي عطيلة
 وتجري من الأحزان والوجد أدعها
 أتدري بفيك الرّب من ذا نعته
 نعت التقى والعلم والمجد أجمعها
 عجبت لشخص كيف أفصح ناعياً
 أعزّ بني الأيام قلداً وأرفعها
 سليل الحسين المتقى خير من رقى
 رقا المجد حتى إذ علاه تصدعاً
 كبد تمام تم في الكون نوره
 فعاد إلى نقص من العمر مسرعاً
 أبا أحمد الأفق بعك مظلم
 وكل فتى يكي عليك توجعاً

(١) هو: علي بن محمد بن يحيى، سلامة، الصنعاني (ت: ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م) عالم، فقيه. قرأ على الإمام القاسم بن محمد وعلي بن إبراهيم الحيداني، له عدد من المؤلفات، منها: شرح على (الفصول اللؤلؤية في الأصول الفقهية)، كان حاكماً وكاتباً لدى الإمام بالله محمد. توفي بصنعاء. (زيارة: ١٧٩٢-١٨٠٠هـ الحشبي: مصادر الفكر: ١٦٤).

وأكسف بدر الأفق في كبد السماء
 وكادت جبال الأرض أن تترزععا
 أبا أحمد من للعلوم ونشرها
 وفي نشرها والدرس قد كنت مولعا
 وكنت لأرباب الهداية والعماء
 وكنت على الأعداء فظاً ومقطعا
 أبا أحمد من للنوايب إن همت
 وقد كنت معلوداً بما كان مفزعا
 [١/٢٨] أبا أحمد من للكريهة والوغي
 وقد كنت ترمي الجيش بالجيش متبعا
 لمن مات عز المسلمين محمد
 فمن بعده ساداتنا أنجم معاً
 فأبناؤه لاحبت فضائلهم لنا
 وإخوانته سادوا وجاءوا أنواعا
 وأبناء عم كالليث حماسهم
 إلهي فقد شادوا من المجد أربعا
 نجوم هدى فيهم أبو البر حاملاً
 لأعباء هذا الدين أفضل من دعا
 إمام التقى اسماعيل أفضل قائم
 فلا زال للإسلام كهفاً ومرجعاً
 ففيه لنا خير لكل مصيبة
 بتشيد ركن الدين أن يتصدعا
 ولا زال ملجأ للأمام جميعهم
 ودام لنا ذخيراً وحصناً ممعاً

وبعد صلاة الله تفتشى محمداً

مع آله خير البرية متبعاً

ومنهم السيد الفاضل الطاهر الكامل التقي السخي العلامة صارم الدين إبراهيم بن أحمد بن عامر بن علي^(١)، له في فنون العلم اليد الطولى والرتبة العليا قرأ على خاله (أمير المؤمنين)^(٢) المؤيد بالله - عليه السلام - وكان له عنده المنزلة العظمى، وله مع سعة علمه وشحيح ورعه والإحتياط السخاء الذي فاق به أهل زمانه، لا يعول على الدنيا ولا يطلبها، كثير الصمت والصدقة، مألوف بالمساكين لا سيما الأشراف، وله أولاد فضلاء يتلون في طريقته بلغهم الله رضاه في طاعته، توفي (رحمه الله)^(٣) سابع عشر من شهر رجب سنة ست وخمسين وألف [١٦٤٦م] وقبره إلى جنب أمه - رحمة الله عليهما - في صرح قبة جده أبي أمه المنصور بالله - صلوات الله عليه -.

ومنهم السيد الكبير، والعالم الشهير سيف الخلافة النبوية، وعميد العصابة العلوية، أحمد بن الحسن^(٤) بن أمير المؤمنين المنصور بالله، له في العلم الحظ الأوفر، وفي وظائف الطاعات النصيب الأكثر، وفي الجهاد الفعل الأشهر، إنما هو عميد، وقرن^(٥) حديلة، أمتع الله بحياته.

(١) هو: إبراهيم بن أحمد بن عامر بن علي بن محمد الحسيني الشهاري (١٠١٨-١٠٥٦هـ/١٦٠٩-١٦٦٤م) قرأ على خاله الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، وتولى في أيلعه على بلاد أنس، توفي في شهارة ودفن فيها. (زبارة: ملحق البدر الطالع: ٣٧٢-٤).

(٢) ما بين القوسين ساقطة من (ب).

(٣) ما بين القوسين، ساقطة من الأصل (أ)، والإضافة من بقية النسخ.

(٤) هو: أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد المهدي. (ت ١٠٩٢هـ/١٦٨١م). كان أحد كبار المسؤولين في دولة الإمام المتوكل على الله إسماعيل، وقائد جيوشه وعلى يديه فتح العديد من المناطق - كما نرى ذلك واضحاً من خلال السيرة - وبعد موت عمه الإمام المتوكل بايعه العلماء، وتلقب بالإمام المهدي. توفي في الغراس، ودفن فيها، وقبره معروف مشهور إلى اليوم. (الشركاني: البدر الطالع ٤٣٦-٤٤).

(٥) ساقطة من الأصل (أ)، والإضافة من بقية النسخ.

ومنهم السيد الفاضل، العلم العالم العامل، الزاهد العابد، عماد الدين يحيى بن الحسين^(١) بن أمير المؤمنين المنصور بالله، هو أشبه أهل بيته بطبقة علي بن الحسين زين العابدين - عليه السلام - في العزلة عن الدنيا وأهلها، والإقبال على العلم والأوراد الصالحة، والإنقطاع إليها، وهو على ذلك زاده الله شرفاً في مسجده المعروف في باب السبحة من صنعاء المحروسة بالله.

ومنهم السيد العلامة الفاضل، والعلوم الشهير الطائيل ذي الكرامات [٢٨/ب] الشهيرة القاسم^(٢) بن أمير المؤمنين المؤيد بالله بن الإمام المنصور بالله - عليهما السلام - معروف بسعة العلم والعمل مع معرفة أمور الناس وأحوالهم.

ومنهم صنوه الفاضل العالم الكامل أحمد بن أمير المؤمنين المؤيد بالله - عليه السلام - هو تلو أخيه في شريف خلاله، وجماع كماله - أمتع الله بحياته -

ومنهم السيد الجليل الكامل العالم العامل علي بن يحيى^(٣) بن أمير المؤمنين المؤيد بالله - عليه السلام - [كان] عالماً، حافظاً، ورئيساً، ناهضاً، له في كل فن قراءة ورواية - أمتع الله بحياته -

(١) هو: يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد (١٠٣٥/١٠٨٥هـ / ١٦٢٥ - ١٦٧٤م) عالم أصولي محقق. قرأ علي أحمد بن علي الشلمي والحسين بن محمد التهامي. له عدد من المؤلفات منها (شرح مجموع زيد بن علي) و(الزهر في أعيان العصر). (الشوكاني: البدر الطالع: ٣٢٨/٢ - ٣٢٩).

(٢) هو: القاسم بن الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد، الحسيني، الشهاري (ت ١١٢٧هـ / ١٧١٥م). أخذ عن كثير من العلماء، منهم: أخيه الحسين وأحمد بن سعد الدين السوري، دعا لنفسه في عام ١٠٨٧هـ - ١٦٧٦م، ثم بايع المهدي أحمد بن الحسن، ولما مات المهدي سنة ١٠٩٢هـ / ١٦٨١م دعا لنفسه ثانية، ثم بايع المؤيد بالله محمد بن المتوكل، حُبس في عهد الإمام المهدي صاحب المواهب (محمد بن أحمد بن الحسن) مدة عشر سنوات في مدينة صنعاء ثم أفرج عنه، ومات فيها (زيارة ملحق البدر الطالع: ١٨٧٢).

(٣) هو: علي بن يحيى بن الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد (ت ١٠٨٥هـ / ١٦٧٤م)، قرأ علي الحسين بن المؤيد والحسين بن صلاح، كانت له معرفة واسعة بالعلوم والأصول، اشتغل في مجال التدريس، توفي في شهارة، ودفن فيها. (زيارة ملحق البدر الطالع: ١٨٤٢).

ومنهم السيد الطاهر والنجم الزاهر يحيى بن الحسين^(١) بن أمير المؤمنين المؤيد بالله - عليه السلام - [كان] عالماً كبيراً وعلماً شهيراً، يومئ إليه بالاجتهاد ودرجة الاقتصاد مع الورع الشحيح، مما أخبرني من خالطه من الأصحاب ونقلوه من بعض أخباره منهم الولد الحسين - أسعده الله - أنه صحبه في بعض الأيام فلم ير له وقتاً يتعلق بشوائب الدنيا، وإنما دأبه العلم والأوراد ليلاً ونهاراً، وأنه إذا ورد عليه من يذكر الدنيا وحوائجها والناس وأمورهم، ابتدأ بالحديث الذي يتعلق بالعلم والمواعظ. قل: ولما رأيت ذلك من دأبه، ومقدم آدابه، قلت له: يا سيدي، مثل هذا الرجل إنما هو من أهل الدنيا في اختلاف أغراضهم، يريد منك الخوض فيما يتعلق بغرضه، فقال: أنا أعلم ذلك، ولكن أحب أن أشغله بحديث لا يجبه، فيسارع في القيام عني لئلا يشغلني أو يذكر أحداً عندي بما لا يجوز من غيبة أو غيبة أو نحوهما، ولرجاء أن يقل المخالطون من مثله فلا خير في مخالطتهم أو كما قل.

ومنهم السيد العلامة الرئيس الكامل جمال الدين علي بن أحمد^(٢) بن أمير المؤمنين المنصور بالله [كان] عالماً كاملاً، وملكاً عادلاً، إليه ولاية صعلة وما والاها، وله في سياستها وحفظ أمورها ما يأتي بعضه في السيرة إن شاء الله تعالى.

وفيهم - أيدهم الله - غير من ذكرنا ممن هو في طلب عالي منازلهم، والناس بأفعالهم وأقوالهم، وهم عيون منهم أولاد مولانا المتوكل على الله وغيرهم من

(١) قرأ على أحمد بن سعد الدين، ولاء الإمام المهدي أحمد بن الحسن على يريم وعمار، توفي في شهارة ودفن فيها. (الشوكاني: البدر الطالع: ٢٢٩٢-٢٣٠).

(٢) هو علي بن أحمد بن الإمام القاسم بن محمد الحسيني، الشهاري (١٠٤٠-١١٢١هـ/١٦٣٠-١٧٠٩م) عالم أصولي، محقق، قرأ على علماء عصره، تولى صعلة بعد وفاة أبيه (١٠٦٦هـ-١٦٥٥م) في أيام عمه الإمام المتوكل على الله إسماعيل - كما تشير إلى ذلك السيرة - له شرح على البحر الزخار وكتابات أخرى، توفي في صعلة، ودفن فيها (زيارة: ملحق البدر الطالع ١٥٧٢؛ الحبشي: مصادر الفكر الإسلامي: ٢٢٦-٢٢٧).

بني عمهم - أمتع الله بحياتهم -^(١) الإشارة إلى ذكرهم جامعة، والتفصيل لما سيأتي عن الخلق منقطعة، والله الموفق.

ومنهم السيد العلامة المصنِّع^(٢) الفهامة عماد الدين يحيى بن أحمد بن محمد بن صلاح القاسمي الشرفي، من عيون العترة علماء وعملاً، وورعاً وزهداً، يبلغ درجة الاجتهاد مع ماله [٢٩/] من الذكاء والفتنة مع معرفة أمور الناس - أطل الله بقاءه - أخذ العلم عن والده - رضوان الله عليه - وعن الإمام المؤيد - عليه السلام -.

ومنهم السيد الفاضل العالم العامل محمد بن الحسين بن محمد الخرابي، أخذ العلم عن كثير من العلماء منهم أبوه وعمه وغيرهم، يروى عنه زهادة وورعة واحتياط، توفي [٣].

ومنهم السيد الجليل العالم النبيل جمال الدين علي بن يحيى بن عبدالله الهادي^(٤) من هجرة مدوم^(٥) من بلاد الشرف، ويسكن قرية المدان^(٦) من جبل هنوم.

ومنهم من سادة صعلة المحروسة بالله السيد العالم الصابر المرابط، ذو العلم الأوفر والجهاد الأكبر محمد بن أحمد^(٧) بن أمير المؤمنين الحسن بن علي بن داود بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل بن الأمير المؤيد بن

(١) أمتع الله بحياتهم: أطل أعمارهم. (المنجد: ٧٤٥).

(٢) المصنِّع: العالي الصوت البليغ، من لا يُرتج عليه في كلامه. (المنجد: ٤٣٠).

(٣) ما بين المعقوفين بياض في الأصل وبقية النسخ.

(٤) لم أجد له ترجمة.

(٥) هجرة مدوم: من بلاد الشرف الأعلى من حجور شمال غرب صنعاء على مسافة ١٧٥ كم. (الحجري: ٢٤٠٨-٢٤١).

(٦) المدان: قرية صغيرة في مديرية الأهنوم الواقعة في الشمال الغربي من صنعاء على مسافة ١٤٠ كم تقريباً. (الحجري: ٩٧٨).

(٧) هو محمد بن أحمد بن الإمام الحسن بن علي بن داود الحسيني (ت ١٠-١٦٢٢هـ/١٦٥١م) عالم أديب. قرأ على علماء عصره، له صلاح على (كافية ابن الحاجب) عمله (تحفة الكاتب وزلفة الراغب) وشرح على (الهداية في الفقه)، توفي في حيس ودفن فيها. (زيارة: ملحق البدر الطالع: ١٩٣٢).

أحمد بن الأمير يحيى شيخ آل الرسول بن أحمد بن يحيى بن يحيى الناصر بن الحسن بن الإمام المعتضد بالله عبدالله بن الإمام المنتصر لدين الله محمد بن الإمام المختار لدين الله القاسم بن الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين - صلوات الله عليه - كان عالماً كاملاً، رئيساً، ناهضاً، فارساً، مقداماً، جمع كثيراً من فنون العلم مع السياسة الحسنة، والرئاسة الصالحة، توفى أواخر شهر الحجة الحرام عام اثنتين وستين وألف [٣ نوفمبر ١٦٥١م] في بندر^(١) المخاء^(٢) المعروف، وكان إليه ولايته مع المخلاف الجعفري^(٣). وحمل إلى مدينة حيس^(٤) بوصية منه - رحمه الله - وكان إليه ولايتها أيضاً، ودفن هنالك.

ومنهم السيد العالم البليغ المصقِّع شرف الدين الحسن بن أحمد بن محمد بن الجلال اليحيوي^(٥) له في فنون العلم اليد الطولى، وله مجموعات فيه تحتوي على علوم واسعة، يبلغ درجة الاجتهاد، أخذ عن كثير من العيون، منهم مولانا شرف الدين الحسين بن أمير المؤمنين وغيره، وبعد فتح صنعاء المحروسة لقي علماً كبيراً، ومفتي الفرق الشهير، محمد بن عز الدين بن محمد بن عز الدين بن صلاح بن الحسن بن الإمام الهادي علي بن المؤيد - رحمه الله - وأخذ عنه علماً كثيراً، وتزوج ابنته وسكن في صنعاء، وتغلب عليه اختيار الجراف^(٦) وطناً.

(١) بندر: مدينة بحرية. (المنجد: ٥٠).

(٢) المخاء: مدينة معروفة على ساحل البحر الأحمر غربي تعز على مسافة ١٠٠ كم تقريباً. (الحجري: ٦٩٤/٢).

(٣) المخلاف الجعفري: مخلاف جعفر بن إبراهيم المناعي، في المنيخة بالعدين بمحافظة إب. (الأكوع: هـ البلدان اليمنية: ٢٦٣).

(٤) حيس: مدينة مشهورة في تهامة وهي من أعمال زيد وتشتهر بصناعة الأواني الخزفية المعروفة بالحيسي نسبة إلى حيس. (الحجري: ٣٠١/٨؛ الأكوع: المصدر السابق: ١٠٧).

(٥) هو الحسن بن أحمد بن محمد بن علي بن صلاح بن أحمد بن الهادي بن الجلال (١٠١٤-١٠٨٤/١٦٥٨-١٦٧٣م)، عالم أصولي، قرأ على عبدالرحمن الحيمي، والحسين بن الإمام القاسم بن محمد، له عدد من المؤلفات منها: (ضوء النهار) وهو شرح للأزهار، وله حاشية على (الكشاف)، كان الإمام المتوكل على الله إسماعيل يجله غاية الاجلال. (الشوكاني: البدر الطالع: ١٩١/٨-١٩٣).

(٦) الجراف: بلدة من بني الحارث قرب صنعاء - في شمال صنعاء - (الحجري: ١٨٢٩٨).

ومنهم السيد العلامة الفاضل الطاهر الكامل عزالدين بن دريب بن مطهر^(١) بن عيسى بن دريب بن أحمد بن محمد بن عيسى بن واصل بن مهنا بن سرور بن وهاس بن سلطان بن منيف بن إدريس بن محمد بن إدريس بن يحيى بن علي بن بركات بن فليته بن الحسين العابد بن يوسف بن نعمة الله بن علي بن داود المحمود بن سليمان الجواد بن عبدالله البر بن موسى الجون [٢٩/ب] بن عبدالله الكامل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب - عليهم السلام - الموسوي، الحسيني، التهامي، له في فنون العلم اليد الطولى والمحل الأسمى، قرأ كثيراً على الإمام المؤيد بالله - عليه السلام - وعلى غيره من كبار العلماء، واختص بملازمة حي السيد العلامة أحمد بن محمد بن لقمان بن أحمد^(٢) بن شمس الدين بن الإمام الأعظم المهدي لدين الله أحمد بن يحيى - عليه السلام - واستقر في نواحي كوكبان^(٣) وبلد الطويلة - أطل الله بقاءه -

ومنهم السيد العلامة الفاضل الحاكم العادل علي بن الحسن بن محمد بن الحسن النعمي التهامي عالماً عاملاً، ولي للإمام - عليه السلام - القضاء في صيبا والمخلاف، ويروى عنه نهضة وقوة في القضاء.

ومنهم السيد العلامة الفاضل المتفنن شرف الدين الحسن بن علي بن صلاح القاسمي العبالي^(٤)، كان عالماً عاملاً، توفي عام خمس وخمسين

(١) هو عزالدين بن المطهر بن دريب، عالم فقيه أصولي، محققاً من بلاد الحماله خارج صيبا، استقر بمدينة صيبا ناحية كوكبان وتولى أعمالها (الوجه: ٦٤٦).

(٢) وهو عالم فقيه (ت ١٠٣٩هـ - ١٦٢٩م) كان مدرساً بجمع شهارة، وله شرح على (الأساس) وشرح على (الكافل) وكتابت أخرى، توفي بقرية ضمّار من بلاد رازح ودفن فيها وقبره معروف مشهور إلى اليوم. (الجرموزي: النبذة المشيرة (خ) ق ٥٧، الشوكاني: ١١٨٨).

(٣) كوكبان: حصن مشهور مطل على شام كوكبان في الغرب الشمالي عن صنعاء على مسافة ٣٥ كم تقريباً. (الحجري: ٦٦٩-٦٧٢؛ الويسي: اليمن الكبرى: ٨٢).

(٤) هو الحسن بن علي بن صلاح بن محمد بن أحمد العبالي، الحسيني القاسمي (ت ١٠٥٥هـ/١٦٤٥م). قرأ على لطف الله غياث وعلى الإمام القاسم بن محمد توفى في حصن ظفير حجة. (زيارة: ملحق البدر الطالع: ٧٤/٢).

وَألف^(١) [١٦٤٥م] بظفير حجة، وله عقب فضلاء، أمهم الشريفة الفاضلة الطاهرة جمانة بنت أمير المؤمنين المنصور بالله - عليه السلام -

ومنهم أخوه السيد العلامة الفاضل المجاهد الحسين بن علي بن صلاح، من أهل الفضل والعلم والورع، يسكن شهارة والظفير^(٢).

قرأ على الإمام المؤيد بالله - عليه السلام - وعلى والده الإمام المنصور بالله - عليه السلام - وغيرهما.

ومنهم السيد الجليل الفاضل، العالم المجاهد، أحمد بن الهادي بن هارون بن الحسن الهادي^(٣)، له في العلم حظ وافر، وفي الجهاد والورع والاحتياط أثر ظاهر، توفي في صنعاء يوم الخميس في شهر جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين وألف [يناير ١٦٦٠م]، ودفن في جربة الروض المشهورة.

ومنهم السيد العلامة المجاهد المهدي بن الهادي اليوسفي الهادي^(٤)، يسكن النوعة^(٥) من بلاد خولان^(٦) عالماً مجاهداً، توفي في شهر صفر أو ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وألف [١٦٦٢م] بعد أن عاد من غزاة قيِّفاً^(٧) الآتي ذكرها، وله في هذه الغزاة خلاصة جد واجتهاد، قيل: إنه جهز خمسين أو مائة رجل من ماله وأنفق عليهم، وتوفي عقيب ذلك.

(١) أشار زبارة في ملحق البدر الطالع ٧٤/٢ إلى أن وفاته كانت في سنة (١٠٦٥هـ - ١٦٥٥م).

(٢) الظفير: حصن منيع في جبل حجة مشهور يُعرف بظفير حجة. (الحجري: ٥٦٧/٢)؛ الويسي: اليمن الكبرى: (١٢١).

(٣) هو أحمد بن الهادي بن هارون بن الحسن، الهادي، اليمني (ت ١٠٧١هـ/١٦٦٠م) اشتغل بأمور الإسلام العامة، تولى للإمام المتوكل بلاد ذمار، توفي بصنعاء. (زيارة: ٤٩/٢).

(٤) لم أجد له ترجمة.

(٥) النوعة: قرية من ناحية خولان من بلاد صعلة. (الحجري: ٧٤٤/٢).

(٦) خولان: من أشهر قبائل اليمن، وهم ولد خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاة. (الحجري: ٣٢٨).

(٧) قيِّفاً: بلاد واسعة في صعلة. (الحجري: ٦٣٧/٢).

ومنهم السيد الفاضل العالم جمال الدين علي بن محمد بن المنتصر اليوسفي الهادوي^(١) فقيهاً محققاً مدرساً - أطل الله بقاءه - .

ومنهم السيد الزاهد العالم الورع، محمد بن علي المعروف بالفوطي^(٢) فإنه يسكن فوط^(٣) من بلاد خولان، له ورع ونسك وتقشف كبير، فضعف قواه لذلك وخولط^(٤) في عقله، وقد تقدم في سيرة الإمام المؤيد بالله شيء من أحواله، ولما خرج من الحفظ عليه في صعدة [١/٣٠] عاد لحاله الأول ولا إليه التفات إلا بمعرفة فضله مع اختلال عقله، وكان كذلك في بعض مخاليف صعدة ومساجدها يظهر التخوف ولا طالب له حتى توفي في الطويلة من مخاليف صعدة^(٥) في عام سبعين وألف أو تسع وستين، ويشاح^(٦) على قبره أهل صعدة وأهل الطويلة والمخلاف، وهو هناك مزور مشهور.

ومنهم السيد الجليل العلامة فخر الدين أبو المساكين عبدالله بن عامر^(٧) بن علي عم الإمام - عليه السلام - [كان عالماً كبيراً، كثير الرواية عن قلعاء العترة - عليه السلام -، مشغوفاً بها، كثير الصدقة والبر، له مؤلفات نافعة، وأشعار واسعة، توفي في شهر رجب سنة ستين وألف [يونيو ١٦٥٠] [في هجرة حوث^(٨)] (٩).

(١) لم أجد ترجمة له.

(٢) هو محمد بن علي الحيداني، الفوطي، ادعى الإمامة في سنة (١٠٦٠هـ/١٦٥٠م) -..جاء في سياق السيرة - تنقل في بعض البلاد اليمنية، وأظهر أنه المهدي المنتظر. (الجنداري: الجامع الوجيز (خ) ق: ١١٤٥؛ طيب أهل الكساء (خ) ق: ١٩٢).

(٣) فوط: قرية في ناحية خولان من بلاد صعدة. (الحجري: ٤٧٧٢).

(٤) خولط في عقله: اختل عقله. (المنجد: ٤٢).

(٥) مخاليف صعدة: بلاد خولان. (الحجري: ٤٧٧٢، الأكوخ: ه البلدان اليمنية: ٣٦٢).

(٦) يشاح: يعتقد به. (المنجد: ٣٧٥).

(٧) هو عبدالله بن عامر بن علي، الحسيني اليمني (١٠٦٠هـ/١٦٥٠م) عالم، من مؤلفاته (التصريح بالذهب الصحيح)، مات ودفن في حوث فيها. (زبلرة: ملحق البدر الطالع: ١٣٦٨).

(٨) هجرة حوث: بلدة مشهورة من بلاد حاشد. (الحجري: ٣٠٠٨).

(٩) ما بين المعقوفتين ساقطة من بقية النسخ.

ومنهم السيد العلامة الكامل الفهامة صارم الدين، سليل الأئمة الهادين، إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين بن علي بن الحسين^(١) بن الإمام عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل بن الأمير المؤيد بن أحمد الملقب بالمهدي بن الداعي إلى الله شيخ آل الرسول يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى [كان] عالماً، متفنناً، وله دعوة بعد وفاة الإمام المؤيد بالله - عليه السلام - وله فيها أخبار طويلة، نأتي بما أمكن منها إن شاء الله. ولم نسمع عن أحد من علمائنا وصمه بنقص في العلم إلا بما سيأتي إن شاء الله من الترجيح لتأخره عن ذلك.

ومن أهل شهارة السيد الجليل العالم المفيد شرف الدين الحسين بن محمد بن علي الحسيني الحوثي^(٢) ثم الظفيري، له معرفة تامة في جميع الفنون، معدود في العلماء العيون - أطل الله بقله -.

ومنهم السيد الفاضل العالم العامل شرف الدين الحسين بن صلاح بن عبدالرحيم بن الباقر بن نهشل^(٣) من أولاد الإمام المطهر بن يحيى - سلام الله عليه - [كان] فقيهاً، عالماً، مفيداً، مدرساً في جامع شهارة المحروسة بالله - أطل الله بقله -.

ومنهم السيد العلامة الفاضل الورع الكامل، صارم الدين إبراهيم بن

(١) وهو المعروف بحورية الصعدي، قرأ على صلاح بن أحمد المهدي، له عدد من المؤلفات منها: (الروض الحافل شرح الكافل) وشرح على (الهداية)، تولى القضاء على مدينة رغافة في أيام الإمام المتوكل على الله إسماعيل، توفي في سنة (١٠٨١هـ/١٦٧٠م) في بلدة العشة بالقرب من مدينة صعلة (زيارة: ملحق البدر الطالع: ٧٢-١٠).

(٢) تولى القضاء في الحراب من بلاد الأهنوم أيام المتوكل على الله إسماعيل. (الجرموزي: النبلة المشيرة (خ) ق: ٤٩).

(٣) قرأ على الإمام المتوكل على الله إسماعيل، والحسن بن علسي العبالي. (ت ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م)، توفي في شهارة ودفن فيها. (زيارة: ملحق البدر الطالع: ٨٧/٢).

يحيى الجحافي القاسمي^(١) [كان] ورعاً مدرساً، مفيداً، ولي القضاء في بلاد ظُلَيْمَةَ^(٢) ونواحيها، إلى أن توفى في شهر شعبان سنة ثمان وستين وألف [مايو ١٦٥٧م] في ظُلَيْمَةَ.

ومنهم ولده السيد الفاضل العالم الكامل ضياء الدين إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى الجحافي^(٣) تلو أبيه في الكمال ومحامد الخلال - أطل الله بقاءه - .

ومنهم السيد الجليل العالم الفاضل جمال الدين علي بن يحيى بن علي بن إبراهيم بن المهدي الجحافي^(٤) [كان] مدرساً في حبور، توفي []^(٥).

ومنهم السيد الفاضل العالم الكامل عز الدين محمد بن إبراهيم بن المفضل^(٦) بن علي بن أمير المؤمنين يحيى شرف الدين - عليه السلام - [كان] عالماً، عاملاً، مدرساً مفيداً، له اليد الطولى في كثير من العلوم سيما [٣٠/ب] في علم العربية، مقيماً في محروس كوكبان - حرسه الله بالتقوى - .

ومنهم السيد الجليل الأديب النبيل صفي الدين أحمد بن الحسن^(٧) بن

(١) هو إبراهيم بن يحيى بن المهدي بن إبراهيم بن أحمد جحاف، الحسني (١٠٦٨هـ/١٦٥٧م). له شرح على (المفتاح) في الفرائض وكتابات أخرى، توفي في مدينة حبور ودفن فيها. الجرموزي: النبذة المشيرة: ٥٧، زبارة: المصدر السابق (١٣٢).

(٢) ظُلَيْمَةَ: ناحية من نواحي بلاد حاشد في الشمال الغربي من صنعاء على مسافة ١٤٠ كم تقريباً. (الحجري: ٥٦٧٢).

(٣) هو إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن المهدي بن أحمد جحاف، الحبور (١٠٢٤-١٠٩٣هـ/ ١٦١٥-١٦٨٢م) عالم محقق. قرأ على الحسين بن علي جحاف وعبد الرحمن بن حسين جحاف، توفي بحبور، ودفن فيها. (زبارة: المصدر السابق: ٥٥٢-٥٦).

(٤) لم أجد له ترجمة.

(٥) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل وبقية النسخ.

(٦) هو محمد بن إبراهيم بن يحيى بن صلاح، المفضل (١٠٢٢-١٠٨٥هـ/١٦١٣-١٦٧٤م) عالم فقيه، له عدد من المؤلفات منها: (اللاي المتسقات في نظم الورقات). (العمري: المؤرخون اليمنيون: ٥١-٥٢؛ الحبشي: مصادر الفكر الإسلامي: ١٦٣).

(٧) كان شاعراً أديباً، له مؤلف: (ترويح المشوق في تلويح البروق). (الشوكاني: البدر الطالع: ٤٥/١-٤٧؛ الجنداري: الجامع الوجيز (خ) ق: ١٥٠ب).

أحمد بن حميد الدين بن المطهر بن أمير المؤمنين [كان] عارفاً كاملاً،
توفي في شهر [محرم]^(١) عام اثنين وسبعين وألف [أغسطس ١٦٦١م]^(٢).

ومنهم السيد الشهير ذو العلم الكثير عز الدين بن علي العبالي^(٣)
- أطل الله بقله -

ومنهم السيد الكبير والامير المعظم الشهير هاشم بن حازم بن راجح بن
أبي نمي الحسيني المكي^(٤)، كان عالماً كبيراً، مجاهداً، فارساً، شجاعاً، بطلاً، له
المقامات المحمودة، والمآثر المشهورة، ولي تهامة^(٥) جميعاً بعد فتح زبيد^(٦) وقبله،
توفي - رحمه الله - في شهر جمادى الأولى أو ربيع الآخر عام خمس وخمسين
وألف [١٦٤٥م]، وقبره في زبيد من باب الحداد مزور مشهور - رحمة الله
عليه - آمين.

ومنهم السيد العلامة الحاكم جمال الدين علي بن صلاح العباسي العلوي
الضلعي^(٧) من بلاد كحلان^(٨) تاج الدين، إليه القضاء في كحلان وبلاده،

(١) ما بين المعقوفين بياض في (١).

(٢) الشوكاني يشير في كتابه البدر الطالع: ٤٧/٨ أن وفاته كانت في سنة (١٠٨٠هـ/١٦٦٩م).

(٣) هو عز الدين بن علي بن صلاح بن محمد العبالي، الحنفي، الحسيني، (ت ١٠٨٨هـ/١٦٧٧م)؛ عالم أصولي
فقيه قرأ على الأمير الحسين بن الإمام القاسم بن محمد توفي في صنعاء. (الجندي: الجامع الوجيز
نخ: ق: ١٥٣ ب، زيارة: ملحق البدر الطالع: ١٤٨٢).

(٤) أمير من الأشراف، كان مقيماً في اليمن، تولى بيت الفقيه وما والاها (١٠٣٦هـ/١٦٢٧م)، ثم تولى زبيد
في سنة (١٠٤٥هـ/١٦٣٥م) واستمر عليها إلى أن توفي. (انزركلي: الأعلام ٤٧/٩).

(٥) تهامة: هي القسم الممتد على ساحل البحر الأحمر، ويند في اسم تهامة نواحي عدن وأبين والحج،
وتحتوي على العديد من المدن والقرى والوديان. (الحجري: ١٦٢٠/٨)؛ (الأكوع: ه البلدان
اليمانية: ٦٣).

(٦) زبيد: مدينة عامرة في تهامة كانت إلى عهد قريب زاخرة بالعلماء وطلبة العلم، وبها عدد كثير من
المدارس والمساجد والجوامع، كانت مقصودة لطلب العلم من أماكن شتى من داخل وخارج اليمن،
وفيه وادي زبيد من أشهر وديان اليمن، تقع زبيد في الغرب الجنوبي من صنعاء على مسافة ٢٤٥ كم
تقريباً. (الحجري: ٣٨١/٨ - ٣٩١)؛ (الأكوع: ه البلدان اليمنية: ١٢٨).

(٧) لم أجد له ترجمة.

والتدريس في أيام الإمامين المؤيد بالله، والمتوكل على الله -عليهما السلام- وله نهضة في القضاء وعزيمة في الإمضاء، مع الورع والإتقان - أمتع الله بحياته -.

ومنهم السيد الأعلم فخر الدين عبدالله بن الهادي بن محمد بن علي الحرابي^(١) إليه القضاء في حضرة مولانا عز الإسلام محمد بن الحسن - أيد الله - ثم ولي القضاء في اليمن الأسفل^(٢) - أمتع الله بحياته -.

والمذكور هنا عيون والمتركون أكثر للقصور

ومنهم السيد الكامل صلاح بن علي بن الحسين بن أخي السيد العلامة محمد بن علي الملقب بأبي علامة المؤيدي^(٣)، كان سيداً وحيداً في الكمال والأراء، وله شرح حسن على (الكافل في أصول الفقه).

ومنهم السيد العلامة المدرس الحسين بن محمد المفتي التهامي^(٤)، كان إماماً في الفقه، قام بالتدريس في جامع صنعاء وانتفع به الناس، توفي يوم [١٦٦١م]^(٥) في شهر [١٦٦١م]^(٦) عام اثنين وسبعين وألف [١٦٦١م].

ومنهم السيد العابد العارف المهدي بن محمد المفتي التهامي^(٧)، كان فقيهاً

(٨) كحلان تاج الدين: ناحية معروفة في بلاد حجة. (الحجري: ٦٦٣/٢).

(١) هو عبد الله بن محمد بن علي الحرابي الهادي، كان ممن جاهد الأتراك مع الإمام القاسم بن محمد. (الجرموزي: النينة المشيرة (نخ) ق: ٤٩).

(٢) اليمن الأسفل: التسمية كانت تطلق على تعز وإب، وما يتبعهما.

(٣) هو محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين المؤيدي الملقب بأبي علامة (ت ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م) اشترك مع الإمام القاسم بن محمد في حرب الأتراك ثم خرج عن طاعة الإمام ودخل تحت ولايتهم له عدد من المؤلفات منها: (روضة الألباب وتحفة الأحباب)، توفي بصعنة. (زيارة: نشر العرف ١٨٢/٣، الحبشي: مصادر الفكر الإسلامي ٤٣٦؛ العمري: المؤرخون اليمنيون ٤٧، ٢٧).

(٤) هو الحسين بن محمد بن علي المفتي التهامي، عالم محقق، قرأ على عز الدين المفتي الحسيني له حواشي على الأزهار. (زيارة: المصدر السابق: ٦٢٧/٨-٦٢٨).

(٥) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل وبقية النسخ.

(٦) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل وبقية النسخ.

(٧) لم أجد له ترجمة.

فاضلاً، رأى في بعض الليالي ملك الموت يطوف به بساتين وحدائق، وقال: هذه لك وقد دنا أجلك، وهو إذ ذاك في صعلة فاستمهل منه لزيارة رحمه في تهامة، فقل: هيهات ذلك، ولم يزل يراجع حتى قل: وفاتك يوم الإثنين فاشتغل السيد - رحمه الله - بأهيبته ثم مات والأصحاب في منزله [٣١/أ]، كذا حكاه القاضي شمس الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجل - أطل الله بقاءه -.

ومنهم السيد الجليل العالم النبيل [عزالدين بن علي بن الحسن بن محمداً^(١)] النعمي^(٢)، قاضي الحج^(٣) عن أمر مولانا أمير المؤمنين - أيده الله -.

ومنهم السيد العلامة جمال الدين علي بن الحسين بن علي بن إبراهيم الجحافي عالماً، مجدداً، تلو أبيه الحسين^(٤) - رحمة الله عليه -.

ومنهم صنوه عبدالله^(٥) بن الحسين بن علي، له الفهم الوقاد والتميز النفاذ أثنى عليه القاضي المذكور عن خبرة ودراية، تركناه إيثاراً للاختصار.

ومنهم السيد العابد المثل عماد الدين يحيى بن إبراهيم بن المهدي^(٦).

(١) ما بين المعقوفين في الأصل، وبقية النسخ: (عزالدين محمد بن علي بن الحسن)، والتصحيح من زيارة: ١٤٦٢.

(٢) هو عزالدين بن علي بن الحسن بن محمد بن الحسن، النعمي، الحسيني، ولد في سنة (١٠٣٢هـ/١٦٢٢م) قاضي، عالم، قرأ على أحمد بن صالح بن أحمد بن أبي الرجل ومحمد بن إبراهيم السحولي، عينه الإمام المتوكل على الله إسماعيل، قاضي الحج، لرعاية شئون الحجيج في سنة (١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) وفي أواخر أيامه تعرض للعمى. (زيارة: ١٤٦٢-١٤٤٧).

(٣) قاضي الحج، بمثابة وزير الحج والأوقاف في وقتنا الحاضر.

(٤) هو الحسين بن علي بن إبراهيم بن المهدي: جحاف، الحبورى (ت ١٠٥٩هـ/١٦٤٩م)، عالم أصولي، قرأ على إبراهيم بن المهدي جحاف، تولى بلاد حجة في عهد الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، توفي بمبور، ودفن فيها. (زيارة: ٨٧٢).

(٥) هو عبد الله بن الحسين بن علي بن إبراهيم، جحاف، الحبورى (١٠٤٠-١١١٢هـ/١٦٣٠-١٧٠٠م) عالم أصولي، محقق، قرأ على أخيه علي بن الحسين وأحمد بن صالح بن أبي الرجل. (زيارة: ٢٩٢).

(٦) هو يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن المهدي بن إبراهيم بن المهدي، جحاف، الحبورى (ت ١١٠٣هـ/١٦٩١م) قاضي، عالم، فقيه، له شرح على (الحاجية). (زيارة: ٢٢٦٢).

قال القاضي المذكور: وقد أغرق في وصفه بما يطول، هو الآن قاضي حبور المحروسة، وعامر مفخر آبائه المأنوسة - أطل الله بعمره -.

ومنهم السيد العابد المتأله شيخ وحده، وفريد وقته، محمد بن عز الدين المؤيدي، عُرف - رضي الله عنه - بابن العنز؛ لأنه رضع من عنزة، وله في ذلك أخبار تدل على كرامته على الله، وكان من عباد الله الصالحين، وله كرامات تذكّر، وفضائل تشهر، توفي [(١)].

ومنهم السيد العلامة المجتهد جمال الدين الهادي بن عبد النبي بن حطبة الهادوي (٢) من ساكني بلاد حولان، له أخبار وآثار في وظائف الطاعات مستحسنة، توفي [(٣)].

ومنهم السيد العارف، بدر سماء الفضل والمعارف، عز الدين محمد بن إبراهيم بن المفضل (٤) بن علي بن أمير المؤمنين المتوكل على الله يحيى شرف الدين.

قال القاضي أحمد بن صالح في بعض وصفه: هو لسان العلوم، ولسان المنطوق منها والمفهوم، إلى قوله: حافظ متقن، ارتحل إليه الطلبة وانتفعوا به في العلوم جميعها، وهو على ذلك وفوق ذلك - أمتع الله به الإسلام -.

(١) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل وبقية النسخ.

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل وبقية النسخ.

(٤) انظر ترجمته في هـ. النص: ق (١٣٠).

[علماء الشيعة الذين أيدوا دعوة الإمام المتوكل على الله]^(١)

وأما عيون الشيعة والأخيار، والعلماء الأقطار الأبرار، الذين قاموا بدعوته واستندوا إلى إمامته، منهم: القاضي العلامة، البحر الفهامة، الحبر، شمس الدين أحمد بن سعد الدين بن حسين بن محمد المسوري^(٢) - أطل الله بقاءه - هو لسان العلماء في وقته وخطيبهم في مدته، وله مع سعة العلم من الزهادة والورع والاحتياط [ب/٣١] ما يليق بمثله، معروفاً بالبلاغة وخلوص التشيع، كتب مع الإمام المنصور بالله - عليه السلام - في آخر أيامه، واختص بالكتابة لإمامنا المؤيد بالله - عليه السلام - ثم للإمام المتوكل - عليه السلام - والخطابة مع الإمامين، علماً عاملاً، لا يعلم له في زمانه بنظير في العلم والعمل والإخلاص لله عز وجل.

أما العلم النافع فكما قل بعض علمائنا: إنه في هذا الأوان كالقاضي جعفر بن أحمد بن عبدالسلام في الماضي من الزمان.

وأما الكتابة وخطابات العلماء من أهل المذهب والملوك على اختلافها، والعلامة من العامة فمما لا يمكن حصره ولا يدرك غوره.

وأما الشعر في المواعظ والرد على ما خالف الحق والمدائح النبوية والتوسل إلى الله سبحانه وأهل بيت نبيه، فمما يقل فيه جزماً عزمياً إنه لم يجد أحد مثاله ولا يجري منواله.

قل بعض الفضلاء: إنه توسم إن قدر المدائح النبوية، وما يتصل من ذكر العترة المطهرة الزكية، إنها أكثر من مأتي قصيدة، منها ما تجاوز المائة البيت،

(١) ما بين المعقوفتين، عنوان أضفنه على طريقة النسخ.

(٢) انظر ترجمته في هـ النص: ق (٢/ب).

وأنه يبعث في كل عام قصيدة تلقى في الحجرة النبوية، وكذلك الخطب لا يعد خطبته وإنما يخترع كل جمعة خطبة غير الأولى، فإذا نزل من المنبر أعطاها أول سائل له، وله في السخاء والإيثار والمروءة ما يليق بمثله وينيف على شكله، لا سيما الضعفاء الأشراف، ولو نذكر بعض تفصيل لهذه الجملة لطلال - أمتع الله بحياته وأعاد من بركاته - [توفي في محروس شهارة في شهر محرم الحرام سنة تسع وستين وألف [١٦٥٨م] رحمه الله^(١)].

ومنهم القاضي المكين، ذو العلم الرصين، الأصولي المحقق، المحدث المدقق، شمس الدين أحمد بن صالح العنسي العياني، وقد تقدم، توفي في صنعاء عام ثمان وستين وألف [١٦٥٧م].

ومنهم القاضي العلامة صلاح الدين بن علي الوشاح الحاكم الهدادي الأنسي وقد تقدم، توفي عام ست وخمسين وألف [١٦٤٦-١٦٤٧م] كان عالماً فقيهاً، ولي القضاء في الهان^(٢) ثم في الحصين من صوران، وقبره مشهور في بلده من هداد^(٣).

ومنهم القاضي العلامة الفقيه المحقق عماد الدين يحيى بن محمد بن علي بن معوضة الشيببي الجودي^(٤) ولي القضاء في بلده، ثم في مدينة ذمار، توفي عام خمس وستين وألف [١٦٥٤م].

ومنهم ولده القاضي الفاضل الورع جمال الدين علي بن يحيى الشيببي^(٥) ولي القضاء في مغارب ذمار والتدريس - أمتع الله بحياته -.

(١) ما بين المعقوفين ساقطة في الأصل (١)، والإضافة من بقية النسخ.

(٢) الهان: مخلاف من بلاد أنس. (الحجري: ٨٧١).

(٣) هداد: قرية في أنس. (الحجري: ٧٥٠/٢).

(٤) لم أجد له ترجمة.

(٥) هو علي بن يحيى بن محمد الشيببي، عالم زاهد، تولى القضاء على ذمار في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل إلى أن مات، ولم يؤرخ لوفاته. (زيارة: نشر العرف: ٢٩٥/٢).

ومنهم القاضي العلامة الحبر المفيد شمس الدين أحمد بن سعيد بن صلاح الهبل الخولاني^(١) وقد تقدم، توفي عام واحد وستين وألف [١٦٥٠م] في صنعاء، ودفن إلى جنب [١/٣٢] السيد عبدالله الديلمي عند المسجد الأبهري^(٢).

وأخواه العالمان الفاضلان علي بن سعيد^(٣) والمهلي يسر سعيد^(٤)، توفي المهلي في أواخر عام ثلاث وستين وألف [١٦٥٢م] في الروضة^(٥) من أعمال صنعاء.

ومنهم أخوهم الرابع العلامة المحقق عبدالقادر بن سعيد الهبل^(٦) - أطل الله بقاءه - وهو من أئمة الفقهاء في صعلة غير منازع، قل من لم يأخذ عنه من أهل صعلة ومن هاجر إليها.

وأما القاضي علي بن سعيد مشهور الفضل والورع والزهافة، وكف بصره بعد أيام من وفاة حي مولانا المؤيد بالله - سلام الله عليه -، واشتغل بنقل القرآن ودرسه ليلاً ونهاراً وقد تظهر للفتيا.

وأما القاضي المهدي فعلى طريقتهم في الفقه، وله مع ذلك حسن تصرف في الأعمال، ولهم إخوة وأولاد نجباء فضلاء، من فضلائهم القاضي الفاضل الزاهد شمس الدين أحمد بن صلاح بن صلاح الهبل، [كان] عالماً، فاضلاً، مدرساً،

(١) هو أحمد بن سعيد بن صلاح الهبل الصنعاني (ت ١٠٦١هـ/١٦٥٢م) عالم. قرأ على محمد بن عز الدين المفتي. درس في جامع صنعاء. (زيارة: ٣٣/٢).

(٢) مسجد الأبهري: عرف قديماً بمسجد بنت الأمير، وهو من المساجد العاصرة بمدينة صنعاء في الجهة الجنوبية من السائلة، وقد عمرته السيدة فاطمة بنت الأمير الأسد بن إبراهيم بن حسين سنة (١٧٦١هـ). (الحجري: مساجد صنعاء: ٥).

(٣) انظر ترجمته، في هـ النص: ق (٢/ب).

(٤) لم أجد له ترجمة.

(٥) الروضة: أكبر قرى بني الحارث شمالي صنعاء على مسافة ٥ كم تقريباً، كانت منتجع أهل صنعاء لكثرة البساتين والحدائق فيها، وفي الروضة نحو عشرين مسجداً، وقبور جملة من الفضلاء والعلماء. (الحجري: ٢١٠/١-٢١٣).

(٦) هو عبد القادر بن سعيد بن صلاح الهبل، قاضي محقق. قرأ على والده والقاضي عامر النعماري، وهو مفتي مدينة صعلة لم يذكر تاريخ لوفاة. (زيارة: المصدر السابق: ١٢٣/٢).

إليه ولاية القضاء في بلاد رازح^(١) وما والاها- أطل الله بقاءه-.

والقاضي الفاضل العالم العامل جمال الدين علي بن جابر بن صلاح الهبل،
[كان] عالماً مدرساً في صنعاء المحروسة على طريق عمه وبني عمه
- أطل الله بقاءه^(٢).

ومنهم القاضي العالم المحقق عزالدين محمد بن صلاح السلامي الأنسي^(٣)
وقد تقدم، كان فقيهاً عالماً [مدرساً]^(٤) مبرزاً في الفقه لا يبلغه أحد من أهل
وقته^(٥) وفي أصول الدين بلغ فيه الدرجة القصوى، شايح حي مولانا
الحسن^(٦) في محروس ضوران، واشترى له مولانا الحسن بيت في الحرف^(٧)، وقرأ
عليه في الفقه، ثم أخذ عليه حي ولده شمس الدين محمد بن الحسن []^(٨)
أحمد علي القاضي إبراهيم^(٩) وعلى القاضي صلاح الفلكي^(١٠)
وعلى والده صلاح بن علي، ثم شايح المتوكل وأول من بايعه، والمسارة
في البيعة منه أمر عجيب يدل على بركته للإمام المتوكل وثبوت الإمامة فيه،
وهي أنه عزم من بيته وأمسى في قرية سما^(١١) عن قريب من ضوران وفيها
وليان صلحان عليهما مسجد، فأمسى القاضي المذكور في ذلك المسجد، فلما

(١) رازح: ناحية مشهورة من أعمال صعلة. (الحجري: ٣٥٥/١).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقطة في الأصل (أ) و(ف) والإضافة من بقية النسخ.

(٣) انظر ترجمته في هـ النص: ق (١/٣).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من (أ) و(ح).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ب).

(٦) الحسن بن الإمام القاسم بن محمد.

(٧) حرف: حرف القضة في مغرب عنس من أعمال ذعار. (الحجري: ٢٥٧/١).

(٨) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل وبقية النسخ.

(٩) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل وبقية النسخ.

(١٠) هو صلاح بن محمد بن ناصر الفلكي النعماري (ت ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م) عالم. قرأ على والده، اشتغل
بالتدريس. (زيارة: ملحقات البدر الطالع ١٠٨٢/١ الجرموزي: النبله المشيرة: (غ) ق: ٦٦).

(١١) سما: منطقة مشهورة في ناحية عتمة. (الحجري: ٤٣٠/٢).

كان إلى الليل نبهه ذلك الولي، ويقول: بايع الإمام بايع الإمام، فقام القاضي فطلب [من] ^(١) القِيم ^(٢) سَرَج ^(٣) ذلك المسجد وشدَّ وعزم وبايع الإمام في وقت وصوله - رحمه الله تعالى - توفي في ثلاث وستين وألف [١٦٥٢م].

ومنهم القاضي العالم الزاهد [المحقق] ^(٤) عز الدين بن محمد بن صالح بن عبدالله بن حنشر، كان علماً، فاضلاً، زاهداً، ورعاً [وقد تقدم] ^(٥) ولي القضاء والتدريس في مشهد الإمام المهدي أحمد بن الحسين في ذيبين ^(٦)، توفي - رحمه الله - [عام أربع وستين وألف [١٦٥٣م] في شهارة المحروسة بالله تعالى، ودفن في مسجد ذي الشرفين] ^(٧) ^(٨).

ومنهم الأخوان العالمان جمال الدين علي بن محمد ^(٩) بن سلامة [كان] عالماً، مجتهداً، له مصنفات مفيدة، والحسن بن محمد ^(١٠) بن يحيى بن سلامة [كان] عالماً، زاهداً.

مركز البحث في الدراسات والبحوث

- (١) ما بين المعقوفتين أضفناه للايضاح.
- (٢) القِيم: القايم على شؤون المسجد.
- (٣) سَرَج: إضافة.
- (٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من الأصل (١) والإضافة من بقية النسخ.
- (٥) ما بين المعقوفتين ساقطة من الأصل (١) والإضافة من بقية النسخ.
- (٦) ذي بَيْن: قرية من بلاد حاشد في الشمل من صنعاء إلى ناحية الشرف تبعد عن صنعاء بحوالي ٧٠ كم تقريباً. (الحجري: ٣٥١/١).
- (٧) ما بين المعقوفتين ساقطة من الأصل (١) و(ف).
- (٨) ذي الشرفين: نسبة إلى الأمير ذي الشرفين محمد بن جعفر بن الإمام القاسم بن علي العياني. (الحجري: ٩٥/١).
- (٩) هو علي بن محمد بن يحيى بن سلامة الصنعاني (ت ١٠٩٠/١٦٧٩م) قاضي، محقق، عالم، أصولي، قرأ على عبدالرحمن بن يحيى القاسمي والإمام القاسم بن محمد له شرح على (الفصول اللؤلؤية في الأصول الفقهية) كان حاكماً لدى الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، توفي بصنعاء. (زيارة: ملحق البدر الطالع: ١٧٩٢-١٨٠).
- (١٠) لم أجد له ترجمة.

ومنهم [القاضي] ^(١) العلامة المجتهد الفهامة صارم الدين بن يحيى السحولي ^(٢)، كان عالماً فاضلاً، ورعاً، كاملاً، ولي القضاء في مدينة صنعاء [المحروسة بالله] ^(٣) إلى أن توفي عام [واحدًا] ^(٤) وستين وألف [١٦٥٠م].

ومنهم الفقيه المحقق أبو القاسم بن الصديق البيشي التهامي ^(٥) [كان] عالماً، عادلاً، مدرساً، كاملاً - أطل الله بقله - [ولي القضاء في زبيد المحروسة بالله بعد فتحها وهو عليه إلى تاريخه] ^(٦).

ومنهم [٣٢/ب] القاضي العلامة المحقق فخر الدين عبدالله بن يحيى بن حنش ^(٧).

ومنهم الفقيه الفاضل العالم الصالح التقي حفظ الله بن أحمد بن سهيل ^(٨)، فقيهاً، فاضلاً، ورعاً، ذكياً، مع سعة العلم والفهم والورعة، بحيث أنه لم يتناول شيئاً من بيت المال.

[ومنهم الفقيه العالم الصالح صلاح الدين صالح بن مسعود] ^(٩) الحاجب الشظبي وقد تقدم ^(١٠).

(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من الأصل (أ) والإضافة من بقية النسخ.

(٢) هو إبراهيم بن يحيى بن محمد الشجري، السحولي، الصنعاني، صارم الدين (٩٨٧-١٠٦٠هـ/١٥٧٩-١٦٥٠م) قاضي، فقيه، عالم أصولي، قرأ على والده، وعلى القاضي عبدالمهدي الثلاثي، كان حاكم صنعاء وإمام مسجدتها الكبير وخطيبه المفوه، له حاشية على الأزهار وكتابت أخرى، توفي بقرية القابل ودفن بجزيرة الروض، ثم نقل رفاتة إلى مسجده، الذي بنه في حياته والمعروف خارج باب شعوب (ضبعة المحاريق) وقبره معروف مشهور إلى اليوم. (الشوكاني: البدر الطالع ٩٦٢؛ العمري: مصادر التراث: ٣٦٢-٢٩٥؛ يحيى بن الحسين، أبناء الزمن (خ) ق: ١٧٧).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ب).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ب).

(٥) ولي القضاء في زبيد أيام الإمام المتوكل على الله إسماعيل (ت: ١٠٧٤هـ/١٦٦٣م). (الجندي: الجامع الوجيز (خ) ق: ٢٤٧ ب؛ الجازم: تاريخ اليمن: ١٩١).

(٦) ما بين المعقوفتين ساقطة من (أ).

(٧) لم أجد ترجمة له.

(٨) لم أجد ترجمة له.

(٩) لم أجد ترجمة له.

(١٠) ما بين المعقوفتين ساقطة من (أ).

ومنهم وجيه الدين عبد الحميد بن أحمد بن يحيى بن عمرو بن المعاف^(١)
[كان عالماً أديباً.]

ومنهم القاضي الحبر العلامة، العادل الفهامة، صارم الدين إبراهيم بن
الحسن العيزري^(٢) من العلماء الأبرار الصالحين الأخيار، وله مع كمال علمه
الورع الشحيح والصبر على أمور المسلمين، وسلامة الصدر، ولو نذكر
تفصيل ذلك لطل، توفي - رحمه الله - يوم الجمعة ثاني وعشرين شهر ربيع
الأول عام واحد وسبعين وألف [١٦٦٠م] وصلى عليه الإمام - عليه السلام -،
ودفن في جربة الروض مع كثير من العلماء^(٣).

ومنهم القاضي العلامة، التقي، الفاضل، الفهامة، عز الدين محمد بن علي
الجملولي^(٤)، ولي القضاء في كوكبان أيام مولانا المؤيد بالله - عليه السلام -،
وولي القضاء أيضاً في بندر المخاء أيام مولانا - عليه السلام - توفي في شهر
رجب سنة اثنين وسبعين وألف [١٦٦١م].

ومنهم القاضي الصمصامة برهان الدين المهدي بن عبد الهادي بن أحمد
السلامي^(٥) عالماً كبيراً، محققاً، يلحق بوالده في العلم والفضل.

[ومنهم أخوه القاضي، العلامة الذكي، الورع الألمي، جمال الدين علي بن
عبد الهادي^(٦) عالماً محققاً، متفنناً بارعاً، تلو أخيه - أطل الله بقاهما -]^(٧).

(١) كان عالماً في اللغة رعه الإمام المؤيد بالله محمد له مؤلفات منها: شرح الملحة، توفي في رجب
١٠٦١/١٦٥٠م (طبيب الكساء: (خ) ١٧٦؛ الجازم تاريخ اليمن: ١٢٨).

(٢) هو إبراهيم بن الحسن بن محمد بن جابر، العياني، النوفي، المعروف بالعيزري اليماني
(ت ١٠٧٦/١٦٦٠م) قاضي، عالم. تولى القضاء للإمام المتوكل على الله إسماعيل. (زبارة، ملحق البدر
الطالع: ٥/٢).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من (أ) و(ف).

(٤) تولى القضاء في أواخر أيامه في السود، وتوفي فيها. (الجنداري: الجامع الوجيز: (خ) ق ١٨٤٧).

(٥) لم أجد ترجمة له.

(٦) لم أجد له ترجمة.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقطة من (أ) و(ح).

ومن فقهاء شهارة المحروسة بالله الفقيه العلامة [المحقق] ^(١) عز الدين محمد بن ناصر بن دغيش الغشمي ^(٢)، فقيهاً، عارفاً، فروعياً محققاً، توفي - رحمه الله - [سنة إحدى وسبعين وألف] ^(٣) [١٦٦٠م].

ومنهم العلامة المفيد المهدي بن جابر بن نصار العفاري ^(٤) فقيهاً، عالماً، إليه القضاء والتدريس في شهارة المحروسة بالله، [ثم نقله الإمام عليه السلام إلى ظفير حجة للقضاء وهو فيه الآن] ^(٥).

ومنهم الفقيه العالم المحقق شمس الدين أحمد بن جابر بن شرف الدين العيزري الأهنومي ^(٦).

ومنهم الأخوان العاملان، فخر الدين عبدالله بن أحمد الجربي ^(٧)، وبلد الدين محمد بن أحمد الجربي ^(٨) [الصنعانيان] ^(٩)، ماتا في عشر الستين بعد الألف [١٦٥٠م] - رحمهما الله تعالى -

ومنهم سيدنا العلامة الأفضل، المجاهد الأكمل، وجيه الدين عبدالقادر بن علي بن يحيى المحيرسي ^(١٠)، من جبل بئس، عالماً كبيراً، وعلماً شهيراً، ورعاً،

(١) ما بين المعقوفتين مضافة من (ب).

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ا).

(٤) وهو المهدي بن جابر بن نصار العفاري، الحجوي (ت ١١٠٢هـ/١٦٩٠م) قاضي، عالم، قرأ على الإمام المتوكل على الله إسماعيل، وعن الحسين بن المؤيد بالله، تولى القضاء والتدريس بحصن الظفير وجهات حجة. (زيارة: ملحق البدر الطالع ٢١٤/٢-٢١٥؛ زيارة: نشر العرف: ٢٤٤/٣-٢٤٥).

(٥) ما بين المعقوفين زيادة في نسخة أخرى.

(٦) كان خطيب الجامع الكبير بصنعاء، أيام الإمام المتوكل على الله إسماعيل. (الحبشي: مصادر الفكر الإسلامي ٢٢٤، جازم: تاريخ اليمن: ٣٠٩).

(٧) هو عبد الله بن معوضة الجربي (ت ١٠٦٣هـ/١٦٥٢م) عالم، تقي، فقيه، قرأ على الحسن بن شمس الدين، وصلاح بن أحمد الرازحي، توفي في الروضة ودفن بها. (الجندي: الجامع الوجيز (خ) ق: ١٤٣). (زيارة: ملحق البدر الطالع: ١٢٧/٢).

(٨) لم أجد له ترجمة.

(٩) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ب).

(١٠) هو عبدالقادر بن علي بن يحيى المحيرسي، الزيتي، الحيمسي (ت ١٠٧٧هـ/١٦٦٦م)، عالم فقيه، قرأ على محمد بن عز الدين المفتي، له حاشية على الأزهار، توفي ببلد المحيرس من الحيمة، ودفن بها. (الجندي: الجامع الوجيز: (خ) ق: ١٤٨؛ الشوكاني: البدر الطالع: ٢٧٠/٨).

زاهداً، مجاهداً، [انتفع به الناس في القضاء والتدريس]^(١) بلغ في جميع فنون العلم مبلغاً عظيماً، ولي القضاء [أخيراً]^(٢) في بلاد جبل بيس وبلاد كوكبان [١/٣٣] والحيمة^(٣) وحراز وإن كان ثم قضية فإنما هم في حكم النائبين عنه.

ومنهم القاضي العلامة الصلر الفهامة الحاكم شمس الدين أحمد بن يحيى بن إبراهيم^(٤) بن صلاح الأنسي، من هجرة مسطح من بلاد بني قُشيب^(٥) له في القضاء والصبر اعتبار وأي اعتبار، يقصده مع بلاد أنس غيرها من بلاد الحجر^(٦) وعانز وحراز ورِيمة^(٧) وغيرها، وله أولاد وقرابة فضلاء أهل علم وإفادة.

ومنهم القاضي العلامة عين الشيعة المحققين عزالدين محمد بن صلاح^(٨) بن محمد الفلكي الذماري المنحجي كان فقيهاً عارفاً، فاضلاً، إنما هو في فمار وبلادها والبلاد المنحجية^(٩) فريضة الدهر وآية العصر، وكان إليه التدريس والفتيا والقضاء والخطابة، وله من التحقيق لمذهب الهدوية ما

(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ب).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ا) و(ف).

(٣) الحيمة: ناحية من بلاد حراز. (معجم الحجري: ٥٧٤/٢).

(٤) هو أحمد بن يحيى بن إبراهيم بن صلاح الأنسي، اليمني، قاضي فقيه، قرأ على أحمد بن محمد

الشرفي والإمام القاسم بن محمد (زيارة: ملحق البدر الطالع: ٤٩٢).

(٥) بني قُشيب: من بلاد أنس. (الحجري: ٣٧١).

(٦) الحجر، وهي حجرة ابن مهدي، بلد واسع في جملة قرى مكن ناحية الحيمة. (الحجري: ٣٣٢/١).

(٧) رِيمة: بلاد واسعة في الغرب الجنوبي من صنعاء على مسافة ١٤٠ كم، تضم عدد من النواحي.

(الحجري: ٣٧٧/١-٣٧٩).

(٨) هو محمد بن صلاح بن محمد بن ناصر الذماري، المنحجي، قاضي عالم، محقق، فقيه، قرأ على أبيه

والقاضي إبراهيم حشيش، كان حاكماً أيام المتوكل على الله إسماعيل، وله معرفة في علم الهندسة

والمساحة. (الجندياري: الجامع الوجيز: (خ) ق ١٤٣؛ زيارة: ملحق البدر الطالع: ٢٠٢/٢).

(٩) البلاد المُنحجية: وهي بطن من كهلان بن سبأ، وتضم قبائل عديدة من بلاد ذمار.

(الحجري: ٦٩٩-٧٠٢).

يضرب به المثل. [توفي في شهر جمادى الأولى عام ثلاث وسبعين
وألف] ^(١) [١٦٦٢م].

ومنهم ابن عمه القاضي الفاضل عماد الدين يحيى بن علي ^(٢) بن محمد بن
صلاح الفلكي، كان إليه القضاء في مدينة إب ^(٣) وذي جبلة ^(٤)، توفي [سنة إحدى
وسبعين وألف] ^(٥) [١٦٦٠م].

ومنهم القاضي العالم الحاكم المرضي شرف الملة والدين الحسين بن
يحيى ^(٦) بن محمد السحولي الحاكم بصنعاء المحروسة بالله علماً متفنناً [ورعاً شديد
التواضع والتحري] ^(٧) توفي في شهر [محرم] ^(٨) سنة ثلاث وسبعين
وألف [١٦٦٢م].

[ومنهم ولد أخيه العلامة الزاهد وحيد الزمان، وحليف القرآن، محمد بن
إبراهيم ^(٩) بن يحيى، كان علماً كبيراً، زاهداً، عابداً، [إليه الخطابة في جامع
صنعاء والتدريس على طريقة والده] ^(١٠).

(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من (أ) و(ف).

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) إب: مدينة عامرة مشهورة تبعد عن صنعاء جنوباً بنحو ٢٠٠ كم، وهي عاصمة محافظة إب، وتتبعها
عدد من النواحي. (الأكوع: ه البلدان اليمنية: ١٥، الويسي: اليمن الكبرى: ٦١).

(٤) ذي جبلة: ناحية من محافظة إب، وكانت في الماضي حاضرة المنطقة، وكانت إب من أعمالها (الأكوع:
ه البلدان اليمنية: ١٥، الحجري: ٣٢/١).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ب).

(٦) كان حاكم أيام المتوكل على الله إسماعيل، توفي في صنعاء سنة (١٠٧٣هـ/١٦٦٢م) ودفن بمقبرة خزيمية.
(جازم: تاريخ اليمن: ١٨٥).

(٧) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل وبقية النسخ، والإضافة من. (جازم/ المصدر السابق، نفس
الصفحة).

(٨) ما بين المعقوفتين ساقطة من الأصل (أ) والإضافة من بقية النسخ.

(٩) هو محمد بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن صلاح الشجري، السحولي (ت ١١٠٩هـ/١٦٩٧م)
عالم، فقيه، قرأ على والده كان فقيهاً في الجامع الكبير في صنعاء أيام الإمام المتوكل على الله إسماعيل.
(الشوكانني: البدر الطالع: ٩٦٢-٩٧).

(١٠) ما بين المعقوفتين ساقطة من (أ) والإضافة من بقية النسخ.

[ومنهم الفقيه الفاضل المعلم العلامة المحقق علي بن [جابر] ^(١) الشارح ^(٢) انفق عمره في طلابه في التدريس في محروس صنعاء في المسجد الجديد ورعاً، زاهداً، راغباً في طلب العلم، ليس له مائة في بيت المال، توفي [في سنة ١٠٦٨هـ] ^(٣) [١٦٥٧م] ^(٤).

ومنهم الفقيه الفاضل، الحافظ الأديب، الواعظ البليغ المقول عبدالرحمن بن محمد بن نهشل الحيمي، يسكن صنعاء اليمن فظهر علمه وأدبه وحلمه، توفي في صنعاء سنة سبع وستين وألف [١٦٥٦م].

ومنهم القاضي العلامة الكامل الحسن بن أحمد بن صالح اليوسفي الحيمي من أهل العلم الغزير، والتحصيل الكثير، كان له علو همة وكمل في محاورة الكبراء، وهو سفير مولانا - عليه السلام - إلى ملك الحبشة الآتي ذكره، وكذا إلى سلطان حضرموت كما سيأتي أيضاً، توفي في شبام كوكبان وقبر هنالك رابع عشر شهر الحجة من عام إحدى وسبعين وألف [١٦٥٠م] وقبر في شبام كوكبان.

[ومن فقهاء نمار: العلامة شهاب الدين إسماعيل بن الجباري، كان فاضلاً، نبيلاً، له قيام في ناشئة الليل، إمام في المسجد الأخضر.

ومنهم الفقيه المدرس بالمدرسة المباركة، علي بن أحمد المجاهد فقيهاً في الفقه، عالماً، مبرزاً، استعان على التدريس والسكون في نمار من أعمال التجارة توفي] ^(٥).

(١) ما بين المعقوفتين في الأصل وبقية النسخ بياض والإضافة من زيارة: (١٦٠/٢).
 (٢) هو: علي بن جابر بن الشارح (ت ١٠٦٨هـ/١٦٥٧م) عالم فقيه، قرأ على المهدي الحسوسة ومحمد بن عز الدين المفتي، كان مبرزاً في الفقه مرجوعاً إليه في مشكلاته توفي بصنعاء. (الجندي: الجامع الوجيز: (خ) ق ١٤٥ زيارة: (١٦٠/٢).
 (٣) ما بين المعقوفتين في الأصل، وبقية النسخ (بياض) والإضافة من الجندي: المصدر السابق: نفس الورقة.
 (٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من (أ) و (ف) و (ح) والإضافة من (ب).
 (٥) ما بين المعقوفتين سقط من (أ).

ومن فقهاء صعلة المحروسة بالله: القاضي العلامة الفهامة شمس الدين وشحاك الملحددين أحمد بن يحيى بن أحمد بن [حابس] ^(١) الدواري ^(٢)، كان عالماً متبحراً في فنون العلم، من أهل الإجتهد المطلق، والنظر في علوم جميع الفرق، له تصانيف نافعة مشهورة النفع ولم أذكرها للاختصار، ولي القضاء في صعلة المحروسة بالله بقوة وعزم وشدة في الأمر بحيث أن غالب القضاء بين المتخاصمين وهو قائم مستمسك [٣٣/ب] بجبل ليرى من بعد عنه كمن قرب، وله كتابان يملئ عليهما وهما قاعدان، وله في ذلك من الورع الشحيح ما يطول ذكره، توفي في شهر [ربيع الأول] ^(٣) عام إحدى وستين وألف [١٦٥١م].

ومنهم القاضي العلامة الصدر الفهامة شرف الدين الحسن بن يحيى ^(٤) بن حابس الدواري عالماً كاملاً، ولي القضاء بعد أخيه شمس الإسلام والمسلمين أحمد بن يحيى بن أحمد بن حابس الدواري متبحراً جيد الفهم، حسن التصرف في أموره، قوي الحركة في تدبيره في صعلة وفي صنعاء المحروسة بالله بعد شدة نفار عنه.

[ومنهم الفقيه العلامة المجتهد صديق بن ناصر السواني ^(٥) أصله مولى من

(١) ما بين المعقوفين بياض في الأصل وبقية النسخ، والإضافة من (الشوكاني: البدر الطالع: ١٢٧٨).
(٢) أحد مشاهير علماء الزيدية ومؤرخيها في القرن الحادي عشر الهجري، قرأ على كبار مشايخ عصره منهم الإمام القاسم بن محمد، تولى القضاء بصعلة في أيام الإمام المتوكل على الله إسماعيل، وقد برع في علوم عدة، وله مؤلفات منها: (المقصد الحسن) وتكميل شرح الأزهار، توفي بصعلة ودفن بها. (الجندي: الجلعع الوجيز (خ) ق ١٤٣)؛ (العمرى: المؤرخون اليمنيون: ٤٧).

(٣) ما بين المعقوفين بياض في الأصل وبقية النسخ، والإضافة من الشوكاني، المصدر السابق، ونفس الصفحة.

(٤) كان عالماً محققاً، قرأ على محمد بن عز الدين المفتي (ت ١٠٧٩هـ/١٦٦٧)، تولى القضاء بمدينة صعلة، بعد وفاة أخيه (أحمد بن يحيى). (زيارة: ملحق البدر الطالع: ٧٧٢-٧٩).

(٥) هو صديق بن ناصر بن رسام، السواني، الصعدي (ت: ١٠٧٩هـ/١٦٦٧م) قاضي عالم فقيه، قرأ على لطف الله بن محمد الغيث، له حواشي على (شرح نجم الدين للكافية) و(شرح العضد للمتصّر) توفي بصعلة ودفن فيها. (الشوكاني: المصدر السابق: ٢٩٢/٨).

بلاد الجوف^(١) انقطع إلى العلم الشريف في صعلة، ولي القضاء في بلاد خولان أخيراً.

ومنهم القاضي الفاضل العلامة شمس الدين أحمد بن صالح بن أحمد بن إبراهيم بن أبي الرجل^(٢) [كان] عالماً، متفتناً، فطناً، أديباً، اختص بملازمة مولانا - عليه السلام -

ومنهم القاضي العلامة الفقيه المحقق محمد بن علي بن جعفر الربيلي الخولاني^(٣).

قل القاضي العلامة أحمد بن صالح في صفته: إنه أجل من عرفت وقال متمثلاً:

ولا عيب فيها على حسنها سوى أنها من بنات البلد

وإنه من أهل الهمة السامية، والطريقة العالية، له في كل مقصد صالح اليد الطولى، وهو المحقق في (علم المعقول) ودرسه، وما من علم إلا وقد ضرب فيه بسهم، وله مؤلفات ذكرها، وهو من أهل الورع الشحيح.

ومنهم الفقيه العلامة محمد بن يحيى الكلبي^(٤)، كان متكلماً، نحويّاً، نافذ الفهم، وله سرعة في المناظرة، وكان يجنح إلى طريق الجارودية^(٥) ويقول: إنه يحتاج لمنهبه في ذلك بأربع مائة دليل.

(١) ما بين المعوفين ساقطة من (ف).

(٢) انظر ترجمته في هـ النص: ق (٥/ب).

(٣) كان حاكماً ببلاد رازح، أيام الإمام المتوكل على الله إسماعيل، توفي سنة (١٠٧٩هـ/١٦٦٧م). (الجزام: تاريخ اليمن: ٢٤٨).

(٤) لم أجد ترجمة له.

(٥) الجارودية: هي إحدى فرق الزيدية المنقرضة، وتنسب إلى أبي الجارود زياد بن المنذر العبدي الهمداني. (الوادعي: الموسوعة اليمنية: ٣٠٩).

ومنهم الفقيه الفاضل العلامة محمد بن إبراهيم^(١) المتميز، كان على منهج أبيه في الفضل والعلم والصلاح، وقراءته على الفقيه علي القصار.

ومنهم الفقيه الفاضل المحقق جمال الدين علي بن محمد القصار^(٢)، كان من عيون العلماء في صعدة يعتمد عليه العلماء في ترجيحه وآرائه في العلم، كان صاحب ليل وعبادة خفية قل أن عرفها أحد إلا بعد وفاته، وكان وضاً جميلاً، توفي []^(٣).

ومنهم الفقيه الفاضل العارف علي بن المهدي الشقري^(٤)، [كان] فقيهاً، محققاً، وله عبادة ورياضة وعزم في الله عز وجل. قرأ على شيخ الشيوخ في صعدة عز الإسلام أحمد بن يحيى بن حابس - رحمه الله -.

ومنهم الفقيه الفاضل العالم عماد الدين يحيى بن الحاج أحمد بن عواض الأسدي^(٥) شبيه أبي السرايا في عزماته، نشأ هذا الفقيه عماد الدين في حجر أخواله أولاد القاضي إمام [١/٣٤] الفقه سعيد بن صلاح، ونشأ في مهاد الفضل، وبرز في علم السمع والعقل، وله مصنفات وموضوعات، وله أخ من أفاضل عصره وهو الحسين بن أحمد، كان مشغولاً بالعمل مع شطر نافع من العلم على طريقة الكينعي^(٦) - رحمه الله - في الزهادة والعبادة.

(١) لم أجد ترجمة له.

(٢) لم أجد ترجمة له.

(٣) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل وبقية النسخ.

(٤) لم أجد ترجمة له.

(٥) لم أجد ترجمة له.

(٦) هو إبراهيم بن أحمد بن علي بن أحمد الكينعي (ت ١٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م). كان مشتغلاً بالعبادة، قرأ

على العابد حاتم بن منصور الحملاني، وكان كثير السفر إلى مكة، انعزل عن الناس وعكف

على العبادة، وصام الأبد إلا العيدين، ومن شعره:

بيابك عبء واقف متفرع مقل فقير سائل متقطع

حزين كئيب من جلالك مطرق ذليل عليه قلبه متطمع

(الشوكاني: البدر الطالع: ٦٨).

ومنهم القاضي العلامة عبدالله بن يحيى الفهد الصعدي^(١) من أهل العلم الواسع والفضل الجامع، يضرب به المثل في صعدة بلخشوع وكثرة البكاء، حتى أنه يقطع كثيراً من أوقاته في زيارة القبور.

ومنهم الفقيه الفاضل المتبتل محمد بن أحمد السهيلي^(٢) ومن ولد سهيل بن عمرو صاحب صلح الحديدية، قاله القاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجل - أطل الله بقاءه - وقال فيه: هو من أهل الطريقة الأوسية، ثم قل: من عجائبه إذا قام للصلاة انقبض ظهره كأنه مكسور، وعند تلاوة الفاتحة يرصف كأنه مرتعش من مماسة الثلج.

[مبايعة علماء حجة للإمام المتوكل على الله إسماعيل]^(٣)

ومن فقهاء حجة ونواحيها: الفقيه العلامة اللغوي فخرالدين عبدالله بن المهدي^(٤) بن مسعود الحوالي، ومما وصفه القاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجل في ترجمة له واسعة كان ممن أجمع الفضلاء على تفضيله، وكان تعلقه بعلم النحو وما يلصق به من علم اللغة فكأنه مستدرك على الجوهري وغيره، ووصف من نبهه وزيادة فضله كثيراً.

ومنهم القاضي المكين، ذو العلم الرصين، وجيه الدين عبدالجبار بن سعيد الحوالي الحجبي، من قرابة العلامة شيخ الشيوخ الفقهاء إبراهيم بن مسعود،

(١) لم أجد ترجمة له.

(٢) لم أجد ترجمة له.

(٣) ما بين المعقوفين عنوان أضفناه على طريقة الناسخ.

(٤) هو: عبدالله بن المهدي بن إبراهيم بن محمد بن مسعود الحوالي، اليمني (ت ١٠٦١هـ/١٦٥٠م)، كان سيبويه زمانه، محقق للأدب، وعلماً أدبياً مطلعاً على أفراد اللغة وعلم تراكيبها. (الحجبي: خلاصة الأثر:

٨٣٧/٣-٨٤٥ زيارة: ملحق البلد: ١٤٠/٢-١٤١).

فقيهاً، محققاً، عالماً، مدرساً، ولي القضاء في ظفير حجة، وله مع أهله أخبار فيها طول من تحمل المشاق والتكليف الشاق لتصعيبهم عليه، ثم أظهر الله الحق على يديه واستقل المقام فيهم لذلك بعد أن بقي مدة كذلك في خلافة مولانا أمير المؤمنين المؤيد بالله - عليه السلام - ثم في خلافة مولانا - عليه السلام - فنقله الإمام - عليه السلام - إلى بلاد مسور^(١) وجهاته، وضم إليه القضاء في حجة أيضاً وهو الآن على ذلك - أطل الله بقاءه -.

ومنهم القاضي الشهير ذو العلم الغزير المهلي بن جابر بن نصار العفاري^(٢) من هجرة وكية، فقيهاً أخذ عن القاضي عامر وغيره، ثم ولي القضاء في شهارة المحروسة بالله وما إليها، ولما استرجح الإمام - عليه السلام - قضا القاضي عبدالجبار في بلاد مسور وما والاها وحجة وما والاها، ولاء القضاء في الظفير فحصل به الانتفاع [٣٤/ب]، واشتدت وطأته على المتكبرين والرعا، وهو على ذلك - أطل الله بقاءه -.

[مبايعة فقهاء ضمد وصبيا ونواحيهما: الفقيه العالم المجتهد عبدالعزيز بن محمد بن النعمان الضمدي^(٣) كان عالماً، راسخاً، مصنفاً، له جهاد في الحجة لمن

ومن فقهاء ضمد^(٤) وصبيا ونواحيهما: الفقيه العالم المجتهد عبدالعزيز بن محمد بن النعمان الضمدي^(٥) كان عالماً، راسخاً، مصنفاً، له جهاد في الحجة لمن

(١) مسور: وهي مسور المتاب، وتعرف اليوم بمسور حجة. (الحجري: ٧٠٨/٢)، الأكوغ: هـ البلدان اليمانية: ٢٦٧.

(٢) هو المهلي بن جابر بن نصار العفاري (ت ١١٠٢هـ/١٦٩٠م) قاضي، محقق، فقيه، قرا على الإمام المتوكل على الله إسماعيل، تولى القضاء بمدينة شهارة وحسن الظفير وجهات حجة. (زيارة: المصدر السابق: ٢١٤/٢-٢١٥).

(٣) ما بين المعرفين عنوان أضفته من الهامش.

(٤) ضمد: قرية في وادي ضمد في المخلاف السليمانى (عسير) كانت من هجر العلوم الشهيرة، وهي في الشرق بشمل جيزان. (الأكوغ: المصدر السابق: ١٨٧، الحجري: ٥٥٣/٢).

(٥) لم أجد ترجمة له.

خالف الحق، وله مصنفات مفيدة ورسائل عديدة تركنا تعدادها كما تركنا غيرها من غيره، ولي القضاء في جهة جَازَانَ^(١) وأبي عريش^(٢)، ثم المخاء. ومنهم القاضي العلامة أحمد بن الهادي بن أبي السعود الضملي^(٣) فقيهاً، فاضلاً، مدرساً.

ومنهم القاضي العلامة الفقيه الفاضل للأدب الأديب الحسين بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن عمر الضملي^(٤) من أهل الأدب الكامل، والفضل النبيل الفاضل، وله أشعار حسنة.

ومنهم الفقيه الكامل، المحقق، المحدث، الأديب، المطهر بن علي النعمان^(٥)، شيخ شيوخ الجهة في عصره، وله مصنفات في علم الأدب منها: (المنقح على الموشح) وغيره.

ومنهم الفقيه النحوي المحقق علي بن محمد قاضي، من آل النعمان، كان عالماً في العربية متفنناً فيها.

ومنهم القاضي العلامة بدر الشيعة وصدر الشريعة، الحاوي لعلوم الإجتهد الموصوف بالحفظ والانتقاد، محمد بن علي بن صالح العنسي البرطي^(٦)، عالماً، فقيهاً، مفسراً، يلي غالب القضايا في حضرة الإمام - عليه السلام -.

ومنهم القاضي (الرئيس) العالم الكامل أحمد بن علي بن قاسم العنسي،

(١) جَازَانَ: بلدة على ساحل البحر الأحمر من جهة صيب، وإليها يُنسب وادي جازان. (الحجري: ١٧٨).

(٢) أبو عريش: مدينة من بلاد عسير. (الحجري: ٦٠٤/٢).

(٣) لم أجد له ترجمة.

(٤) لم أجد له ترجمة.

(٥) لم أجد له ترجمة.

(٦) لم أجد له ترجمة.

وكان من أهل الجدة والاجتهاد والسعي في مصالح العباد توفي - رحمه الله - في أواخر ربيع الآخر سنة واحد وسبعين وألفاً [١٦٦٠م] في محروس صنعاء، وقد وفد إلى الإمام - عليه السلام - ومن أهل هذا من تقدم ذكره في أصحاب مولانا المؤيد بالله - عليه السلام - وامتدت حياته إلى مولانا - عليه السلام -.

ومنهم العلامة الأصولي المتكلم أحمد بن صالح العنسي^(١) له اليد الطولي في كل فن لا سيما علم الكلام، وله فيه مصنفات، توفي [١٠٦٩هـ] [١٦٥٨م] [٣٥/١]^(٢).

[٣٥/ب] فصل: وقد تقدم أنها لما ظهرت هذه الدعوة الميمونة تلقاها الناس عموماً بالقبول، والتفتوا إليها بالأسماع والأبصار والعقول، وقد ذكرنا أن مولانا أحمد - أطل الله بقله - بعث العساكر إلى جهات متفرقة لحفظ الأطراف من غير إيذان بحرب، وإنما أراد حفظ الموجود والقيام بالمعهد، وكان في أول حصول الثمرة وجعل جمهور عسكره في صنعاء، وتكاثروا حتى كانوا فوق أربعة آلاف، منهم جمهور حاشد^(٤) وبكيل^(٥) والحيمة وغيرهم.

وكان في صنعاء عيون، منهم: مولانا علي بن^(٦) أمير المؤمنين المؤيد بالله

(١) هو أحمد بن صالح العنسي، العياني، ثم البرطي (١٠٦٩هـ/١٦٥٨م) قاضي، كان عارفاً بالنحو والمعاني والأصول، أصابه في آخر أيامه داء النقرس في قدميه، توفي بصنعاء ودفن في مقبرة خزيمة. (الجنداري: الجلع الوجيز (خ) ق: ١٤٨؛ جازم: تاريخ اليمن: ١٥٧).

(٢) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل وبقية النسخ، والإضافة من الجنداري، المصدر السابق، نفس الورقة.

(٣) في الأصل وبقية النسخ: بياض بمقدار ورقة.

(٤) حاشد: من بطون همدان، وحاشد هو أخو بكيل وهما أبناء جشم بن حيران بن نوف بن تبع بن زيد بن عمرو بن همدان، وبلاد حاشد في الجانب الغربي ما بين صنعاء وصعدة. (الحجري: ٢١٤٨-٢٢٦).

(٥) بكيل: بطن من همدان، وبلاد بكيل في الجانب الشرقي ما بين صنعاء وصعدة. (الحجري: ١٢٥٨-١٢٨).

(٦) هو علي بن الإمام المؤيد بالله محمد بن الإمام القاسم بن محمد (١٠١٢-١٠٧٨هـ/١٦٠٣-١٦٦٧م). قرأ على والده وعلى عمر بن محمد اللعاري، كان ملازماً لوالده المؤيد بالله، تولى ولاية صنعاء عقب خروج حيدر باشا عنها في سنة (١٠٣٧هـ/١٦٢٧م)، وبقي عليها إلى أن مات، ودفن بجانب مسجد الوشلي المعروف بصنعاء. (زيارة المصدر السابق: ١٧٤/٢).

ومولانا أحمد بن الحسين بن أمير المؤمنين، ومولانا محمد بن الحسين^(١) بن أمير المؤمنين، وصنوه الفاضل العابد يحيى بن الحسين بن أمير المؤمنين، والسيد (الرئيس) الكامل محمد بن أحمد^(٢) بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله المؤيدي، وولد مولانا أحمد محمد بن أحمد^(٣) بن أمير المؤمنين، وقد جعل أمر الجميع إليه وإلى مولانا علي بن أمير المؤمنين، فأخرجوا عسكرياً مع السيد (الرئيس) صالح بن ناصر الحمزي^(٤) من عقبات^(٥) إلى بلاد الحجرة، وآخرين مع الشيخ الأجد عامر بن صلاح الصائلي إلى جهات حراز، وأعطوا العسكر حصّة ستة أشهر في مقام^(٦) واحد وأسبوع واحد غير أنهم لم يعمموا بذلك وإنما خصوا وزادوا ونقصوا، ويقال والله أعلم: إن ذلك، لقصد التفرق للعسكر عن حفظ صنعاء ومن نصرة مولانا أحمد، فكان كذلك من خرج من صنعاء لم يعد إليها كما سيجيء قريباً إن شاء الله تعالى، هذا ورسل مولانا - عليه السلام - ودعائه عموماً وخصوصاً إلى كل واحد في صنعاء وغيرها، وكان في معمور ذمار مولانا عبد الله بن أمير المؤمنين المنصور بالله قد أظهر البيعة والخطبة لمولانا أحمد، وطلب عسكرياً من صنعاء لحفظ ذمار، فلم يتمكن مولانا أحمد من تحصيل أحد، فإن من في صنعاء لم تصح موالاتهم، ولا كادوا يجتمعون لقراءة كتبه، كيف العمل بها! فعيّن على السيد عز الدين محمد بن أحمد بن أمير المؤمنين المسارعة إلى ذمار، فيمن خفّ من العسكر وأن ينضم إلى مولانا عبد الله، فعرف السيد محمد أن ذلك لا يتم له ولا يراه في دينه، فأظهر المسير إلى شهارة

(١) هو: محمد بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد (ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٧م). قرأ على علماء عصره، وله شرح على كتاب (منتهى المرام شرح آيات الأحكام) كان من أكابر الأمراء وقواد الجيوش في دولة عمه الإمام المتوكل على الله إسماعيل. توفي بصنعاء. (زيارة المصدر السابق ١٩٦٢-١٩٧٠).

(٢) لم أجد ترجمة له.

(٣) لم أجد ترجمة له.

(٤) هو: صالح بن ناصر الجوفي، الحمزي، ولي إمارة الزاهر من نواحي الجوف أيام الإمام المتوكل على الله إسماعيل. الجازم: ١٥٣٩.

(٥) عقبات: من قرى عيل سريح، شمال صنعاء على مسافة ٣٥ كم تقريباً. (الحجري: ٦٠٧/٢).

(٦) في مقام: المقصود في (ظرف).

المحروسة بالله للاعتذار من التوسط في مثل هذه المخاطرة في الدين، فلما انتهى إلى ريلة البون^(١) عاد إلى جهة المشهد بذييين، ثم استصحب من أخرجه الجوف وصار إلى عيون [أ/٣٦] الأشراف فيه، واستضافهم وعول عليهم باستصحابه إلى جهة خولان العالية ليكون هنالك حتى ينظر في أمره، وحصل معه في هذه الطريق تصعب وانتهت بعض أمتعته، فكان في بلاد خولان كما سيأتي إن شاء الله.

[مبايعة أحمد بن الحسن للإمام المتوكل على الله]^(٢)

وأما مولانا أحمد بن الحسن فكان في صنعاء، ينظر والده أمير المؤمنين المؤيد بالله - عليه السلام - ولم يكن معه إلا خلمه ما يجاوزون الخمسين النفر خيلاً ورجلاً، فتلعثم عن إجابة دعوة عمه أحمد، وأظهر وكتم، وصرح وجمجم^(٣) حتى وجد المخرج وتجرد^(٤) إلى نمار المحروسة خفية، ولما وصل إلى زراجة كتب إلى مولانا الإمام - عليه السلام - بالبيعة والإجابة، وكان قد أعطاه ذلك في صنعاء كغيره مما سيأتي إن شاء الله تعالى، وقال للإمام - عليه السلام - كما أخبرني كثيرون ممن حضر عند الإمام - عليه السلام - أنه رأى تقديم الوصول إلى صنوه مولانا محمد - أطل الله بقله - ليكون أقرب إلى التمكن من السعي للصلاح والائتقاد والتسليم كما سيجيء قريباً إن شاء الله تعالى.

ولما وصل إلى محروس نمار، وقد كتب إلى صنوه مولانا محمد - أيده الله - يستورد رأيه الكريم؛ فأمره بحفظ نمار وأمله بجمهور خيله وكثير من رجاله

(١) ريلة البون: تقع شمالي صنعاء على مسافة ٤٨ كم تقريباً. (الحجري: ٢٧٤/١).

(٢) ما بين المعقوفين عنوان أضفناه على طريقة الناسخ.

(٣) جمجم: أخفى. (المنجد: ١٠٠).

(٤) تجرد: جد في الماضي. (المنجد: ٨٦).

وأمره بحفظ المدينة، ففعل وأقام الخطبة فيها لمولانا محمد، وكان الأسبوع الذي قبله والخطبة فيها لمولانا أحمد بن أمير المؤمنين، ومع هذا رسائل مولانا الإمام - عليه السلام - ورسله إلى مولانا محمد مرة بواسطة صنوه الصفي، ومرة من غير طريقه حتى حصل الإتفاق بأن ضربوا^(١) لقاء للنظر في الدخول في هذه البيعة النافعة، فتجرد الإمام - عليه السلام - في []^(٢) بقية من شهر شعبان فيمن خف معه ممن قد انضم إليه، وكان أكثرهم رتبة الحصن المعروف فإنهم أجابوه وبايعوه واشتغلوا كثيراً بحفظ الحصن كما سبق، وتقررت الأحوال وسكنت الهزاهز^(٣) بعض السكون، وكان الموعد الإجتماع بموضع من قفر حاشد^(٤) مما يلي بلاد عتمة يسمى الأزعل، وتجرد مولانا محمد - أيده الله - من محروس مدينة إب في عيون أصحابه وكبرائهم منهم الأمير عبدالله بن منيف الحمزي المنصوري^(٥).

ومنهم الأمير عبدالله بن صلاح العفاري الحمزي^(٦) وغيرهم من الرؤساء، ومن السادة أهل العلم والرئاسة السيد العلامة عبدالله بن الهادي الخرابي^(٧) وابن عمه السيد الجليل علي بن الهادي بن الحسن^(٨) والسيد الرئيس المجاهد محمد بن عبدالله العياني^(٩)، والسيد المجاهد المهدي بن الهادي^(١٠) المعروف

(١) ضربوا: حددوا.

(٢) ما بين المعقوفين بياض في الأصل وبقية النسخ.

(٣) الهزاهز: الحروب. (القلموس: ٢٠٢/٢).

(٤) قفر حاشد: كانت هذه التسمية القديمة، أما ما يسمى باسم ناحية القفر فهي تتبع مدينة يريم. (الحجري: ٦٥٦/٢).

(٥) أحد القاعة العسكريين.

(٦) أحد القاعة العسكريين.

(٧) وهو عبدالله بن الحسن، الخرابي، النماري. (ت ١١٩٨هـ/١٧٨٣م) عالم محقق. قرأ على الحسن بن أحمد الشيبني. (زيارة ملحق البدر الطالع ١٣٤/٢).

(٨) لم أجد له ترجمة.

(٩) ناظر الوقف في صنعاء، أيام الإمام المتوكل على الله إسماعيل. (جازم: تاريخ اليمن: ٢٥٩).

(١٠) كان من المهتمين بالتاريخ، له مؤلف سماه (الإقبال) تولى أيام الإمام المؤيد بالله محمد علي ذي السفل من أعمال إب، توفي في (١٠٧٢هـ/١٦٦٣م). (جازم: المصدر السابق: ١٨٠).

بالنوعة الهادوي، والقاضي العلامة يحيى بن علي الفلكي النماري^(١) [٣٦/ب]،
والفقيه الأفضل علي بن عز الدين الأكوخ [والقاضي العلامة محي الدين
عبدالله بن محمد^(٢) بن محمد صلاح السلامي]^(٣) والشيخ المجاهد الرئيس
محمد بن شمسان^(٤) مع عيون من أهل اليمن الأسفل وغيرهم.

ثم إن مولانا أحمد بن الحسن - أطل الله بقله - هبط من دمار في خاصته
أيضاً متفقاً بالإمام - عليه السلام - وليحضر هذا المقام الذي فيه صلاح
الإسلام، وكان هو - أيده الله - عميد السعة فيه من الأنام.

ولما اجتمعوا في هذا الموضع المبارك وقد وصل مولانا محمد - أيده الله -
بخيام ومضارب؛ فأمسوا فيه وتناظروا في [حل]^(٥) الأوفق من مراد الله، وما
الواجب حينئذ في حق الله، فسلم مولانا محمد - أيده الله - لوالده مولانا الإمام
- عليه السلام - وعرف استحقاقه للمقام، وبايعه في مشهد عام ثم صنوه مولانا
أحمد ثم من حضر من جميع العيون، ثم العسكر ثم القبائل من الحدأ^(٦)
وغيرهم، وكانوا قد اجتمعوا إليهم وكان يوماً مسعوداً، ومقاماً مشهوداً، قد
تكاثر الناس في ذلك المخل حتى [مزوا]^(٧) الشعب، ثم عاد مولانا - أيده الله -
بجميع من قدم معه، ورجع الإمام - عليه السلام - وقد كثر عسكره المنصور،
وتلاحق إليه عالم من الناس، وعاد مولانا أحمد - أيده الله - كذلك معه أيضاً

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) عبدالله بن محمد بن صلاح السلامي، الأنسي (ت ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م) قاضي عالم، محقق، قرأ على أبيه
وعلى محمد عز الدين المفتي، والقاضي إبراهيم السحولي، تولى أوقاف بلاد تعز أيام الإمام المتوكل
على الله إسماعيل. (الجنديري: الجلعع الوجيز (خ) ق: ١٤٦؛ زيارة: المصدر السابق ١٣٧٢).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ب).

(٤) من شيوخ القبائل.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقطة في الأصل (١) والإضافة من بقية النسخ.

(٦) الحدأ: ناحية معروفة في الجنوب الشرقي من صنعاء على مسافة ٨٠ كم تقريباً. (الحجري:
٢٤٧١-٢٥٠).

(٧) ما بين المعقوفتين ساقطة من (١) و (ف).

فلمسوا في جانب وادي الحار^(١)، ثم صعدا إلى زمار وقد خرجت الخيل الذين هم رتبة في زمار من أصحاب مولانا محمد، وأصحاب مولانا أحمد وكثر الناس من جميع الأصناف، وكان الإمام - عليه السلام - آخرهم، ومولانا أحمد يقلمهم ويوزعهم، وكان لذلك في عيون الأولياء والأضداد موقع.

ولما استقر الإمام - عليه السلام - ناظر فقهاءها وطلبهم البيعة وكان قد سبق منهم بيعة لمولانا أحمد وكذلك قد تقلمت بيعة مولانا عبد الله لمولانا أحمد فأجابوه بعد أن ظهرت لهم حجته، وانقطع عن المخالف له شبهته، وقد بذل لهم الإنصاف، فانقطع والحمد لله الخلاف، وتفرقوا داعين إليه نصين عليه.

وأخبرني من سمع الإمام - عليه السلام - يقول لصنوه عبد الله وقد اعتذره بالبيعة الأولى، فقل - عليه السلام - إن الله سبحانه وتعالى جعل في الشرع الشريف الفسخ عند الغبن الفاحش في مصون يشتري من السوق فثمنه كذا، فكيف لا يكون في الإمامة التي هي من أصول الدين وخلافة رب العالمين، وشرائطها محجة واضحة، وطريقها مهيع لا يخفى، أو كما قل، وبقي في زمار ليلة ويوماً ثم تقدم إلى محروس الدامغ، وقد صحت له جهات اليمن إلا تعز ومدينة رداغ كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

[أخبار صنعاء]^(٢)

ولنرجع إلى أخبار صنعاء [١/٣٧] قد تقدم أن مولانا محمد بن الحسين فيها، وكان على نحو ما تقدم من أحوال مولانا أحمد بن الحسن - أيده الله - يقدم ويؤخر ويأمر ويأمر حتى وجد موضعاً للانسلاخ^(٣) من صنعاء فأصبح

(١) وادي الحار: أحد اودية محافظة زمار. (الويسني: اليمن الكبرى: ٧٣؛ الهمداني: صفة جزيرة العرب: ٢٠٩).

(٢) ما بين المعقوفتين عنوان أضفنه على طريقة النسخ.

(٣) ما بين القوسين لحق من الملحق.

في جانب رتبته أعشار^(١) في أكثر من مائة خيلاً ورجلاً، ثم منها إلى المشرعة^(٢) بلد الأشراف، ثم وصل إلى الإمام - عليه السلام - في اليوم الذي تهيأ للقيام مولانا محمد بن الحسن - أطل الله بقاءه - وكان الإمام - عليه السلام - استخلف على الحصن والحصين وما إليهما الحاج المجاهد سرور بن عبدالله^(٣) المعروف بشلي، فوصل مولانا محمد بن الحسين - أطل الله بقاءه - وكان على الجميع حتى وصل الإمام - عليه السلام - فلما وصل الإمام - عليه السلام - بايعه وقد اتهم أهل صنعاء بعضهم بعضاً، وكثر الاختلاف.

[فصل في ذكر أخبار خدار^(٤) وثلاً^(٥) وما بين ذلك وبعده^(٦)]

وذلك أنه كان في بلاد الروس^(٧) من سنحان عامل من قبل الإمام المؤيد بالله - عليه السلام - ولما توفي - صلوات الله عليه - انضم إلى ولده مولانا علي - أيده الله - وبقي في صنعاء، وكان قد حصل بنظر العامل المذكور بعض طعام من الثمرة، ثم إنه دخل صنعاء أيضاً بعض أهل خدار ومن إليهم لمواصلة مولانا علي وللتعزية في والده أمير المؤمنين، وبعضهم سار إلى مولانا الإمام - عليه السلام - إلى الدامغ المحروس.

وكان من سار منهم إلى صنعاء وضوران يقول: لمن يكون الطعام المجموع، فوصل الذين ذهبوا إلى ضوران بعامل لقبض ذلك الطعام، وما يحصل من

(١) أعشار: واد مشهور في ناحية بلاد الروس من نواحي صنعاء. (الحجري: ٨٥/١).

(٢) مشرعة: من بلدان أنس، وإليها ينسب بنو المشرعي أهل فمار. (الحجري: ٧٠٨/٢).

(٣) أحد القلاة العسكريين، كما هو واضح في السيرة.

(٤) خدار: قرية مشهورة من بلاد الروس، جنوب صنعاء. (الحجري: ٣٥/١).

(٥) ثلاً: مدينة مشهورة تقع بالسفح الشرقي من حصن ثلاً الأثري، إلى الجهة الشمالية الغربية من

صنعاء على بعد ٥٠ كم تقريباً. (الويس: اليمن الكبرى: ٨٤).

(٦) ما بين المعقوفتين عنوان من الملمس.

(٧) بلاد الروس: ناحية معروفة من نواحي صنعاء، على مسافة ٣٥ كم من صنعاء إلى جهة الجنوب.

(الحجري: ٣٧٢/١).

الثمرة الحادثة، ووصل من صنعاء بعامل كذلك فلما اختلفوا، وكان الذين ساروا إلى ضوران قد بايعوا الإمام - عليه السلام - والذين إلى صنعاء كذلك أرسل صاحب عامل صنعاء إلى صنعاء أن أهل البلد المذكور عصوه وكذا، فأجابهم مولانا علي: إن الحل واحد دعهم وما اختاروه لأنفسهم، والذي وصل من عند الإمام - عليه السلام - كذلك كتب أنهم أهملوه وعصوه فأجابهم الإمام - عليه السلام -: إن الحل منا ومن الولد علي واحد فيتركوهم وما اختاروه كذلك.

ولما بلغ مولانا محمد بن أحمد غاضبه وقد كثر [٣٧/ب] العسكر في صنعاء ومؤنهم بغير فائدة، فأرسل السيد الأجدد عبدالله بن مهدي^(١) حيدرة الغرباني، في نحو مائتين من العسكر، وأمرهم بطرد من وصل من ضوران، وحفظ البلاد وبجمل الطعام أيضاً إلى صنعاء، فوصل السيد المذكور الوثن^(٢) من أعمال الروس، وقد امتنع عليه أهل خدار وأهل خبة^(٣) وغيرهم وأرسلوا إلى الإمام - عليه السلام - يمدهم بمن يحفظ البلد، فأرسل الإمام - عليه السلام - النقيب حسن بن هادي البطة الشعبي^(٤) وجماعة ليسوا بالكثير مع أهل البلاد المذكورة، وأمرهم أن يمنعوه من خدار وما إليها بعد حرب خدار وما تعقبه من الفتوح، ثم إن السيد عبدالله قدم بمن معه فناوشه القبائل للحرب ثم انهزموا، ودخل قرية خبة وقتل من أهلها ومن معه ستة أنفار وأسر جماعة وانتهب البلد.

ثم تقدم إلى خدار أيضاً فانهزم من فيها وملكها عليهم، وقد أرسلوا الصريخ^(٥) إلى الإمام - عليه السلام - وطلبوا منه المدد والسيد المذكور أرسل إلى صنعاء أيضاً يطلب المدد وقد صار في حكم المختار في خدار لا يقدر

(١) أحد قلعة القوات الإمامية.

(٢) الوثن: قرية من بلاد الروس ما بين وعلان وخدار. (الحجري: ٧١٣/٢).

(٣) خبة: قرية من بلاد الروس قرب خدار. (الحجري: ٣٠٤/١).

(٤) أحد قلعة القوات الإمامية.

(٥) الصريخ: طلب النجدة.

على الرجوع لكثرة القبائل، فأرسل الإمام - عليه السلام - النقيب المجاهد سرور بن عبدالله المعروف بشلي من موالي مولانا الحسن - رحمه الله - في زهاء أربعمائة، وانضم إليه من قبائل [بلاذ] ^(١) الروس وأهل مخلاف ^(٢) بمائتي مثلهم، ووصل أيضاً من صنعاء مدد مع الشيخ الرئيس سفيان القارني ^(٣) وصار إلى السيد عبدالله وحفظوا البلد.

ولما وصل النقيب سرور ومن معه أهاجوا ^(٤) الحرب على أنهم يخرجونهم من قرية خدار، وعظم بينهم القتال فاختلطوا في شوارع البلد، وقُتل من الفريقين نحو من عشرين نفراً، ثم إن أهل خدار من أهل صنعاء أرسلوا للمدد والغارة، فأمدوهم من صنعاء بالسيد العلامة عزالدين بن دريب ^(٥) وأهل الحيمة، فوصلوا ثاني يوم الحرب الأول، وعظم بينهم الحرب أيضاً، فقتل من الفريقين قريب ^(٦) من المقتولين [٣٨/١] في اليوم الأول، وقد أرسل مولانا الإمام - عليه السلام - ولده محمد بن الحسين مدداً، وعظم بينهم الحرب أيضاً حتى انهزم مولانا محمد بن الحسين والنقيب سرور إلى نقيل يسلح ^(٧)، وقد نزلت الخيل قرية النقيل وبقيت المراكز مقابلة لخدار في أعلى النقيل.

وقد تقدم استقرار مولانا أحمد بن الحسن - أطل الله بقاءه - في محروس ذمار

(١) ما بين المعرفتين أضفناه للإيضاح.

(٢) أهل مخلاف: وهو مخلاف نبي جرة الذي يشمل بلاد سنحان من نواحي صنعاء واليمانيتين من خولان العالية وبلاد الروس. (الحجري: ١٨٥/١).

(٣) أحد مشايخ صنعاء.

(٤) أهاجوا: أثاروا. (القلوس: ٢٢١/١).

(٥) هو عزالدين بن دريب بن المطهر بن دريب، اليماني (ت ١٠٧٥هـ/١٦٦٤م) قاضي، قرأ على سعيد بن صلاح المبل وأحمد محمد لقمان، تولى القضاء في مدينة الطويلة، مفرح جهات كوكبان شبام أيام الإمام المتوكل على الله إسماعيل، له حاشية على بعض (البحر الزخار) و(هداية ابن الوزير) ومؤلفات أخرى، مات بالطويلة ودفن بقرب الجامع الذي عمر فيها. (زيارة: ملحق البدر الطالع: ٢/١٤٦).

(٦) قريب: حوالي.

(٧) نقيل يسلح: يقع إلى الجنوب من مدينة صنعاء على مسافة ٤٥ كم تقريباً.

في جمهور خيل صنوه مولانا العزي - أطل الله بقاءه - وكانت زهاء ثلاثمائة فارس وعسكراً كثيراً وأعياناً مثل الأمير الكبير عبدالله بن منيف الحمزي وغيره من خواص مولانا محمد بن الحسن - أطل الله بقاءه - وقد ذكرنا أن مدينة رداع والمخطة التي فيها إلى جانب مولانا أحمد - أطل الله بقاءه - عليها السيد الأجد الرئيس شرف الدين بن مطهر بن عبدالرحمن بن مطهر بن الإمام شرف الدين^(١) - أعاد الله من بركاته - وقد امتنع فيها وراسله مولانا محمد بن الحسن فبعد عليه فوجه لحربه عسكراً مع قَيْفَة^(٢) ووقع بينهم حرب المجلى على قتل أنفار، ثم والى بعد ذلك واستسلم ووصل مع قيفة بعسكره وكانوا زهاء مائتي نفر ونحو أربعين فارساً إلى مولانا أحمد بن الحسن، ووصل خلال ذلك إلى مولانا أحمد من خولان العالية قبائل وتكاثرت العسكر مع الخيل مع حوادث خدار، فأمر الإمام - عليه السلام - مولانا أحمد بن الحسن بالفارة إلى جهات كَنْن^(٣) فسار بمن معه من الخيل والرجل إلى زراجة^(٤)، وكل هذه الحوادث في العشر الأواخر من شهر رمضان عام أربعة وخمسين وألف [١٦٦٤م] وكان [قد]^(٥) خرج من صنعاء من جهة مولانا محمد بن أحمد الشيخ الرئيس شرف الدين حسن بن الحاج المجاهد أحمد بن عَوَاض^(٦)، وانضم إليه غيره من الرؤساء كذلك على أنهم يحفظون أطراف بلاد سنحان

(١) كان من أمراء الإمام المؤيد بالله محمد ولي منه بلاد المطهر برداع، واستمر على ذلك في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل، توفي في سنة (١٠٨٧هـ/١٦٧٧م). (جازم: تاريخ اليمن: ٢٣٣).

(٢) قَيْفَة: أو قائفة، تقع إلى شمال شرق رداع. الهمداني، الإكليل: ٢٦٨.

(٣) كَنْن: جبل مشهور ويقع بين سنحان من جهة الغرب وخولان الطيل من الشرق على مسافة ٤٥ كم تقريباً. الأكوخ: ه البلدان اليمانية ٢٤٢.

(٤) زراجة: قرية في بلاد الحدأ في جهة رداع. الحجري: ٣٩٤/١.

(٥) ما بين المعقوفتين أضفناه للإيضاح.

(٦) أحد قواد القوات الإمامية.

ونواحي الذراع ثم خرج بعدهم من صنعاء أيضاً الأمير الكبير حسام الدين الهادي بن مطهر بن الشويح الحمزي^(١) في محطة إلى القبتين، وأن يكونوا هنالك لحفظ تلك الأطراف.

ولما وصل مولانا أحمد بن الحسن زراجة بات بها ليلة، وكتب الإمام - عليه السلام - ومواعظه إلى كل أحد من المخالفين والمسافلين، وهو مع ذلك يتضرع إلى الله سبحانه ويبتهل ويسأله جمع كلمة المسلمين، ويأمر مع ذلك بقراءة [٣٨/ب] القرآن.

ولقد أخبرني من شاهد ذلك مما يعلم الله سبحانه وتعالى مقصده الصالح في جمع الكلمة وإطفاء نائرة^(٢) الفتنة وببذل أيضاً مع ذلك الإنصاف ويدعو إلى التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وشهادة علماء الإسلام، فمال الشيخ حسن بن الحاج ومن معه جميعاً إلى مولانا أحمد بن الحسن ووالوا مولانا الإمام - عليه السلام - وأظهروا التوبة.

ثم محطة أخرى كانت [رتبة]^(٣) في بعض قرى الذراع مع الشيخ قاسم بن جليل الهمداني، كذلك والوا وبايعوا.

ولما بلغ الأمير الهادي ما كان سرى^(٤) ليلاً إلى صنعاء وترك القبتين وكثيراً من الأثقال، وقد خاف أن يقطعه الخيل، فتقدم مولانا أحمد بن الحسن إلى القبتين، ثم أشرف على خدار وجهاتها، واجتمع بمولانا محمد بن الحسين - أطل الله بقاءه -

(١) كان والياً على نهم، توفي سنة (١٠٥٦هـ/١٦٤٧م). الجازم: تاريخ اليمن: ١١٧.

(٢) نائرة: نار.

(٣) ما بين المعقوفين ساقطة من (ح) و (ف).

(٤) سرى: سار. المنجد: ٣٣٢.

[ذكر حصار صنعاء]^(١)

ورأوا من التدبير ترك خدار ومن فيها عن الحرب والمحصرة وأن يقصدوا صنعاء والكتب إليهم منها إسراراً وإعلاناً، وقدموا الخيل إلى وادي الفروات^(٢)، فضربت يميناً وشمالاً، ثم عادت إلى مولانا أحمد بن الحسن إلى كثن. وأما مولانا محمد بن الحسين فانتهى هو وأصحابه إلى جزيز^(٣) من سنحان وهي أقربها إلى صنعاء، وكتب من هنالك إلى الإمام - عليه السلام -، وأرسل السيد الأديب أحمد بن محمد الأنسي^(٤) أبياتاً منها قوله:

صبرت ونحن وخيلنا في جزيز متسرلين^(٥) بكل أبيض مخز
مقلدين صوارماً كالملح مع ثقلي الدوابل لا تلين لمغمز^(٦)
لله درك من رواق فوقيا بالفتح والنصر المبين مطرز
تشجته خيل كالسعال شزب فغدا رواقاً من قيام المركز
يدعو إلى الموكل الخير الذي جلا على مغن وملز
بحر العلوم خضمها تيارها ما في علاه لنا بز من منبز

وهي أكثر من هذه غير أنه أقذع^(٧) فيها.

ثم تقدم الجميع إلى علب^(٨) وضربت الخيل يميناً وشمالاً، واختلف أهل

(١) ما بين المعقوفين عنوان من الحاشية.

(٢) وادي الفروات: أحد أودية سنحان. الحجري: ٤٣٣/٢.

(٣) جزيز: بلدة جنوبي صنعاء على بعد ١٠ كم تقريباً. الحجري: ٢٥٨/١.

(٤) كان شاعراً وتميز بلحظة (توفي ١٠٧٩هـ/١٦٦٧م). (الجنداري: الجمع الوجيز (خ) ق: ٨٤٩ب).

(٥) متسرلين: لابسين. المنجد: ٣٢٩.

(٦) لمغمز: لمطعن. القاموس: ١٩٢/١.

(٧) أقذع: أساء القول. القاموس: ٦٧٣.

(٨) علب: وهي حمراء علب من بلاد سنحان. (الحجري: ٤٣٣/٢).

صنعاء، فرأى مولانا علي ترك الحرب وأن الحل من الجميع واحد وهذه بيوت أولئك يدخلونها، ورأى مولانا محمد بن أحمد الحرب ومنعهم وغلب على المدينة رأي من رأى الحرب فرتبها وحفظوها على خوف ممن فيها، فكان لا يقر لهم قرار من مخافة الغدر والإختلاف [١/٣٩] والبنادق ترمي من السور، وكادوا يرمون من داخل صنعاء بالمدافع، فمنعهم من يجب الصلاح، وكان فيما بلغني من وصلته رصاصة من خارج إلى المدينة يلتذ بها ويفرح، حتى أن بعضهم كان يقول: مرحباً برسول إسماعيل، وطلع مولانا محمد بن أحمد إلى القصر، وقبض مفاتيحه وجعل عليه رتبة من عنده من الخواص، عليهم الفقيه الأفضل عبدالله بن عز الدين الأكوغ^(١)، وأقام الرتب والحارس وأنفق عليهم النفقات الواسعة، وجعل من حرس في جهة ليلة كان الليلة المقبلة^(٢) في جهة أخرى احتراساً من أن يدخل عليهم المدينة لميل القلوب إلى الإمام - عليه السلام -، وقد تقدم مولانا أحمد بن الحسن - أيد الله - إلى بير العزب^(٣) في جمهور الخيل والرجل، وجعل في فروة^(٤) ووهب رتباً أيضاً، والرمي ليلاً ونهاراً، وقد بعث لبني الحارث^(٥) وغيرهم فوصل منهم الأكثر.

وأما مولانا محمد بن الحسين - أطل الله بقله - فإنه ملك بأصحابه إلى حلة^(٦)، فوصله أهل حضور^(٧) وجهات الحازة^(٨) ثم تقدم إلى بيت ردم^(٩) بالمكاتب من

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) في الأصل وبقية النسخ: (القابلة).

(٣) بير العزب: حي في غرب صنعاء. (الممداني: الإكليل: ٦٧/٢).

(٤) فروة: حي مجاور مقابل (باب شعوب) وهو منسوب مع الجامع الواقع في الحي الشرقي (مسيك) إلى الصحابي المشهور (فروة بن مسيك). (الحجري: ٦٣٤/٢).

(٥) بنو الحارث: من قبائل اليمن، وناحية بني الحارث من نواحي صنعاء إلى الشمال منها. (الحجري: ٢٥٠/٨).

(٦) حلة: بلدة من ناحية البستان غرب صنعاء. (الحجري: ٢٥٠/٩).

(٧) حضور: جبل مشهور من ناحية البستان ويقال له: حضور النبي شعيب في غرب صنعاء. (الويسني: اليمن الكبرى: ١٨٠).

(٨) الحازة: هي حازة بني شهاب وتعرف اليوم بحازة صنعاء ومنها حلة وأرتل. (الحجوري: ٢١٣).

(٩) ردم: من قرى ناحية البستان غرب صنعاء. (الحجري: ٣٦٥/٨).

الإمام - عليه السلام - وكانت بلاد حضور وبني مطر^(١) وما يليها إليه من وقت والده - رحمه الله - فوصلوه جميعاً وعظم جانبه، وكثر عسكره.

وأما المحطة التي في خدار مع السيد عزالديسن والسيد عبدالله بن حيدرة وسفيان، فإتوا بقي عليهم القبائل فقط، وقد استوحش^(٢) منهم الناس واستوحشوا منهم كذلك، وقد بلغهم حصار صنعاء فخرجوا من موضعهم الأول يريدون بني مطر وحضور ثم يتصلون بكوكبان.

[فتح كوكبان]^(٣)

وكان الأمير الكبير حسام الدين الناصر بن عبدالرب^(٤) بن علي بن شمس الدين بن أمير المؤمنين المتوكل على الله يحيى شرف الدين - عليه السلام - من أهل البيعة الأولى، وكان قد أرسل محطة إلى خدار أيضاً، ثم وصلتته كتب الإمام - عليه السلام - وأثرت فيه وعرف الحق فتأب ورجع إلى موالة الإمام - عليه السلام - واستدعى أصحابه من خدار قبل خروجهم منه، ولما خرج من في خدار لاجمهم^(٥) القبائل بالحرب وهم يدافعون على أنفسهم مرة بالقتل ومرة بالنوال حتى خرجوا على مشقة، وقد خرج منهم أنفار وأخذ من أثقالهم ورفقهم بعض بني مطر إلى حصن بيت ردم، وكان فيه قبل وصول مولانا محمد بن الحسين صنوه الفاضل يحيى بن الحسين، كان عين عليه عمه

(١) بني مطر: تقع غرب صنعاء، وتشمل عدداً من المناطق. (الويس: ٩٣).

(٢) استوحش: خافه. (القاموس: ٣٠٣/٢).

(٣) ما بين المعقوفتين عنوان من الحاشية.

(٤) هو الناصر بن عبدالقادر بن الناصر بن علي بن شمس الدين، الحسيني اليميني (ت ١١٢٨هـ/١٧١٥م).

زيارة: (نشر العرف: ٢٥٩/٣ - ٢٦١).

(٥) كذا في الأصل.

صفي الدين أحمد بن أمير المؤمنين [أطل الله بقاءه]^(١) حفظ بلاد حضور، فلما وصل مولانا محمد بن الحسين، صار إليه، ثم والى جميع من في بيت ردم من الرؤساء والعسكر وصاروا في جملة مولانا محمد بن الحسين إلا السيد عز الدين دريب فإنهم أرسلوه إلى كوكبان، وكذلك الشيخ سفيان [٣٩/ب] القارني، ثم تقدم مولانا محمد بن الحسين إلى كوكبان، وتلقاه أهل كوكبان، وأوقدوا النيار^(٢) إشعاراً لموالاته الإمام عليه السلام.

[خروج أحمد بن القاسم من شهارة]^(٣)

ذكر خروج مولانا أحمد بن أمير المؤمنين - أطل الله بقاءه - من شهارة - المحروسة بالله -

قد ذكرنا ما ألقى الله سبحانه في القلوب من كراهة إمارته، وإنما كان من في شهارة من كل أحد ينتظر الفرج وحسن المخرج، وإنما بقاءه إما لخوف أوحياء من اسم الغدر وأشار عليه من أشار أنه يتقدم إلى صنعاء للتفريج^(٤) عنها ويستعيد ما فات من البلاد، وذلك مع أول وصول الخبر بحصار صنعاء، وقبل أن يبلغه خروج عسكره من خدار، وقد عظم في شهارة الإرجاف، وشعبوا عليه بالغدر حتى لقد هموا به فيما بلغني وكادوا يتظاهرون بخدعه وهو بين أظهرهم، فخرج من شهارة المحروسة بالله عقب صلاة الظهر سادس وعشرين من شهر رمضان وأمسى في أقر^(٥)، وأخذ بعض ما يحتاج إليه من هناك

(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من الأصل (١) والإضافة من بقية النسخ.

(٢) النيار: النيران.

(٣) ما بين المعقوفتين عنوان من الحاشية.

(٤) للتفريج: لفك الحصار.

(٥) أقر: وإد شرقي شهارة في بلاد الأهنوم. (الحجري: ١/٨٧)

والعسكر نحو الألف نفر من عيون الناس، وهم ينقصون حتى ما وصل خمر^(١) يوم الأحد إلا وقد تآخر بعضهم، وأقام في خمر يوم الإثنين، وسار صبح يوم الثلاثاء والعسكر يقلون، وقد كتب إلى المشرق والمغرب لطلب الغارات، وكان قد أرسل مولانا السيد إبراهيم بن أحمد^(٢) بن عامر بعسكر ليسوا بالكثير وأنهم يتصلون بصنعاء فوصلوا عمران فوجدوا ما بين صنعاء وعمران قد خالفوا عليهم وصاروا إلى مولانا - عليه السلام - فأقام في عمران^(٣).

ولما وصل مولانا أحمد ريلة وصله الخبر بخروج من في خدار ومصيرهم مع مولانا محمد بن الحسين، وموالة كوكبان لمولانا - عليه السلام - وأن من في عمران لم يتمكنوا من الاتصال بمن في صنعاء، أرتأى وتحير ولم يطلب رأياً من أحد، وقد طلب القاضي شمس الدين أحمد بن سعد الدين - أطل الله بقله - فتساراً طويلاً ثم قام للمسير إلى عمران، وكان هذا من الطاف الله الخفية والتدبيرات الإلهية، فإنه لو بقي في خمر أو مل إلى الصيد^(٤) أو تقدم إلى ذيفان^(٥) لوصله عموم أهل المشرق، ولحقه كثير من أهل القبلة، ولعظم عسكره، وطال الاختلاف والفتنة وذهبت نفوس وأموال والله غالب على أمره.

(١) خر: قرية مشهورة من حاشد، وهي مركز بني صريم شمالي صنعاء على مسافة ٧٠ كم تقريباً. (الحجري: ٣٦٠).

(٢) هو: إبراهيم بن أحمد بن عامر بن علي بن محمد بن علي اليمني الشهاري (١٠١٨-١٠٥٦هـ/ ١٦٠٩-١٦٤٦م) قرأ على خاله الإمام المؤيد بالله محمد، وكان من أعيان علماء عصره وأزهدهم، مات في شهارة ودفن فيها. (زيارة: ملحق البدر الطالع: ٣/٢-٤).

(٣) عمران: مدينة مشهورة من بلاد همدان شمالي صنعاء على مسافة ٥٠ كم تقريباً. (الحجري: ٦١١/٢-٦١٢).

(٤) الصيد: من قرى بلاد حاشد. (الحجري: ٢١٤/١).

(٥) ذيفان: من قرى عيل سُرَيْح شمالي صنعاء على مسافة ٣٥ كم تقريباً. (الحجري: ٣٥٣/١).

[دخول أحمد بن القاسم عمران]^(١)

ولما وصل عمران قبل غروب الشمس ليلة الأربعاء جمع فرق الناس للمساء فيه، وبقي ينظر ماذا يفعل وقد بلغه أن في مدينة ثلاء رتبة وخيلاً، وفي بني ميمون^(٢) وعيل سريح^(٣) عسكرياً، ولم يكن معه من الخيل ما يحفظ أطرافه، فضلاً عن غير ذلك فأرسل إلى ثلاء من يأتيه بخبر الرتبة التي فيه فعاد الخبر بقلتها، وقد خاف أن يحصر هو في [٤٠/أ] عمران كما تقدم، وكره أن يخرج إلى جهة عيل يزيد^(٤) فعزم على قصد هذه الرتبة التي في مدينة ثلاء وهو قاطع^(٥) بأخذها وأن تكون مظاهراً للحصن وللمغارب، فارتحل في الربع الأخير من ليلة الأربعاء، وتسحر في بني الجراي من حازة^(٦) البون، وطلع العقبة المعروفة بحجر العيد فلما عاين ثلاء أمر بالغارة وقد ترك في عمران من العسكر رتبة، وانخزل كثير من الأهنوم وغيرهم، وعادوا جهة شهارة، لم يمسا إلا في السودة، وبقي معه نحو من أربعمائة يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً، وكان على الرتبة في ثلاء السيد الرئيس المجاهد عز الدين محمد بن عامر بن علي ابن عم الإمام عليه السلام، فلزموا البيوت التي يقدرون عليها وتركوا الكثير، وحفظوا أنفسهم، وكان الرمي عليهم من الحصن فإنهم على موالاة مولانا أحمد.

(١) ما بين المعقوفتين عنوان أضفناه من الحاشية.

(٢) بنو ميمون: من قرى عيل سريح. الحجري: ٧٣٦/٢.

(٣) عيل سريح: من قبائل همدان شمالي صنعاء. الحجري: ٤١٩-٤٢٠.

(٤) عيل يزيد: من قبائل بكيل في ناحية عمران. الحجري: ٧٨٢/٢.

(٥) قاطع بأخذها: مُصمم.

(٦) حازة البون: قرية من ناحية همدان وهي في الشمال الغربي من صنعاء على مسافة ٣٥ كم تقريباً.

(الحجري: ٢١٣/١).

ولما وصل ثلاء وهو في أول عسكره ودخل المدينة تفرق أولئك الباقون في البلد، وبقي مع المشايخ من العلماء يدور في الشوارع، ولا يتمكن من إخراج السيد محمد بن علي وأصحابه، وقد وصل مولانا محمد بن الحسين والأمير الكبير حسام الدين الناصر بن عبد الرب، بغارة خيلاً ورجلاً، واستقام الحرب من بعد طلوع الشمس إلى غروبها حرباً هائلاً كان من بيت إلى آخر [وكان خاف مولانا أحمد أن يُغلب على باب الحصن، فقدم إليه، فكان فيه حتى غربت الشمس وخرج من خرج ممن كان قد كاتب ووالى، وبقي من بقي، وخرجوا إلى مولانا محمد بن الحسين والأمير الناصر بن عبد الرب، وبقي مولانا أحمد في الحصن يوم الخميس ويوم الجمعة، ولم يبق معه أحد ممن يعول عليه للحرب إلا الرتبة، وقد ضعف في أعينهم واحتقروه فجرى الخطاب على نزول القاضي شمس الإسلام أحمد بن سعد الدين^(١) - أطل الله بقاءه - فنزل وطلع ونزل أيضاً على أن مولانا أحمد ينزل ويجتمع بمولانا أمير المؤمنين - حفظه الله تعالى - وتكون بينهما مناظرة، ووجه فيما دخل فيه، وأن المراتب ترتفع من حصار عمران، ومراتب صنعاء تبقى بحالها حتى يحصل الاتفاق، وخرج يوم الأحد قبل الزوال بعد أن حصل من الرتبة عليه اضطراب وسوء معاملة، وتلقاه الناس بالتعظيم، وتقدم الأمير الناصر وأصحابه أمامه للخدمة، ومولانا محمد بن الحسين - أطل الله بقاءه - خلفه في تلك الساعة إلى الحصن وقرر^(٢) رتبة الحصن، واستخلف عليهم من آمنه من أصحابه، ثم لحق بوالده وهو لا يكاد يقابله إجلالاً وحياء، وكان المساء في حاز من بلاد همدان، وكان وصل إلى مولانا أحمد بن الحسن - أطل الله بقاءه - بعد استقراره في بير العزب، مشايخ همدان [٤٠/ب] وعيل سريح للموالاتة، فأرسل معهم النقيب المجاهد

(١) انظر ترجمته في هـ النص: ق (٢/ب).

(٢) قرو: ثبت. المنجد ٥٠٨.

سرور بن عبدالله، ومن كان معه في حرب خدار من الخيل والرجل إلى بني ميمون كما تقدم، ولما وقع الحرب على ثلاء وصل مغيراً آخر نهار الحرب.

ولما كان يوم العيد وجهه مولانا محمد بن الحسين والأمير الناصر بمن معه لفتح عمران، وكان فيه الشيخ (الرئيس) ناصر بن عبدالملك^(١) بن عمران، في رتبة وكثيرين ممن تأخر عن مولانا أحمد منهم، السيد الأعلم (الرئيس) المهدي بن الهادي الهادوي المعروف بالنوعه، فإنه طلع من اليمن مريداً لبلاد صعلة داعياً إلى مولانا محمد بن الحسن، قبل التسليم لمولانا الإمام - عليه السلام -، وكان بلغ مولانا أحمد فلزم عليه الطرقات، فلما لم يجد موضعاً للمضي إلى الشام، وصل إلى شهارة المحروسة بالله، وأظهر أنه يريد الشام لاعتزال الجميع حتى يجتمع الناس على الرضى، فجاراه مولانا أحمد واحترز على حفظه، ثم أخرجه من شهارة، ولما صار في عمران بقي فيه عن رأي مولانا أحمد لعذر ذكره فأجابه، وأمر الشيخ ناصر بن عبدالملك بحفظه، وكان معه دراهم واسعة تخصه يريد ما لما تقدم من إعطاء من ينبغي أولتكون له، وغالبها من ماله، وأرسلها إلى بعض القرى من البون^(٢) مع بعض ثقاته ليكون هناك حتى يحتال بالخروج من عمران، فإن الشيخ ناصر بن عبدالملك يشدد في حفظه كما أمره مولانا أحمد.

ولما وصل النقيب سرور فيمن معه من المجاهدين ولا يجدون شيئاً للنفقة، فلنخره بعضهم بمكانها فقبضها، وأعطى العسكر أرزاقهم^(٣) منها، والسيد المذكور في عمران في جملة المتحاربين، حتى كان من أمره ما سيأتي إن شاء الله تعالى، ولما وصل السيد المهدي إلى الإمام - عليه السلام - أخبره بما وقع فأرجعها له، يعني قضاها إياها.

(١) من مشايخ عمران.

(٢) البون: حقل واسع من بلاد ممدان شمالي صنعلة: الحجري: ١٣٠/٨.

(٣) أرزاقهم: رواتبهم.

[وصول أحمد بن القاسم إلى ضوران^(١)]

ولنرجع إلى وصول مولانا أحمد إلى ضوران وقد حاول وهو في حاز من بلاد همدان ارتفاع الحصار عن عمران، وفيه كثير من خزائنه مع طعامات كثيرة، فلم يتم له ما أراد لاختلاف مقاصد الحرب، فأشار عليه من أشار بترك ذلك حتى يتصل بصنوه أمير المؤمنين -أيده الله- فساروا جميعاً إلى الضيلع^(٢) من همدان في خامس شهر شوال وأراد أن يبقى حوالي صنعاء، ويرتفع الحصار عنها، وأن الإمام -عليه السلام- يلقاه إلى ذلك الموضع فلم يتم له.

ولما سار من ضلع تلقاه مولانا أحمد بن الحسن -أطل الله بقاءه- في كثرة خيل ورجل، وكانوا مع من وصل من ثلاء فوق خمسة آلاف منها نحو أربعمئة فارس من غير من في عمران [وغلبيها]^(٣) وأمسى [١/٤١] الجميع في حلة وغيرها. وأما مولانا أحمد بن الحسن فإنه عاد إلى محطه الأول بعد أن استطاب نفس عمه أحمد، ورأينا عليه بعد الإتفاق به أثر النفس من الكرب العظيم الذي خالطه، فإني كما علم الله خفت عليه الهلاك من عظم ما وقع [معه]^(٤) من التعنتات والغدر من كل أحد ثم ارتحلوا من حلة إلى وعلان من بلاد الروس، ثم إلى معبر وقد أمر الإمام -عليه السلام- بضيافته هنالك؛ فأمسى الجميع في معبر، وذلك يوم الخميس لعله سابع أو ثامن شوال، وتلقاه الإمام -عليه السلام- إلى طرف الحصين، وكثير من الناس، وسر المسلمون بما أغمده الله من سيف الفتنة، ونايرة الفرقة، وما كفاهم به من الحنة وبما ساقه من الألفاظ، مما أمن به الكافة من الخلاف وعظيم الأخواف، والإمام مع ذلك يبذل ما تقدم من الإنصاف، والتحكيم للشرع الشريف والبراءة من كل ما خالفه.

(١) ما بين المعقوفتين عنوان أضفناه من الحاشية.

(٢) الضيلع: قرية من ناحية همدان على مقربة من صنعاء بمسافة ٨ كم تقريباً. (الحجري: ٥٥٣/٢).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من (١).

[مؤاساة المؤلف للأمير أحمد]^(١)

ولما كان ليلة الجمعة بعد مضي وهن من الليل قل لي مولانا أحمد: أترى هذا الحال؟ فقلت: نعم، يا سيدي، وهذا الذي كنت فيه لا يخلو أن يكون لدينا وحاشاكم من ذلك، وهذا سلطانكم لم يخرج من بيتكم، وإن كان للدين فقد عذرك الله سبحانه وتعالى لعدم الناصر وقل المعين وحصول هذه الأهوال فقد أعذرت، فقل: نعم، لقد عزمت على التسليم والمبايعة.

[مبايعة أحمد بن قاسم للإمام المتوكل على الله]^(٢)

ولما كان صبح الجمعة تاسع شهر شوال سنة أربع وخمسين وألف [١٦٦٤م] وكان قد أخبرت بعض الخواص بذلك، وأن يعرف الإمام بما عزم عليه صنوه من التسليم، فغمز للإجماع مجلس عام لجميع أهل العلم، وأهل الفضل فجلس الإمام - عليه السلام - إلى جنب أخيه - أيده الله - وصدره في المجلس وعليه السكينة والوقار والخشوع غاية من التواضع، وعليه عمامة صغيرة قدر أربعة أذرع وفرو صغير من أوكسي حبش وقميص واحد، وتكلم بما لا أضبطه إلا بالمعنى، وهو أنه حمد الله تعالى بحامده كلها، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وعلى آله وأطال فيهما، ثم تكلم في الإمامة ولزومها، وقيام التعبد بها، وعلى التزام الحجة بأحكامها وشرايطها المجمع على اعتبارها، ثم ذكر صنوه وقال: هذا شيخنا وكبيرنا ولا يزال بين الأخوة شيء، وكذا ساير القرابة، وهذا أخي والحمد لله لم يكن بيني وبينه شيء من ذلك بخلاف إخوتي، فقد ربما يكون شيء، وقد قام بهذا الأمر وأنا أعلم قصوره عنه بما يطول، وأنتم يا

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ب).

(١) ما بين المعقوفتين عنوان أضفناه على طريقة الناسخ.

(٢) ما بين المعقوفتين عنوان من الحاشية.

إخوان تعلمون ذلك وأنا أعرض عليكم صحة ما أقوله إن شئتم، والآن فقد جرت الأمور إلى ما ترون، وأنا الآن أعطي من نفسي ما بذلته بالأمس فمن كان في شك مما دعوت إليه، فهو معذور عن البيعة [٤١/ب] مهمل في النظر، فإن يجد مخرجاً عن هذه الإمامة فلست عليه بوكيل، والخطاب إليه والحق لله سبحانه وتعالى، وأكثر من الكلام عما هذا معناه، وتكلم مولانا أحمد - أطل الله بقله - وقل ما معناه: إني لم أسارع في هذا الأمر منافسة في الرياسة، وإنما قصدت حفظ الموجود والقيام بالمعهد، وتأكدت الحجة والعقود، برأي من عرفتهم من العيون، وتعويلهم عليّ في القيام، والآن فقد عرفت عدم إجابتي، وقد أبليت إلى الله معذرتي، وأنا راض ببيعة أخي، ولا أشترط عليه إلا حفظ أهل البيعة الأولى، وأن لا يسלט عليهم أهل الأهواء، ثم قل متمثلاً بما قاله الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام المنصور بالله - عليه السلام - في بيعة الإمام أحمد بن الحسين - عليه السلام -:

رضيناك للدينا وللدين فارتفع

على النجم مسموعاً لك النهي والأمر

فقل الإمام - عليه السلام -: وعليّ من ذلك ما استطعت، ثم بايعه مولانا أحمد وتلاه مولانا صارم الدين إبراهيم بن أحمد بن عامر، ثم القاضي شمس الإسلام أحمد بن سعد الدين، وقال: لم يكن بيننا وبين الحق عداوة، وإنما أردنا نفع الإسلام وجمع كلمة الأنام، وقد حصل والحمد لله كثيراً، ثم تلاه السيد العلامة محمد بن الحسن^(١) بن شرف الدين الحمزي الكحلاني، ثم القاضي العلامة جمال الدين علي بن سعيد الهبل الخولاني، ثم من حضر ممن لم يبايع قبل ذلك، وسر المسلمون بهذا الاتفاق بعد الشقاق، وسارت الكتب بعد ذلك شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً، وكان ذلك في يوم الجمعة تاسع شهر شوال عام أربع وخمسين وألف [١٦٤٤م].

(١) كان زاهداً عابداً اتوفى سنة (١٠٦٣هـ/١٦٥٢م). الجنداري: الجامع الوجيز (خ) ق: ١٤٣.

[رؤيا للعلامة الهبل]^(١)

ومن عجيب ما سمعته في هذا الإتفاق ما أخبرني به الفقيه الفاضل العالم^(٢) الزاهد (شمس الدين)^(٣) أحمد بن صالح بن صلاح الهبل - أسعده الله - في شهارة المحروسة بالله في العشر الأواخر من رمضان، أنه رأى في المنام كأنه في حضرة مولانا أحمد - أطل الله بقاءه - وصله بعض أهل الخطوط^(٤) التي يسودها الكتاب لأهلها بالجلالة كما يفعل الأئمة - عليهم السلام - وطلب من مولانا أحمد العلامة^(٥) عليها، فاعتذر وردها عليه، وقال: لا يمكن العلامة عليها.

قال الفقيه المذكور: فقلت لمولانا أحمد: لم لا تعلم على هذه الأوراق وأنت أمير المؤمنين؟ فقال: أخروها إلى عاشر شوال فإن تتم الإمامة في ذلك اليوم علّمت عليها وإلا فلا أو كما قل، فكان في اليوم العاشر هذا المجلس الذي سلّم فيه لأخيه أمير المؤمنين - سلام الله عليه -.

وأخبرني القاضي الأعلم جمال الدين علي بن محمد العنسي الأنسي، عن الفقيه الفاضل أحمد بن سعد المسوري^(٦) وهو ممن يختص بمولانا - عليه السلام - أنه قال له في تلك الأيام [٤٢/أ]: أتري شهارة وصنعاء مقبلة^(٧) عليك ومتفقة على عداوتك وأنت ساكن في موضعك؟ قال: فقال له - عليه السلام: ما يكون شهر إلا والصنو أحمد ومن معه عندنا وفي جماعتنا أو كما قل.

(١) ما بين المعقوفتين عنوان أضفنه على طريقة الناسخ.

(٢) ساقطة من (أ).

(٣) ما بين القوسين ساقطة من (أ) و(ف).

(٤) أهل الخطوط: العملات التي ترفع إلى ذوي الأمر.

(٥) العلامة: الختم.

(٦) انظر ترجمته في هـ النص: ق (٢/ب).

(٧) (مقبلة) في (ب): (مقفلة).

ومن مثل ذلك ما أخبرني به الحاج الصالح محمد بن قاسم المسرحي النجاري، وقد احتجته لبعض عمل في البيت من شهارة فجرى ذكر هذا الاختلاف، فقال: وهو كالقاطع - وهو مع ذلك من حذاق العوام، وله مع ذلك ديانة حسنة - : الإمامة في إسماعيل من عند الله سبحانه وتعالى على سبيل الجزم، فقلت له: إن كنت تريد استكمال الشرائط فلا نزاع، وإن كنت تريد غير ذلك مما الناس عليه فأخبرني الخبر، فقل: إنه أخبره الثقة أنه رأى رؤيا في حياة الإمام المؤيد بالله - صلوات الله عليه - كأن قنديلاً مضيئاً ما بين السماء والأرض معلقاً في شبه الجبل، فالأرض به في ضياء نافع شديد فطفي ذلك القنديل فأظلمت الأفق، فطلع من موضع القنديل الأول قنديل أصغر منه، ثم طلع من جانب آخر من جهة العدن^(١) قنديل صغير بعيد عن الأول كذلك، ثم لا زال هذا الذي من بعيد يعظم ويكبر حتى كان أكثر ضياءً من الأول، والصغير الذي كان ظهر في موضعه الأول يصغر قليلاً قليلاً حتى ذهب شعاعه ثم طفي، فكان تفسير ذلك كما وقع، والحمد لله رب العالمين.

ومن مثل ذلك ما أخبرني حي الشيخ علي بن ناصر بن محمد الأعور الحكمي الأهنومي أنه رأى في أيام الإمام المؤيد بالله عليه السلام، كأنه غشي دار الإمام في أقر نور مرتفع وإذا خيال على سرير الإمام - عليه السلام - يحمله إلى جهة القبلة وفهم الرائي أنه يرتفع إلى السماء فصاح مع غيره ممن حضر بالعويل والبكاء على الإمام، قال: فالتفت الإمام - عليه السلام - وهو على السرير ورمى بعملته، وقل: إسماعيل إمامكم أو قل: كافيكم ضعوا عليه هذه العمامة.

ومن مثل ذلك ما أخبرني الشيخ علي بن إبراهيم المقيح من بلاد ريمة، أنه

(١) جهة العدن: الجهة الجنوبية.

أخبره ثقة فيهم وعدل من بلادهم أنه رأى في المنام مع ذلك الاختلاف جمعاً من العلماء والفضلاء وصفهم بالكثرة، وفيهم مولانا الإمام - عليه السلام - وكله نور يشبه النار التي يصطلى عليها من غير أن يكون لها لهب أو حريق والعلماء محققون به، ويستضيئون بذلك النور.

ومن ذلك أنا حضرنا مع الفقيه (الرئيس) الكبير عماد الدين يحيى بن أحمد المخلافي الحيمي^(١) فذكر مثل هذا وقال: ومن عجيب ما رأيت أنا كنا في صنعاء وقد اجتمعنا مع جماعة من الأعيان [٤٢/ب] على مأدبة ستمها، فتكلم كل بما شاء في هذا التعارض ما زاد ونقص من كلام المجالس، ثم اتفقنا على أن نفتح مصحفاً عندنا في كوة، وننظر فيه من يختاره الله سبحانه وتعالى للخلافة، وقرأنا الفاتحة ودعونا جميعاً وفتحت المصحف فكان أول سطر من الجانب الأول: ﴿وَأذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾^(٢) قل: فقلنا: أعيدوا ذلك فكانت الآية الأولى، ثم قرأنا ودعونا وفتحناها ثالثة فكان كذلك، فقال فلان من أهل ذلك المجلس: ادعوا واقرأوا، هل فلان من أهل المعارضة يصلح، وإذا في السطر الأول ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾^(٣) أو ما هذا معناه، الشك مني، ثم أعادوه فكان كذلك أظنه قال ثلاثاً.

[المعارضين لإمامة المتوكل على الله]^(٤)

فصل نذكر فيه قضايا تتعلق بهذا التعارض. قد ذكرنا أن تعز العدنية كان فيها الشيخ (الرئيس) محمد بن ناصر بن علي الحبشي على عسكر تعز وكانوا زهاء من ألف نفر، وكان الإمام المؤيد بالله - عليه السلام - استخلفه

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) الأيتان: (٥٥،٥٤) من سورة مريم.

(٣) الآية: (٢٨) من سورة الكهف.

(٤) ما بين المعقوفتين عنوان أضفناه على طريقة الناسخ.

عليها بعد وفاة حي الشيخ (الرئيس) المجاهد المنتصر بن عبدالله الطير رحمه الله (تعالى) ^(١) ولما وصله الخبر بوفاة الإمام المؤيد بالله - سلام الله عليه - ودعوة مولانا أحمد - أطل الله بقله - والأكثر ممن حضر هذه البيعة وغاب عنها رجع فيها إلى القاضي العلامة شمس الدين أحمد بن سعد الدين - أطل الله بقله - لعلمهم بنصيحته للمسلمين واختصاصه بالقرب من أمير المؤمنين.

وأخبرني من حضر سوق وادعة ^(٢) أنه لما وصلتهم دعوة مولانا أحمد تلكأوا وبعثوا عنها، ثم قالوا: انظروا هل هي بخط القاضي صفي الدين أم لا؟ فلما عرفوا خطه انقادوا.

وأخبرني القاضي - أيده الله - أنه اتفق أن الكتاب إلى وادعة كان بخطه وكذا غيره ممن شطن في الشام واليمن، وهذا الشيخ محمد ومن معه كذلك؛ فامتنع على مولانا محمد بن الحسن - أطل الله بقله - ثم على مولانا الإمام - عليه السلام - وماطلهما جميعاً وحفظ المدينة فقط، وبقي فيها حتى وصل مولانا أحمد ضوران كما تقدم، وسلمها إلى مولانا محمد بن الحسن - أطل الله بقله - بعد أن كان مُحِطاً عليها بنفسه وكذا صاحب حصن القاهرة ^(٣) وهو الشيخ قاسم بن ناصر بن الأبيض الكلبي، فإن والده كان عند مولانا أحمد وأمر ولده بحفظ الحصن ففعل، ولما وصلتهم كتب مولانا أحمد بالتسليم سلموا واعتذروا عن تخلفهم بأنه قد سبق منهم عهد، وقيل منهم مولانا محمد بن الحسن - أطل الله بقله - وعظمتهم كثيراً [٤٣/أ] وكان له الحجة عليهم لكونهم ولاية أبيه - رضوان الله عليه - وكان العفو عنهم من مناقبه في العفو وإسبال الستر والمكافأة عن الإساءة بالإحسان، وكان قبل قضية خدار، وصل إلى مولانا الإمام عليه السلام السيد العلامة صفي الدين شيخ العترة الهادي أحمد بن

(١) ما بين القوسين ساقطة من (ب).

(٢) وادعة: من بطون حاشد، والمقصود هنا وادعة بلا حاشد (الحجري: ٧١/٢).

(٣) حصن القاهرة: قلعة في تمز اعلى المدينة يطل عليها جبل صبر. (الحجري: ٦٤٧/٢).

علي بن الحسن الشامي^(١) ثم المسوري - أطل الله بقاءه - من صنعاء بخطاب في ترك الحرب وأن يبقى أهل القبلة^(٢) وصنعاء وجهاتها على البيعة الأولى، وأهل اليمن الأسفل وغيره إلى مغارب ضوران وجهاته على البيعة الأخرى حتى ينظر كل لنفسه، وكان الإمام - عليه السلام - جنح إلى ذلك حذراً من سفك الدماء والفتنة في^(٣) الدهماء، فوقع ما وقع في خلال ذلك.

ومن مثل ذلك أن السيد العلامة الكبير ذا الفضل الشهير والعلم الغزير أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي - عادت بركاته - لما وصله الخبر بوفاة الإمام - عليه السلام - أجاب في ليلته بتصويب أهل البيعة الأولى، وقرئ جوابه بلجامع المنصوري^(٤) بمحروس شهارة، ثم إنه رجع عن ذلك وصرح بأنه مغرور^(٥) وأن الإمام عنده إسماعيل - عليه السلام - وكتب رسالة نسختها [٤٣/ب]^(٦)

ولما ظهرت هذه الرسالة رجع كثير وأيس المخالفون من البيعة الأولى إلى الخلاف كما سيجيء إن شاء الله تعالى مع ما تقدم.

ومن ذلك أن السيد العلامة رضى الدين وعملة المجاهدين هاشم بن حازم^(٧) بن راجح بن أبي ثمي الحسيني المكي - رحمه الله - كان على مدينة زبيد

(١) هو أحمد بن علي بن الحسن بن محمد بن صلاح، الشامي، الحسيني (ت ١٠٧١هـ/١٦٦١م) عالم، محقق، قرأ على محمد بن عز الدين المفتي، والقاضي السحولي، له اطلاع في فنون النحو والبيان في المسلحة والتقسيم، له حواشي على هوامش شرح الأزهار. توفي في صنعاء وقبره في باب السبحة (زيارة: ٤١-٤٠/٢).

(٢) أهل القبلة: بلد واسع من أعمال الحويت. (الحجري: ٦٤٧٢).

(٣) ما بين القوسين ساقطة من الأصل (١).

(٤) الجلامع المنصوري: وهو الجلامع الذي بناه الإمام القاسم بن محمد (الحجري: ٩٥/١).

(٥) المقصود بها: مغرور به.

(٦) الورقة في الأصل بياض وكذا بقية النسخ، إلا أنه كتب فيها، ما أوله: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي لا إله إلا هو العزيز الحكيم القاهر... أما بعد... ويعود الكتاب إلى سنة، وكما هو مدون في الورقة (٤٣/ب) (١٣٣١هـ).

(٧) انظر ترجمته في هـ النص: ق (٥/ب).

وبلاد تهامة كلها غير بلاد حيس^(١) وموزع^(٢) والبنادر وبلاد أبي عريش، ولديه
عسكر كثيرون خيلاً ورجلاً، وهو مع العلم والرئاسة من أهل الورع
والاحتياط، فلما حصل التعارض وصل إلى الإمام (عليه السلام)^(٣) إلى ضوران
في نحو مائة فارس، وثلاثمائة راجل يسأله عما في نفسه، ويريد أن يتوسط بما
يصلح الله به البلاد والعباد فخفض له الإمام - عليه السلام - الجناح، وبسط
له الإنصاف والصلاح، حتى بايع وتابع، ووقعت القضايا المذكورة وهو
في ضوران، وبقي أياماً وعلد إلى زييد ثم توفي - رحمه الله - كما سيأتي إن
شاء الله تعالى.

ومن ذلك تمام أخبار السيد العلامة (الرئيس) - أطل الله بقاءه - الصمصامة،
عز الدين محمد بن أحمد بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله - سلام الله عليه -
فإنه بقى في خولان، ثم تقدم إلى الإمام - عليه السلام - وبايع ووافق وصوله
إلى ثلاء وما يتعلق بها.

ومن ذلك أن الفقيهين العالمين الفاضلين يحيى بن أحمد البرطي^(٤)
والحسن بن أحمد صالح الحيمي^(٥) - أسعدهما الله - وصلا إلى شهارة المحروسة
بالله على نحو من سبق من السيد العلامة أحمد بن علي الشامي (أطل الله
بقاءه)^(٦) فأجابهم مولانا أحمد بمثل ما أجاب مولانا - عليه السلام - السيد أحمد،
ووصلا إلى الإمام - عليه السلام - فبايعه، ولم يجدا من الدخول في الإمامة عنراً
فكانا مع الإمام - عليه السلام -.

(١) حيس: مدينة مشهورة من تهامة وأعمل زييد إلى الجنوب منها. (الحجري: ٣٠١/١).

(٢) موزع: بلدة عامرة من ناحية المخلاء وأعمل تعز، كانت من مراكز العلم القديمة. (الأمعز: ه البلدان
اليمانية: ٢٧٦؛ الحجري ٧٢٤/٢).

(٣) ما بين المعقوفين ساقطة من الأصل (١) والإضافة من بقية النسخ.

(٤) لم أجد له ترجمة.

(٥) انظر ترجمته في ه النص: ق (١/٧).

[أخبار صنعاء]^(١)

ومن ذلك تمام أخبار صنعاء المحروسة بالله فإنهم خرجوا إلى الموالة وحفظ المدينة، ولم يقع على أحد فيها كندر واتحد الحال، وبقي مولانا علي بن أمير المؤمنين - أطل الله بقله - عليها موالي مولانا أحمد بن الحسين - أيله الله - بلاد أبيه من بلاد صنعاء وبعض بلاد همدان وبلاد ثلاء الذين واجهوا^(٢) إليه والباقي من بلاد مولانا أحمد مع الروضة إلى ولده عز الدين محمد بن أحمد^(٣) - أطل الله بقله - وصلح الحال.

وأما بلاد^(٤) عمران وحصارها فبقي فيها الشيخ (الرئيس) ناصر بن عبد الملك بن عمران، حافظاً لها حتى وصل كتاب مولانا أحمد بن أمير المؤمنين مع كتب مولانا الإمام - عليه السلام - بعد الاجتماع المتقدم ذكره، وخرج منها، وكان محاصراً لعمران النقيب المجاهد سرور بعد الاجتماع المتقدم ذكره، ولم يقع في عمران خلل أيضاً، وقد قُتل من أصحاب النقيب سرور ثلاثة أنفار ومن أهل [٤٤/ب] عمران نفر واحد، ووصل الناس إلى الإمام - عليه السلام - أفراداً وأزواجاً حتى ضلقت الحصن بمن فيه، نعم وتدبير اليمن فمار إلى المخاء وكلها إلى مولانا الحسن - أطل الله بقله - وقد عادت خيله وعساكره إليه بعد فتح مدينة صنعاء، وهو يتابع الإمداد للإمام - عليه السلام - من الطعام والبر والدراهم على أنواعها والإمام - عليه السلام -، يعطي كل ما وجد حتى أنه

(٦) ما بين القوسين ساقطة من الأصل (أ)، والإضافة من بقية النسخ.

(١) ما بين المعوقين عنوان من الحاشية.

(٢) كذا في الأصل، على اللحن المعهود من الناسخ.

(٣) انظر ترجمته في هـ النص: ق (أب).

(٤) ساقطة من الأصل (أ)، والإضافة من بقية النسخ.

لا يحصى عطاؤه في الواحد فهو - عليه السلام - كما قال القضاعي^(١):

ملت جهابذة فضل وزن نايله ومل كاتبه إحصاء ما يهب

وأقبل الناس إليه حتى أنه إذا جلس في الوسيح^(٢) ضلق بهم الفضاء
فيتزاحم الناس عليه، وإنه إذا خرج لا يحفظ نفسه إلا على فرسه من تهافتهم
عليه عند رؤية طلعتة الكريمة، وفي كل يوم إلى زيادة إلى يوم الناس هذا -
أطل الله عمره وتابع نصره - والحمد لله رب العالمين.

ووردت عليه التهاني.....^(٣) [أ/٤٥].....^(٤).

نعم وكان قراءة الفضلاء قبل الدعوة في كتاب (الكشاف) على الإمام،
واستمر على ذلك مع الاشتغال بهذه العظام، ثم إن الإمام - عليه السلام -
استرجع الفسخ لمولانا أحمد إلى صنعاء وجهاتها، وأن يقيم فيها أيلماً ريثما
يصلح حاله ويجتمع بأهله في صنعاء والروضنة، ويسير إلى بلاد صعلة، وقد
جعل ولايتها وبلادها إليه إلا مواضع ستمها، وصلح الحال واتحد، وتمم الله
سبحانه وتعالى ما قصد، وأرسل معه لسد الجناح مولانا إبراهيم بن أحمد بن
عمر^(٥) وسيدنا العلامة شمس الدين أحمد بن سعد الدين، والسيد العابد
الزاهد العلامة محمد بن الحسن^(٦) بن شرف الدين، والقاضي العالم جمال
الدين علي بن سعيد الهبل^(٧)، ثم جهز معه الفقيه المجاهد (الرئيس) محمد بن
علي بن جميل السيراني في نحو أربعمئة نفر من خاصة العسكر، وأمره أن
يكون معه حتى يجتمع إليه أصحابه، وجهز ما يحتاجه لسفره، وكان قد تفرق
أعوانه وأمواله.

(١) لم أجد له ترجمة

(٢) المكان الواسع.

(٣) بقية الورقة (٤٤/ب) بياض بمقدار عشرة أسطر.

(٤) الورقة (٤٥/أ) بياض في الأصل.

(٥) انظر ترجمته في هـ النص: ق (٣٩/ب).

(٦) انظر ترجمته في هـ النص: ق (٤١/ب).

(٧) انظر ترجمته في هـ النص: ق (٣٠/ب).

[دخول أحمد بن الحسن صعلة^(١)]

ذكر دخول مولانا أحمد - أيده الله - صعلة وجهاتها وما وقع في الشام^(٢) وبلاد صعلة والظواهر، وبلاد شهارة من الأحداث والهزاهز، وكذا تمام ما وقع في جهة اليمن خارج تهامة؛ فإنها صلحت للسيد هاشم - رحمه الله - ونذكر جملها شيئاً فشيئاً، ونقدم أخبار جهات اليمن على بلاد صعلة.

فأما بلاد ريمة^(٣) فوقع فيها بعض اختلاف، فأرسل الإمام - عليه السلام - الفقيه بدر الدين محمد بن علي بن جميل، وكان مولانا أحمد أرسل عسكرياً كذلك من طريق تهامة فصار غالب ريمة مع أصحاب الإمام - عليه السلام - وواليتها السيد الجليل الكامل علي بن إبراهيم^(٤) بن المهدي بن جحاف، وكان في شهارة المحروسة بالله حضر البيعة الأولى لمولانا أحمد وبقي ولده السيد ضياء الدين زيد بن علي^(٥) فيها حتى وصل والده، وترك العسكر الذين معه من جهة مولانا أحمد في بعض تهامة، ووجد الطريق إلى الإمام - عليه السلام - فوصل إليه وكذا ولاء البلاد الحرازية^(٦) والمغربية^(٧) وصلح الحال.

(١) ما بين المعرفين عنوان من الحاشية.

(٢) الشام: هو بلاد صعلة وشمالها.

(٣) ريمة: وهي ريمة الأشباط بلاد واسعة في الغرب الجنوبي من صنعاء على مسافة ١٤٠ كم تقريباً. (الحجري: ٢٧٧/٨).

(٤) هو علي بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن المهدي، جحاف، الحسيني (٩٩١-١٠٧١هـ/١٥٨٣-١٦٦٠م) كان عالماً ورجلاً عارفاً، عدلاً تولى بلاد الجعفرية وما إليها من بلاد ريمة ثلاث وثلاثين سنة، توفى بكسمة من بلاد ريمة، وقبر بجانب مسجده الذي بناه هناك (زيارة: ملحق البدر الطالع: ١٥٤/٢).

(٥) وهو زيد بن علي بن إبراهيم بن المهدي، جحاف، الحسيني (١١٠٨هـ/١٦٩٦م)، كان من المقربين للإمام المتوكل على الله إسماعيل، ومن أعماله عمارة الجامع الكبير الشهير بمدينة حبور، توفى بالروضة من أعمال صنعاء، ودفن بمقبرة خزيمية. (زيارة: ٩٤/٢).

(٦) البلاد الحرازية: بلد واسعة تقع غربي صنعاء مركزها مناخة في رأس جبل حراز على مسافة ٧٠ كم تقريباً. (الحجري: ٢٥٢/٨-٢٥٥).

(٧) البلاد المغربية: بلد من ناحية صَعْفَان وأعمال حراز. (الحجري: ٧٤/٢).

[موالاة شهارة ومن فيها]^(١)

وأما شهارة المحروسة بالله وبلادها والظواهر فقد ذكرنا صفة دخولهم في البيعة الأولى ولما خرج مولانا أحمد من شهارة المحروسة بالله كما تقدم، وقد استخلف عليها وعلى بلادها ولد أخيه مولانا الحسين بن أمير المؤمنين المؤيد بالله بعد تلاح طويل، وكلام غير قليل، والأه نوم وجهاتها [٤٦/أ] مايلون إليه فحفظهم من الاختلاف، ولما صح له ما اتفق لعمه في ثلاء أظهر أمره وجمع من في شهارة المحروسة بالله مع الأه نوم وعسكر أبيه وأخبرهم بما وقع وعرفهم بما عنده من الرأي، فكان كمحرك المشتاق، ومعلم الفارس السابق، وكان الجواب عليه:

أملت هوى قد كان من قبل مايلا وهجت غراماً كان من قبل حاصل
وأثلبت فهذا كي تصيد فلم تكرم ظبا وجرة حتى ولجسن الجبايلا

فاجتمعوا وبايعوا، وإلى موالاة إمامهم سارعوا، ووجهوا الكتب إلى الإمام - عليه السلام - بمثل ذلك، وكان [قد] ^(٢) حدث في بلاد عنز ^(٣) أحداث كثيرة وطالت، ثم في وادعة الظاهر، فأما عنز فإنه كان [وقع] ^(٤) بينهم في الأسبوع الذي توفي فيه الإمام المؤيد بالله - عليه السلام - اختلاف بين عنز الغربي وقتل منهم قتيلان، وأمر الإمام - عليه السلام - عسكراً وتسوفي، وكفوا الشر للاشتغال بالحادث العظيم، وهيبة مولانا أحمد، فلما خرج من شهارة وحصل الاشتغال بما تقدم أضرموا الفتنة، وكبرت وتداعت الأحلاف، وانقطعت

(١) ما بين المعقوفين عنوان من الحاشية.

(٢) ما بين المعقوفين أضفناه للإيضاح.

(٣) عنز: بلد من حاشد. (الحجري: ٥٩٥/٢).

(٤) في (أ): يتفق، وظنن فوقها بقوله: ظ: اتفق.

الطرقا، وكثر القتل بين القبائل والاشتغال بما تقدم، فجمع مولانا الحسين عسكرياً وانتهب قوماً، وغزا آخرين، وأخذ رهاين، وكان قد عظمت الفتنة حتى لقد اقتتل عذر في سوق المهجر^(١) وقتل بعضهم في أعمال السوق، وما زالت بينهم الفتن إلى قريب السنة، ووصل الإمام - عليه السلام - كما سيأتي، وأطفأها الله بما سيجيء إن شاء الله تعالى من الأخذ عليهم بالأشد.

[ذكر الاختلاف في وادعة الظاهر]^(٢)

وأما بلاد وادعة الظاهر فإنهم وصلوا إلى شهارة للتعزية في الإمام - عليه السلام - وكان العامل عليها السيد الفاضل القاسم بن حمزة بن يحيى الغربياني^(٣)، وكان وصل معهم إلى مولانا أحمد ومولانا الحسين - أطال الله بقاهما - فرجع لهم من رجح أن يكسوا مشائخهم ويعطوا عامتهم ما يقوم ببعض كسوتهم من الدراهم، فكره الذين لم تصل إليهم كسوة، ووقع في نفوسهم بلية، وخرجوا مغاضبين، ولحق في أثرهم السيد القاسم (والمشايع وقد أوغلت صدور العامة وتعاقدوا أن السيد قاسم)^(٤) غير وال لهم وأن المشايخ كذلك.

فلما وصل السيد القاسم بلادهم هاجوا عليه مع اشتغال مولانا أحمد بما تقدم وأرادوا به العظيم وحاصروه في بعض بلاد المقابلة، ثم أخرجوه من البلاد على مشقة، ولما اتسق لمولانا - عليه السلام - الأمر وانفصل زيد من عمرو كره أن يكرههم بولاية السيد القاسم فأجابهم إلى إبداله، وقد وصل

(١) سوق المهجر: سوق معروفة شرقي بلاد الأهنوم. (الحجري: ٧٥٠/٢).

(٢) ما بين المعقوفتين من الحاشية.

(٣) لم أجد له ترجمة.

(٤) ما بين القوسين ساقطة من (ف) و (ح).

إلى الإمام - عليه السلام - السيد العلامة فخر الدين [٤٦/ب] (عبدالله بن عامر بن علي^(١)) - رحمه الله تعالى - وكان مقيماً في بيته من هجرة حوث^(٢)، وكان مقيماً في حكم المعتزل وله رسالة سماها [٤٧/أ].....^(٣) يحث فيها على الوفاق ويحذر من الشقاق والافتراق^(٤)..... [٤٧/أ].....^(٥) [٤٧/ب] ولما وصل إلى الإمام - عليه السلام - ولاء بلاد وادعة وما إليها، وكانت فيما سبق في أيام حي مولانا الإمام المنصور بالله - عليه السلام - ولايتها إليه، وإلى صنوه المجاهد (الرئيس) محمد بن عمر^(٦) - أطل الله بقله - ثم إنه وقع في نفسه شي في أواخر أيام الإمام المؤيد بالله عليه السلام من النظر في التصرفات، فاعتذر إلى الإمام - عليه السلام - من العمل، فأعفاه بعد طول مراجعة، وكان السيد القاسم في حكم النايب عنه إذا رجع لعمله، ولما ولاء الإمام - عليه السلام - وكان قد افترت بلاد وادعة، وقتل منهم من قتل وظهرت فيهم المنكرات، وقطعوا الأعتاب أرسل الإمام (عليه السلام)^(٧) عليهم العقوبات فلم تنجع فيهم، وكان في السيد عبدالله - رحمه الله - قَلْ صبر على كربه أحوالهم، فإنه رأى منهم غير ما يعرف من سابق أعمالهم، فكتب إلى الإمام - عليه السلام - بالبراءة منهم، وذهب مغاضباً إلى حوث، وهو مقره وإقامته فيه، وعظمت الفتن بينهم والمفاسد، فأرسل الإمام - عليه السلام - الفقيه بدر الدين محمد بن عز الدين الأكوغ^(٨) والياً عليهم، وأرسل معه مشايخ وادعة الذين وصلوا إليه،

(١) انظر ترجمته في هـ النص: ق ٢٩/١.

(٢) هجرة حوث: بلدة مشهورة من بلاد حاشد. (الحجري: ٣٠٠/١).

(٣) ما بين المعقوفتين بياض في بقية النسخ.

(٤) ما بين القوسين ساقطة من الأصل ومن (ف) والإضافة من بقية النسخ.

(٥) الورقة (٤٧/أ) بياض في الأصل وبقية النسخ.

(٦) لم أجد ترجمة له.

(٧) ما بين القوسين ساقطة من (أ)، والإضافة من بقية النسخ.

(٨) كان خازناً لبيت المال أيام الإمام المتوكل على الله إسماعيل. (جازم: تاريخ اليمن: ٢٨٠).

وكانوا زهاء من خمسين رجلاً، فلما وصل الفقيه محمد كره المشايخ الأولون إقلمة المشايخ الآخرين مقامهم وتقدمهم عليهم، وكثرت المغازي والغيارات^(١)، ورجحوا الفقيه محمد في مواضع ولم يتلقوه بما يحق؛ لكراهة بعضهم بعضاً، فكتب الفقيه محمد إلى الإمام - عليه السلام - بما وقع واستدعى عقوبات وظن أنها تردعهم عن ذلك، وقد عظمت بينهم الإحسان وتكاثرت الفتن، فعادوا على أنفسهم باللوم واجتمعوا وقصدوا السيد العلامة عبدالله بن عامر إلى هجرة حوث، ولاذوا به واسترضوه، وقالوا كلما وقع معنا مما تراه عقوبة لنا لعدم قبولنا أمرك أو كما قالوا، وهانحن تائبون من مخالفتك، وكانوا مع سيرهم إليه فوق ألف نفر مع وجوههم، وكان في السيد المذكور - رحمه الله - عزة وصلق حديث مع مكارم أخلاق وحسن رجوع بعد الحلقة، فأعتقد أن هذا مما يوافق الإمام - عليه السلام - وأن ولايته باقية؛ لكونه الذي ترك البلاد باختياره، ولما كان يألف من الإمام المؤيد بالله - عليه السلام - من القبول لقوله، فأخرج الرايات وشد الخيل، وسار معهم إلى بلاد وادعة، وكانوا^(٢) قد تعطشوا له كثيراً، وقد طلع معهم من أهل هجرة حوث جماعة من السادة والفقهاء من الذين كانوا يألفونه وقصد الحصن، ومشهد السيد الفاضل الطاهر القاسم بن جعفر^(٣) - عليه السلام - وهو الذي عمّر مرافقه المشهورة ووسع مسجده فهو في حكم هجرته ومكانه.

وأما الفقيه محمد فهرب إلى جهات مرهبة^(٤) [٤٨/أ] بعد أن سمع من وادعة المكروه، وكتب إلى الإمام بما وقع في نفسه من الوهم، وأن السيد عبدالله أفتى

(١) في (ب): (الغيارات والمغازي)، والغيارات جمع إغارة (علمية).

(٢) في الأصل، وبقية النسخ: (كان).

(٣) لم أجد له ترجمة.

(٤) مرهبة: من قبائل بكيل. (الحجري: ٧٠٦٢).

بقتله وهوّل بما طلع به من حوث، وأوهم الإمام - عليه السلام - وغيره أنّما يريد الشقاق للإمام - عليه السلام - والمعارضة، فكتب الإمام - عليه السلام - إلى ولد أخيه مولانا محمد بن أحمد وهو حينئذٍ في خمر من بلاد بني صرّيم^(١) بما سيأتي من الأسباب، أن يتقدم بجميع من معه من العسكر إلى وادعة، وأن يجرب السيد عبدالله ومن صار إلى رأيه، فتقدم إلى الحصن وهو الموضع الذي فيه السيد عبدالله فعظم الموقع، وأنه محمول على أضعف محمل، وكان الإمام - عليه السلام - أيضاً أرسل صنوه السيد المجاهد محمد بن عامر للسعي في الصلاح والإعذار إلى صنوه فوصل السيد محمد إلى وادعة وقد عرف السيد عبدالله عظم الموقع، فانسل في خواص من طريق أخرى إلى الإمام - عليه السلام - فوافاه في صنعاء المحروسة بالله كما سيأتي إن شاء الله من أسباب إقامته فيها، وعرف الإمام - عليه السلام - العذر فاستحيا منه كثيراً وآنسه وأعطاه أشياء كثيرة مع جارية، وعرف أنه عجل عليه.

وأما المحطة^(٢) التي في وادعة فإن وادعة تشوشوا منهم، فوقع بينهم اختلاف كذلك وقتل من وادعة نفران، ومن العسكر ثلاثة ونخيل عقرت، وكان ذلك مع وصول السيد محمد بن عامر، فتوسط مع جماعة ممن يجب الصلاح في صلاحهم وطاعتهم، ووجه الإمام - عليه السلام - عليهم آداباً وغرمهم ما انتهبوا على العسكر ودية من قتل وصلح الحل.

وأما الغيارات والمفاسد فكثرت كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وللسيد فخر الإسلام عبدالله بن عامر - رحمه الله تعالى - أشعار منها:.....^(٣)

[٤٨/ب].....^(٤)[٤٩/ب].....^(٥)[٤٩/ب].....^(٦)

(١) بنو صرّيم: من قبائل حاشد (الحجري: ٤٦٧).

(٢) المحطة: الفرقة العسكرية.

(٣) بياض في الأصل بمقدار عشرة أسطر.

(٤) الورقة (٤٨/ب) بياض كلمة.

(٥) الورقة (٤٩/أ) بياض كلمة.

(٦) (بياض) في الأصل بمقدار سبعة أسطر.

[دخول أحمد بن القاسم إلى جهات صعدة]^(١)

رجعنا إلى توجه مولانا أحمد بن أمير المؤمنين - أطل الله بقله - إلى جهات صعدة، قد ذكرنا مسير الفقيه المجاهد محمد بن علي بن جميل معه فيمن صحبه من العسكر، فلما اشتغل مولانا أحمد في صنعاء بالعيد وافتقاد ما يحتاجه لسفره أمر الإمام - عليه السلام - الفقيه المذكور بمن معه من العسكر بالتقدم إلى بلاد (الظواهر) وقد وقع بينهم اختلاف مع الاشتغال المتقدم، وحصل قتول وقضايا دون ما وقع في وادعة، فوجه الإمام - عليه السلام - عليهم العقوبات، وأمر الفقيه المذكور ليطأهم بالعسكر المنصور، فصلحوا واستقاموا وكذا جهات شظب^(٢) وظلّيمة، وخرج مولانا أحمد من الروضة في صنعاء في آخر عام أربع وخمسين وألف [١٦٦٤م] وقد اجتمع له أصحابه، وتشدد الإمام - عليه السلام - في توقيهم وحمل أثقالهم، وسار إلى خمر، وأقام فيها أياماً لأمر استدعائها من شهارة المحروسة بالله، وسار من طريق خيوان^(٣) وعيان^(٤) ووصل صعدة المحروسة بالله في شهر محرم سنة ألف وثمان وخمسين.

[أخبار السيد محمد بن علي الفوطي]^(٥)

[١/٥٠] وكان علي ولاية صعدة اعروسة بالله من قبل مولانا المؤيد بالله عليه السلام، السيد الفاضل شرف الدين الحسن بن أحمد بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله الحسن بن علي المؤيدي، وكان لما بلغه وفاة

(١) ما بين المعقوفين عنوان من الحاشية.

(٢) شظب بلد قرب السودة إليه تنسب سودة شظب، وكانت هجرة شظب من مدارس العلم في اليمن. (الحجري: ٤٥٢/٢).

(٣) خيوان: بلدة مشهورة من بلاد همدان. (الحجري: ٣٢٣/١).

(٤) عيان: من قرى بلاد سفينان في الشمال الشرقي لصنعاء. (الحجري: ٦١٨٢).

(٥) ما بين المعقوفين عنوان من الحاشية.

الإمام - عليه السلام - وفي صعدة السيد الزاهد الفاضل محمد بن علي الهادي الفوطي^(١)، وقد تقدم ما كان منه في أخبار مولانا المؤيد بالله - عليه السلام - وأنه ضعيف البنية، كثير الصيام والتقشف، فحصل في عقله ضعف، فتصور في نفسه التصورات المغيّرة، فأظهر أنه المهدي المنتظر، واغتر به رعا ع الرعايا، وطعن في السيرة، وشوش عليهم، وكانوا يحملونه على ظهورهم لضعفه فحصل بسببه قتل وفتنة في بلاد رازح وبني جماعة.

وقد تقدم في سيرة الإمام المؤيد بالله - عليه السلام - ذكرها، وصار بعدها إلى صعدة المحروسة بالله، وبقي في بعض مساجدها، فخاف السيد الحسن أن يحدث منه مثل ما تقدم؛ فاعتقله وبقي في الاعتقل إلى صبيحة اليوم الذي وصل فيه مولانا أحمد إلى صعدة، وهرب فلم يكذب يلتفت إليه أحد في تلك الأيام، فكان في حكم الداعي الخامس، لكن لا التفاف إليه من أهل العلم وجمهور العالمة، وحج بعدها في عام خمس وخمسين وألف [١٦٤٥م]، وكان طريقه بيشة بن المهدي، وقد اجتمع للتحج ركيب قحطان المعروف بالكثرة، فأخذ يعاقدهم^(٢) ويبايعهم على أنهم ينصرونه، ويظهر أمره في مكة المشرفة، ويخطب في المسجد الحرام فلجابه أقلهم.

ثم خرج سره في مكة، وبلغ الشريف زيد بن محسن، وكان في الحج القاضي العلامة الخبر صفي الدين وشيخ المسلمين أحمد بن سعد الدين - أيده الله - فأخذته عليه الشفقة وعلى المسلمين، وأن يحدث عليهم بسببه مشقة، فأرسل إلى الشريف في أمره فقبض عليه حتى قضى الناس مناسكهم، وقد شاع خبره في مكة، وحضرت أول جمعة بعد أيام التشريق، فلجتمع الأمراء وكل منهم ومن أعوانهم يتوقعون الحادث العظيم، وقدموا الخطيب المعتاد وأقلموا حوله بالسيوف مسلولة، ولما فرغ الخطيب قام طائف للطواف واستلام الركن، فقام

(١) انظر ترجمته هـ النص: ق: (٢٩/ب).

(٢) يعاقدهم: يبايعهم. المنجد: ٥١٨.

من رعا ع الناس من يسلم عليه لاعتقادهم أنه المهدي، ثم آخر، ثم قام الأمراء وأصحابهم بالسيوف على أولئك، فحصل في المسجد فزع كبير، وانجزل^(١) أهل اليمن إلى جانب من مكة وغيرهم إلى الآخر، وذهب في ذلك الوقت أمتعة كثيرة، وما كاد يسكن ما وقع من الريح^(٢)، فلولا ما تفضل الله من القبض على ذلك الشريف لهلك وهلك معه عالم والحمد لله رب العالمين.

ولما وصل مولانا أحمد - أطل الله بقله - صعلة المخروسة بالله [٥٠/ب] وقد اجتمع له عسكريه وخزائنه، وصل إليه أهل الشام من بلاد صعلة شرقاً وغرباً وكان قد علقتها الفتن كما سيجيء قريباً إن شاء الله تعالى، فأحسن إلى عموم أهل تلك الجهات وكثر عطاؤه لهم وإحسانه إليهم مع لين جانب، وكانوا يعرفون منه صحة الأمر والعزيمة والهيبة التي تمنعهم من الطمع والفساد، ثم خرج منهم من خرج إلى الإمام - عليه السلام - فأعطاهم أيضاً فوق ما يحتسبون كما ذلك دأبه المعهود وسبيله المقصود، ومنهله المورد، فهابت عندهم الدولة الإمامية، وأخذوا في بعض ما أعطوه من الطاعة الشرعية.

[دعوة إبراهيم المؤيدي]^(٣)

ذكر ما وقع في بلاد صعلة من الفتن بعد وفاة الإمام المؤيد بالله - عليه السلام -.

قد ذكرنا دعوة السيد إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين بن علي بن الحسين بن الإمام عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل بن الأمير المؤيد بن أحمد بن الأمير شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحمى بن الناصر بن الحسن بن المعتضد بالله عبدالله بن المنتصر لدين الله محمد بن

(١) المنجزل: مشى. المنجد: ١٧٧.

(٢) الريح: الشغب. القاموس: ١٩٧٨.

(٣) ما بين المعقوفتين عنوان أضفناه من الحاشية.

الإمام المختار لدين الله القاسم بن الناصر للحق أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق - صلوات الله عليهم -، وأنه دعا يوم الأحد سلخ رجب أو غرة شعبان، وكان متقدماً (على الإمام) ^(١) بساعة أو ساعتين من ذلك اليوم، ونشر دعوته إلى الإمام - عليه السلام - وإلى جميع الجهات، فالتفت إليها جماعة من بلاد صعلة وأبى ذلك الأكثرون، فأجابه الإمام - عليه السلام - بهذه الرسالة..... ^(٢) [١/٥١]..... ^(٣) [٥١/ب] ثم لا زالت المكاتبة بينه وبين الإمام - عليه السلام - وهو يوهم الإمام - عليه السلام - أني قد دخلت في أمر أعلم قصوري عنه، وإنما المراد معرفة الوجه الذي يحصل به التسليم، ويقرب تارة ويبعد أخرى، وقد حصل في بلاد صعلة فساد كثير وسفك دماء ومنكرات.

[ما حدث في صعلة من مشاكل] ^(٤)

من ذلك القضية العظمى فيما بين قبائل سحار ومن إليهم من بني جماعة وأحلافهم وبين آل عمّار ^(٥) من بكيل ومن إليهم من دهممة وأحلافهم، وكان لا تزال بينهم العداوة المتقدمة، وقتل من الفريقين نحو سبعين قتيلاً في هذه القضية، وقد ألبت ^(٦) دهممة مخالفتها وهموا بصعلة وما حولها، ودخلوا مواضع مما يلي القبلة والمخلاف.

وفي هذه الواقعة ظهرت كرامة باهرة وآية ظاهرة كما أخبرني الفقيه علي بن محمد بن عشوان العمّاري، وهو من مكتب الدراسة في المشهد الهادي - عليه السلام - أنه رأى في اليوم الذي دخلت فيه القبائل المواضع المذكورة،

(١) ما بين المعقوفتين ساقطة في الأصل (١)، والإضافة من بقية النسخ.

(٢) بياض في الأصل بمقدار سبعة أسطر.

(٣) الورقة (١/٥١) بياض.

(٤) ما بين المعقوفتين أضفناه على طريقة الناسخ.

(٥) آل عمّار: من قبائل دهممة من بلاد صعلة. (الحجري: ٦١١٢).

(٦) ألبت: جمعت.

هو وآخر معه فارساً معداً على حصان أخضر خارجاً من معاملة^(١) القرآن في شرقي المؤخر من الجامع المقدس^(٢) وخرج من الباب المقفول وهما ينظران. قال الراوي: وأخبرنا شيخنا هل رآه كذلك؟ فقال: لا، فأخبرناه بما شهدناه، فقال: هذه غارة هدوية تدفع عن صعلة وأهلها هذه المخاوف، وكان كذلك، وما بلغنا إلا هزيمتهم في ذلك اليوم وليته. انتهى.

فالذين صاروا إلى السيد المذكور أعطوه ظاهر الطاعة، ولا يكاد يمضي حكمه فيهم مع حضورهم مجلسه كيف من غاب عنه.

أخبرني النقيب الناصح المجاهد صالح بن سعيد بن عواض المدعوري^(٣)، وهو من أهل صلح الحديث مع الديانة الحسنة أنه خالطه في تلك الأيام، وأنه وجه على قوم ممن بايعه ممن يقرب من هجرة فللة^(٤) آداباً، فقال له السيد المذكور: يكون نصف ذلك إلى صعلة لوالي الإمام - عليه السلام - ونصف لنا، ولا يعرفون أن ذلك إلينا بل يقبضوه ويعطوننا هو على صفة لا يعرفها أحد، يجعلها لهؤلاء الذين معنا وغير ذلك من ضعف الحل وعدم القدرة والنهضة.

وكان قد اجتمع له سواد من الناس وقصد رازح وبلاده وصار إلى رأيه السادة آل المؤيد إلا القليل، وكان في رازح وال من جهة الإمام المؤيد بالله - عليه السلام - وكان الإمام - عليه السلام - قرره على ولايته هو والفقير الأفضل عماد الدين يحيى بن سيلان المصرف^(٥) العياني فدافعهم بمن أجابه

(١) العلامة: غرفة ملحقة في الغالب بأحد المساجد أو بجواره، يدرس فيها الطلاب بعد السادسة من العمر مباحث القرآن والتدرب على قرآته. (علي عبدالله طاهر: الموسوعة اليمنية: ٨٧٧/٢).

(٢) جامع الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي.

(٣) أحد قواد الجيش.

(٤) فللة: هجرة من بني جماعة في بلاد صعلة. (الحجري: ٦٣٩/٢).

(٥) كذا في الأصل.

ثم غلبوا عن الجبل، فلحاز إلى حصن عَمَار^(١)، ووقع فسياد وخراب منازل وحرِب قُتل فيها أنفار، وغلب السيد إبراهيم على أكثر البلاد [١/٥٢] إلا بلاد خولان، فإنه كان فيها من قبل الإمام المؤيد بالله - عليه السلام - السيد المجاهد الأعلَم شمس الدين أحمد بن الهادي بن هارون بن الحسن المهادوي^(٢) - أطل الله بقاءه - ولأهل الشام إليه ميل يعرفون فضله الشهير، فمنع أكثر بلاد خولان وأجابوه ووقع اختلاف بين القبائل كما تقدم، فقلَّ بلاد لم تقع فيها الحرب والفتنة، وعظمت المنكرات، وخشي على صعلة الانتهاب حتى لقد وقع القتل والفساد فيها، واستجار من ضَعَفَ من تجارها بالقبائل، ولما وصل مولانا الصفي^(٣) - أطل الله بقاءه - هابه الناس وأجلَّوه، فارتفع السيد إبراهيم من رازح وقل الفساد.

أخبرني النقيب المجاهد صالح بن سعيد المذعوري أنه كان رسولاً لمولانا أحمد [ابن الحسن]^(٤) إلى السيد إبراهيم وإلى بلاد رازح، وكان بصحبته جماعة من العسكر، فوافى السيد إبراهيم عند مُنصرفه من رازح، قل: فلما لقيته مال معي من الطريق وسألني عن مولانا أحمد ومن معه، وقال لي: هذا الوالد أحمد سلم الأمر وبياع، وهو أقدر مني وأنا واضح يلدي في يده، ومسلم للإمام - عليه السلام - فهو أولى مني وأنفع للإسلام أو كما قل.

ولما وصل إلى هجرة فللة ونحن معه، كاتبه من صعلة من يريد الاستظهار ببقائه على المعارضة لأغراض، وأمدوه بمل، قل: وإذا قد سمعت منه في فللة

(١) نسبة إلى (آل عمار) من قبائل دهمّة صعلة. (الحجري: ٦١١/٢).

(٢) اشتغل بأمور الإسلام العلية، وكان ذا اطلاع واسع في شتى العلوم، تولى للإمام بالله محمد بن القاسم وأخيه الإمام المتوكل على الله إسماعيل أعمالاً، توفي في صنعاه في سنة (١٠٧٦هـ/١٦٦٠م). (زيارة ملحق البدر الطالع: ٤٨٧٢-٤٩٩).

(٣) أحمد بن الحسن.

(٤) ما بين المعقوفين ساقطة من الأصل (أ)، والإضافة من بقية النسخ.

غير القول الأول، والكتب بينه وبين الإمام - عليه السلام - لا تزال، وقد وصل إلى الإمام - عليه السلام - بعض السلعة آل المؤيد والإمام - عليه السلام - يلين له الجانب ويبسط له الإنصاف ويعرفه أنه لا يريد إلا الحق والائتلاف، فكن مكانك على ما أنت عليه ولا تعداه، حتى يحصل الاجتماع وننظر نحن وأنت الصواب المطابق للسنة والكتاب، فإن كان الحق في يدك فلست أولى باتباعه مني، وإن كان عندي فليس على متبع الحق غضاضة أو كما قال.

أخبرني بعض الخواص أن الإمام - عليه السلام - جعل للسيد إبراهيم ولاية فيما بينه وبين الله سبحانه، إن علم الله سبحانه بطلان إمامته وأخذ منه مثل ذلك، ولم أقف على حقيقة وإنما ذلك من طريق واحدة، والكتب لم تزل وهي كثيرة منها هذا الكتاب وهو أجمعها.....^(١).

[٥٢/ب] ولما وصل مولانا أحمد كما تقدم وهو على دعواه كان يحضر معه في صعلة في جماعته وكان يكثرون إلى خمسمائة وأكثر وأقل، فإذا كان يوم الجمعة يخرج يصلي خارج صعلة [٢] ^(٣) الخلف والفساد والإمام - عليه السلام - يكثر التواصي بأبقائه على حاله حتى حصل المراجعة والبصيرة، فانضم إلى ذلك كما تقدم من [٣] ^(٤) القبائل وعدم التعويل على الدولة الإمامية، وقل المدخول، وحصل الاشتغال بهذا الاختلاف عن جميع الحقوق التي بها قوام العسكر وأهل الحقوق، فكتب مولانا أحمد إلى الإمام أن هذا الصلح كان فيه فساد الأمر، ولم يقف السيد إبراهيم على الحد الذي أوقفتموه عليه؛ فكتب الإمام إلى السيد المذكور ما هذا نسخته^(٤).....^(٥).

(١) (بياض) في الأصل بمقدار سبعة أسطر.

(٢) (بياض) في الأصل وبقية النسخ.

(٣) (بياض) في الأصل وبقية النسخ.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة في الأصل (١) و(ف) والإضافة من بقية النسخ.

(٥) بياض في الأصل قدر عشرة أسطر.

[١/٥٣].....^(١).

[٥٣/ب] ودارت المكاتبة على أن السيد المذكور يلقي الإمام إلى صنعاء، وتقدم الإمام - عليه السلام - في أواخر شهر رجب عام خمس وخمسين [أغسطس ١٦٤٥م] إلى مَعْبَرٍ وأقام فيه ليل، ثم سار مُغداً إلى صنعاء المحروسة بالله، وأخبرني بعض الخدم لمولانا الإمام - عليه السلام - وهو من الترك الذين لا يعرفون هذه المقاصد الشرعية ولا السبب الداعي إلى هذه الحركة المتوكلية، أنه نام تلك الليلة في معبر إلى جانب شفير البير المعروف ببير الشهداء في معبر، فما أيقظه إلا صوت يتكلم^(٢) من البير المذكورة. قم فلحق بالإمام، ولا تجده إلا في صنعاء، فاستيقظ ووجد الناس يتلاحقون، فلم يدركه^(٣) إلا في صنعاء، وفي لفظ الهاتف^(٤) المذكور باسم الإمام وتسميته بالإمامة والخبر بقصده صنعاء ولا يعرف التركي أن المقصد فوايد لا تخفى، وإيحاء إلى خفية هذه المشكاة التي لا تطفئ. انتهى.

وقد عظم الفساد في بلاد صعلة فأرسل الإمام [٥٤/أ] مولانا محمد بن الحسين بن أمير المؤمنين المنصور بالله - عليه السلام - في نحو ألف من العسكر وعدة من الخيل، وأمره أن يشد عضد عمه الصفي - أيده الله - وأن يستعجل السيد إبراهيم للقاء المضروب، ويضبط البلاد من الفساد الذي بين القبائل.

ولما وصل إلى صعلة انقبض^(٥) السيد إبراهيم في فللة وانحاز إلى البلاد التي كانت موالية له، فراسله مولانا محمد بن الحسين وبعث إليه بكتب الإمام - عليه السلام - وأخبره أن الإمام - عليه السلام - أمره لأحد أمرين:

إما الوصول للمناظرة على الوعد، وكما جاءت به السفراء أو الخلاف

(١) بياض في الأصل وبقية النسخ.

(٢) ساقطة في الأصل وبقية النسخ.

(٣) في (ب): (بييت).

(٤) في (ب): (النبه).

(٥) انقبض: أنظم وسار. (القلموس ٣/٣٥٤).

ووجب جهادك أو كما قل، فلجأ السيد إبراهيم: إني عازم على لقاء الإمام، ثم قدّم وأخر وبعُد وقرب وأهل الأغراض يصرفونه عن ذلك حتى ضرب موعداً ووصل إلى صعلة على حاله الأول بجمع من أصحابه، فأنزله مولانا أحمد أحسن منزل، وقل: تجهز على اسم الله إلى الإمام - عليه السلام - فتلكأ وأهل الأغراض يطولون ذلك لثلاثين يوماً من الشام من التعارض، وقد كثر العسكر في صعلة فيحتاجون إلى طلب الحقوق المهمة، وقيمون التناصف^(١) في الفتن ويعاقبون أهلها، فأظهر السيد إبراهيم أن أموره لما تنتظم، وأنه يعود إلى فللة ويأتي فيما بعد صفة تقلب حتى يتمكن مما قد تصور له من البقاء على المعارضة، وقد حضروا في القصر^(٢) وفي دار المطهر^(٣) أيضاً، وكان خالياً لمولانا محمد بن الحسين وأصحابه، فأظهر مولانا أحمد الجدّ وقل: قد فسدت البلاد بهذه المواعيد، والآن قد صار الفساد في المدينة وفي الجند، فلا افتراق من هذا المجلس إلا بالعزم إلى الإمام - عليه السلام - طوعاً أو كرهاً أو كما قل.

فتكلم بعض السادة من آل المؤيد وقل: عبت وغدرت يا كذا، وهم بمولانا أحمد بالسلاح كما أخبرني من شهد ذلك، فقام الحاضرون من أصحاب مولانا أحمد وقبضوا على السيد المذكور، فجر بعضهم سلاحاً أيضاً فقبضوا بعد ذلك على الجميع من السادة آل المؤيد وصاح مولانا أحمد بابن أخيه مولانا محمد بن الحسين، وقل: اذهب بهذا إلى الإمام فإنك لم تستح مني في يوم ثلثاء أو كما قل، فتوجه به مولانا محمد بن الحسين إلى الإمام - عليه السلام -.

وأما السادة فجعلهم مولانا أحمد في الحديد^(٤)، ولما وصل به مولانا محمد بن الحسين العَمَشِيَّة وقد جعل معه ثقاته لحفظه انسل بعد صلاة العشاء الآخرة إلى الهرب، فأدركه الموكلون به، وأعادوه على حالة غير [٥٤/ب] موافقة، ثم قدم به إلى الإمام - عليه السلام - إلى صنعاء.

(١) التناصف: التساوي. (القموس: ٢٠٦٣).

(٢) مقر إقامة الوالي.

(٣) أحد دور مدينة صعلة المشهورة.

(٤) وضع عليهم القيود.

[وصول إبراهيم المؤيدي إلى الإمام]^(١)

ولما وصل إلى الإمام - عليه السلام - شكوا أنهم حملوه كرهاً، وشكوا أيضاً ما وقع معه في الطريق.

فقل الإمام - عليه السلام -: هذا الولد محمد نقيك منه ونأخذ لك منه حكم الله سبحانه وتعالى، وأما الحمل إلينا كرهاً فهذا أنت في سعة نعيك إلى محلك الأول سالماً غائماً، وهذا الرسول مني لإطلاق أصحابك الذين في صعدة وبندل له الإنصاف، وتابع له الإجلال والإتحاف من جميع أبوابه، وبسط له الإحسان من وجوه أسبابه.

وأما مولانا محمد فعفا عنه في الحبل وبقي يرتلي في العود إلى محله الأول أو التسليم، وكان لا يحضر صلاة الجمعة، بل إذا قامت مال بمن معه من أصحابه إلى بعض مساجد صنعاء فيصلي ظهراً، والإمام - عليه السلام - مع ذلك يتابع له الإحسان ويبسط له الجناح والأمان.

[مبايعة إبراهيم المؤيدي للإمام]^(٢)

ولما كان إلى يوم في رمضان أتى إلى الإمام - عليه السلام - وعرفه أنه يريد الدخول فيما دخل به الجمهور، وأنه متابع مبايع، وأن ذلك يكون بمحضر من العلماء والفقهاء والرؤساء ليشهدوا عليه، فأرسل الإمام عليه السلام لجميعهم فلجتمعوا في الديوان الكبير في قصر صنعاء، منهم السيد العلامة الحبر الفهامة المجاهد أحمد بن علي الشامي^(٣)، والقاضي العلامة الفاضل إبراهيم بن يحيى

(١) ما بين المعقوفتين عنوان أضفناه من الحاشية.

(٢) ما بين المعقوفتين عنوان أضفناه من الحاشية.

(٣) هو أحمد بن علي بن الحسن بن صلاح، الشامي (ت ١٠٧١هـ/١٦٦١م) قرأ على يحيى السجولي، برع في فقه الزيدية والفرائض، له حاشية على الأزهار توفي بصنعاء، ودفن في باب السبحة وقبره مزور إلى اليوم. زيارة: ملحق البلد الطالع ٣٩-٤٠؛ زيارة: نشر العرف: ١٥٥/١.

السحولي الحاكم في صنعاء، والقاضي العلامة صفي الدين، وبركة المسلمين أحمد بن سعد الدين، والسيد العلامة شرف الدين الحسن بن أحمد بن الجلال اليحيوي، والقاضي العلامة صارم الدين إبراهيم بن الحسن العيزري الحاكم، والقاضي العلامة شمس الإسلام أحمد بن سعيد بن صلاح الهبل^(١). وغيرهم ممن يطول ذكر مشاهيرهم إلى أكثر من مائة وسواهم من أعيان الناس وكبارهم وقد جلس الإمام - عليه السلام - على كرسي والسيد إبراهيم إلى جانبه، فلما حصلوا قام السيد المذكور فخطب خطبة وذكر قيامه ودعوته وأنه لا يريد بها إلا الله سبحانه وتعالى، وأنه الآن قد عرف فضل الإمام - عليه السلام - واستحقاقه المقام دونه، ثم قل له: وأنا أشهدكم بالبيعة والدخول فيها فيما دخل فيه الناس وكان من ألفاظه.....^(٢). ثم تقدم وبايع، وأظهر التوبة مما وقع بسببه وسُر [١/٥٥] المسلمون بذلك ثم فتح قراءة على الإمام - عليه السلام - وحضر الجمعة، وتكلم القاضي العلامة صارم الدين وبركة المسلمين إبراهيم بن يحيى السحولي - قدس الله روحه في الجنة - وذكر بيعته وتسليمه في الخطبة الثانية^(٣)، فقل فيها: الحمد لله الذي حجب إلينا الإنصاف، وجنبنا طرق المتاهة والاعتساف، وجعلنا للحق تابعين، ولأئمة العترة الطاهرة - صلوات الله عليهم - مشايعين، إذ خصهم بالتطهير، وفرض مودتهم وجعلهم سفن النجاة، وباب حطة الذي من دخله أدرك ما رجا، لا يدرك رائحة الإيمان إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يبوء بالخسران المبين إلا من أنكرهم وأنكروه، وأرشدنا وله المنة لمعرفة حقوقهم، والاهتداء بأنوارهم وسلوك طريقهم، فنحن بلطف الله وتوفيقه أمة يهدون بالحق وبه يعدلون، وأوامر كتاب الله وسنة رسول الله يمثلون وبها يعملون، أيدينا في الحق بعون الله

(١) هو أحمد بن سعيد بن صلاح الهبل، الصنعاني (ت ١٠٦١هـ/١٦٥٠م)، قاضي، عالم، قرأ على والده وعلى محمد بن عز الدين المفتي، درس بالجامع الكبير بصنعاء، وتوفي فيها ودفن بمشهد الديلمي بالأبهر. الجنداري: الجامع الوجيز (خ) ق: ١٤٣.

(٢) (بياض) في الأصل بمقدار ثلاثة أسطر.

(٣) ساقطة من الأصل (١)، والإضافة من بقية النسخ.

متعاضدة متناصرة، وقلوبنا بهداية الله فيه مجتمعة متظافرة، لا نألو جهداً في جمع شمل الإسلام وصيانتته عن الاختلاف وشد أمراس التعاضد والتناصر فيه والائتلاف حفظاً لحماية حوزة الإسلام، وصيانة لجنابه المنيع زاده الله حماية وصيانة عن أن يهضم أو ييضام، وتيمماً لسعي أئمة الهدى الذين درجوا، وانتهاجاً لسبيلهم القويم الذي سلكوه ونهجوا، وكان من أفضل [من سلك هذا المسلك العظيم، ومشى على هذا^(١) الصراط المستقيم السيد العلم العلامة الحبر البحر المدرة الفهامة، برهان الدين علم السادة المجلدين إبراهيم بن محمد بن أمير المؤمنين، فإنه - أسعده الله في الدارين - عرف الحق فاعترف، وشرح الله له صدره فما شك ولا انحرف، وعلم أن مولانا هذا إمام المسلمين المتوكل على الله رب العالمين، أحق العترة الطاهرة بهذا المنصب الشريف، وأولاهم بالنهوض بأعباء هذا التكليف، خليق باقتعاد تحت الإمامة حقيق^(٢) بما أهله الله له من خلافة النبوة، المرتبة العظمى في الزعامة، قائماً بواجب حقوقها لأشراتها، سالكاً مسلك آبائه الكرام، مستقيماً على صراطها، فبذل هذا السيد الكريم لهذا الإمام العظيم عهد البيعة الميمونة مختاراً لإمامته، طائعاً متقلداً عهد ولايته ونصيحته ونصرته، مطيعاً سامعاً عاقداً عزمه على نصرته هذا الإمام المتوكل على الله بالقلب واليد واللسان، وجهاد أعداء الله بين يديه عن أمره بالسيف والسنان، مطرحاً لما^(٣) كان يحمله من الأعباء عاداً لذلك من ذخائر العقبي، وتأديته ما أوجبه الله من حق أئمة الهدى أولي القربى، وهامو - أسعده الله - حاضر للجمعة [٥٥/ب] والجماعة، يسمع هذا الخطاب، متقلداً هذا العهد الذي طوقه الله الرقاب، وأكد أمره في السنة والكتاب، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وشرح الله صدره، وأصلح شأنه، وزاده في درجات الفضل مكانة إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير. انتهى.

(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من (أ) و(ف)، والإضافة من بقية النسخ.

(٢) حقيق: جدير. (القاموس: ٢٢٩/٣).

(٣) (ل)، في (ب): ما.

وأقام السيد المذكور في نهاية الإعظام، وغاية الإكرام في حضرة الإمام - عليه السلام - ثم استأذن في العود إلى بلاده لافتقاد خاصته، فجهزه الإمام - عليه السلام - بما يكثر تعداده، وأركبه من نجائب الخيل، وقد أرسل من يطلق أصحابه المحبوسين في صعلة، وفارق الإمام - عليه السلام - شاكراً مشكوراً، راضياً مرضياً. ولما وصل إلى عيان وزار القاسم - عليه السلام - أخذ ذات اليمين^(١) حتى طلع طشة برط^(٢)، وكان القاضي الأعلم أحمد بن علي بن قاسم العنسي^(٣) قد بايعه ودعا إليه في جهات برط بمن أطاعه، وأضافوه^(٤) وكتب من هنالك رسائل إلى كل جهة أنه باق على دعوته، وإنما كان منه من التسليم تقية وخوفاً:

أيكذب فيكم الثقلين^(٥) طرا^(٦)

وتقبلكم لأنفسكم شهوداً

فلم يلتفت إلى ذلك أحد وصغر في أعين الناس، وعرفوا أنما كان هذا منه إلا طمعاً في الرئاسة والتنافس على الدنيا، وكان قد ظهر منه في خطبته في صنعاء عند البيعة التألم لآل المؤيد، واشترط له ولهم فصغر أيضاً في أعين الحاضرين، وربما وأمكن للمتأول منه أن يتأول، ولما أضاف إليها هذه الأخرى قطعوا بذلك.

مما أخبرني بعض الفقهاء من خواص حي مولانا السيد العلامة شيخ

(١) ذات اليمين: جهة اليمين. لسان العرب: ١٠٥٠/١.

(٢) طشة برط: ناحية واسعة تقع شمال شرقي صنعاء على مسافة ١٤٠ كم تقريباً. (الحجري: ١٠٧/١).

(٣) هو أحمد بن علي بن قاسم العنسي، العياني (ت ١١٠٧/١٦٦٠). كان عارفاً بالفقه وعلم الكلام.

توفي في بير العزب بصنعاء، ودفن بمزينة. (الجندي: الجامع الوجيز (خ) ق: ١٤٦ب).

(٤) وأضافوه: قاموا بواجب الضيافة.

(٥) الثقلين: الإنس والجان. (القلموس: ٣٥٣/٣).

(٦) طراً: جميعاً. (القلموس: ٨٠/١).

العترة أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي - نفع الله به - قال: كنت عنده - رحمه الله - وقد أوجد من الكبر، فقيل له: هذا رسول من السيد إبراهيم فأذن له بالدخول إليه على مشقة، فلما وصل أعطه رسالة السيد.

ولما وقف عليها رمى بها إلى الرسول وقال: لا جواب لك عندي، ثم قال أحملوها إلى الولد يحيى والجواب منه، ثم أخذ القلم وكسره، وقال: لا خطاب إليّ في هذا أو كما قال، قال: فلما خرج الرسول سألت السيد - رحمه الله - عن السيد إبراهيم، فقال: ما أحوجه إلى القراءة في صعلة.

نعم! وأقام السيد إبراهيم في برط أياماً ثم طلب من أهل برط من يسير معه حتى يتصل ببلاده من أعمال [٥٦/أ] فللة وجهاتها، فساروا معه ليلاً، ولما كانوا بالقرب من مخلاف صعلة وقد بلغ مولانا أحمد فأرسل كميناً خيلاً ورجلاً فأخطاه بعض الكمين، ووقع مع بعضهم فقتل من أهل برط ومن أصحاب مولانا أحمد نحو ستة أنفار، ونجا السيد إبراهيم وقد أخذ أهل برط على أصحاب مولانا أحمد فرساً أو فرسين ثم لحق بقللة وخاف، فسار إلى نواحي قراض وقد قل أتباعه كما تقدم.

[ذكر وفاة الأخوين آل أبي نمي]^(١)

ولنعد إلى أخبار مولانا - عليه السلام - في ضوران وقد ذكرنا وفاة السيد العلامة رضي الدين هاشم بن حازم بن راجح بن أبي نمي في زبيد، وتوفي أيضاً صنوه السيد فايز بن حازم بعلمه بأسبوع، وكان وفاته في بلاد الشقيق^(٢) من تهامة الشام، وكان إليه ولايتها وبلاد الشقيق هذه إلى القنفلة مما افتتحها الإمام المؤيد بالله - عليه السلام -.

(١) ما بين المعقوفين عنوان أضفنه على طريقة الناسخ.

(٢) الشقيق: بلدة على ساحل البحر الأحمر شمالي جيزان. (الحجري: ٤٥٦٢).

ولما كتب الشريف الجليل المعظم زيد بن محسن - أطل الله بقاءه - إلى مولانا الإمام المؤيد بالله - عليه السلام - فيما بلغني أن بلاد مكة محيطة بها أعتام^(١) ولاية العجم^(٢) فإذا تطرق لهم تناول شيء منها كان فيه اختلال نظام الأشراف، فرأى الإمام - عليه السلام - الوفاء بالحقين نحو الشريف صاحب مكة، وحق الرعاية الذين والوه بأن جعل ولايتهم لشريف من أصحاب الشريف ممن يقف على المراسم الإمامية والحدود الشرعية، فوقع الاختيار على السيد فايز، فكان فيها ينظر الإمام - عليه السلام - حتى مات، ثم هم على ذلك الآن الولاية من قبل الإمام - عليه السلام - لمن يصلح فيها من الأشراف أهل مكة.

نعم! وقد تقدم بعض ما كان عليه السيد هاشم - رحمه الله - من الورع والاحتياط، ثم أنه أوصى وصية تليق بمثله، وخلف كثيراً من النقود والآلات والخيل وغيرها لبيت المال، وأن سبيلها أن تصرف إلى الإمام - عليه السلام - وعظم موقع وفاته - رحمه الله - على أهل تهامة والجبيل؛ لما كان فيه من العسل مع الخزم، وخلف أربعة أولاد أكبرهم سناً علي بن هاشم، فأقره الإمام - عليه السلام - على ولاية أبيه واستصغره مولانا محمد بن الحسن - أطل الله بقاءه - وهم أن يولي غيره إذ تهامة ولايته، فلم ير ذلك الإمام - عليه السلام - فوصل السيد علي بن هاشم بأكثر خيل أبيه وحفدته إلى محروس الدامغ في شهر محرم سنة خمس وخمسين بعد الألف [فبراير ١٦٤٥م] فأرسل مولانا محمد بن الحسن الشيخ محمد بن ناصر المحبشي لولاية مدينة زبيد وما إليها، وأن تبقى [٥٦/ب] للسيد علي بن هاشم ولاية بيت الفقيه [أحمد]^(٣) بن عجيل^(٤) وولايته بيت الفقيه الزيدية وسائر تهامة، وكانت تهامة كلها

(١) كذا في الأصل.

(٢) العجم: الأتراك.

(٣) ما بين المعقوفين كان في الأصل: علي، والتصحيح من (الحجري: ٦٣٧٢).

(٤) بيت الفقيه أحمد بن عجيل: من ملذ تهامة ما بين زبيد والحديقة، وسميت بهذا الاسم نسب إلى الفقيه أحمد بن عجيل (ت ٦٦٩هـ) أول من سكن هذه المدينة. (الحجري: ٦٣٧٢).

في ولاية مولانا محمد - أطل الله بقاءه - كما تقدم، فكره الإمام ذلك، وتابع الرسل في عود الشيخ محمد المحبشي، وكره مولانا محمد عوده عقيب وروده، وأن يظهر في رأيه الخطأ، فوصل مولانا أحمد بن الحسن - أطل الله بقاءه - وكان في ذمار إلى الإمام - عليه السلام - وطلب منه أن السيد علي يمضي^(١) على مولانا محمد إلى إب، ويوليه كما كان مولياً لأبيه، ليبقى لمولانا محمد التصرف في ولايته، فخلع الإمام - عليه السلام - عليه وعلى كبار أصحابه ووجهه لعمله وأن طريقه يكون على مولانا محمد - أطل الله بقاءه - فلما وصل إلى محروس فمار لازمه ألم ليس بالكبير ثم تزايد، فلما وصل يريم^(٢) انتقل إلى رحمة الله وصلى عليه مولانا أحمد ودفنه، وأقام عليه القراءة وعظم مصابه عند الجميع رحمة له ولمن بعده. ولم يبق إلا أطفال صغار فنصب عليهم الإمام - عليه السلام - وقرر ولاية الشيخ محمد المحبشي على زبيد بنظر مولانا محمد بن الحسن - أيده الله - ثم ولي بيت الفقيه بن عجيل وما إليه السيد المعظم زيد بن علي بن إبراهيم بن جحاف^(٣) وترك ما بقي من تهامة بنظر مولانا محمد على عادته، وجعل لأولاد السيد هاشم ولمن يتعلق بهم الكفاية الفايضة من بيت الفقيه ومن زبيد وعمر على السيد هاشم مشهد مزور في باب الحداد خارج زبيد وكانت وفاته - رحمه الله - في شهر القعدة سنة أربع وخمسين وألف [ديسمبر ١٦٤٤م]، ووفاة ولده - رحمه الله - في أواخر شهر محرم سنة خمسة وخمسين [فبراير ١٦٤٥م].

(١) يمضي: يمر، وهي عامية.

(٢) يريم: إحدى مدن إب تشمل عدداً من النواحي. (الويس: اليمن الكبرى ٦١).

(٣) هو زيد بن علي بن إبراهيم بن المهدي بن أحمد (١١٠٨هـ/١٦٩٦م). كان خليلاً، وصديقاً للإمام المتوكل على الله إسماعيل، وتولى أيام حكمه على المخاء، ثم عاد إلى صنعاء سنة (١٠٨١هـ/١٦٧٠م) ولزم الإمام المتوكل حتى موته - أي الإمام - ثم لازم الإمام المهدي أحمد بن الحسن. مات في الروضة ودفن فيها. (زيارة: نشر العرف: ٦٥٤/١-٦٥٩).

[الإستيلاء على عدن ولحج وأبين]

فصل نذكر فيه خروج مولانا الصفي أحمد بن الحسن - أطل الله بقاءه - إلى عدن^(١) ولحج^(٢) وأبين^(٣) والاستيلاء عليها

وقد تقدم في سيرة الإمام المؤيد بالله - عليه السلام - صفة موالاته الأمير الكبير عبد القادر بن^(٤) محمد بن علي بن سليمان، صاحب خنفر^(٥) وحسن موالاته^(٦)، وأنه كان يروى عنه عزب وصحة موالاته مع السخاء النبي لا وراءه، وفيه نزاهة وملازمة لوصائف الصلاة، وكان فيما أخبرني حي الشيخ المجاهد علي بن شمسان^(٧) الغربي الجبزي - رحمه الله - وكذا حي الفقيه علي بن المعافا النعماري^(٨) وأخبرني أيضاً بجملة ما فصلاه القاضي حسام الدين الهادي بن عبدالله^(٩) الحارثي، أن سلطان سحرت من بلاد الحبشة صاحب مدينة منبسة، كان نصرانياً فخالطه تجار من المسلمين ومن أشرف حضرموت [١/٥٧] المعروفين ببني باعلوي^(١٠) فأسلم وأسلم معه جمهور أهل

(١) عدن: إحدى محافظات الجمهورية اليمنية وهي مدينة معروفة مشهورة تقع على ساحل البحر الهندي. (الحجري: ٢٥٨٢ - ١٥٩٠ ابن الجاور: تاريخ المستبصر: ١١٦).

(٢) لحج: من محافظات الجمهورية اليمنية، وهي مدينة مشهورة على مقربة من عدن. (الحجري: ٦٧٧/٢).

(٣) أبين: من محافظات الجمهورية اليمنية، وهي مدينة مشهورة على ساحل البحر العربي شرقي عدن، إليها تنسب عدن أبين للفرق بينها وعدن لاعة. (الحجري: ٥٥٨؛ لقمان، حمزة علي: تاريخ القبائل اليمنية: ٢٢٥).

(٤) لم أجد له ترجمة.

(٥) خنفر: إحدى مدن أبين وقد كانت اسماً قديماً لأبين. (الحجري: ٣٦٠/١؛ لقمان: ١٨٢).

(٦) موالاته، في (ب): (ولايته).

(٧) كان أحد قادة الجيش أيام الإمام المؤيد بالله محمد توفى وهو في طريقه لأدا مناسك الحج سنة (١٠٥١/١٦٤١م). (الجزازم: تاريخ اليمن: ٨٥).

(٨) لم أجد له ترجمة.

(٩) لم أجد له ترجمة.

(١٠) بنو علوي: من أشرف حضرموت. (الحجري: ٢٧٥/١).

مملكته، وحارب ملك النصارى صاحب الحبشة، وتكاثر عليه المشركون فقتلوا فاستولوا على مدينته ومملكته، وكان قد تزوج امرأة من الأشراف آل باعلوي، وولد له منها ولد اسمه محمداً فأخذ من جملة من أخذ أصحاب السلطان هو وأمه وقد اشتهر عندهم أنها شريفة، وكان يدعى ولدها لذلك بالشريف محمد. فلما صاروا عند صاحب الحبشة، وأخبروه بأنها شريفة فعظمها وجعل لها ولولدها إقطاعات، وجعل على مكانها حريمياً لا يخالطها إليه غير من لا غنى لهم عنه، ثم إنه أدخل ولدها هذا المكتب وعلموه مع أولادهم الإنجيل وصبغوه بالنصرانية حتى كان من العلماء فيهم ومن وعاظهم، فكانت والدته تخوفه بالله وتنكر عليه فعله، ثم إنها تلت عليه شيئاً من القرآن فذاقه وتلفه على حفظه، وكانت أمه لا تحفظ كثيراً من القرآن، فوصفت له تجار الإسلام، وطلبت منه أن يأتيها برجل ممن يخالط إلى حضرموت فدخل إليها أحدهم، فكتبت معه إلى أهلها أن يخالطوا لها بقارئ يصل إليها يقربها هي وولدها ففعلوا، وقرأت هي وولدها على غاية من الاختفاء، ثم رجع ولدها إلى الإسلام وقد كبر اسمه في النصارى وظهرت رهبانيته وزهادته، وقد جعل نفسه واعظاً، وكان يزوره الكبراء، ويتنقل معهم إلى المدائن حتى احتال بمسيره بوالدته إلى منبسة، وكان على ذلك واعظ، وقلعة منبسة عليها وال غير صاحب المدينة في نهاية^(١) من القوة، سلاحهم البنادق^(٢) والمدافع، فكان هذا الشريف الواعظ يخالط صاحب المدينة ويتجنب صاحب القلعة، ويظهر البعد عنه وعنهما وعن أهل الدنيا، وعظم ذكره، فراسله صاحب القلعة أن يخالطه كما خالط صاحب المدينة وغيره، فاعتذر إليه، وبعُد عنه، ولما كثر من صاحب القلعة المطالبة فقال

(١) على قدر كبير من القوة.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن (البنادقية) انظر محيرز، (عبد الله بن أحمد: الآداب المحققة في متغيرات البندقية: ٣٢/٣٦).

لأجل وجوب حقك وسؤالك أصل معك الباب فقط، فنزل صاحب القلعة وعيون^(١) أصحابه وعليهم السلاح والزينة، وكان هذا الشريف يلحق به كثيرون لملازمته وللتبرك به، فقرأ لهم ما قرأ من المواعظ ورجبهم في حديثه فأحبوه واعتقدوا فيه كغيرهم، ولم يزل يتردد إلى ذلك الموضع لاستدعائهم وقد عرف [٥٧/ب] بقية من المسلمين وومن كان مع أبيه وغيرهم ممن يقدم الإحسان إليهم، فدعاهم إلى الإسلام وأن يثور بهم على الكفار، ويستنقذهم مما هم فيه من الإهانة والصغار، فعادهم وكان فاتكاً شجاعاً.

ولما صار إلى باب الحصن وقد أمنه صاحب الحصن، فكان يحضر معه من غير سلاح، وهذا الشريف الواعظ عليه وعلى أصحابه السلاح، فقتلوا صاحب القلعة وأصحابه، وثاروا فيمن بقي فيها فقتلوهم وهم على غير أهبة، وأمنوا من بقي وقد قتلوا منهم نحو ثلاثمائة رجل، وكان في هذا الحصن مدافع وبنادق تمنع المدينة من الداخل إليها براً أو بحراً، والخارج منها كذلك إلا برأي صاحب الحصن، ولما ملك الحصن ومنع الداخل والخارج أظهر المسلمون أمرهم، واستأصلوا من بقي من المشركين، واستعاد مملكة أبيه على طول في وصف القضية، وخرجت عليهم النصارى فقاتلهم وأعمل فيهم الحيل والمكايد في البر والبحر، حتى أهلك منهم كثيراً وعظم ذكره، وأقلقهم خوفه، وافتتح كثيراً من بلاد المشركين، ثم تكاثروا عليه، وتظاهر ملوك الكفار على حربه، فراسل إلى بلاد المسلمين للغارة فلم تنجح^(٢).

قال الشيخ جمال الدين علي بن شمسان: إنها وصلت مراسلته إلى مولانا الحسن - رحمه الله - وهو في اشتغال بحرب تهامة وفتحها، ثم إنهم غلبوا على بلاده وقتل كثير من أصحابه، ونجا بخاصته في مركبين وصار إلى ساحل

(١) عيون أصحابه: كبار أصحابه.

(٢) تنجح: تنجح. (القلموس: ١٢٦٠).

عدن، وراسل الأمير عبدالقادر فأمله بما يقوم به وأخرجه إلى موضع سُمِّه، وعرض عليه الوصول إلى مولانا الحسن - رحمه الله -^(١)، فقال: بل أقدم الحج، وخرج بحراً في عام ست وأربعين وألف [١٦٣٦م] وفي خلال ذلك كانت وفاة مولانا الحسن، ثم حصل الاشتغال بعهده بما وقع، ثم مات الأمير عبدالقادر، وكان أثقال هذا السلطان وأمواله مع ثقاته بنظر الأمير عبدالقادر، ثم مات الملك المنبسي بعد عودته من الحج في القنفذة في عام خمسين أو تسع وأربعين وألف [٣٩-١٦٤٠م]، ومات الأمير عبدالقادر كما تقدم، وخلف ولده الحسين بن عبدالقادر^(٢)، وكان والده قد أقصاه وبعده عنه لما فيه من البطالة.

ولما صار الأمر إليه هدم قواعد الإسلام وأظهر المنكرات، وجعل للبغيه جوانب^(٣) وللخمر كذلك، وأما اللعب بالمعازف والبطالة الجامعة لكل رذيلة فعلمهم وخاصهم [١/٥٨] على ذلك وقد أخذ أموال المنبسي، وقتل من قتل من ثقاته، وحبس من بقي منهم في مواضع من بلاد خنفر لا يُرفع لهم منها خبر، ولا يُعلم لهم أثر، وبلغ الإمام المؤيد بالله - عليه السلام - فراسله في ذلك، ثم اشتغل عنه^(٤) بمهمات مما سبق في سيرته^(٥) عليه السلام حتى توفى - رحمة الله عليه - ولما استتب لمولانا - عليه السلام - أمره رأى أن عليه استنقاذ من ذكر، فأعذر إلى هذا الأمير، وكتب إليه كتاباً وأرسل به الفقيه جمال الدين علي بن المعافا النماري، وكان من أهل اللسان ومن لا تخفاه لوايح الإنسان، وأمره أن يسأل عمن بقي من أصحاب المنبسي.

(١) ساقطة من الأصل (أ)، والإضافة من بقية النسخ.

(٢) كان أمير على عدن أيام الإمام المتوكل على الله إسماعيل. (انباء الزمن (خ) ق: ١٩٢).

(٣) أماكن خاصة.

(٤) ساقطة من (ب).

(٥) انظر الجرموزي: الجوهرة المنيرة (خ) ق: (١٢٥).

ولما وصل الفقيه المذكور أبين وقد عرف كثيراً من الأحوال عاد بجواب غير وافٍ بالقول فضلاً عن الفعل وكان نسخة الكتاب إلى الأمير المذكور^(١) [ب/٥٨]^(٢) [أ/٥٩]^(٣) وقد تقدم ذكر وصول مولانا أحمد بن الحسن - أطل الله بقاءه - إلى الإمام - عليه السلام - ولا خير عن سبب وصوله إلا لنظم حل أولاد السيد هاشم - رحمه الله - ثم تجهز من عند الإمام - عليه السلام - ولما وصل حضرة صنوه العزي^(٤) - أطل الله بقاءه - إلى محروس مدينة إرب، وقد جمع له العسكر والأموال، فكان عسكره نحو ألفين فيها من الخيل ما يدنو من أربعمئة، وأرسل الإمام - عليه السلام - محطة أخرى نحو الألف^(٥) مع الفقيه المجاهد محمد بن علي بن جميل السيراني، وسمعتة - عليه السلام - يقول: قد صار مع الولد أحمد - حفظه الله - الكفاية، وإنما نريد قطع إياس^(٦) هذا الأمير الشر وأصحابه منا ولتعلموا أن ذلك عن أمرنا أو كما قال.

وكان خروج مولانا أحمد من إرب في شهر صفر سنة خمس وخمسين وألف [إبريل ١٦٤٥م] وأمسى في النجد الأحمر^(٧) ثم إلى الجند^(٨)، وكان طريقه

(١) (بياض) بمقدار عشرة أسطر، وقد كتب عليها بخط تاريخه إلى جمادى الآخرة سنة ١٢٨٣هـ، وما أوله:

(اللهم أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي...).

(٢) (بياض) الورقة كاملة.

(٣) (بياض) بمقدار سبعة أسطر.

(٤) العزي: محمد بن الحسن، والعزي يلقب به من اسمه محمد.

(٥) في (ب): (الف).

(٦) إياس: قطع الأمل. (القاموس ٢/٢٧١).

(٧) النجد الأحمر: موضع من ناحية ذي السفل. (الحجري: ١٤٦١).

(٨) الجند: بلدة مشهورة من تعز، وفيها مسجد بناه معاذ بن جبل. (الحجري: ١٤٦١).

الدمعة^(١) من بلاد السلمي، وتقدم من الدمعة إلى الأعمور^(٢)، ومنها إلى موضع يسمى وادي الحجر^(٣) ثم إلى حائط الليم، وكان الأمير حسين قد حشد وجمع مع خيله ورجله قوماً من المشرق ومن يافع^(٤)، ثم قدم محطة إلى الحج وموضع منه يسمى الرعارع^(٥) خيلاً ورجلاً.

صفة الحرب في الرعارع^(٦)

إنه خرج من البيعة طليعة من الخيل فوافقوا مقلمة لمولانا أحمد -أيده الله- فهزموهم، ووصلوا معهم إلى محطهم مع هربهم، وهم جمهور ألفاف من جموع الأمير المذكور، وقد طاروا^(٧) على وجوههم واختار منهم نحو ثمانمائة [مع]^(٨) أكثرهم بنادق، ونحو أربعمائة من الخيل، وبقوا في الرعارع وأحربوا، وقتل من الفريقين نحو خمسة عشر رجلاً، وتسلموا في اليوم الثالث بأمان، وصاروا إلى مولانا أحمد.

ولما انهزم الباقون إلى خنفر وقد عرف مولانا الصفي [٥٩/ب] -أيده الله- الطريق ومواضع غلبهم فيها أعمل فيهم الإقدام المعروف، والبسالة التي لا تجارى، واستعان الله سبحانه وتعالى، وعباً راياته وخيله وسرى في الليل حتى

(١) الدمعة: من قرى ناحية حزم العدين في إب. (التعداد العام، الجهاز المركزي للتخطيط، محافظة إب: ١٤٩).

(٢) الأعمور: كذا في الأصل ولعلها الأعموس وهي من قرى ناحية حزم العدين في إب. (التعداد العام، المصدر السابق، نفس النسخة).

(٣) وادي الحجر: في ناحية ذي السفل في إب. المصدر السابق: ١٢١.

(٤) يافع: بلد متسع في الجنوب الشرقي من صنعاء على مسافة ٢٤٥ كم تقريباً. (الحجري: ٧٧٢/٢؛ لقمان: تاريخ القبائل: ١٨٢-١٩٨).

(٥) الرعارع: من قرى الحج. (الحجري: ٣١٧/١).

(٦) العنوان من المتن.

(٧) طاروا: ساروا.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ف).

أصبح في مكان قريباً من أبين يسمى محل الشيخ، قال بعض أصحابه في هذه الغزاة: أنه جمع وجوه أصحابه وقل لهم ما معناها: القوم كثرة ولكن لا قلوب لهم، والخيل كثرة فوق الألف لكن عليها نساء أو كما قال، يريد قوة قلوب أصحابه، ثم طلب (.....).

ولما وصل محل الشيخ وبلغه الخبر بهرب هذا الأمير، فتجرد بنجائب خيله وفرسانه، ولحقه قافياً أثره إلى مواضع قد بلغه أن المذكور فيها، وأبقى أمراء العسكر عليهم وتشدد عليهم في البقاء في موضعهم حتى يأذن لهم، وقد خاف أن يدخل العسكر المدينة فيتفرقوا ولا يأمن الكرة عليهم، ولما حاذى خنفر إلى جهة المشرق صبح له أن الأمير قد هرب في الليل وعرف أنه قد فات، وأن جموعه باقية في خنفر. ثم لما ظهر مولانا أحمد قصده بحرب شديد وكانوا كثرة، فأرسل إلى عسكره وهم في موضعهم الأول ليبادروا الغارة، وكان ذلك من التدبير النافع مع نصر الله العزيز وحفظه الحريز^(١) فإنهم لو كانوا قد تقلعوا لما تمكن من جمعهم للحملة، ولما اجتمعوا به حمل بهم وهزم الله عدوهم، ثم إنهم قاتلوا في البيوت والمواضع المرتفعة، فكان البيعة في الظل وعندهم الماء والمجاهدون في السموم^(٢) ولا ماء معهم، فصبروا ومنحهم الله النصر، فهزموا أولئك وأخرجوهم من البلد وقتلوا منهم زهاء من ثلاثمائة.

وأخبرني من شهد ذلك أن مولانا أحمد وقف للعسكر الذين قطعوا الرؤوس فما زالوا يطرحونها بين يديه حتى قابلت الرؤوس رأس فرسه، ثم انتقل إلى موضع آخر فكان كذلك وغنم الناس ما لم يحتسبوا، ومنهم من ظفر بخزائن من المل، ومنهم من ظفر بسلاح وفضة، وتقدم مولانا أحمد -حفظه الله-

(١) الحريز: الموضع الحصين. (القموس: ١٧٨٢).

(٢) السموم: الحر الشديد. (المنجد: ٣٤٨).

[إلى] ^(١) بيت الأمير المذكور وقبض ما فيه من الخزائن بعد أن جمع محارمه إلى موضع وجعل عليهم ثقاته معظمين مكرمين وجعل معهم خلمهم، ثم أرسل معهم بعد ذلك الشيخ (الرئيس) المجاهد حسن بن الحاج أحمد بن عواض الأسدي في قوم فسلموا بنذر عدن بعد أن حاصروا رتبة فيه من أهل يافع، فأقام مولانا أحمد في أبين أياماً ينادي بأمانهم وقد طاروا إلى جهات متفرقة، وكذلك الأمير المذكور قد صار في يافع، وطمع في غارة منهم وهيئات أن يقوى على أكبر مما كان فعل.

وكان مولانا محمد بن الحسن لما جهز صنوه من مدينة إب المحذر فيمن بقي معه إلى تعز العدنية ^(٢)، ثم أرسل الإمداد والرتب لحفظ الطريق، وأعد خيلاً تسير مع القوافل، وبذل العطاء والإحسان في أهل المشارق، فقطعوا ما بينهم [٦٠/أ] وبين هذا الأمير من العلايق، وقد احتلط أيضاً بأن أرسل الأمير الكبير عبدالله بن منيف المنصوري الحمزي في عسكر إلى مدينة رداع، وكاتب الرصاص وأحسن إليه، وهو مع ذلك يكاتب الإمام - عليه السلام - بأن يتابع الإمداد فأرسل مولانا محمد بن الحسن - أطل الله بقله - وجميع عسكره إلى مدينة ذمار لينظر ما يصح من أهل المشرق من التخلية ^(٣) لهذا الأمير أو غير ذلك، فسكنت لذلك الرعاع، وقرت الأمور على المحبوب.

وأما مولانا أحمد - أطل الله بقله - فإنه أقام في خنفر نحو عشرة أيام، وأمر بنقل أولاد الأمير عبدالقادر ومحارمه، وجعل عليهم أخا الأمير المسمى ناصر بن عبدالقادر مع خلمهم وثقاتهم إلى الحج، وقد بحث أيضاً عن بقي

(١) ما بين المعقوفين أضفناه للإيضاح.

(٢) تعز العدنية: تقع في سفح جبل صبر الشمالي، وهي مدينة أثرية يرجع تأريخها إلى القرن الثالث الهجري. (الويس: ١٥٣، الحجري: ١٤٦١).

(٣) التخلية: ما يمكن تخلفه. (المنجد: ١٩٤٩).

من أصحاب المنبسي في حبس الأمير المذكور وأخرجهم ورفقهم من^(١) جملة أولاد الأمير عبدالقادر، ثم نقلهم إلى تعز العدنية، وأجرى عليهم الإمام - عليه السلام - النفقات الوافرة، والكفاية الفايزة من كل شيء.

وأما الأمير حسين فبقى في يافع أيلماً، ومولانا محمد يلف به ويكاتبه ويكاتب من يكاتبه، ويبدل له الإنصاف، ثم عاد إلى خنفر وجعل له عوايد آبائه من عدن ولحج، وجعل له بلاد آبين أيضاً أقطاعاً، وأقره الإمام - عليه السلام - على ذلك ولف الحل.

[تعين الحاج ياقوت إسماعيل على عدن]^(٢)

واستعمل مولانا الصفي - حفظه الله - على بندر عدن مولاه الحاج الصالح المسمى ياقوت إسماعيل، وفي لحج أيضاً بعض خواصه وعاد بالغنائم الواسعة، وفيها جملة من العبيد والإماء، وتحدث من تخفى عليه الحقيقة وأهل الحسد والطعن أنها ملكت الحرير، وكان الأمر كما كان في سيرة الإمام الأعظم المنصور بالله عبد الله بن حمزة^(٣) - عليه السلام - في جارية صارت إليه من غزاة الخالب، وهي أم ولده الحسن والقصة مشهورة.

نعم! والحق أنه لم يحصل شيء من ذلك مع أنا لو فرضنا صحة ذلك فهو أقل حالاً مما سبه الصحابة - رضي الله عنهم - من مثلهم، وكذا أئمة الهدى - عليهم السلام - وبنو حنيفة أمثل من هؤلاء طريقة، وأقرب إلى التقوى

(١) في (ب): مع.

(٢) ما بين المعقوفين عنوان أضفله على طريقة النسخ.

(٣) هو: عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة الإمام المنصور (٥٦١-٦٦٤هـ/١١٦٥-١٢١٧م) تسلّم الإمامة بتكليف من أهل عصره، وحينما جاء طفثكين من مصر إلى اليمن سنة (٥٩٣هـ/١١٩٦م) جرت بينه وبين الإمام المنصور عد من المعارك وبعد موت طفثكين تم الصلح بينه وبين السلطان علي بن حاتم بعد أن جند لنفسه الدعوة، له عدد من المؤلفات منها: (تحفة الإخوان)، (الدر المنثور). (الحشي: مصادر الفكر: ٥٣٨-٥٤١؛ الجرافي: المقتطف: ١٢٨؛ الأعلام: ٢١٣/٤).

حقيقة، وكذا بنو ناجية والمطرفية وغيرهم ممن سباهم أئمة الهدى، وقد تقدم ذكر شيء من أحوال هذا الأمير والدار وأحكامها وما يترتب على ذلك والله الموفق والهادي.

ومما قيل في هذه الواقعة من الشعر.....^(١) [٦٠/ب] - أطل الله بقاءه - إلى محروس تعز، وأقام أيلماً ثم انتقل إلى فمار المحروسة بالله، ثم إلى الإمام - عليه السلام - إلى محروس الدامخ.

نعم! وكان الإمام - عليه السلام - أرسل قبل فتح عدن وجهاتها السيد الأعلم الأفضل بدر الدين محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن علي بن الحسين^(٢) بن الإمام عزالدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل بن الأمير المؤيد بن أحمد بن يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى إلى سلطان حضرموت والشحر وجهاتها، وبعث معه كتاباً نسخته.....^(٣).

لوأرسل معه من العسكر نحواً من أربعين رجلاً من كبار الجنود وأمره بإقامة الجمعة في تلك النواحي، وأمره أن يضرب المرفع^(٤) بتلك البلاد ويظهر الشعار والتأذين النبوي حي على خير العمل، وتم له ذلك، وكان لذلك موقع، وعاد جواب السلطان بما هذا نسخته.....^(٥) والإمام حينئذ في محروس ضوران مجاهداً مجتهداً في صلاح الإسلام، مُفرقاً للدعة والولاية إلى جميع البلدان، وبعث رسائل إلى الحجاز وغيره، منها هذه الرسالة.....^(٦)، وإلى جهات جيلان

(١) (بياض) في الأصل بمقدار سبعة أسطر، وكذلك في بقية النسخ.

(٢) انظر ترجمة الجرهموزي: النبنة المشيرة (خ)ق: (٥٢).

(٣) (بياض) في الأصل بمقدار أربعة أسطر وبقية النسخ كذلك.

(٤) المرفع: الطبل، وكان يستعمل لأغراض كثيرة منها التوقيت بالليل للحرس، ومنها لطلب الغارة، أو لجمع الجنود للزحف والسفر.

(٥) (بياض) في الأصل.

(٦) (بياض) في الأصل.

وديلمان كذلك هذه نسختها.....^(١) [١/٦١] وتشدد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفرض للعمل، وقرر الأعمال، وولى على القضاء من الحكام، وأكثر من النفقات على الخاص والعام، ووضع عن الرعايا كثيراً من المعاون المعتادة مع نشر العلم الشريف، وتقريب أهله وتوظيف الوظائف لأهلها كما يفعله أئمة الهدى - صلوات الله عليهم - ومالت إليه القلوب وأحبه من يعرفه ومن لا يعرفه، وتيمنوا بخلافته وانبسط فيهم عدله ورأفته.

وكان قد حدث عقيب وفاة الإمام المؤيد بالله - عليه السلام - مع تلك الهزاهز والتقلبات التي ذكرنا جراداً في غالب اليمن أكل ثماره إلا القليل، وأشفق المسلمون، وساءت الظنون، وهو - عليه السلام - ينفق ما لديه ويمد كل سايل بما قدر عليه، فأغاث الله عباده برخص الأسعار، فإنه مع ذلك الأمر العظيم رخص الطعام حتى بلغ الزبلي^(٢) حرفين، مع أنه لا يكاد يوجد الطعام في غير الأسواق، وهذه الآية لم يسمع بمثله، وشاهدة لما روى القاضي العلامة عمدة الموحدين وشحاك^(٣) الملاحدين، عبدالله بن زيد العنسي^(٤) في ارشاده^(٥) بالإسناد الصحيح إلى النبي صلى الله عليه وآله «إنه لما أمر الله عز وجل إبراهيم - صلوات الله عليه - ببناء الكعبة، سأل الله أن يريه حدود الكعبة فأمر الله الريح فرفعت التراب عن حدود الكعبة حتى ظهرت الأربعة الأركان فوجد مكتوباً على أحد أركانها، وهو الأول منها: أنا الله لا إله إلا

(١) (بياض) في الاصل.

(٢) الزبلي: وعاء للوزن بسعة رطلان. شهاب، حسن صالح: عدن فرضة اليمن: ١٢٦.

(٣) شحاك: مانع. (المنجد: ٣٧٦).

(٤) هو: عبدالله بن زيد بن أحمد بن أبي الخير (ت ٥٩٣هـ/١١٩٥م) عاصر الإمام المهدي أحمد بن الحسين

وكان أحد أنصاره، له عدد من المؤلفات منها: (الهجرة البيضاء) و (التحرير) في أصول الدين.

(الحبشي: مصادر الفكر ١١٠).

(٥) كتاب الإرشاد في الزهد (شرف الدين، أحمد حسين: تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن: ٣٦٥).

أنا رب بكة مغلي الأسعار والأهرا غرار^(١) ومرخص الأسعار والأهرا أقفان، ثم خلف تلك الشدة الخصبُ وصلاح الثمار فلم يوجد لتلك الشدايد أثر مع عمومها في البلاد، وعدّ العامة والخاصة أن ذلك من بركات الإمام - عليه السلام - وسعده، فزادوا إليه قرباً وله حباً، وقد تقدم مثل ذلك.

[فتوى للمتوكل في شأن طفلين يهودي ومسلم رضعا معاً]^(٢)

وعما حدث في الأيام المذكورة أنه رفع إلى مولانا عز الإسلام محمد بن الحسن - أطل الله بقاءه - أن رجلاً مسلماً من أهل نبي جيلة^(٣) جاراً ليهودي، وكان المسلم كثير الغيبة عن أهله واليهودي أقل غيبة، فولد لليهودي من اليهودية ولد، وولد للمسلم من المسلمة كذلك، ثم ماتت المرأتان المسلمة واليهودية وبقي الولدان وكانوا أجواراً في حكم البيت الواحد، ورضع كل واحد مع الآخر، وبقي الولدان مع مربية أخرى أظنها يهودية أيضاً، فعاد أبواهما المسلم واليهودي فلم يعرف أحد ولده لاشتباههما؛ فترافعا إلى مولانا محمد بن الحسن - أيده الله - فرفع [٦١/ب] أمرهما إلى الإمام - عليه السلام - [فأحضرهما الإمام - عليه السلام -] وقال: من أقضى بينكما بتأديب المسلم لمخالطة اليهودي فعززه بالضرب، ثم أجب بما هذا مثاله الذي نراه والله أعلم: إنه يحكم بابن النمية بالإسلام؛ لأنه يعلوا ولا يُعلَى عليه؛...ولأنه صار في دار الإسلام دون أبويه إذ قد صاروا مع الإلتباس كالمعدومين، وأما حكم الصبي في الإرث فمن الأب الكافر لا ميراث لهما لاختلاف الملة، وأما النمية فلها ميراث ابن؛ لأنها ماتت قبل الإلتباس فتقسم بينهم للإلتباس كذلك ومن

(١) كذا في الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين عنوان أضفنه على طريقة الناسخ.

(٣) نبي جيلة: من مدن إب. (الحجري: ٣٢/١).

الأم كذلك، فلما ميراث الأبوين منها فعلى المختار لا شيء لهما إلا تحويل على ما عليه الحق، وأما على القول بالتحويل على من عليه الحق فإذا مات أحد الابنين كان للأب منهما نصف ميراث والأم كذلك، ثم إذا مات الآخر ورثا منه كذلك، ويدخلان على من يدخل عليه الرضيع ويجتمعان للعقد القريب، وهكذا لو كانت الميتة هي المسلمة والإرضاع للمسلمين من النمية إلا أنه لا ميراث للإثنين من الذميين لاختلاف الملة هذا الذي يقتضيه النظر في هذه المسألة والله اعلم.

[عود إلى أخبار صعلة]

فصل: ولنرجع إلى أخبار صعلة والسيد إبراهيم قد ذكرنا اضطراب الشام وإهمالهم حق الله سبحانه وتعالى وحق الإمام - عليه السلام -، وأن مولانا أحمد عاملهم بالإحسان فظنوه ضعفاً، ووالى الإمام - عليه السلام - إليهم البر فلم يظنوه عطفاً، وربما ووسايط السوء من الماكرين قطعوا بأن ما كان سببه مقدوراً بين قادرين فقووا ذلك الظن السيء فكثرت المفاسد والحروب بين القبائل، وإهمال الحقوق، وظهور المنكرات، فأمر الإمام - عليه السلام - مولانا أحمد بن الحسن - أيله الله - بالتجهز إلى بلاد صعلة، ورسم له أعمالاً يرضيها، وحدوداً يقتضيها، وخرج من محروس الدامغ [.....]^(١) وأمر إلى مولانا العزي - أطل الله بقله - أن يمد بالعسكر والعيون والخيل، فأرسل إليه جماعة من الأمراء، كالأمر الكبير عبدالله بن يوسف المنصوري^(٢)، والأمير عبدالله بن صلاح الحمزي العفاري، وغيرهم من الأعيان، وأرسل الإمام - عليه السلام -

(١) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل وبقية النسخ، فيما كتبت في النسخ (ف): (متوجها على بركة الله).

(٢) أحد قلعة الجيش.

أيضاً محطة أخرى من عنده مع أمرائه فكانوا فوق أربعة آلاف وجهزم بما يحتاجون إليه وخرج من صنعاء يوم [...] ^(١) وبات في بلاد همدان، ثم منها إلى عمران وبقي فيه..... ^(٢). ثم إلى رينة البون، ثم إلى خمر ^(٣) ثم منه إلى غربان ^(٤) ثم إلى بطنة حجور ^(٥) ثم إلى قرن الوعر، وقد أرسل إليه مولانا الحسين بن أمير المؤمنين - أيده الله - الضيافة والعليق ^(٦) وبقي في قرن الوعر ليلتين، وقد كتب إلى والده الصفي - أطل الله بقله - إلى صعلة يخبره بقدمه ^(٧) ثم من قرن الوعر مراحل ^(٨) إلى حيدان ^(٩) من بلاد خولان، وتلقاه السيد الفاضل المجاهد شمس الدين أحمد بن الهادي بن هارون، وهو العامل عليها بوجوه ^(١٠) خولان، وقد خاف المحدثون فلاذوا به، ولما استقر في حيدان أمر بتسليم ما أهملوه من الواجبات، وانصف المظلومين من جميع الجهات، وأخذ رهاين من بعضهم بالطاعة، وصلح الحال وأقام في حيدان أكثر من عشرين يوماً. ثم تقدم إلى وشحة ^(١١) من أعمال شعب ^(١٢) خولان، وأقام فيها أياماً كذلك ينظم الأعمال، ويقمع الضلال، ويوطي البلاد ثم تقدم إلى بوصان ^(١٣)

(١) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل وبقية النسخ.

(٢) ما بين المعقوفين في الأصل وبقية النسخ (ب)، (ج) فيما كتب في (ف) ويخط غير خط الناسخ: (أياماً).

(٣) خمر: بلدة مشهورة من حاشد تقع شمالي صنعاء على مسافة ٧٠ كم. (الحجري: ١٣٠/١).

(٤) غربان: من بلاد حاشد. (الحجري: ١٠٥/١).

(٥) بطنة حجور: بلد واسع من همدان في الشمال الغربي من صنعاء على مسافة ١٧٥ كم. (الحجري: ٢٤٠/١).

(٦) العليق: ما تعلقه الدابة من شعر ونحوه. (المنجد: ٥٢٦).

(٧) في الأصل، وبقية النسخ: (تقدمه).

(٨) في (ف): (إلى ما بعده) وهي يخط غير خط الناسخ.

(٩) حيدان: من قرى ناحية بني جماعة في صعلة. (الحجري: ٤٧٧/٢).

(١٠) وجوه: وجهاء. (القلموس: ٢٩٦٤).

(١١) وشحة: بلدة من قرى بني جماعة في صعلة. (الحجري: ٤٧٤/٢).

(١٢) شعب: من قرى ناحية خولان بصعلة. (الحجري: ٤٧٧/٢).

(١٣) بوصان: بلد من أعمال صعلة. (١٢٩/٢).

من أعمال بني جماعة^(١) وجانب بلاد بني خولي وأقام أياماً، ودخل يسنم^(٢) ورغافة^(٣) وتلك الجهات، وأرسل إلى بلاد رازح عسكرياً وصلح الحال، واتفق في أيام اقامته في بوصان أن قوماً اغتالوا نفراً فأراد أن يعاقبهم لما أحدثوه بغزوهم لامتناعهم فتحصنوا في مواضع حصينة، وأرسل عليهم عسكرياً قتلوا منهم أنفاراً، وهدموا دورهم وقطعوا أعنابهم، وقتلوا أيضاً من العسكر أنفاراً، ثم قبض رهائينهم، واعتقل منهم وأرسلهم إلى محروس صعلة وعاد إليها.

وأخبرني^(٤) الفقيه الأفضل علي بن محمد بن عشوان العماري، أن رجلاً في هذه الواقعة هم باغتيال مولانا أحمد بأن يرميه بالبنلق وأهلكه الله في ذلك اليوم، نهشته أفعى. قل: والقضية مشهورة في تلك البلاد. انتهى.

وأما السيد إبراهيم فإنه لما بلغه وصول مولانا الصفي - أيله الله - دخل قراض^(٥) وبلاد آل الخطاب^(٦) وبقي فيها أياماً، وراسله مولانا أحمد بالكتابة فيها تذكيره وتحذيره مما يعظم ضرره عليه وعلى المسلمين، فعاد جوابه بالدخول في الطاعة، واستدعى عدة من الفضلاء يصلون إليه، منهم سيدنا العلامة المجتهد الصمصامة عين الشيعة، وشمس الشريعة، أحمد بن يحيى بن حابس الدواري الحاكم، والسيد الفاضل العالم شمس الدين أحمد بن عبد الهادي بن هارون، والقاضي العالم الكامل شمس الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال، وغيرهم من العيون، فلما وصلوا إليه أظهر التوبة مما كان [٦٢/ب] منه من

(١) بني جماعة: من قبائل صعلة. (الحجري: ٤٦٩/٢).

(٢) يسنم: من قرى صعلة. (الحجري: ٤٤٩/٢).

(٣) رغافة: قرية مشهورة من ناحية جماعة في صعلة. (الحجري: ٣٦٩).

(٤) في (ف): (واخيراً).

(٥) قراض: بلدة في بني جماعة بصعلة. (الحجري: ٦٤٨/٢).

(٦) آل الخطاب: من قبائل بني جماعة بصعلة. (الحجري: ٤٧٥/٢).

نكث الأيمان بعد توكيدها، والشقاق الذي فيه تفريق كلمة الحق وتبديدها، وأشهد على نفسه بذلك وأمر القاضي شمس الدين بالشهادة عليه، والحكم بما أظهر من الطاعة، فكتب القاضي حكماً بتوبته، وحكم بها والرجوع عن معارضته وسارت بها الركبان، وكتب بها البشارات إلى جميع البلدان.

وهذه القاعدة التي كتبها وأشهد عليها عنوانها ما لفظه: سيدي المولى أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين، ومن لديه من السادة الكرام والقضاة الأعلام والمشايخ الفخام، وكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، الحمد لله مدبر الأمور على مقتضى ارادته ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(١) المتصرف في مصالح خلقه على مر الدهور بلطف حكيمته من غير موازر ولا ثان، المملك الملك من عند من ملكه في الكتاب مسطور في سالف أزليته، فأنى لغيره سلطان، والصلاة والسلام على الهدى والنور والمبعوث لاعلاء كلمته إلى الإنس والجان، وعلى آله المطهرين أحسن ظهور من رجس الشيطان ومعصيته فهم لأهل الأرض أمان، وبعد فليعلم من على البسيطة من داني الأرض وأقاصيها، من أتهم^(٢) بغورها وأجد^(٣) بصياصيها^(٤)، أن الداعي إلى الله بالمغفرة وراجيها، إبراهيم بن محمد بن أحمد بن أحمد بن عز الدين ثبته الله على قواعد الشريعة ومبانيها، يقول: لما ظهرت الدعوة المتوكلية ظهور الشمس عقب ليل الفتن التي حارت فيها ذوا الألباب، ودان لها ذوا العقول، وخضعت لخضوع الدليل غلب الرقاب، ورفعها المسلمون معزين لها ومكرمين، وذهب إليها العلماء ثباتاً وعزين، ووكل قوماً ليسوا بها بكافرين،

(١) الآية: (٢٩) من سورة الرحمن.

(٢) أتهم: أتى تهامة، المقصود هنا مشى في سهولها. (المنجد: ٦٦).

(٣) أجد: ارتفع. (المنجد: ٧٩).

(٤) بصياصيها: حصونها وجبالها. (المنجد: ٤٤٢).

حتى صارت ماضية لشأنها، قاطعة لعنانها، قائلة بلسانها:

دعوني أجوب الأرض في طلب العلى فلا الكرخ في الدنيا ولا الناس قاسم
وعقد المسلمون للمسرة بها تاجاً، ووهجوا للجدل^(١) بها سراجاً وهاجاً،
ودخل تحت أوامرها المسلمون أفواجا، وجاءوا نحوها أفراداً وأزواجاً، وما ذلك
إلا أن محتملها ينبوع العلم الفوار، وغيث الفضل المدرار، وزبرقان^(٢) الفلك
الدوار، وطراز علاله المعالي والفخار:

عليم رست للعلم في أرض صدره جبال جبال الأرض من دونها قف

ذلك فاتح الأرتاج [١/٦٣] ودرة التاج، المولى أمير المؤمنين، المتوكل على الله
رب العالمين، إسماعيل بن أمير المؤمنين فعند^(٣) أن اختصه الله بالخصايص
الجليلة، ورأيت المصلحة في معارضة مثله قليلة، وكان الله قد أمر بالوفيق،
ورغب فيه وحث عليه، وقال تعالى ﴿أَنْ أَلِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ
عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾^(٤) سلمت ما كنت تحملته من الأعباء الثقيلة،
تسليم راضي لا شبهة فيه ولا حيلة، لوليه وابن وليه الإمام المذكور المشهور،
المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم المنصور:

إذا الأمر هذا لا يليق بغيره فألقى إليه قوسه ومشاقصه

ولا شك أن الله راضي بدعوة إليها قلوب الخلق لا شك شاخصه

ولم يشترط عليه في ذلك تسليم إلا ما شرطه الله عليه ما بقي - أيده الله -
على حالته المرضية، سائراً على الكتاب والسنة النبوية، شعر:

وها أنا قد خففت عني ثقلها على نية الله والله خالصة

(١) للجدل: أصل الشجرة وغيرها بعد ذهب الفرع. (القموس: ٢٥٨٣).

(٢) زبرقان: القمر. (قموس: ٢٤٨٣).

(٣) في (ب): (فغنما).

(٤) الآية: (١٣) من سورة: الشورى، وبدايتها: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى...﴾.

فها أنذا سائرٌ تحت لواء، مهتد بهداه، ملتزم أحكام الطاعة، داخلٌ تحت جمعته والجماعة، على مقتضى ما يريده الحق، من طاعة الأئمة الذين هم أمان الخلق، ما طابقوا مراد الله، والتزموا طاعة الله، فليعلم من وقف على مكتوبي ما التزمته من أحكام الطاعة للإمام، وأن ما تقدم مني من مقتضيات النظر الذي اعتقدت فيه المطابقة لمراد الملك العلام، فإن كنت في ذلك موقفاً لمراد الله فقد ما مضى ما فيه من أجر، وإلا فأنا أستغفر الله وأسأله حسن العاقبة، وإليه ترجع الأمور، والإنسان محل الخطأ والنسيان، والكريم محل المسامحة والغفران، وقد ألزمت النفس طريقة الاقتصاد، والتمسك بالوفيق، وأوقفتها في حلبة السباق، على قصة المصلين وحديثها عن ادراك شأو السباق، ومن سبقت منه إساءة إلى ظن إنني بها قمين، فقد سألت الله أن يغفرها له وهو أرحم الراحمين، وجل من لا عيب فيه، وعلا عن كل قول ذميم، وقل ما سلم من الخدش أديم:

ألا لا أبالي من رماني بريبة إذا كنت عند الله غير مريب

ولا شك أن مثل هذا الأمر لمثلي في هذا الزمن لا يدخل فيه إلا من جذبته أمراس الاغترار، ولمعت له بوارق الأمانى من بين عارض شبه الوجوب، وما هي إلا إعصار فيه نار؛ فعلمت ما كنت جهلته بعد الدخول فيه، وأبقيت بعد الخروج منه أن الله قد خفف عني [٦٣/ب] الأصر، واختار لي ما لا أختار ﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾^(١) وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وسلم.

حررت بتاريخ شهر جمادى الأولى سنة ست وخمسين وألف [يونيو ١٦٤٦م]

وكتب مع ذلك إلى الإمام - عليه السلام -:

(١) الآية: (١٩) من سورة النحل، وبدايتها ﴿فتبسم صلحكاً من قولها...﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^(١) سيدي ومولاي أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، المتوكل على الله رب العالمين، إسماعيل بن أمير المؤمنين -حفظه الله تعالى وحماه وحرسه ووقاه- وأهدى إليه من أخيه في الله الفقير إلى الله إبراهيم بن محمد شريف السلام، وزليف التحية والإكرام، فصدرت معرفة له -أيده الله- بأني ما زلت أستخير الله ونعم المستخار، في كل عشي وأبكار، أن يقضي لي بما هو المختار، في ديني وآخرتي التي هي دار القرار، فقضى سبحانه وهو الناصح الذي لا يغش بالقاء هذا العبء الثقيل وتحميله عليه وابن وليه على محكم كتاب الله وسنة نبيه، من غير أن يشاب ذلك بشائبة من الأمور الدنيوية، بل يكون عملاً من خالص الطوية^(٢)، وقد قضى النظر في باديه بوضع كان أرسلنا به إلى الصنو السيد صفي الإسلام أحمد بن الحسن -حفظه الله- ثم أنه تعقب ذلك ما ذكرناه لكم من صنع الاستخارة، فتقدمنا عقيب ذلك إلى محروس قراض، والقاضي صفي الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال وله العناية التامة في النصيحة لله ولكم، فوجدنا فيها الوالد السيد العلامة المهدي بن الهادي^(٣) -أبقاه الله- وقد تقدم بوضع من الصنو صفي الدين أحمد بن الحسن -حفظه الله- فيه أمان شديد وذكر شيء مما يتعلق بالقراءة، بعد أن كنا أردنا التنبيه عليه -حفظه الله- بما صنعت استخارة الله سبحانه وتعالى فحمدنا الله على تطابق الكل على مراد الله، ثم إنني كتبت إلى الصنو صفي الإسلام -أبقاه الله- بما كانت النية انطوت عليه، وذكرنا له

(١) الآية: (١٣) من سورة الشورى، وتعلمها: ﴿...كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾.

(٢) الطوية: النية والضمير. (المنجد: ٤٧٦).

(٣) كان من المهتمين بالتاريخ وله مؤلف في مجلدين سماه (الإقبال) ولي ذي السفل في إمام الإمام المتوكل على الله إسماعيل، توفي في (جمادى الأولى سنة ١٠٧٣هـ/ديسمبر ١٦٦١م). (الجندي: المجمع الوجيز: ق ١٤٧).

أن النية قد انطوت عقيب استخارته تعالى على التقدم إلى حضرتكم الشريفة المكرمة ليكون ذلك زيادة في الإطمئنان، وحسماً للملحة التي تورث وسوسة في القلوب، أو تسويلاً ممن لا يخاف علام الغيوب، وقد كنا اعتذرنا بادئ الرأي منكم ومنه عن هذا المطلوب، حتى أن الله وله الحمد هيأ ذلك لنا وطلبنا منه وصول جماعة [٦٤/أ] يحضرون على التسليم منا عن رضا واختيار، وذكر له طلب المكتوب منكم -أيديكم الله- على نحو مكتوبه، واعتذرنا عن الكتاب إليكم حتى يقع الكتاب بعد المحفل العام الذي يرضى به الله سبحانه الملك العلام، ثم رجح عندنا أن نقدم بين يدي ذلك هذا المسطور، ونطلب مكتوباً خالصاً للأمان ليس فيه شائبة من تلك الأمور، وهو على النحو الذي وضعه الصنو أحمد بن الحسن، إلا أنه خل عما يخصنا وقرابتنا ليكون العمل على ما قد قضت به الاستخارة لا يكون مشوباً بأمر غيره، فقد صدر إليكم، فلکم الفضل بوضع خطكم عليه وخط من حضر سوحكم الكريم، وإن كانت الغنية بما فعله الصنو شمس الدين -حفظه الله- إذ هو يد من أيديكم عظمى، لكن ذلك زيادة في الإطمئنان والله المستعان، وعليه التكلان، والدعاء وصيتكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حرر في محروس قراض صبيحة يوم السبت خامس وعشرين في شهر جمادى الأولى سنة ست وخمسين وألف [يونيو ١٦٤٦م].

وفي كتاب القاضي العلامة صفي الإسلام أحمد بن سعد الدين -أيده الله- الأتي زيادة على ذلك مما نقله من كتبه الآتية، وبعث إليه مولانا أحمد بالعتاء الكثير، واعتذر عن الوصول في تلك الحال وعن الوصول إلى الإمام -عليه السلام- لثلا يقل ذلك منه رهبةً وطمعاً، ولما صار مولانا أحمد بن الحسن -أيده الله- في صعلة، وقد تلقاه والده الصفي -أيده الله- بالإعظام والإكرام، وأفصح بشكره في المقال، وأنشد بلسان الحال:

رقدت وطاب النوم لي وكفيتني وكل فتى يكفى المهموم ينام

وقد تكاثر العسكر في صعلة، وثقل بقاؤهم فيها، وأكثرهم لا يحتمل أحوال بلاد الشام، فإنها كما قل الإمام الهادي - عليه السلام -:

بني العم إني في بلاد ضريرة قليل وداها شرها متابع
وليس بها مال يقوم ببعضها وساكنها عريان غرثان جائع

فألقي الأمور إلى والده الصفي وعاد إلى جهة اليمن، وكان الإمام - عليه السلام - يحب بقاءه أكثر مما يقع في ما بلغ، ولكنه يرى الحاضر ما لا يراه الغائب، وقد صلح الحل، وأثمرت الأوامر الإمامية - أدامها الله تعالى -.

[ذكر تقدم الإمام - عليه السلام - إلى معروس صنعاء وشهارة^(١)]

وقد ذكرنا تقدمه المرة الأولى إلى صنعاء للقاء السيد إبراهيم وبقي فيها[.....]^(٢) ثم عاد إلى جهة ضوران، وبقي[.....]^(٣) ثم تقدم إلى صنعاء وأقام بها أياماً [٦٤/ب] وكان قد ظهر في كثير من البلاد إهمال الحقوق والتظام، منها في بلاد خولان العالية فإنه امتنع أهل ملاحه عن الزكاة وعن عقوبات بسبب حروب اتفقت بينهم لمفاسد ومنكرات فأرسل الإمام - عليه السلام - عسكرياً فامتنعوا عليهم. فأمر إلى مولانا أحمد بن الحسن أطل الله بقله وكان في صنعاء فخرج عليهم في عسكر وخيل وهدم دوراً وقبض رهائهم بالطاعة وصلح الحل وكان رجل منهم قد تعمد مولانا أحمد بن الحسن - أيده الله - بالرمي بالبندق بعد أن قرب من المحطة المنصورة في غفلة، ونجاه الله سبحانه وتعالى وأخذ الله سبحانه^(٤) ذلك الرامي بعدها بالجذام كما أخبرني الفقيه

(١) ما بين المعقوفين عنوان أضفناه على طريقة النسخ.

(٢) ما بين المعقوفين بياض في الأصل وبقية النسخ.

(٣) ما بين المعقوفين بياض في الأصل، وبقية النسخ.

(٤) ساقطة من (ب).

أحمد بن عبدالله^(١) خصيب الخولاني وغيره، وأرسل الله سبحانه وتعالى عقب ذلك سيلاً عظيماً فأنحرب من الواصي المذكور أكثر ما أنخربه أهل الحق وصار عبرة ظاهرة والإمام - عليه السلام - حينئذٍ في ضوران، ثم إن بني الحارث ومن إليهم من بلاد صنعاء امتنعوا عن بعض الأوامر، فأرسل الإمام - عليه السلام - مولانا محمد بن الحسن - أطل الله بقله -^(٢) بنحو ألف من العسكر المنصور، فوطأهم بذلك العسكر ورفق بهم، وصلح الحال وقد كثر في بلاد شهارة وجهاتها الاختلاف بين الناس كما تقدم، وأقام الإمام - عليه السلام - أياماً [.....]^(٣) وامتدت الضيافات، وكان السيد العلامة (الرئيس) عز الدين محمد بن أحمد بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله قد صنع دعوة حافلة حضرها الإمام - عليه السلام - وأولاده وعيون الناس.

وكان [قد]^(٤) وصل إلى الإمام - عليه السلام - قوم برط، وهم خمسمائة، فتدافع رجل منهم وآخر من أهل الخيمة في الباب، وكان أهل الخيمة كثرة، فافترق الحيان فأما أهل الخيمة فغلبهم عقلائهم ومنعوه من الحرب، وأما أهل برط فأكثروا الرجم والأصوات والجلبة، فخاف أهل المدينة وكثرت منهم الأصوات أيضاً، فأمر الإمام - عليه السلام - مولانا علي بن^(٥) أمير المؤمنين المؤيد بالله بالخروج إليهم لدفعهم وكف المكروه، فلم يندفعوا وقد ركب معه فرسان وصاح صايح لا يعرف ممن كان ابتداءه أن الإمام - عليه السلام -

(١) ساقطة من (ب).

(٢) ما بين القوسين في (ب): رحمه الله.

(٣) بياض في الأصل وبقية النسخ.

(٤) ما بين المعقوفتين أضفناه للإيضاح.

(٥) هو: علي بن الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد الحسيني (١٠١٢-١٠٧٨هـ/١٦٠٣-١٦٦٧). كان عالماً فارساً له اطلاع على أخبار العرب، ولي صنعاء واستمر في ولايتها أربعين عاماً. (زيارة: ملحق البدر الطالع: ١٧٤/٢).

أهدرهم^(١) فأوقع منهم من حضروا ورجعهم أهل الدور منها، وطعن فيهم أهل الخيل، وقتل منهم أربعة أنفار من خيارهم، وصوبوا^(٢) كثيراً منهم وأنتهبت من سلاحهم، فحصل في نفس الإمام - عليه السلام - كثيراً، وكان قد وفدوه قبلها مراراً، وهو في كلها يحسن إليهم كثيراً [١/٦٥] لسابقتهم مع والده - عليهما السلام - ولبعد جهاتهم، وكان قد قل لكبرائهم: قد أكثرتم التردد والناس يتناظرون، فلو قلتم كان أحب إلي أو كمل قل، فحصل معه - عليه السلام - لأجل ذلك تعب حتى قل بعضهم: إنه رآه يبكي فأرضاهم واحتمل الديات، وبالغ في الإحسان إليهم والاعتذار، فعادوا وقد طابت نفوسهم.

[دخول الإمام المتوكل على الله شهارة]^(٣)

ثم تقدم الإمام - عليه السلام - من صنعاء إلى بلد جدر^(٤) من بلاد بني الحارث، ومنها سرى ليلاً فأصبح في عمران ولم يشرب في بلاد همدان الماء كما بلغ احتياطاً وتقززاً من أن يبقى عليهم شيء من باطنهم الخبيث، وبقي في عمران [٥] ثم تقدم إلى جبل عيال يزيد^(٦) ثم منه إلى بيت بني علا من الأكهوم^(٧) ثم إلى السودة^(٨) وقد تلقاه أهل تلك الجهات من شظب وغربان^(٩)

(١) أهدر دعائهم.

(٢) صوبوا: جرحوا، وهي بالعلمية.

(٣) ما بين المعقوفتين عنوان من الحاشية.

(٤) جدر: قرية من ناحية بني الحارث من نواحي صنعاء من جهة الشمال. (الحجري: ٢١٠/١).

(٥) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل وبقية النسخ.

(٦) عيال يزيد: من قبائل ناحية عمران. (الحجري: ٧٨٢/٢).

(٧) في الأصل: (الأكهوم) والأكهوم بلد من جبل عيال يزيد في عمران. (الحجري: ٨٩٨).

(٨) السودة: تقع في الشمال الغربي لمدينة صنعاء، تبعد عنها حوالي ١٠٠ كم وهي سودة شظب للفرق

بينها وبين غيرها من القرى المسماة بهذا الاسم. (الحجري: ٤٣٤/٢).

(٩) غربان: من قرى بلاد السودة. (الحجري: ٤٣٤).

وبلاد جنب والسودة، وما إليها ثم ظليمة^(١) والأهنوم أفواجاً بالضيافات والهدايا والندور والمصارفات، ولقد أخبرني من شهد ذلك أن الإمام - عليه السلام - لا يجد مع المشي موضع قلمه إلا بمشقة لآزدحامهم عليه، وكادوا يتهاكون عند رؤية طلعه الكريمة، وأقام في السودة [٢] ثم تقدم إلى محروس أقر^(٣) من أعمال البطنة^(٤) وأقام [٥] ثم صعد شهارة المحروسة بالله تعالى، وكان أهلها قد طل عهدهم بالإمام - عليه السلام - وضائق صدورهم لاعتياد بقله فيهم فأنسوا به، وكثر الوافد إليه والزائر حتى أنه كسان - عليه السلام - يجعل لكل قوم مكاناً يكونون فيه فيملثونه بقرأ وغنماً وغير ذلك من الضيافات والندور فإذا فرغوا دخل غيرهم وهو مع ذلك يوسع كفايتهم وينزلهم منازلهم.

مما أخبرني بعض المتردين من رسلي وقد وصف كثيراً من سعة صدره وضيافته لكل بما ينبغي من أكثر من ذلك الوصف، وأنه سمع في الليل رسولاً من الإمام - عليه السلام - يسأل عن قوم من وادعة^(٦) فلما وقف عليهم قال: فلان المهتار^(٧) عندكم، قالوا: نعم، فقال الرسول: هذا له عشاء من الإمام يختص به ومصروف ودهنة يدهن بها قلميه وهذه إزار سوداء من صوف الغنم مما يستعمل سجادة للصلاة له أيضاً.

قال الراوي: فسألنا عن سبب ذلك، فقال: إنه - عليه السلام - طلع وادعة

(١) ظليمة: ناحية من نواحي بلاد حاشد في الشمال الغربي من صنعاء على مسافة ١٤٠ كم. الحجري: ٥٦٨-٥٦٩.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل وبقية النسخ.

(٣) أقر: واد شرقي شهارة في بلاد الأهنوم. (الحجري: ٧٨٨).

(٤) البطنة: من بلاد حاشد. (الحجري: ١٢٤٨).

(٥) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل، وبقية النسخ.

(٦) وادعة: من بطون حاشد على مقربة من خمر. (الحجري: ٧٦١/٢).

(٧) لحق مثبت في الحاشية.

مع عوده من زيارة المشهدين المقدسين ظفار^(١) وذيبين^(٢) في أيام الإمام المؤيد بالله - عليه السلام - ففعل إليه هذا المهتر معروفاً، وأعطاه دهنه ودهن قلميه مع [٦٥/ب] حاجته لذلك، ثم مسحهما بإزار له، كذلك سجادة، ومما قيل في ذلك من التهاني:

[أتت بأوتك العليا والظفر
إلى منازلنا والشمس والقمر
وجاء بالبحر إسماعيل كل علا
فالفتح والعز والإقبال متشر
خليفة الله في شام وفي يمن
به الأقاليم والأقطار تفتخر
فدم لنا يا أمير المؤمنين فقد
جاءت بفضلكم الآيات والسور
أحييت دين رسول الله جدك في
شرق وغرب فكم حزب له نصر
فكم علوم وكم جود وكم كرم
ما البحر ما الجواهر المكنون ما المطر
بك العسوم وأهلوها ألو نعم
فكم لربك في أوقاتهم شكروا
هذا عهدا قديم الود من عظمت
لكم محبته والحب مشتهر

(١) ظفار: وهي ظفار داود في بلاد همدان، سمي بداود بن الإمام المنصور عبدالله بن حمزة. (الحجري: ٥٦٤/٢).

(٢) في الأصل: (ذيبين) ونفي بين: ناحية من نواحي حاشد شرقي تبعد عنها ٧٠ كم وفي ذي بين قبر الإمام المهدي أحمد بن الحسين الشهيد (٦٦٥هـ/١٣٦٧م) المعروف بأبي طير. (الحجري: ٣٥١/١-٣٥٢).

له إليكم من الأشواق ما اشتهرت
 ما ليس بالرقم في الأوراق تنحصر
 يرجو الإله بكم جمعاً يذكر بال
 مهد القديم ويحلو الورد والصدر
 فأنما بكم في نعمة شرفت
 يا من علت فوق كيوان له السرر
 يحيي علوم بني النخار أجمعها
 بها يطيب نهار الدرس والسمر
 وفضلكم شامل لأهل ودكم
 فإنه في جميع الأرض منهمر
 فلست أنشد ما قد قال ذو أدب
 إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا
 فدم لنا يا أمير المؤمنين لك ال
 إقبال والفتح والعليا والظفر^(١)

[ذكر ما حصل من الاختلاف في عذر والعصيمات]^(٢)

[١/٦٦] فصل نذكر فيه مقامه - عليه السلام - في شهارة الخروسة وما اتفق فيه من الحوادث.

قد ذكرنا ما حصل من الاختلاف فيما بين عنر، ثم فيما بين بعض العصيمات، ثم بلاد بني عريان من أعمال المير وطريق حيدان، فإنها كثرت

(١) الأبيات من أولها إلى آخرها سقط من (أ)، وأثبتها من نسخة السيد العلامة محمد بن قاسم الوجيه المتوكل رحمه الله تعالى.

(٢) ما بين المعقوفين عنوان أضفناه على طريق النسخ.

فيهم المفسد وظهور المنكرات وقطعوا السبيل، فأرسل عليهم الإمام - عليه السلام - عسكرياً أميرهم الفقيه المجاهد محمد بن علي بن جميل فأتاهم من قبل المشرق ومن جهة الهيجة من بلاد أبي زيد عسكرياً أيضاً من جهة المغرب، فأوقعوا فيهم وانتهبوا أنعامهم وقتلوا منهم وعادوا بالغنائم الواسعة حتى ملئت شهارة وحولها وبلغ ثمن الرأس البقر عشرين كبيراً يأتي أربعة دراهم، والشاة الواحلة درهم واحد فاستقاموا بعدها، وتركوا الفساد وأمنت السبل، وتسمى غزاة ذي غيثان، ومن ذلك واقعة في عنبر ولعلها قبل الأولى فإن الإمام - عليه السلام - راسلهم إلى الانقياد فجمعوا وعاملهم بالرفق فطمحوا، فأرسل عليهم عسكرياً فانتهبوا أنعامهم وأخذوا منهم أسرى، فاستقاموا بعدها وانتهوا عما كانوا عليه وتابوا، وكان أميرهم الحاج المجاهد سرور بن عبدالله مولى مولانا الحسن وتسمى غزاة درب الحجر، وكان هذا درب الحجر مجراناً لذو سلاب^(١)، وكان رأس الفساد فيه رجل يسمى ابن عليا من ذو منصور قد انتهى فساده إلى مكة المشرفة، ووصلت مطالعة الشريف الجليل زيد بن محسن - أيله الله - فيما أخبرني من أجله الفقيه علي بن قاسم الملك الأهنومي وفات المذكور هرباً، ثم وصل إلى الإمام - عليه السلام - بأمان، وأظهر توبة، واستحلفه الإمام - عليه السلام - أن لا يعود، فلما وصل خارج شهارة سأله بعض من يعرف أمره ما فعلت؟ فقال: أعطيته من رأس أصابعي يريد أرضيته باليمين، وأنا عايد لحالي الأول، فأصبح ثاني ذلك اليوم أو ثلثه ميتاً فجأة، وأراح الله منه البلاد والعباد، وبعد أن وطأهم العسكر، وأخذوا منهم رهاين صلحوا، ثم إنه - عليه السلام - خرج بعدها إلى جبل ذري، ثم إلى جانب عنبر، وزار الأمير الشهير مجد الدين يحيى بن الأمير الداعي إلى الله بدر الدين - عليه السلام - إلى الخميس وذلك في شهر [.....]^(٢) من

(١) كذا في الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل وبقية النسخ.

عام [.....] ^(١) ثم إنه تعلق بجبل العصيمات بكثرة عسكر غير أنهم منتشرون على صفة الطائفين في البلاد فارتاع لذلك [٦٦/ب] العصيمات، وعرفوا أنه - عليه السلام - قاصداً لهم، فأقبلوا إليه فلاذوا به وتبركوا برؤيته والتحكم له، وأضافوه وأكرموا من لحق به، ولقد أخبرني من شهد ذلك أنه صار للرجل الواحد رأس من الغنم، ثم خرج من بلادهم إلى حوث.

ومما أخبرني به - صلوات الله عليه - في معرض ذكر الظنون وأنها تخطئ في غالبها بأن قال: إنه كان بلغه وهو في تعز العدنية في أيام أخيه مولانا المؤيد بالله - عليه السلام - بعض المنكرات وذكر حديثاً طويلاً، أفضى إلى أن أغار إلى موضع من بلاد السلمي ولحقه العسكر أرسالاً ^(٢). ولما عاد في الليل وقد لحقه ومن معه تعب، وكان بمن معه من العسكر قوم من العصيمات فذكروا معقلاً في بلادهم يسمى كوكب، فقال قائل منهم: ذلك موضع لا تصله الدولة مذ كان، فقال - عليه السلام - : إن شاء الله نطلعه ونأخذ الحق من أهله.

قال: ثم تدارجت [الأيام] ^(٣)، ولما صارت الخلافة إليه - عليه السلام - وطلع هو وهذا ^(٤) العسكر الكثير، وأخذ قوماً من العصيمات ووصل بهم هجرة حوث لجرابر كانت بينهم، وأقام التناصف بينهم في هجرة حوث مما قضاه الشرع الشريف - أعزه الله تعالى - وزجر قوماً وعاقب آخرين.

قال - عليه السلام - : وكانوا يقولون له: يا مولانا هذا النبي كان تحلة قسّمك في طريق الجند لتطأ كوكباً، فقال - عليه السلام - : مقسماً بالله أني لم أذكر ما كان قلته إلا منهم.

(١) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل وبقية النسخ.

(٢) أرسالاً: مجموعات. (المنجد: ٢٥٩).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من (أ) و(ب) و(ج)، والإضافة من (ف).

(٤) في (ب): (بهذا).

وأخبرني القاضي محمد بن صلاح البشاري العنزي أنه وصل إلى الإمام - عليه السلام - محمد بن ناصر بن مطلق الغريبي، وأخوه هادي بندر فرده إليهم، وقل: بلغني عنهم الربا والمعاملة به، واستتابهم وحلفهم، فما كان نحو أسبوع إلا وماتا وامتحق مالهما. وأقام - عليه السلام - في حوث أربعة أيام ثم عاد إلى معمور أقر وبقي فيه أياماً وطلع شهارة المحروسة بالله في شهر [.....] (١).

[إقامة دار الضرب] (٢)

وفي أيام إقامته في شهارة أمر بإقامة دار الضرب (٣) فيها وجعلها أربعة أنواع درهماً كبيراً على وزن الدرهم الإسلامي في نهاية من طيب الفضة، مكتوباً في أحد جانبيه لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفي الآخر المتوكل على الله أمير المؤمنين إسماعيل وتاريخ الضربة، ومحلها بمحروس شهارة.

والنوع الثاني: قطعة أغلظ منها، وأثقل في الوزن [٦٧/أ] مكتوب في جانبه اسمه - عليه السلام - وشهارة المحروسة، فالثمان من الأولى: حرف واحد، ومن الثانية الخمس منها: حرف واحد، فيكون الحرف من الأولى: ثمان، ومن الأخرى: خمسا.

والنوع الثالث: كل بقشة بقشتين، يكون الحرف منها عشرين كبيراً.

والنوع الرابع كما سبق قبلها من ضريبة الثمن البقشة برأسها والحرف أربعون كبيراً (٤)، وأمر بذلك في صنعاء وكوكبان، وانتشرت في البلاد، وتهادها

(١) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل وبقية النسخ.

(٢) ما بين المعقوفتين عنوان أضفنه على طريقة النسخ.

(٣) دار الضرب: مكان سك العملة.

(٤) بالنسبة للعملة التي ذكرت آنفاً فقد أخرجنا النص كما هو ولم نستطع التوصل في المصادر التي

بين أيدينا على تفسير لأسعار الصرف في هذه الفترة، ونتركه للمختصين والمهتمين بالإقتصاد

لإجراء الدراسات عليه لمقارنة فارق سعر الريال في هذا العصر وبعد حوالي مائة وخمسين سنة

في عصر الإمام المنصور علي بن العباس (١٢٢٤هـ/١٨٠٩م) الذي بات فيه سعر صرف الريال ٣٥٠

حرف. (انظر د/ العمري: مائة عام: ١٥٠).

الناس في أول خروجها وهي النوع الأول التي الدرهم منها خمس وصل به الحاج مكة والمدينة، وكان لها موقع وطارت في الآفاق، وكان فيها هبة له - عليه السلام - قاطعة لطمع الأتراك في اليمن وغيرهم وذكرها الفضلاء في أشعارهم.....^(١).

[رسالة الإمام المتوكل إلى دعاة الباطنية]^(٢)

[٦٧/ب] وبلغ الإمام - عليه السلام - أن من همدان صنعاء وحراز من اتهم ببقائه على باطنهم الخبيث، وأنهم ألحقوا ضلالهم القديم بالحديث، فكتب إليهم مرشداً ومعلماً ومخبراً لهم من موجب السبأ، وإراقة الدماء، وبرهن على الدليل، وأوقفهم على الحق الذي يعرفه كل عاقل، وأتاهم بما هو الحق الذي لا يخفى على العالم والجاهل، فقل - عليه السلام - : بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم صلى وسلم على محمد وآل محمد وارحم وأهد ولقني حاجتي، وأذقني عفوك ورحمتك ولا تحرمني رائحة الجنة يا رحمن، وبعد: فاعلموا أن أوجب الواجبات النصيحة وهي على أئمة المهدي أوجب وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ألزم، لمكان ما تحملوه عن الله وعن رسوله من عهدة التبليغ، وأمانة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأحق ذلك ما حفظ الدين والتقوى، وبلغ إلى منازل رضوان الله الذي هو الغاية القصوى، وأنتم قد اعتزيتم إلى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وانتسبتم إلى محبتهم ولن يتم لكم ذلك إلا باتباعهم في الاعتقاد والقول والعمل، فأما اعتقاد آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) بياض في الأصل بمقدار تسعة عشر سطراً، ويلاحظ انه قد كتب على الورقة أربعة أسطر بخط الناسخ لكنها مطموسة.

(٢) ما بين المعقوفين عنوان أضغنه على طريقة الناسخ.

وسلم فهو الإيمان بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والبعث والنشر والحساب والكتاب، والجزاء بالثواب والعقاب ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِسِهْ تُكَذِّبُونَ﴾^(١) وتصديق جميع ما أنزل الله على رسوله محمد صلى الله عليه وآله بما تفهمه العقول والألباب، واللغة العربية، وأن خطاب الله عز وجل وخطاب رسوله صلى الله عليه وآله لم تجر إلا على هذا الأسلوب ليس فيه تلبيس ولا تعمية ولا كتمان، ولا إخفاء ولا باطن لا تفهمه العقول ولا الألباب، ولا تدل عليه اللغة العربية.

وأما قول أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو ما علمهم الله عز وجل وأنزله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تبارك وتعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا [١/٦٨] أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

وأما عملهم فيما نظمه قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(٣) وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(٤) يعتقدون هذه على ظاهرها ومعناها النبي تدل عليه

(١) الآيتان: (٢٠، ١٩) من سورة السجدة.

(٢) (١٣٦) من سورة البقرة.

(٣) الآية: (٤١) من سورة الحج.

(٤) الآيتان: (٧٨٧) من سورة الحج.

فطر العقول وألباب أهل البصائر، ولغة العرب الفصحى لا يدعون لها باطناً، ولا يدينون بخلاف ما يقتضيه أمرها ونهيها ظاهراً، وقد بعدكم الله وله المنة عليكم في هذا الزمان من مقارنة أهل الضلال، وخدع أهل المكر، ومن يكيد الإسلام، ويريد تبديل الدين، ويغر عباد الله بإدخالهم فيما لا تفهمه عقولهم، ولا تعيه ألبابهم، ولا تقتضيه لغتهم، فإنهم لم يريدوا بدعواهم الباطن غير خدع الجاهلين واضلال العالمين، وابطل خطاب الله عز وجل وخطاب رسوله ﷺ بقولهم: إن للظاهر باطناً على خلافه لا يطلع عليه غيرهم، وانظروا بعقولكم فنحن نحاكمكم إليها، ونحيلكم عليها من أحق بالتهمة الله عز وجل مع ما أظهر من آيات مقدرته، وبينات آياته ورسوله ﷺ مع ما ظهر على يديه من المعجزات، وجرى في تصديقه من البراهين النيرات، أم هؤلاء الذين ادعوا الباطن بمجرد أقوالهم، لا يحيلون ذلك على عقل عاقل، ولا فهم فاهم، فإنه والعياذ بالله إذا صح التلييس في خطاب الله عز وجل وهو (العليم الحكيم)^(١) وجاز أن يريد بكلامه أمراً باطناً لا يعرف وكلامهم الذي ادعوا أنه الباطن أحق بأن تقع فيه التهمة، وتتعلق به الريبة لأنهم ليسوا بأرباب ظهرت آياتهم، ولا أنبياء ظهرت معجزاتهم، وإنما هم من جملة عباد الله وخلقه، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً، لا يدري أحدهم ما ينزل به من فقر ولا غنى، ولا صحة ولا سقم، ولا مرض ولا هرم، ولا موت ولا حياة، وهل يمكن لعاقل [٦٨/ب] إذا صلتق دعواهم أن يتصرف بعقله، أو فهمه أو لغته أو عرفه في نفسه أو في ولده أو في أخيه أو في مملوكه، أو في أي شيء مما خوله الله من نعمه؟ لأن كلامهم ذلك يؤدي إلى أن يحوز الأمر في حق نفسه على أمر باطن مخالف لما يعرف، وكذلك في ولده وماله وزوجته ومملوكه وأكله وشربه ولباسه، وجميع تصرفاته، فكيف يسوغ الإنتفاع بشيء من ذلك، وهو لا

(١) ما بين القوسين في (ب): الحكيم العليم.

يلدري ما حكمه، ولا ما باطنه؟ تأملوا رحمكم الله تعالى ذلك بعقولكم وأفهامكم فما منكم إلا من له عقل وفهم ونظر، وانظروا إلى كتمانهم بدعواهم هذه لو كانت حقاً لما كتموها عن أتباعهم وأسروها في أنفسهم، فإن الحق والصواب لا ينبغي أن يستر:

والستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من يستر

وانظروا إلى ساير المسلمين كيف علومهم منشورة ظاهرة، وغير منشورة لا يستحيون من إظهارها، ولا يغطون شيئاً من أنوارها، فكيف والعياذ بالله يؤثر العاقل قول من لا يدري كيف صحة عقله، فضلاً عن دينه على ما يعلمه من حل نفسه، ويدركه بفهمه، ويطلع عليه بمعرفته، فاتقوا الله واعلموا أنا قد كتبنا إليكم كتابنا هذا إرشاداً لكم، واعداراً إليكم، وقد أنصفكم من حكم فيه عقولكم وردكم إلى أفهامكم وألبابكم، ثم اعلموا بعد ذلك والله المستعان، وعليه التكلان، وهو حسينا ونعم الوكيل، أنا إن سمعنا أو بلغ إلينا أن قائلاً منكم يذكر هذا المذهب الرديء القبيح مذهب الباطن نعوذ بالله منه، أو يدعي على الله وعلى رسوله ما الله بريء منه، فإنه ليس له عندنا بعد ذلك إن شاء الله بحوله وقوته إلا استباحة دمه وماله وحرمة، كما هو حكم الله عز وجل فيمن كان كذلك لا يخاف في ذلك إن شاء الله لومة لائم، ولا عذل عاذل، وأصلحوا عقائدكم، واخلصوا نياتكم، وأعمالكم وتبرؤا إليه مما خالف دينه ودين نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فإنكم بذلك تصلق عليكم كلمة الإسلام، وتدركون إن شاء الله خير الدنيا والآخرة، ويلذ لكم العيش، وتطيب لكم الحياة، وتلقون الله عز وجل وأنتم مؤمنون، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

نعم! ولما وصلت إليهم هذه الرسالة النافعة وما تضمنته الأدلة القاطعة، وتشعشع منها من الأنوار الساطعة، مع الوعيد للعنيد من النكال، واصطفاء

الأنفس والأموال، ظهر في الأرض [١/٦٩] ذكرها، وانتشر في الناس أمرها، فكان لها أثر ظاهر، ولقمع أهل ذلك الباطن الخبيث قاهر، وكان بلغه قبلها أنهم في مواضع من محالم الخبيثة أظهروا المخالفة في العيدين والصيام بالتقديم فيهما والتأخير، كما اشتهر عنهم من الاعتلال بتوليد الأهله، وكذا يفعلون في كل ما خالف المسلمين، كما اشتهر عنهم وظهر في البلاد التي تغلبوا عليها، وأنه ظهر في أيام بقاء مولانا الإمام عليه السلام المرة الأولى في شهارة في تأريخ هذه الرسالة أن منهم إبراهيم بن (محمد) ^(١) المكرمي، دخل الهند واتصل بأهل ذلك المذهب الخبيث وعاد بولاية من كاهنهم المعروف، فأظهر أمره كذلك فنكل الإمام - عليه السلام - بأولئك ونهكهم بالعقوبات، وقبض على هذا المكرمي وصنوه فحبسه في شهارة المحروسة بالله أكثر من اثني عشرة سنة، وقد أظهر مع بقاءه البراءة من الباطنية، وكذا مما لا يعرف الإمام - عليه السلام - صلق توبته، وهو الآن في شهارة المحروسة بالله في تسارخ اثنين وسبعين وألف [١٦٦١م] وظهر لكثير من أهل هذا المذهب الرجوع عنه والتوبة منه، بمعنى ظهر عليهم أثرها، وانتشر عنهم ذكرها، وإن كان قد أظهروا جميعاً ذلك، فمنهم الأمير جعفر بن علي الداعي ^(٢) من بني الأنف وأمرؤهم المشهورون، فإنه رجع وتاب وباينهم.

وأخبرني بعض الفقهاء العدول أنه حج في العام الذي حج فيه هذا الأمير وأنه رآه مخالفاً لهم يعني الباطنية في جميع أمورهم، وأنه رآهم يعالجونه يقف معهم في موضع وقوفهم المعروف وأن يقدم ذلك فخالفهم، وأنهم عادوا من عنده وهم يبكون، ومنهم الشيخ سعيد بن محمد اليعبري ^(٣) كان من كبارهم وأولي المكانة منهم وله اشتهاً في العمل بالباطن الخبيث مما يطول ذكره.

(١) ما بين القوسين ساقطة من (ف)، وهو أحد دعة الإسماعيلية لم أجد ترجمة له.

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) لم أجد له ترجمة.

وأخبرني ولده الشيخ عبدالله بن سعيد^(١) عنه بالتوبة النصوح، وأنه أوصاه.
وأما ولده الشيخ عبدالله هذا فباين الدعوة وخالفهم ودل على عوراتهم،
وصحح إسلامه في حضرة الإمام - عليه السلام - وكتب له الإمام
- عليه السلام - ما هذا نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد:
هدأ لله الذي جعل دينه دين الإسلام ديناً قيماً لا عوج فيه ولا أمّتا، وأظهر من
آياته عليه ودلالته لمن اهتلى إليه ما لا غمّة (فيه)^(٢) ولا فرقة ولا شت^(٣)،
وشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، دلت عليه [٦٩/ب] صنّعتة
البديعة، ورحمته الوسيعة، وأن محمداً عبده ورسوله أيده بالمعجز الصادق،
وأرسله رحمة لجميع الخلايق، وسؤاله أن يصلي ويسلم عليه وعلى أهل بيته
الذين أوضح بهم الدليل، وكشف بهم سلفة^(٤) كل منهج وسبيل، وحكم
على من خالفهم بالهلكة، كما أغرق من لم يركب مع نوح في سفينته، فهم
أمناء الله على التحريم والتحليل، فإن الشيخ الأرشد الصادق الأود عبد الله بن
سعيد بن محمد السبائي اليعبري لما استبان الحق بالبصيرة، واستبان
الصلق بالخروج من ظلمات التعمية إلى ربوة الهلي المنيرة، المثمرة العذبة
المنيرة، بالبراءة من كل اعتقاد أو قول أو عمل يخالف فيه العلانية السريرة،
ودان الله عز وجل بما أنزله من بينات الكتاب المبين، وعلمه على لسان نبيه
صلى الله عليه وعلى آله وسلم من واضحات الدين، وصادعات اليقين،
وحفظه بأهل بيت نبيه الذين قرّنههم بالكتاب حفظاً عاصماً لمن تذكر به عما
يلبس على المهتدين، وهو المنهج الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله وسلم ووصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأهل بيتهما

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) ما بين القوسين في (ف): (ولاحظه).

(٣) شت: تفرق. (المنجد: ٣٧٣).

(٤) سلفة: ظلمة. (المنجد: ٣٢٧).

وذريتهما الذين ائتموا بمن بعدهم لمن فتح الله باب الجهاد، وكفح بعزيمته وجوه الغي والبغي والفساد، ونشر ذكره وفخره على قصر المدة في الأغوار والأنجاد، الإمام الشهيد الولي بن الولي بن الولي زيد بن علي بن الحسين بن علي - سلام الله على روحه الطاهرة، وأرواح آبائه وبركات الله عليهم جميعاً في غدو^(١) كل يوم ومساءه - وأعطانا على ذلك عهد الله وميثاقه، إن العهد كان مسؤولاً، وأعلن عنه وعمن وراءه من قبائله بالتوبة عن الإقتداء بغير أهل الحق تجميلاً وتفصيلاً، كان من الحق الواجب أن يعانوا على ذلك برفع الذكر وإعلان الأمر، وما تقر به العين ويشرح الصدر، من القواعد الشريفة، والشواهد العالية المنيفة، النبوية الإمامية العلوية الفاطمية الحسنية الهاديوية الناصرية المنصورية المؤيدية المتوكلية - أعز الله بها دين الإسلام - وأنفذ بها كلمة الحق التي أظهرها بفضله في الشرق والغرب واليمن والشام، تشهد له ولقبائله الذين اتبعوه على ذلك، ولجأوا إلى سفينة النجاة من المهالك، من اليعابر ومن إليه من أهل سبع هوزن، بالاجلال والاكرام، والرعاية والاحترام، والعناية الوافرة الأقسام، والدخول في جملتنا، والانضمام إلى جماعتنا وشيعتنا، الذين لهم ما لنا وعليهم ما علينا، لا يخالفون إن شاء الله الله ولا لرسوله ولا لنا أمراً ولا نهياً، ولا يضمرون في دين الله الذي بينه وأظهره وأوضحه خيانة ولا كتماً [٧٠/أ] ولا غياً، ولا يدينون الله إلا بما دان به نفسه، وعظم به قدسه، ونطق به كتابه، وظهر به خطابه، ولا سبيل عليهم لأحد من الدعة في شيء من الأعمال وجميع الأحوال، وأمرهم إلينا بواسطة عاملنا ووالينا في واجباتهم وتصرفاتهم وجميع متعلقاتهم [والذي وضعناه]^(٢) لأولاد الأمير إبراهيم بن حسن^(٣) من الحصاة في تلك الجهة يصيره إليهم العامل من يله بعد قبضته من غير سبيل لهم على أولئك القبائل وللشيخ المذكور ما

(١) في (ب): غدة.

(٢) ما بين المعقوفتين، مطموسة في (ل)، والتصويب من بقية النسخ.

(٣) أحد دعة الإسماعيلية لم أجد له ترجمة.

وضعناه لو الله ثم له لا ينقص إن شاء الله عنه ولا يحط منه على حسب التفصيل الذي وضعناه والتمسك الذي حررناه، وعليه أن يستقيم إن شاء الله على مقتضى ما ذكرناه، ويوافق ظاهره فيه باطنه على ما بيناه وقررناه، ونحن نسأل الله لنا وله ولقبائله ولجميع المسلمين الهداية إلى سبيل الحق الواضح، والدين الرابع، والنية الخالصة، والقول الصادق، والعمل الصالح، وأن يصلي ويسلم على محمد وآل محمد ويجعلنا لهديه مهتدين، وبنوره مقتدين غير ضالين ولا مضلين، ولا ملبسين ولا معتدين، كمن قل عز وجل فيهم ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأَلْبَابُ﴾^(١) وحسبنا الله ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على محمد وآل محمد وسلم.

حرر لتأريخ الثالث عشر من ذي القعدة الحرام عام ثمان وستين وألف [١٣] اغسطس ١٦٥٧م].

[ذكر أحداث مكة]^(٢)

وفي عام أربع وستين وألف [١٦٥٣م] ظهر من الشريف مبارك بن شنفر بعد ما سبق من عمه الشريف عبدالعزيز بن إدريس بن حسن بن أبي نجي^(٣) والأمير غيطاس^(٤) صاحب جلة، منازعة الشريف الكبير، والسلطان الشهر، زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نجي - أيده الله - وقد تقدم اعتزأؤه إلى الإمام عليه السلام وتحكمه له، وحيث قد ذكرنا ولاية المذكور، فلنذكر صفة

(١) الأيتان: (١٨١٧) من سورة الزمر.

(٢) ما بين المعقوفين عنوان أضغله على طريقة الناسخ.

(٣) من أشرف مكة وتوفي بمرض الطاعون في مصر سنة (١٠٦٣هـ/١٦٥٢م). (دحلان: خلاصة الكلام ٧٨).

(٤) كان أميراً على الحاج في مكة. (دحلان: ٧٨).

مصير الأمر إليه، وإلى أبيه على جهة الاختصار واعتزائهما إلى الإمام بعد الإمام - عليهما السلام -.

مما أخبرني الشيخ حسن بن نعمان القحطاني، ثم عثرت على صحة ذلك من طرق متعددة، أنه تولى مكة وما إليها الشريف الكامل، والملك العادل حسن بن أبي نمي^(١) ولما مات تولى بعده ولده الشريف أبو طالب وكان أنهض إخوته وأحزمهم [٧٠/ب] مع غلظة فيه عليهم وعلى غيرهم، وكان عظيم الهيبة، وكان أخوه الشريف قاتيبا بن حسن^(٢) كثير الغزو إلى مشارق مكة المشرفة، وكان يغلب وينتصر ثم إنه بدى له أن غزا يام^(٣) إلى مخاليف نجران^(٤) فقتلته يام، ولما ملك الشريف أبو طالب أراد أن يأخذ بثار أخيه، وربما كاتب صاحب صنعاء من ولاية الأتراك - أقماهم^(٥) الله تعالى - وتجهز لذلك بقوة من العمد، وأضعاف من المدد وجمع من أطاعه، وخرج على البلاد المخالفة فذلها وسهل ما عسر منها، فهلك (في موضع)^(٦) من تلك المفاوز^(٧) وكنتم إخوته وأصحابه موته، واثمروا في القايم بعده، واتفقوا على الشريف الكامل عبد مناف بن حسن^(٨) وطلبوا منه أن يقبل منهم الطاعة وأن يقوم بأمرهم، فامتهدل منهم إلى ثاني يوم وفاة أخيه، وقد تفرقوا للمبيت، وكان محطته في جانب من المحطة العظمى، ولما سكن الليل همس^(٩) بخفاف^(١٠) ركابه، ولم يزل يجد السير، حتى

(١) كان من أشرف مكة وأحد كبار العلماء فيها. (ت ١٠١٠هـ/١٦٠١م). (دحلان: ٦١).

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) يام: من قبائل همدان ثم من حاشد، وموطنهم نجران. (الحجري: ٧٣٤/٢).

(٤) نجران: مدينة مشهورة في الشمل الغربي لصنعاء على مسافة ٣٧٠ كم. (الحجري: ٧٣٤/٢).

(٥) أقماهم: أذهم. (المنجد: ٦٥٣).

(٦) ما بين القوسين سلقطة من الأصل (أ) والإضافة من بقية النسخ.

(٧) المفاوز: الفلاة لا ماء فيها. (المنجد: ٥٩٩).

(٨) لم أجد له ترجمة.

(٩) همس: أخف وطأة أثناء السير. (المنجد: ٨٧٣).

(١٠) بخفاف: ما ينس بالرجل (الحذاء). (المنجد: ١٧٨).

فارقهم بنحو عشر مراحل، وصار في مشارف المدينة المنورة، وكتب إليهم: يا بني حسن إنني هربت منكم لا تهلكوني بلمرتكم أظلم لكم وقد الله، وأسبب إلى إيصالكم مطالبكم وعوايدكم بما حرم الله أو كما قال، ففزعوا إلى صنوه الشريف الأكرم إدريس بن حسن، وقالوا له: لا بد مما تلي أمرنا، وتجمع شملنا، فاعتنرهم ثقل ذات اليد فاقترضوا له من أخ له يسمى الشريف فهيد بن حسن، وكان ذا مال معروف بجمعه ثمانين ألفاً من الذهب الأحمر، وكتبوا فيه على الشريف إدريس ضماناً الأشراف.

ولما عادوا إلى مكة المشرفة انفتحت على الشريف إدريس أسباب النفقات والعطايا، وكان معروفاً بالسخاء، فعجز عن قضاء ذلك القرض، وانفقوا أنه يسوق للشريف فهيد من حقه ربع ما حصل من المدخول حتى يستوفي ويكتب عليه ما صار إليه، فلم يحصل الوفاء إلا بعد سنين، فقبل لفهيد: قد حصل لك وفاء مالك، فقال: لا بد من استمرار الربع، وقد صارت أمواله متضاعفة، وتعلقت به الأمل، وعرف الشريف إدريس أنه أقدر منه على النفقات فأجرى عليه الربع، وشرط عليه أن يحمل معه من عوايد السلطان الربع.

ثم إن الشريف محسن بن حسين^(١) خرج من مكة مغاضباً لعمه الشريف إدريس، وله أخبار طويلة، وكان من أهل الفتك والهمة العالية، وغزا وغزي في أخبار ساقها الرواة فيها طول، فصلحه عمه إدريس بتهمة، وبندر القنفذة وما إليها إلى بيش^(٢) من أعمال تهامة اليمن وثقل [٧١/أ] على الشريف إدريس بن فهيد فراسل إلى محسن بن حسين أنك تعود إلى مكة وتعينني على فهيد، وأجرى عليك الربع الذي في يده.

(١) هو الشريف محسن بن حسين تولى ولاية الحجاز سنة (١٠٣٤هـ/١٦٢٤م) هرب إلى اليمن بعد معارك خاضها مع أبناء عمومته حول الحكم توفي بصنعه عام (١٠٣٩هـ/١٦٢٩م). (دحلان: ٦٥-٧٠).

(٢) بيش: واد مشهور من أودية اليمن تصب في البحر الأحمر من جهة تهامة عسير شمالي صبيبا. (الحجري: ١١٣٨).

ولما صار الشريف محسن في مكة المشرفة على صفة الاقتضاب، اجتمع بعمه الشريف إدريس، ثم احتالوا على فهيد، فحاصروه أياماً، ثم أخرجوه من مكة المشرفة، فصار إلى مشارف الحجاز ونواحي العراق يفري العصاة لأجل الأطماع، ثم إنه غزا قوماً من بني خالد فأخذوه أسيراً، واصطفوا أمواله، وأولاده في أخبار طويلة، فهام على وجهه إلى صاحب الروم والتمس منه ولاية مكة المشرفة، وعرف صاحب الروم أنه إذا ولأه احتاج إلى سفك الدماء في حرم الله، وترويع أهل الحرمين، فالحقه بخاصته، وجعل له وظيفة أمير من أمراء مصر، فكان هناك حتى هلك.

وأما الشريف إدريس والشريف محسن فاستمرت أيديهما وقوي سلطانهما، وكان الشريف محسن في حكم الوزير لعمه، وإليه تدبير أكثر أموره، وعظم ذكر الشريف محسن، فرغب الأشراف في ولايته، وخلع عمه إدريس فأجابوه وصالح أمراء الأتراك كذلك، وأخرج عمه الشريف إدريس في عام أربع وثلاثين وألف [١٦٢٤م]، واستولى على ولاية مكة حرسها الله وما والاها، وقد صار الشريف إدريس شيخاً كبيراً فانتهى إلى جبل يسمى شمر من مشارف مكة مشهور بالخشب وكثرة القبائل فلاذ بهم فأووه، وكان هنالك حتى مات في ذلك العام الآتي الذي يليه، واستمرت الولاية للشريف محسن.

[ما حدث أيام المؤيد بالله في الحجاز]^(١)

ولما فتح الله اليمن لمولانا المؤيد بالله بن الإمام المنصور بالله - عليه السلام - كاتبه الإمام فأظهر الموالاتة للإمام - عليه السلام - ووقع بينه وبين الأتراك العداوة، فكان من أمره ما تقدم ذكره في سيرة مولانا الإمام المؤيد بالله - عليه السلام - ولما عاد ولده الشريف زيد بن محسن إلى الحجاز وهو موال

(١) ما بين المعقوفتين عنوان أضغله على طريقة الناسخ.

للإمام - عليه السلام - وقد أمده الله بأمده من المال والرجال، ومات الشريف مسعود بن إدريس^(١) بعد أن ولي مكة نحواً من ستة أشهر، وصار أمر مكة فوضى، فلجتمع الأشراف على الشريف زيد بن محسن، والشريف محمد بن عبدالله بن حسن، فكانا عليها إلى عام إحدى وأربعين بعد الألف [١٦٣٦م] وعاد طائفة من الأتراك - أقماهم الله تعالى - الذين كانوا باليمن، وكان أمراؤهم من أصحاب الباشا الهالك في جده المخرج للشريف محسن من مكة، كما هو في السيرة المؤيدية مستوفى، فراشوا أخاً للشريف أحمد بن عبدالمطلب يسمى نامي، ودخلوا مكة عنوة [٧١/ب]، وقتلوا جماعة من الأشراف مع كثير من غيرهم، منهم الشريف محمد بن عبدالله بن حسن، ونجا الشريف زيد بن محسن وأنفار حتى استجاروا بالمقام النبوي والحرم المصطفوي، وكان هنالك.

ولما خرج الأمراء من أهل مصر على أولئك الذين عبثوا وأفسدوا في مكة، استخرجوا الشريف زيد بن محسن، وولوه وخلعوا عليه، وأعانوه بالمال والرجال، وذلك في أول عام ثلاث وأربعين وألف [١٦٣٣م] وحسده الأشراف وخرجوا عليه، والإمام المؤيد بالله - عليه السلام - يداري من لجأ إليه منهم، وتتبعوا إلى الإمام المؤيد - عليه السلام - وهو يقرر لهم العطاء الواسع، والكفايات الفايضة ويمد الشريف، فمن ذلك أن الشريف عبدالعزيز بن إدريس وإخوته كانوا بمكة المشرفة ويظهرون للشريف زيد الطاعة، وهمهم الخوايل^(٢) والفساد عليه، وكان يروى للشريف عبدالعزيز وأخيه مبارك بعض نسك، فمال إليهم بعض الأشراف، ومناهم الأمير المتولي من قبل الأتراك في بندر جنقة، وهو الأمير غيطاس من عظمائهم بولاية مكة، وأنه^(٣) يعزل

(١) هو الشريف مسعود بن إدريس بن الحسن بن أبي نسي، ولي مكة في صفر سنة ١٠٣٩هـ / سبتمبر ١٦٢٩م، توفي في ٢٨ شهر ربيع الثاني من سنة ١٠٤٠هـ / ديسمبر ١٦٣٠م. (الهي: خلاصة الأثر: ٣٦١/٤ - ٣٦٢).

(٢) الغوائل: الدواهي. (المنجد: ٥٦٤).

(٣) (وأنه) في (ف): وأن.

الشريف زيداً وعظم ذكر ذلك، وكلا الشريف عبدالعزيز يظهر أمره بمكة، وكان ربما يأمر وينهي في مكة قبل أن يظهر أمره، وتوصلاً إلى حصول الاختلاف بينه وبين الشريف زيد فتفرق الأشراف عليه، وقد وعده بذلك أكثرهم سرّاً، ولكنهم ممن لا يقدر على المشاقّة بمكة، والشريف زيد - أيله الله - قد عرف ذلك فتغافل عنه ملة، واستمد من صاحب مصر عسكرياً.

ولما كان في عام أربع وأربعين^(١) وألف [١٦٣٤م] هبط الشريف عبدالعزيز إلى جده، وأظهر أمره، وأمر صاحب جلة بأن ينادي بولاية الشريف عبدالعزيز، وأخذ في مكاتبة الأشراف بالترغيب والترهيب، واتهمهم الشريف زيد بن محسن أيضاً فانقبض عنهم وأقل ذكرهم، وكادوا يخلون عن مجلسه، ثم إنه خرج الشريف عبدالعزيز وصاحب جلة بمضاربهما ومن أجابهما مع رتبة جلة من الأتراك لإرادة الصعود إلى مكة المشرفة، وقد قيل للشريف زيد بن محسن بذلك فسكن في موضعه وجعل العيون عليهم، ثم إنه خف من فرسانهم أنفار إلى حدّه - بلحاء المهملّة - ووصل الخبر إلى الشريف زيد فقام من حينه، وأمر بخنق الطبول^(٢) وما يجمع الأشراف في عادة مكة، وركب فاستل سيفه، وكان أول من حضر عند الطبل المسمى الزير، وقلب فرسه على حركة الطبل وهي الأمانة في عرف أهل مكة، فحضر الأشراف جميعاً، فكانوا كذلك فأغار بهم إلى جهة طريق جلة، ولهم شعار وحامية [٧٢/١] حكى ذلك من شهره، فوجدوا أولئك الفرسان قد رجعوا إلى محطهم الأول، فعاد للشريف زيد بن محسن ظنه في الأشراف، فأوقفهم على أمره يستنصحهم وأفاض عليهم الإحسان، ثم إن الشريف عبدالعزيز والأمير صاحب جلة، قلما إلى قريب من طريق العمرة، وقد جمع الشريف زيد جموعه وأخرج مضاربه إلى خارج الحرم وعسكر هنالك.

(١) في الأصل: (وستين)، والصحيح ما أثبتناه.
(٢) وهي عادة كانت متبعة عند النداء للحرب.

ولما طلوعوا عليه قسم الأشراف من خاصته مثل الشريف الكامل أحمد بن الحارث ذات اليمين وذات الشمال، فكانوا كالجناحين وبقي هو في المضرب المتوسط ظاهراً لم يركب، وجعل في القلب حملة أصحابه، وحصل الطراد ثم الرمي بالبنادق وقتل من الأشراف الذين كانوا مع عبدالعزيز فارسان من عملة أعوانه وأنصار من العسكر، وقد أمر الشريف زيد أصحابه أن لا يعترضوا للأتراك بشر مهما وجدوا إلى سلامتهم سبيلاً خوفاً من العواقب.

وكان لمولانا محمد بن الحسين بن أمير المؤمنين رسول إلى الشريف زيد بن محسن لبعض الأغراض، فوافق هذا الحرب، واستعار من الشريف أو من بعض أصحابه بنادقاً ورمى بها فأصاب أحد الأشراف المقتولين من أصحاب الشريف عبدالعزيز وغيره، وكان هذا الرسول من أهل الخيمة، ثم أصيبت الجمال التي تحمل الماء للشريف عبدالعزيز وللأمير المذكور وعقرت، (ثم آنيتها تقطعت)^(١) فانكفى ماؤهم فأجهدهم العطش والسموم، وانقطعوا من ورائهم، فأنزل الشريف عبدالعزيز إلى الأشراف الذين في اليمين واستجار بهم، ثم فعل من بقي من أصحابه كذلك، وبقي صاحب جلة وأصحابه وكانوا زهاء من^(٢) خمسمائة، فراسله الشريف زيد بن محسن، وأطلق له دخول مكة إن شاء أو العود إلى جلة، فعاد في حكم المؤمن إلى جلة، وكتب الشريف زيد بذلك الواقع إلى صاحب مصر وإلى ملك الروم، وكتب الأمير المذكور كذلك وكان الجواب راجعاً بعزل ذلك الأمير، وإبدال ولاية البندر بغيره رعاية للشريف زيد، ولتسكين فتن اليمن التي قد عرفوا مواقعها فيهم، وكتب صاحب مصر إلى الإمام - عليه السلام - بإرسال ذلك الأمير إلى جلة وفيه خضوع وخنوع من معنى لفظه: وصلد الأمير فلان إن وافقكم وإلا أبدلناه أو كما قال.

(١) ما بين القوسين في (ف). (ثم تقطعت آنيتها).

(٢) ساقطة من (ف) و(ب).

كما أخبرني بعض الأصحاب مكاتبة، وقد تواردت كتب الشريف إلى الإمام - عليه السلام - يطلب منه المدد [٧٢/ب] بالمال ويستطلع رأيه الكريم في معاملة ابن عمه الشريف عبد العزيز فاجابه الإمام - عليه السلام - بما لفظه: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم صل وسلم على محمد وآل محمد، وأعن وأهد لأهدى المرشد يا الله يا رحيم، شد الله أزر دينه الخفيف، وحى حوزة أهل بيت نبيه الشريف، وحفظ حرمة بيته الحرام، وحرس سوح مشاعره العظام، بما أجراه من جميل العوايد، وأحسن به من غيظ كل حاسد، بما طلعه الصنو السيد الشريف الأعظم، وملك أهل البيت في الحرم المحرم، والذاب لمن أراد فيه بلحاد بظلم، والدافع عدوان من أراد فيه أن يسلك فيه سبيل عدوان وهضم، زيد بن محسن بن حسين بن حسن زاده الله من جميل ما عوده وثبته فيما يأتي ويذر، وما يقول وما يفعل، وسلته ورفع شأنه في درجات خاصة عباده وأسعده، وأهدى إليه شرايف التسليم، وزلايف البركات والتكريم، وعواطف العون الإلهي على مقصده الصالح ومنهجه القويم، وبعد: فإنه كان وافانا كتابه الكريم، وخطابه الشريف الوسيم، على يدي الفقيه شهاب الدين أحمد الحسيني بتحقيق ما كان [قد] ^(١) وقع من صاحب جلة من تلك النزعة الشيطانية التي دارت دوايرها عليه.

وكان الله عز وجل وله الحمد بما أمدكم من المعونة بتولي دفعها من لديه، وعوده خائباً بعد أن قتل من قتل من أعوانه، واختيار الله وله الحمد الشهادة للسيد ويس بن محمد - رحمه الله - ورفع في درجات الشهداء من شأنه، ثم تعقبه كتابكم الكريم صحبة المحب المخلص حسن بن علي الصنعاني - بارك الله فيه - بما تجدد بعد ذلك من أخبار، رفع يد المشار إليه عن جده، وما

(١) ما بين المعقوفين أضفناه للإيضاح.

تضمنه من الأغراض المترتبة على ذلك في شأن أهل الأسباب والمسافرين، وتنزيلهم من بندر القنفذة -حرسه الله تعالى- وذكر ما كان اقتضاه الحال من استمداد ما استمددتم من القرضة، وإلى الآن لم يذكر لنا أحد منهم شيئاً من ذلك لحسن ظنهم بوعدكم الكريم، وما يعرفون أنكم لم تستمدوا ذلك إلا لعارض مهم، وتحبون مشاركتكم فيه، ومعونتكم عنده، ولا يفوتهم إن شاء الله ما لديكم، وكيف ومعولهم بعد الله سبحانه في الاستيفاء ممن يقدر قوته على الله وعليكم، وتعقب ذلك الكتاب الكريم الثالث، وتحقيق عزل الأمير الغيطاس، وورود من يقوم مقامه من جماعة الباشا، وأن تلك العوارض إن شاء الله بفضل الله قد زالت [١/٧٣] والأحوال بحول الله وقوته قد انتظمت، وقد حمدنا الله وهو أهل الحمد على جميع ما ذكرتم من تفضلاته عز وجل ومننه، التي من أهمها وأولها اجتماع قلوب أهل هذا البيت الشريف وحرهم المنيف، ثم بما من به من عودة كيد الكايد عليه، ورجوع ضرره إليه، ورجونا أن يجعل الله تعالى ذلك إن شاء الله عنواناً لكل خير في الدين والدنيا، وبلاغاً لكل عمل صالح وتقوى، وكفاً لأكف كل عاد أثيم وحسماً لطمع كل عدو لئيم ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(١)، والفقيه حسن بن علي الصنعاني أدى ما ذكرتم أنكم أودعتموه إياه من القول، وحقق من الأحوال ما نسأل الله صلاحها إن شاء الله في الحال والمال، من كرم الله وعونه وهو ذو القوة والحول، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير، وقد توجه إليكم مصحوب السلامة والكرامة، بما تطلعون إن شاء الله عليه، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم كتب - عليه السلام - إلحاقاً^(٢) في طي ذلك لفظه: حاوي خير

(١) الآية: (٢١) من سورة: الحديد.

(٢) ملحق للرسالة.

إن شاء الله تعالى، وقفنا على الملحق الكريم بتحقيق حل الخاصة، وما لحق من الخاصة، وقد عود الله الجميل وحسبنا الله ونعم الوكيل، ووعد عَزَّ وَجَلَّ باليسر على أهل ملك البقاع الشريفة صادق، وعود الحل لأحسن ما كانت عليه منتظر، فثقوا بوعدته وتوسلوا إليه تبارك وتعالى بما أشرتم إليه من حسن مقصدكم، وحميد صالح نيتكم في صلاح البلاد والعباد وحفظ جوزة هذا الحرم الشريف، والبناء النبوي الحنيف، عن عدوان أهل الفساد فلا تلجأوا إلا إليه، ولا تعتمدوا إلا عليه، وابتشروا إن شاء الله بالظفر وحسن العاقبة إن شاء الله والأثر، فإن العاقبة لمن اتقى وصبر، ولذي التمستموه من الرأي بعد استخارة الله.

أما ما يتعلق بجماعتكم الأشراف جمع الله شملهم، وألف بين قلوبهم، فما يسع إلا احتمالهم كيف كانوا والصبر عليهم، وإن يكونوا فإن لهم أولاً حق الرحم، إنما هم والد وولد وأخ، وهم العدة إن شاء الله على الأعداء والأعدوان عند الحقائق على النوايب (والمرء كثير بأخيه) ومثل هذه الحادثة قد أبانت بفضل الله عن حفظهم لشرفهم، ورعاية حق سلفهم:

فاحفظ أخاك على ما كان فيه ولو

ضائق به النفس واحذر قول كل خلي

وكن حريصاً لما فيه اجماعكم

فإن ذلك أزكى القول والعمل

[٧٣/ب] وقد قال أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب

- كرم الله وجهه - في وصيته للحسنين - سلام الله عليه وعليهما -:

((أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي، بتقوى الله عز وجل، ونظم

أموركم وصلاح ذات بينكم، فإني سمعت جدكما ﷺ يقول: «صلاح ذات البين أفضل عند الله من عامة الصلاة والصيام»^(١).

وأما شأن الرعية والأعراب فإنما يُستجلبون بالرفق والتميسير، ومداوات علل رؤسائهم وكبرائهم، بشيء من الدنيا، ويحسن الوفاء لهم بالوعد واصطناع المعروف، فهم تبع في الغالب لا كما توهم وإنما يتوهم في بعض الأحوال فإنهم لا يرجعون إلى غيرهم عند النوايب، وأما أمر العدو الثالث فاستكفئوه بالله عز وجل ﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَٰ بِأَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۗ وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾^(٢) وبالتوسط في المعاملة بين التفريط والإفراط، ما دامت الضرورة ملحة إلى معاملته ومداجاته لحفظ جملة الإسلام، ومعالم الدين فلا يوحش حتى تخفف العداوة فتحمله على الشطط، ولا يطمع فيخيل الضعف والوهن فيتحكم ويتجراً، وإن كانت حوايل دفاع الله حائلة إن شاء الله بينه وبين ما يروم، ثم انتظر فرج الله يصلح جميع ذلك إن شاء الله. انتهى. وكتب في عام ثلاث وستين [وآلف]^(٣).

وقد عظم حل الشريف مبارك بن شبر بن حسن بن أبي نمي، وهو بقية من عظمائهم، وعملة من زعمائهم، مما أخبرني به مولانا أمير المؤمنين -أيده الله- إن الشريف زيد بن محسن -أيده الله- طالعه في مكاتبة في تحويز إمارة مكة إلى الشريف مبارك مرة، أو قال مرتين وإنه في بعض طلب من الأشراف إقالتهم^(٤) الإمارة وأن يعينها وإياهم لهذا الشريف وأن الإمام (عليه السلام) لم يرد ذلك في كلام ساقه عليه السلام في ذلك فعظم هذا الشريف عند تعيينه،

(١) انظر الغزوني، محمد كاظم: علي -عليه السلام- من المهد إلى الخلد: ٥٩١-٩٥٣.

(٢) الآية: (٨٤) من سورة: النساء، وبدايتها: ﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرص المؤمنين﴾.

(٣) ما بين المعقوفتين أضفناه للإيضاح.

(٤) كذا في الأصل.

وطلب من الشريف زيد أن يجعل له الربع، فلم ير ذلك الشريف وقال: أردتك للجميع وتحمل مؤن الجميع، وتركني أكون في الحجاز، ولا أطلب منك شيئاً وأجاهد العصاة أو كما قل، فخرج هذا الشريف مبارك من مكة لإرادة الشقاق، وكان مولانا عز الإسلام محمد بن الحسين -أيده الله- المتوسط في إصلاحه فلم ير ذلك الشريف زيد بن محسن صيانة لجانب مولانا محمد بن الحسين، لما يعرفه [من] جهل صاحبهم بما يحق له من التعظيم، فلم ير ذلك مولانا محمد -أيده الله- أو قل: إني أخاف من الإمام -عليه السلام- [٧٤/أ] أن ينسبني إلى التقصير، أو كما قل، فوصله إلى خارج مكة وهو معسكر هنالك، فلم يكذ ينصفه في السلام فضلاً عن الكلام، وأظهر غلظة البدوان التي ربوا عليها، وأخلاقهم التي لجأوا إليها، وطلب من مولانا محمد أن يضمن له بما لا يجتمله الحل، وعاوده أخرى إلى ذلك المحل فتكلم بما لا ينبغي، كما أخبرني بعض أصحاب مولانا وتركه وعاد إلى اليمن، ومكث الشريف مبارك أياماً وهلك.

[مراسلة الإمام المتوكل على الله إلى الشريف زيد بن محسن]^(١)

ومن كتب الإمام -عليه السلام- إلى الشريف زيد بن محسن بن حسين -أسعده الله- في ذلك مالفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾^(٢) حامي حمى العترة المكرمة، وراعي وفد الله إلى مشاعره المعظمة، وسيد سادات هذه العصابة النبوية الغراء، وغرة

(١) ما بين المعقوفين عنوان أضفته على طريقة الناسخ.

(٢) الآية: (١٠) من سورة الكهف، وبدايتها: ﴿إِذْ أَوْى الْفِتْيَةَ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا...﴾.

وجه أبناء الوصي والبتول الزهراء، ودره تاج مفخرهم، الذي هو لكسل منقبة أولى وأحرى، الصنو السيد المقام، ملك أهل البيت الكرام، زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نبي بن بركات - برك الله عليه كما برك على آبائه - وشرف قدره وذكره كما خصه بشرف أفعاله وأسمائه، وأهدى لعالي حضرته، وكريم مقله، سلاماً يملأ الأرجاء بضياته، ويصوغ الأنحاء بطيبه وذكائه.

وبعد حمداً لله إليه على سابغ نعمائه، وسؤاله أن يصلي ويسلم على محمد وآل محمد وعترته وأوليائه، فإنه كان وافانا كتابه الكريم، ومسطوره الفخيم، صحبة الولد السيد الأجد العلامة عز الإسلام محمد بن الحسين بن أمير المؤمنين - حفظه الله - مشتملاً على التحقيق، ووصل إلينا الولد عز الدين - حفظه الله - ناشراً مطارف الثناء على ذلك المحل الكريم، والمقام الفخيم، الذي هو بكل مكرمة ومنقبة خليق، وبما نرجوه له من معونة الله التي لصاحبه إن شاء الله تعالى في ما يرومه من صلاح بلاد الله وعباده حقيق مفصلاً نظمه ذلك الكتاب الكريم، مما كان وقع بمن أشرتهم إليهم من الأهل أصلح الله بهم وجمع على التقوى شملهم، ونظم أحوالهم من تلك النظرة التي هي والعياذ بالله نزغة أمر الله بالاستعاذة عندها من الشيطان الرجيم، في قوله عز وجل ﴿وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١). ثم بشر باستبصار المتقين بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا [٧٤/ب] مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٢) وذلك شأن أهل اليقين، مزيلاً لما كان وقع في النفس من الوحشة لتلك الفرط، ومبشراً لما أعاد الله إليه تلك الأخلاق الشريفة ما هو أولى بهم وأحرى، وكيف لا وهم أحق من دخل في السلم، ولم يتبع خطوات الشيطان، وقل خطه: وترونا في الجواب عليك في ما تضمنه الإلحاق رجاء تحقيق انتظام ذلك الأمر، ووقاية شر ذلك الشقاق، فورد علينا كتابكم هذا الأخير صحبة

(١) الآية: (٢٠٠) من سورة الأعراف.

(٢) الآية: (٢٠١) من سورة الأعراف.

محمد بن سعيد الياضي عاملاً للعيون قرة والقلوب مسرة، من عود تلك الألفة الشريفة إلى نصابها وإتيان وجوه الرأي التي رأسها وأصلها اجتماع الأبدان والقلوب على ما فيه رضى الله عز وجل وإقامة الدين كما أمر الله من أبوابها، فحمدنا الله سبحانه حمداً كثيراً على ما منح، وشكرناه وله الشاء الحسن على ما حسم^(١) من أسباب الاختلاف، فإن الله عز وجل يقول لعباده المؤمنين: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢) وفي وصية جدكم أمير المؤمنين وسيد الوصيين لأبويكم الحسنين -كرم الله وجوههم ونضرها- ولن بلغه كتابه أن قل: (أوصيكما وجميع أهلي وولدي ومن بلغه كتابي بتقوى الله عز وجل ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم وإني سمعت جدكما عليهما السلام يقول: «صلاح ذات البين أفضل عند الله من عامة الصلاة والصيام»^(٣)).

وإنما فضله عليه السلام مخبراً به عن الله عز وجل عن علما الصلاة والصيام التي هي من أعظم أركان الإسلام بما أخذ الله على المكلفين من اجتماع قلوبهم وأيديهم على الحق على كل حل وفي كل زمان أو لحقها بالمعارف الإلهية، كما الحق ولاية أهل البيت في قوله عليه السلام: «إن الله فرض فرائض أوجبها في حل وحفظها في كل حل وولايتنا أهل البيت، فإن الله لم يحفظها في حل من الأحوال» يعني في الخوف والأمن والشدة والرخاء والسعة والضيق، والصحة والسقم، بخلاف الصلاة والصيام، فإنهما وإن كانا من أركان الإسلام، فقد تخفف في بعض الأحوال لتخفيف الله عز وجل عن المسافرين عزيمة الصوم والاجتزاء بالقضاء، وعن المريض ونحوه عزيمة القيام في الصلاة والاجتزاء بالعود لها، والإضطجاع والإيماء وهذا في الحقيقة هو أعظم أبواب الجهاد، بل هو ثمرة الجهاد وغايته كما أشار إليه قوله عز وجل: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ

(١) في (ف): (ما حسم).

(٢) الآية: (١) من سورة: الأنفال، وبدايتها: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾.

(٣) الحديث: سنن الترمذي: ٦٦٣/٤.

وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ^(١) فإذا حصل ذلك بمثل ما علم [١/٧٥] الله نبيه ﷺ في قوله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، وَإِنَّمَا يَسْتَنْزِعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ^(٢) فتلك النعمة العظيمة، والمنة الجسيمة، ولا سيما في حق آل رسول الله ﷺ ولا سيما في حق من خص منهم بحماية بيت الله الحرام ومشاعره العظام، وكان على يديه وسعيه وعلو همته أمن وفد الله، وزوار بيته وحفظ حرمة الله، وتعظيم حرماته وشعايره، ذلك ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾، ذلك ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، ومن تعظيم حرمات الله وشعايره اجتماع الأيدي في حمايتها، وإتلاف القلوب على رعايتها، وقد قال أمير المؤمنين -صلوات الله عليه- في وصيته السابق ذكرها: والله الله في بيت ربكم، لا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظروا. فليكن حرصكم حفظكم الله وحاكم على ما يجمع الكلمة، ويمنع الفرقة، ويرد الألفة، ويحرس الشرف، وإن شق فإن التكليف كلها شاقة، ولذلك سميت تكاليف وفيما نرجوه لنا ولكم جميعاً تصديق دعوى الله بالإظهار في الدنيا، والثواب العظيم في الآخرة، ما تعظم به رغبتنا ورغبتكم في الصبر وكظم الغيظ، وصلة الرحم، وحفظ الجماعة، جمع الله شملنا وشملكم، وسر بما يرفعه لنا ولكم من العمل الصالح أهلنا من النبيين والصديقين وأهلكم، فقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «الوالي العادل المتواضع في ظله وفعته فمن نصحه في نفسه وفي عباد الله حشره الله في وفده يوم لا ظل إلا ظله، ومن غشه في نفسه وفي عباد الله خذله الله يوم القيامة».

قال: «ويرفع للوالي العادل المتواضع في كل يوم وليلة كعمل سبعين صديقاً

(١) الآية: (١٩٣) من سورة البقرة، وتعلمها: ﴿...فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾.

(٢) الآيات: (٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦) من سورة فصلت.

كلهم عامل مجتهد في نفسه»^(١)، ومن أعظم العدل والنصيحة حفظ آل رسول الله ﷺ عن الفرقة، والصبر على جمعهم على الألفة، فقد حافظ على الألفة واجتماع أهل الآراء السديلة من العجم والعرب الذين لا يرجعون إلى دين ولا كتاب ولا نبي لما استمرءوا منها من حسن العاقبة وبرد العافية، وشفاء صدور الولي وغيظ قلب [٧٥/ب] العدو، حتى قال معن بن أوس و«الحكمة ضالة المؤمن»، و«إن من الشعر لحكمة»، كما ورد في الحديث المقبول على قائله وآله أفضل الصلاة والسلام:

وذي رحم قلمت أظفار ظغنه بحلمي عنه وهو ليس له حلمٌ
يحاول رغمي لا يحاول غيره وكالموت عندي أن يحل به الرغْمُ
فإن أعفُ عنه أغضُ عيناً على القذى وليس له بالصفح عن ذنبه علمٌ
وإن أنتصر منه أكن مثل رايشٍ سهام عدو يستهاض^(٢) بها العظمُ
صبرت على ما كان بيني وبينه وما يستوي حرب الأقارب والسلمُ
حتى قال:

فما زلت في لين له وتعطف
عليه كما تحو على الولد الأمُ
وصبري على أشياء منه تريبي
وكظمي على غيظي وقد ينفع الكظمُ
لأستل منه الضغن حتى سللته
وقد كان أحياناً يضيق به الجسمُ
فأطفت نار الحرب بيني وبينه
فأصبح بعد الحرب وهوها سلمُ

(١) الحديث: حنبل: ٤٨٢/٢؛ الترمذي: ٥٣/٢.

(٢) في (ب): يستفاض.

وحسبنا الله ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلواته وسلامه على نبيه محمد وآل محمد.
 حرر بتاريخ شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وألف [يناير ١٦٥٣م] بمجروس شهارة - حرسها الله بالصلحين من عباده. انتهى.

[إرسال الفقيه النحوي إلى بلاد ينبع للتعليم والإرشاد]^(١)

وفي عام ثمان وستين وألف [١٦٥٧م] أمر الإمام - عليه السلام - مذكراً إلى بلاد ينبع وما والاها من بلاد الحجاز وجهاتها للتعليم والإرشاد.

وأما قبض الواجبات الشرعية من الأموال فقد دخلت في ولاية الشريف الكبير والسلطان الشهير زيد بن محسن - أبله الله - فأمر الفقيه الصالح التقى الناصح، الحسين بن يحيى بن علي النحوي^(٢) من بقية الفقهاء آل النحوي^(٣) وكان له معاونة إلى تلك الجهات الشامية والحجازية، وأصبحه كتابه (النصيحة الكافية الوجيزة الوافية)، وأمره أن يستصحب من الشريف الأكمل كتباً تتضمن معنى ما أراد الإمام - عليه السلام -، وكتب الإمام أيضاً إلى الشريف بمثل ذلك، فأخبرني الفقيه المذكور أن الشريف عظم عليه الفعل والترك وأطل إرجاء الفقيه المذكور عنده في مكة المشرفة حتى ساء ظن الفقيه، وقد اختلط به بعض مشايخ [١/٧٦] بلاد حرب، وبعض الأشراف، فقالوا له: تمضي بكتاب الإمام - عليه السلام - ونحن معك أو كما قالوا. وقال الشريف مرة بمثل ذلك، فقدم الفقيه المدينة المشرفة، فشاع أن هذا وال للإمام - عليه السلام - فعظم ذكره، ثم وصله أهل ينبع، وبعض مشايخ بوادي البلاد المذكورة، ومضى

(١) ما بين المعقوفتين أضفناه على طريقة الناسخ.

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) آل النحوي: من بيوت العلم في صنعاء. (الحجري: ٧٣٦٢).

معهم إلى ينبع وبلادها، وأقيمت الجمعة، واجتمع إلى الفقيه المذكور فقهاء بلاد ينبع، ودعوا الناس إلى الإمام - عليه السلام - ورفعوا مناره وأعلنوا شعاره، وكتب أعيان السلطنة^(١) إلى صاحب مصر، وربما والي الروم مثل ذلك، ثم إن الشريف زيد تشاغل^(٢) بالمخرج إلى بلاد نجد، وكان له في بلاد المدينة ابن عم يسمى الشريف يعلى بن حمزة يتردد في تلك البلاد وينظر في أمورهما، فاتفق رأيهم أن أرسلوا عن أمر الشريف زيد، وواسطة هذا الشريف من يغتال الفقيه المذكور، وقد عظم على الشريف التظاهر بمعصية الإمام - عليه السلام - وعظم عليه أيضاً أن يُتهم إلى السلطنة.

قال الفقيه المذكور: ولما تفرق من عندنا من أهل ينبع بعد صلاة الجمعة، وصل اثنا عشر نفرًا من أصحاب الشريف زيد وسمعنا بهم، ونظرناهم بعد ذلك، وقيل: إنهم مضوا لمطالبهم من البلاد وولاتها، وكانوا بالقرب منا، ولما تفرق الناس قدموا علينا، ولم يكن عندنا غير صاحب المنزل ونحو ثلاثة أنفار فهجموا علينا فدافعناهم وحصل فيهم إصابات^(٣) قاتلة، أعظمها من الفقيه المذكور فإنه - عافاه الله - قوي البدن، شديد البأس، وحصل في الفقيه شيء وفيمن حضر، ثم وصلت الغارات، فقلّ من سلم من أولئك وهلك بعضهم في الطريق، ثم إن أهل ينبع دافعوا عن الفقيه وخرجوا معه إلى بلاد جهينة^(٤) وشام جبل رضوى، فلجتم إلى قبائل هنالك زيدية، وأرادوا منه إظهار الخلاف على الشريف زيد، وأن يقبض منهم الواجبات للإمام - عليه السلام - وذكروا له كيفية^(٥) في الامتناع عن الشريف زيد، وعن الأتراك - أقماهم الله - وشاع في مصر.

(١) السلطنة: الدولة العثمانية.

(٢) تشاغل: انشغل.

(٣) في الأصل، وبقية النسخ: (صوايب).

(٤) جهينة: من قبائل قضاة. (الحجري: ٢٠٢/١).

(٥) كذا في الأصل.

قال بعض من وصل من مصر بعد ذلك: إنه سمع في مصر أن أول أصحاب الإمام - عليه السلام - في بواديها، وبلغ الإمام - عليه السلام - ذلك فرأى طلب الفقيه المذكور كفاً للشر، وعرف - عليه السلام - أن الشريف زيد - أيده الله - لا يرضى ما يخالف الأتراك ولا يأمنهم، وعاد الفقيه المذكور من طريق بيشة والسراة [٧٦/ب] إلى الإمام - عليه السلام - في عام أحد وسبعين وألف [١٦٦١م] وهذه نسخة ما كتبه الإمام - عليه السلام - للفقيه المذكور:

بسم الله الرحمن الرحيم. وبعد حمداً لله وشكراً، وحسن الثناء عليه بما يجب من تكرير ذكره وتعظيم أمره، وشهادة أن لا إله إلا الله الذي عظم الشريعة وكرمها، وأن محمداً عبده ورسوله الذي فصل الأحكام وعلمها، والصلاة والسلام على محمد النبي هدى به واضح السبيل، وعلى عترته الذين قرنهم لحفظ الحق المبين مع التنزيل، فإننا أمرنا الفقيه الفاضل، سليل الشيعة الأفاضل، شرف الدين الحسين بن يحيى النحوي - أسعده الله ورعاه وبلغه غاية أمله ورجواه - أن يتوجه إن شاء الله إلى الجهات الينبعية والصفراوية^(١) وما والاها، وما أمكنه الهداية والإرشاد فيها وفي سواها ليرشد إلى الخير ويدل على سبيل النجاة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحض على تقوى الله عز وجل، الاعتصام بحبله والإقرار بوحدانيته وربوبيته، وعدله في الأقوال والأفعال، وصدقه ووفائه في الوعد والوعيد، وتنزهه عن مشابهة العبيد، والتمسك بكتاب الله وعترته رسول الله كما دل على ذلك على لسان نبيه ﷺ في قوله: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^(٢) وأن يأمر بإقام الصلاة، وتعلم فرائضها، وفضائلها وطهارتها وحدودها وإيتاء الزكاة من أنصابتها،

(١) الجهات الصفراوية: وهي تقع إلى الجنوب من ينبع.

(٢) الحديث في سنن الترمذي: ٦٦٣/٥؛ وأورده أحمد بن حنبل في مسنده: ١٤/٣.

وصوم شهر رمضان في وقته، وحج البيت الحرام في زمنه، وتحليل ما أحل الله، وتحريم ما حرم الله في النكاح والطلاق والبيع والشراء، ومعاملة بعض الناس لبعض في أداء ما أوجب الله واجتناب ما حرم الله، والاجتماع على دين الله ودعوته وحبه وحب رسوله وحب أهل بيته، كما قال ﷺ: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي»^(١) وأن ينصح المسلمين في جميع أحواله، ويأمرهم كذلك بالتناصح فيما بينهم، والتناصف ودفع الظالم وما أمكنه فصله من الخصومات ورد المتشاجرين فيه إلى الحق من الحكومات^(٢) فقد أمرناه بأن يتولى ذلك ويرشد إليه، ويقوم فيه الحق ويحكم به، وكذلك ما لا يتولاه إلا أهل [٧٧/أ] العلم والبصائر من حفظ أموال اليتامى والمساجد والقرب والمصلح والتولية عليها والحث على حفظها ورعايتها، وانكاح من لا ولي لها، وغير ذلك مما طريقه الولاية من الأئمة والإذن من دعاة الحق وورثة الحكمة، مما نظامه تقوى الله عز وجل وحفظ عهده، والوفاء بعقوده، وما يرجع إلى هذه الجملة، وتكون به إن شاء الله علو كلمة الحق، والدلالة على الصواب، والهداية إلى الرشيد، ونحن نسأل الله أن يصلي ويسلم على محمد وعلى آل محمد ويثبتهم في أقواله وأفعاله، وجميع أحواله ويرشده ويرشد به ويهدي على يديه، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، في تاريخ شهر شوال الكريم من عام ثمانى وستين وألف [يونيو ١٦٥٧م].

وكتب مولانا عز الإسلام والمسلمين، محمد بن الحسن بن أمير المؤمنين مع الفقيه المذكور:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد: فإن حفظنا الكريم، ورسمنا السامي الوسيم، النبوي الإمامي المتوكلي

(١) الحديث سنن الترمذي: ٦٦٥/٥.

(٢) الحكومات: الأحكام.

المحمدي - أعزه الله تعالى وأعلاه وأنفذه في الآفاق وأمضاه وأقر عين المتمسك به وأرضه - يشهد بيد القاضي الأعلم الفاضل الورع المهام الكامل شرف الدين حسين بن يحيى النحوي - أسعده الله تعالى - أنه من خالص أتباعنا وأجل أنصارنا وأشياعنا، يأمر بالمعروف أينما سلك، وينهي عن المنكر أينما ذهب، ويعلم مرشد الدين، ويهدي إلى سنن سيد المرسلين وعترته الأئمة الهادين، ويقوم عنا بهذه الخطة الجليلة المقدار، الحسنة الآثار، في أداني الأرض وأقاصيها، ومعقلها وصياصيها، حسبما يقتضيه ورعه ودينه ويوجبه إيمانه وبقينه، وكما أمر بذلك مولانا أمير المؤمنين وسيد المسلمين المتوكل على الله رب العالمين - حفظه الله تعالى - بما حفظ به الذكر المبين، فليمض لسبيله الأرشد، ومنهجه الأشد، موفقاً إن شاء الله في مقاصده، مسنداً في مصادره وموارده ببارك الله لنا وللمسلمين فيه، وشكر عن الجميع حسن مساعيه، وتولاه بولايته، وشمله بحياطته وكفايته، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، بتاريخ شهر شوال الكريم أحد شهور سنة ثمان وستين وألف [يوليو ١٦٥٧م] وحرر بمحروس ضوران.

إرسال القاضي العلامة الحسن الحيمي إلى سلطان الحبشة

[٧٧/ب] ومن ذلك أنه قد تقدم في سيرة الإمام المؤيد بالله - عليه السلام - مكاتبة من ملك دنيا صاحب الحبشة، وهو ملكها الأعظم، فأرسل إلى الإمام - عليه السلام - مكاتبة وهدية فأجابه الإمام - عليه السلام - بما مر في السيرة المؤيدية.

وكان قد طلب من حي الإمام - عليه السلام - رجلاً يلقي إليه ما لا تحتمله الأوراق، ولا يودع صدور الرجال، مع رجل منهم اسمه سالم، وقد فهم الإمام - عليه السلام - أنه يريد مرشداً وداعية يعلمه القرآن وأركان الإسلام،

فانتهوا فيما بلغ إلى جانب من الطريق وبلغهم وفلة الإمام المؤيد بالله - عليه السلام - وقيام الإمام بعد الإمام فراسلوا إلى ملكهم بما بلغهم، فأمرهم بالمضي إلى الإمام القايم بعد الإمام، ولبثوا في الطريق نحو^(١) السنة كما سيأتي، فلما وصلوا إلى محروس شهارة عمرها الله بالإيمان عظمهم الإمام - عليه السلام - وتابع لهم الإحسان، ثم أرسل معهم القاضي الأفضل، العالم الأعمل، ذا العزيمة الماضية، والهمة السامية، شرف الدين الحسن بن أحمد بن صالح اليوسفي ثم الحيمي - أسعده الله وأطل بقله - وهذا القاضي من عيون الشيعة، وأهل الحلم والكرم والصبر والأنة، والمعرفة لمخالطة الكبراء، وحسن الدعاء إلى الحق، وأصحابه بما يحتاجه من الكتب، ورغب من صحبه في سفره، وأعطاه مطلوبه وهو مع ذلك يعظمهم ويذكرهم بالله ويوصيهم بتقوى الله، وأن يعلموا أولئك القوم بالفعل قبل المقال، وقال فيما قال للقاضي - أيده الله - : لست رسولاً إنما أنت مبلغ عن الله سبحانه، وعن رسوله ﷺ وكثير من نحو هذا وكتب الإمام - عليه السلام - جواباً على السلطان هذه نسخته [أ/٧٨] ^(٢) [ب/٧٨] ^(٣) ^(٤).

[أ/٧٩] [وقد ذكر القاضي - أيده الله - سفره هذا من ابتدائه إلى انتهائه بما هذه نسخته وهو أصلىق راو وأوفى حاكم، وقد كتب الله له ولمولانا (عليه السلام) أجر ما قصدا من الهداية، وعملاً بما ندب الله له رسوله صلى الله عليه وعلى آله إلى الشمالي الحسنة، في قوله عز وجل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ

(١) ساقطة من (ف).

(٢) بياض في الأصل بمقدار تسعة أسطر وكذلك في بقية النسخ.

(٣) الورقة (١٨٨) بياض في الأصل وبقية النسخ.

(٤) الورقة (٧٨ب) كتب على صدرها، ويخط أخذ شكل المثلث ما نصه: (هذا بَحِيث دخول القاضي العلامة حسين بن أحمد الحيمي - أسعده الله - في صفة دخوله الحيشة، عند سلطان الحيشة، وما قاسه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلم تسليماً).

رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴿١﴾ وبقوله تعالى ﴿لَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ ﴿٢﴾ صدق الله العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله على ما آتانا من الإيمان والبلوى، ونصبه لنا من البرهان الموصل إلى التمسك بالسبب الأقوى، وعلمنا من البيان ما يؤثر خيره للأعقاب ويروى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أنور من فلق الصباح وأضوى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أسرى بجسده إلى سدره المنتهى عندهما جنة المأوى، وبعثه إلى العالمين على اختلاف الأديان واتباع الأهواء، فأخرج بغيث هدايته في رياض قلوب أوليائه عشب الإيمان فأصبح للنضارة أحوى، وهشم به نبتة الطغيان فأباد خضراءهم بما شنّ عليهم من شأبيب كل غارة شعواء، صلى الله عليه وعلى آله صلاة تبلغهم بها كل أمل ورجوى، وسلم عليهم سلاماً لا يقحل غصن دوحته ولا يذوى.

وبعد فإنه سألني من وجه إلى أمل الإسعاف، وأمرني من لا يسعني مخالفته على طريق المطابقة والإنصاف، أن أصف له ما ينبغي مذاكرته من سفرنا إلى الديار الحبشية، واتصالنا بملك الفرقة النصرانية والملة المسيحية، عن أمر مولانا أمير المؤمنين، وخليفة الله الداعي إلى كتابه المبين، وأمينه على تبليغ ما أنزله على قلب جده سيد المرسلين، المتوكل على الله رب العالمين، إسماعيل بن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وعليهم أجمعين. وكانت هذه جملة كلية، تشتمل على جزئيات تفصيلية، يتعين تعريف مبتدأها وخبرها، وإيضاح ما أراده السائل من عجائب قصصها وعبرها، فلجبتة إلى ذلك إشاراً لقصده، وقضاء لما ثبت عليّ من حقوق وده، ولما أرجوه من

(١) الآية: (١٢٥) من سورة: النحل.

(٢) الآية: (٤٠) من سورة: الرعد.

نعش أهل الخمول! والحث على ارتكاب الأخطار العظيمة في طاعة الله عز وجل وطاعة أئمة آل الرسول، ولقد ذكرت [٧٩/ب] عند ذلك شعر الحسين بن علي الفخري - صلوات الله عليه - حيث يقول:

وإني لأنوي الخير سراً وجهرة وأعرف معروفاً وأنكر مُنكراً
ويعجبني المرء الكريم نجارهُ ومن حين أدعوه إلى الخير شُمرَا
يعين على الأمر الجميل فإن يسرى فواحش لا يصبر عليها وغيرا

وشجعتني على رقمه في هذه الأوراق أنه ليس من التأليف المفتقر إلى كمال الاجتهاد ولا من التصنيف الذي يتطرق إليه انتقاد النقاد لا يتعلق بروايته معرفة الإرسال والإسناد ولا المعلول بالانقطاع والاعضال، وغيرهما من سائر العلل التي لا يبلغ معها درجة الصحة والكمال، ولا معرفة الجرح والتعديل في أحوال الرجال، وإنما هو إخبار عن مدركات الحواس، وشهادات النظر التي يستوي فيها الكافة من الناس، فلذلك لم أدخل في قول من قل: من صنف فقد استهدف، وأنا أرجو أن يكون لما نويته ورتبته عليه من حسن القصد وبينته لاحقاً بعلوم الدين، ناطقاً أثره بلسان صدق في الآخرين، فإنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى، وبالله استمد الهداية والتوفيق، وأعوذ به أن أكون ممن جذبته الأهواء، فهي تهوي به في مكان سحيق، هو أهل التقوى وأهل المغفرة، وولي الخيرات وموليها في الدنيا والآخرة.

ذكر السبب الباعث على إنشاء هذا السفر إلى ملك الحبشة

وما هنا نشرع في ذكر السبب المقتضى لذلك، وهو أن هذا الملك المعروف بجهة الحبشة والمسمى بلغتهم (سنجد فاسلداس) بن السلطان سنجد سينوس، ومعنى (سنجد) - كما ذكره لي بعض أهل لغتهم: كثير السجود، ومعنى (سينوس) من أسماء الباري عز وجل بلغتهم - وجه إلى مولانا وإمامنا

أمير المؤمنين وسيد المسلمين، ومبيد أهل البدع والمفسدين، المؤيد بالله رب العالمين - سلام الله عليه ورحمته ورضوانه - رسولاً من مسلمي تلك الديار في عام اثنين وخمسين وألف سنة ووجه صحبته هدية من الرقيق والزباد وسلاح الحبشة، وضمن كتابه استدعاء رجل يصل إليه من خاصة الإمام - عليه السلام - ولم يكن لي اطلاع على خاصة سر هذه القضية ومعرفتها، وإنما أخذت ذلك من رواية سيدنا القاضي العلامة غرة علماء الشيعة والعلامة، وجوهرة عقد أعضاء الخلافة والإمامة، شمس الملة والدين، أحمد بن سعد الدين بن الحسين السوري - أطل الله أيامه - سمعته يملئ ذلك على مولانا المتوكل على الله - أيده الله - فكان من جملة حديثه أن قال: إن مولانا المؤيد بالله - سلام الله عليه - لم يستحسن المسارعة إلى [٨٠/أ] إجابة هذا الملك بإرسال أحد إليه قبل المعاودة منه، وتكرار المراسلة، قال: فإن عاد منه كتاب آخر بعد ذلك فلا بأس بإسعافه إلى مطلبه، وانبرم الرأي على الجواب عليه وتأخير الرسول المطلوب من أصحاب الإمام - عليه السلام - فكتب جواب الملك، ووجه مولانا المؤيد بالله - رضوان الله عليه - هدية سنوية، وعطية فخرية هنية، وصدر رسول من الحضرة المؤيدية، مثنياً عليها بلسان الثناء، متملياً من أنوار ذلك الفضل والثناء، وتوجه راجعاً من جهة بندر (المخاء) حرسه الله تعالى.

وقد أمر مولانا أمير المؤمنين المؤيد بالله - قدس الله سره - النايب في البندر المحروس بتجهيزه في المراكب المعدة مع جماعة العسكر المحافظين في ذلك البندر، وإعداد عدة المحاربة في تلك المراكب من المدافع والزبارط مع البنادق المتخنة سلاحاً للعسكر المنصور، وذلك لأجل لخوف من الأتراك الذين بجانب (سواكن) وبندر (مسوع) - أقماهم الله وقطع دابرهم - فوق التجهيز من النايب في البندر على هذا التقرير، ومطابقة ذلك التقدير، وبلغوا به إلى بندر (بيلول) المعروف ببلد السلطان (سنحيم بن كامل الدنلكي) ورجع العسكر

سالمين لم يعرض لهم شيء من جانب الخصم بحمد الله ومنه، وتوجه رسول ملك الحبشة إلى مخدومه بتلك الهدية، والجواب عليه فيما ذكره، وغاب هنالك الرسول المذكور سنة ثلاث وخمسين وما بعدها إلى عام سبع وخمسين وألف سنة، ثم إن الملك المذكور عاود مولانا أمير المؤمنين المؤيد بالله - رضوان الله عليه - بكتاب آخر وهدية أخرى، واستعجل الرجل المطلوب وصوله إليه، وذكر في كتابه ما معناه أن المهداة بالملك ليس هي نفس المقصود، وإنما هي تبع للوصول إلى نيل الغرض بإرسال الرجل الذي استدعينا وصوله، وقد كان سبق قبل هذا وفاة حي مولانا أمير المؤمنين المؤيد بالله رب العالمين ومصيره إلى رضوان الله وما عند الله خير للأبرار، فلما وصل رسول الملك إلى بعد أطراف الحبشة، وبلغه خبر وفاة مولانا الإمام - عليه السلام - أرسل إلى الملك يرفع إليه ذلك، ويعلمه بما بلغ إليه، فرجع له الجواب أن ينفذ لما أمر به، وجعلوا كتاباً إلى مولانا المتوكل على الله - أيده الله تعالى - وأمره الملك أن يبلغ الكتابين جميعاً ليكون كل واحد مؤكداً مضمون الآخر، فوصل ذلك الرسول إلى حضرة المولى المتوكل على الله أيده الله تعالى في شهر^(١) من عام سبع وخمسين وألف سنة، وكان خروجه إلى بندر (المخا) وجاءت طريقه بطن تهامة من جانب مدينة (زبيد) [٨٠/ب] - حرسها الله تعالى - ثم على مدينة (مور) و(الأمروخ) ونفذ إلى (هجر الأهنوم). ووصل إلى إمامنا سلام الله عليه إلى حصن شهارة الأمير المحمية، ومستقر الأئمة، وعملة معاقل الزيدية، فأعظم مولانا - أيده الله - أمره، وأكرم مثواه، وأحسن نزله، فاطلع على كتبه وعرف ما استدعاه الملك من وصول رجل يفيض إليه بسر لا تحمله بطون الأوراق، ولا تطيب نفسه أن يفضى به إلى رسوله، لما يخشاه من الحاسد، ويخالطه من الإشفاق، وكان في هذا ما لا يخفى من الإجمال، والتسبب لأن تتعلق به عظام الآمال، فاختص مولانا - عليه الصلاة والسلام - بذلك

الرسول في بعض مجالسه الخالية، وسأله عما في كتاب الملك، وهل عنده ظن بمراده من ذلك، فقال: الذي يبلغ إليه ظني أنه يريد الإسلام، فلما قال ذلك سر به مولانا -أيده الله تعالى- ولعلت أسارير وجه الوضي، وانبسط نشاطاً خلقه الوضي، وأسر في نفسه أن هذه نعمة جلييلة، وأمر عظيم يتوصل إلى تمامه بكل حيلة، ثم التفت بعد ذلك إلى مشاورة أهل حضرته، واستنصاحهم في ذلك، وما الذي يتوجه فيه من الرأي، فاتفق نظر كثير من أهل الفضل، وأرباب القول والفضل، أن إجابة هذا الملك إلى وصول رجل إليه تجب قطعاً، ويتوجه لزومها شرعاً، حيث قد تعلق الطمع بإسلامه، والانخراط في سلك هذا الدين ونظامه، فإنه يجب إجابة من يظن فيه ذلك، ولو لم يرج إلا صلاحه بنفسه في نفسه، كيف والمعلوم من طريق العادة أنه يتبعه الجماهير، كما ثبت في قصته وحديثه، وقد وقع في ذلك الرأي خلاف من بعض أهل النظر، استناداً إلى ما ثبت لديهم بالفكرة وتقرر، وهو أن هذا الملك الثابت في تحت ملكه، المتقرر لديه أباطيل شركه وزخارف إفكه، لا يغلب على الظن أن هذا المنهج قصده، ولا يجدي فيه عيسه ولا يوري فيه زنده، فأطرح هذا الرأي لما كان القابل به القليل، والترجيح بكثرة الرجال دليل وأي دليل، لا سيما وقد طابق ذلك رأي صاحب الحل والعقد، والإبرام والنقض، المهتمى بهداه، الذي يقصر كل نظر في مصالح الدين عن منتهى نظره ومداه، مولانا أمير المؤمنين -أيده الله- بمواد التسديد والنصر المبين، مع الاستظهار لذلك بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لأن يهدي الله رجلاً على يدك خير لك مما طلعت عليه الشمس» وليس الطريق إلى إمكان الهداية إلا الظن، فاستقر الرأي على وجوب إجابة هذا الملك إلى وصول رجل إليه، يبحث عن سره، ويطلع على حقيقة أمره، وكنت في تلك السنة في سفر الحج إلى بيت الله الحرام، وزيارة الضريح النبوي على صاحبه أفضل الصلوات وأشرف السلام [١/٨١]، وكان من فضل الله عليّ أن هذه الحجّة هي الثالثة، فله على ذلك حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

ولما رجعنا من ذلك السفر الميمون ووصلنا إلى الحضرة المولوية - أعزها الله تعالى - في غرة شهر ربيع الأول من تلك السنة المذكورة، وهذا الخبر شايع أمره، ذائع سره، كنت ممن تشرف بالمفاوضة فيه من مولانا أمير المؤمنين - أيده الله تعالى - وكنت أجبت بما ظهر لي من النظر، وسمح لدي من خاطر الظن الذي حضر، مما يطابق رأي الأكثر، وكان مولانا - أيده الله تعالى - يحرر النظر في تعيين الرجل الذي يتوجه إلى تلك الديار، ويدير في ذلك جلايل الأنظار؛ ولا أدري هل وجه نظره قبل التعيين عليّ إلى غيري أم لا، ثم إنه - أيده الله - أراد أن يخصني بفضيلة هذه العزيمة، ويقلدني القيام بهذه الفريضة العظيمة، وعلمت أنه - أيده الله تعالى - قد أدلى إليّ بحسن ظنه، وأن ذلك من فضل الله عليّ ومنه، فأجبت به إلى ذلك، وسألت الله عز وجل أن يرفع لنا أنوار هذه المسالك، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، ثم إن مولانا - أيده الله تعالى - أخذ في تعيين هدية فخورة، وعارفة تليق بمقامات الملوك، ومكارمه الظاهرة، متنوعة أنواعاً، وأسنى من هدية الملك إليه وأطول باعاً، من خلع الديباج العجيبة، ومطارف الملوك السنية القشبية، والسيوف القاضبة القاطعة، والدروع الفائضة السابغة، والبنادق الفاخرة البالغة، مع شيء من آلات الخيل النفيسة، والأتراس المناسبة لكل حضرة رئيسة، ولما استكمل - أيده الله تعالى - ما يريد من ذلك أمرنا بإرسال رسالتين، إلى الملك عظيمتين، كنت أحب إثبات ألفاظهما في هذه الجملة إلا أن إحداهما ذهبت بحريق النار الذي سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى، والأخرى التي وصلت إلى الملك فاتنا ذلك منها بفواتها من أيدينا، ولم يخطر بالبال رقمها إلا بعد الذهاب، وقد كان مولانا - أيده الله تعالى - أودعنا ما اقتضاه حسن نظره، وكمال تدبيره وهو أن قل: إذا انتهيتم إلى هذا الملك أظهرتم له هذه الرسالة الظاهرة المتضمنة للجواب عليه وذكر

الهدية، وأخرتم الرسالة الأخرى حتى تجتمعوا به في موقف خل، وهو لا بد يفيض إليكم ما عنده من الخبر الذي يريد إلقاءه، فإن وجدتموه يريد ذلك الأمر الذي تعلق به الأمل، وأنه يريد الدخول في ملة الإسلام المشرفة على سائر الملل، دفعتم إليه الرسالة الأخرى، وخضتم معه في ذلك على ما يقتضيه الحال سراً وجهرأ، وإن وجدتموه تائهاً في ضلالتة، سائراً في ظلمات جهالتة [٨١/ب] لا سبيل إلى ولوج النصيحة في لبه، ولا طريق إلى تقرير ذلك في قلبه، أعرضتم عنه صفحأ، وطويتهم عنه كشحأ، والحاضر يرى ما لا يرى الغائب، والحازم من نفعته النصائح وأفلاته التجارب، فاعتمدنا هذه الوصية النافعة، ووجدناها والله الحمد لأسباب الرشاد جامعة.

ذكر ابتداء السفر وتوجهنا من حضرة الإمام - عليه السلام - في غرة شهر جمادى الآخرة مقلمين بين يدي ذلك حسن التوكل، وخالص التوسل، والمبالغة بتقوى الله عز وجل، وتعليق النية بطاعته وطاعة خليفته الإمام الأجل؛ فإن ذلك أبلغ مما يستعان به على نجاح المقاصد الصالحة، ونمو متاجر الخير الراجحة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(١) وكان في صحبتنا جماعة ممن تليق مصاحبتهم في السفر من الشيعة والعسكر، أهل الصبر والرعاية، والمروعة والحماية قدر اثنين وعشرين نفرأ، فيهم نحو اثنى عشرة بندقأ، وكان مرورنا على السيدين الأعظمين، والرئيسين المكرمين، عز الملة والدين وجبل العلم والحلم الشامخ الحصين محمد بن الحسن بن أمير المؤمنين، وصفي الإسلام والمسلمين، وسيف الحق المنتضى على أعدائه المفسدين، أحمد بن الحسن بن أمير المؤمنين - حفظهما الله تعالى - وهما إذ ذاك بحروس مدينة صنعاء - حرسها الله تعالى وعمرها بأهل الإيمان والتقوى.

(١) الآية: (٧٠، ٧١) من سورة الأحزاب

وكان هذا الرسول الواصل من الملك استصحب إليهما كتابين، وما تيسر من الهدية، فلجأ عليه ووجهها إليه ما تسنى من الهدية مضافة إلى هدية مولانا أمير المؤمنين -أيده الله تعالى- فكانت هدية من أسنى الهدايا، وعطية من أجل العطايا، واستقبلنا السفر المبارك على تيسير الله تعالى وتدبيره وهو الصاحب في السفر، والخليفة في المال والأهل والولد ولا يجمعهما غيره؛ لأن الصاحب لا يكون خليفة والخليفة لا يكون مستصحباً.

فلما انتهينا إلى بندر المخاء -حرسه الله تعالى- وكان مولانا -أيده الله تعالى- قد أمر النائب فيه بتجهيز جميع العسكر المحافظين في البندر بأعظم ما يكون من الإعداد في المراكب لما يتوهم أن يعرض من الأتراك -أذلم الله تعالى- وتلقيهم من بندر سواكن وبندر مسوع، ففعل نائب المخاء ما أمر به، وتجهزنا من هنالك في نصف شهر شعبان من تلك السنة المذكورة، وكان جملة سفرنا في البحر يومين فقط، والمسافة مع استواء الريح أقرب من ذلك فإنها قد تقطع في يوم واحد.

ولما وصلنا [٨٢/أ] إلى بندر بيلول وكنا استصحبنا إلى السلطان سنحيم بن كامل الدنكلي صاحب بيلول كتاباً من نايب المخاء، لما بينهما من الإتصال وحسن المعاملة، وجميل المواصلة، وكان هذا السلطان المذكور غائباً حين وصولنا إلى بندر بيلول، فراسلناه حتى وصل، وكنا قبل وصوله ضاربين خيامنا في مكان خارج البلد بينها وبين البحر؛ لأننا كنا أدركنا من أهل البلد تشوشاً من وصولنا فبقينا هنالك حتى وصل سلطانهم سنحيم بن كامل المذكور، وقد كان خرج في صحبتنا جماعة من تجار الحبشة.

ولما وصل السلطان سنحيم بن كامل تلقانا بالكرامة، وسني الضيافة، واطلع على أخبارنا، وعلم أننا نريد الوصول إلى ملك الحبشة، وكان هذا

السلطان سنحيم ممن له اتصال بملك الحبشة؛ لأنه إنما نشأ في ديار الحبشة، وله هناك أهل وأولاد والملك يعده من خاصته وأهل بطانته كما هي قاعدة من هنالك ممن يدعي الإسلام، وليس له منه إلا نفس الاسم الذي لا يترتب عليه شيء من الأحكام، كما سيأتي تحقيقه فيما يعرض من ذكر من يطلق عليه اسم الإسلام هنالك إن شاء الله تعالى.

ولما اجتمعنا بالسلطان سنحيم وقد معه من جيار البدو المتصلين بذلك المحل خلق كثير، منكرين الصور، خالين عن التخلق بشيء من أحكام الشرع الشريف المطهر، وذلك لما شاهدناه من اختلاط رجالهم بنسائهم وكلهم عراة لا يسترون عوراتهم، ولا يتسترون بمنكراتهم، كأن المنكر عندهم من المعروف، والبدع لديهم من الأمر المأنوس المألوف، ولسانهم أعجمي بلغة تخصهم ليست من لغة الحبشة، فكنا إذا خاطبناهم نفتقر إلى ترجمان وقليل معنا من يعرف لغتهم كل المعرفة إلا من كان منهم يتصل ببندر المخاء فإنه ربما عرف اللسان العربي، وكل من يجيء إلينا من هؤلاء البدو المذكورين يريدون مجرد الإطلاع ومعرفة هؤلاء العرب الوافدين، فإذا وصلوا إلينا جعلوا ينظرون إلينا من بعد، وهم يتعجبون بالنظر إلينا، ونحن بالنظر إليهم أعجب ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(١).

ولقد حكى لنا بعض العارفين بلخبارهم أن كبيرهم الذي يقتدون بأقواله متزوج باثنتي عشرة امرأة وغيره يعمل بمثل ذلك على ما ظهر لنا من النقل ممن يعرف أحوالهم، ومع هذا فإنهم يريدون الإطلاع على أحوالنا والتجسس عليها، وهل يمكنهم الوقوف لنا على الطريق التي نمر فيها، والوصول إلى شيء مما في أيدينا، أو غير ذلك مما يفعله [٨٢/ب] المحتربون والأكراد والمتخطفون من أهل الفساد.

(١) الآية: (٤٤) من سورة الفرقان.

وكان من فضل الله علينا وما أمد الله به إيماننا - عليه الصلاة والسلام - من حسن النظر، وكمال الرأي، استصحاب البنادق، فإنها مع صنع الله لنا وبركة مولانا - أيده الله تعالى - دفعت عنا المكروهات، وكانت لنا مع عون الله من أعظم المعونات، ولقد كانوا يعجبون من رمي البندق غاية العجب، وأحسب فيما ظهر لي أنهم يعتقدون أن صاحب البندق إذا رمى يتمكن من متابعة الرمي من غير انقطاع ولا تخلل وقت بين كل رميتين، ونحن مع هذا التوهم نوهمهم صدقه ونحرص أن يظهر لهم خلافه، فما زالوا يتحدثون بذلك وينقلونه لأصحابهم بالأخبار المتداولة حتى شاع فيهم ذلك وذاع، وملاً القلوب والأسماع، ثم إذا بقينا في بندر بيلول هذا قدر شهرين، نلازم صلاة الجمعة والجمعة بالجهر بالخطبة لمولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين - أيده الله تعالى - وصمنا هنالك شهر رمضان المعظم وخرجنا لصلاة العيد، والسلطان سنحيم معنا بجمعه وأصحابه ناشرين الأعلام، مظهرين شعائر الإسلام، وصلينا في جبانة البلد، وخطبنا كذلك خطبة العيد المأثورة مع ذكر الإمام - عليه السلام - والدعاء له جهراً على رؤوس الأنام.

ثم لما كان بعد العيد المذكور بنحو ثمانية أيام توجهنا من بيلول وفي صحبتنا هذا السلطان سنحيم بجماعة من أصحابه نحو ثلاثين نفرأ فقط، وأهل القافلة من الجيوش كذلك ثلاثين نفرأ، وسبب هذا التحير في بيلول أن هذه الطريق كثيرة الأخطار من كل وجه، منها أنها مفاوز منقطعة عن الماء، وإنما يعرف مواقع المياه الدليل الماهر والعارف الخابر، وقليل ما هو، لعدم الاختلاف فيها، ثم إن أهل الأمانة فيهم قليل، فإن الدليل إذا شاء سلك بالناس حيث لا يوجد الماء، فإن شاء أهلكتهم وإن شاء تحكّم في أموالهم بما يريد. ومنها: الخوف من هؤلاء البدو المتصلين بهذه الطريق، ومنها: الخوف الأعظم من القالة - أبادهم الله تعالى - لإمكان وصولهم إلى هذه الطريق، فاحتجنا إلى المبالغة

بنفي هذه المخاوف وسد أبوابها، ومراسلات كبار البدو بنظر السلطان سنحيم، وبذل الأموال لهم.

وبعد أن تقررر هذه الأمور بحسب الظن وقدر الإمكان، توجهنا في ذلك الوقت من بيلول في أرض مستوية كثيرة الأشجار نحو مرحلتين، ثم دخلنا بعد ذلك في أودية بين جبل عالية [٨٣/أ] وفيها ماء جار، وفي هذا المحل جاء إلينا من أخبار البدو أنهم يريدون غزونا في تلك الليلة، فأمرنا الناس في تلك الليلة بالاحتراس، وأن يكونوا على أهبة، فكان من عجائب الاتفاق، أنها جاءت أربعة فيلة في تلك الليلة، فأدركها الحرس وسمعوا حنينها في ذلك الوادي، ففزعوا منها فاجتمع الناس بعضهم إلى بعض، ثم تبين الأمر فإذا هو تلك الفيلة، فرمت عليها البنادق فسمع البدورمي البندق، فأرهبهم وأرعبهم وفرق شملهم، وبدد جمعهم، ولقد أخبرنا رجل عن بلغ إليه حقيقة أمرهم أن قدر الجمع الذين كانوا اجتمعوا لذلك خمسمائة رجل، فسبحان الملك القدير، الذي حالت قدرته بينهم وبين ما أرادوه، واتصل بعد ذلك سيرنا وتوالت أيام سفرنا قدر اثنتي عشرة مرحلة، حتى وصلنا محل يسمى (عين ملى) وهذا المحل وما بعده أعظم خطراً وأكثر مخافة لقربه من القالة - أقماهم الله تعالى وقطع دابرهم - وحال ذلك الوادي من الوحشة وعظم المخافة، كما قال سنحيم بن وثيل شعراً:

مررت على وادي السباع ولا أرى كواذي السباع حين يظلم واديسا

أقل به ركب أتوه بأية وأخوف إلا ما وقى الله ساريا

تنبية: اعلم أن هؤلاء القالة أمة شديدة البأس، متينة المراس، كثيرة العدد، بعيدة الأمد، إذا توجهوا للحرب على أحد من الناس من الكفار أو غيرهم كالمسلمين في مدينة (أوسة) وما إليها فقد يبلغ عددهم نحو مائة ألف أو ما

يوازي ذلك، ثم إنهم مع هذا أهل قوة في أبدانهم، وصبر على طول الأسفار واحتمال المضار، ولقد حكى لي من له خبرة بأحوالهم أن الرجل منهم إذا صرخ بأعلى صوته عند ملاقة الحرب وسمع ذلك بعض الكفار من النصارى انفلق قلبه فيموت من نفس الصوت، وعلى الجملة إن هذه الأمة رأيت أوصافها تلحق أوصاف التتار، فيما نقله عنهم أهل التواريخ والأخبار، وهم مسلطون على نصارى الحبشة من جميع جهاتهم، وأطراف بلادهم، لا تجد جهة من جهاتهم خالية عنهم، وأكثر السبي إنما يكون بأيدي هؤلاء القالة وهو من غيرهم نادر. انتهى.

رجعنا إلى ما نحن بصدده ثم إنا أقمنا في هذا المحل المسمى (عين ملي) قدر شهر كامل، وقد كان هذا السلطان سنحيم قدم رسولاً من هؤلاء البدو إلى بعض أمراء ملك الحبشة المتولي على أقرب قطر إلينا من بلاده يخبره بقدمنا، وأنه يتلقانا إلى محل معين قد عينه له، بمن أمكنه من جموع النصارى، وهذا الكتاب قد كان سبق من أيام إقامتنا في بيلول، ورجع جوابه [٨٣/ب] إلى هذا المحل المسمى (عين ملي) وبعد رجوع الجواب عليه أظهر المسرة العظيمة، وضرب عليها بالبنقارة، واجتمعوا للعب الذي يعتادونه عند حصول المسار، وأراد بذلك السلطان سنحيم تبشيرنا وادخال المسرة علينا، وتهوين الشدة، وتخفيف أثقال تلك المخافة.

ثم بعد ذلك أمر السلطان سنحيم بالرحيل، فارتحلنا وهو في صحبتنا وسار معنا بعد ذلك قدر خمس مراحل، ثم إنه أشعرنا أنه يريد الرجوع من هنالك؛ لأنه إذا جاوز ذلك المحل لم يتيسر له العود منفرداً بأصحابه خوفاً على نفسه ومن معه؛ لأنه في التحقيق لا يتم له السلوك في هذه الطريق، إلا مع انضمامه إلينا، وتقويه بقوتنا التي أمدنا الله بها وألقاها في قلوب الناس فضلاً منه

ونعمة علينا، ثم إنه جمعنا نحن وأهل الحبشة الذين في القافلة، وأخبرنا أنه يريد أن يجعل معنا من يدلنا في الطريق، ويجنبنا مخاوفها وأخطارها، وكان هنالك ثلاث طرق:

إحداهن ظاهرها الأمان من القالة، والثانية: تجوز فيها المخافة منهم، والثالثة: مقطوع بخوفها وخطرهما؛ لكونها في جانب القالة وبين مراعيهم ومخاليقهم، فاختلف رأي أهل الحبشة في الطريق، فرسول الإمام عليه السلام الواصل إليه بكتاب الملك يريد سلوك هذه الطريق المأمونة، وإن كانت بعيدة المسافة، وسائر أهل الحبشة يريدون سلوك الطريق الوسطي مع تجويز بعض الخوف، وكلهم لا يريدون سلوك الطريق الثالثة، فقال السلطان سنحيم: لجعل لكل فريق منكم دليلاً يدلّه على طريقه التي يريدّها، فطلب لنا رجلاً جمع بيننا وبينه، وأخذنا عليه عهداً أنه لا خائناً ولا غدرنا، ولا سعى لنا فيما فيه ضررنا؛ ولأهل الحبشة رجل آخر كذلك، ثم قال لنا بعد ذلك: يكون مسيركم أنتم وأهل الحبشة مرحلتين مجتمعين، ثم تفترقون بعد ذلك، فدليلكم يدلكم في هذه الطريق المتواطئ عليها، وأهل الحبشة في طريقهم كذلك، فقلنا له وللدليل: هل بقي بعد هذا المحل أحد من البدو نخاف اعتراضه لنا في الطريق فنطلب منه الصحبة أم لا؟ فقال هذا السلطان سنحيم وهذا الدليل المذكور: ليس بعد هذا إلا أرض مقفرة حتى تصلوا أرض الحبشة، فتودعنا السلطان سنحيم وأصحابه في ذلك المحل، وعزّمتنا على سيرنا مع ذلك الدليل، وكنا جميعاً نحن وأهل الحبشة بناءً منا أنا لا نفترق عليهم إلا بعد يومين كما ذكره السلطان سنحيم، فاستمر بنا السير كذلك ثلاث مراحل متوسطة ليست بالكبار ولا بالصغار، وانتهينا إلى جنب جبل عظيم أبلغ ما يكون من العظم في الانبساط والارتفاع [٨٤/أ] ووجدنا هنالك بحيرة يتصل ماؤها بذلك الجبل،

وبجبال آخر من أطرافها، ماؤها ملح زعاق، طولها وعرضها مستويان، وقياسها
بالمساحة نحو بريد كامل أو يزيد عليه قليلاً فيما يغلب به الظن، فلما وصلنا
ذلك المحل رأينا من الدليلين مسارره في القول، وأدركنا منهما دلائل الخيانة،
فطلبنا دليلنا ولاطفناه في العبارة، ومهدنا له في القول، لعلمنا أنه قد صار
المتصرف بنا كيف شاء، فلم يجب علينا بجواب تطيب به نفوسنا، وإنما هو
يغالطنا ويماطلنا فتحيرنا في ذلك المحل ثلاث ليال، على ما فيه من عظم
الوحشة، وكثرة السباع في الليل، وخوف القالة، ففي ذلك المحل وما بعده كنا
إذا أردنا إيقاد النار تحيلنا في سترها عن جانب القالة، إما مكان مطمئن أو بأن
نجعلها جنب صخرة أو نحوها؛ لأنهم يرون النار فيغزون عليها، ويترصدون
المسالك، فلم نشعر ونحن في خلال هذه الإقامة جنب ذلك الجبل، إلا وقد
انصب علينا من أعلاه ثمانية أنفار، فوصلوا إلينا واجتمعوا مع الدليلين
في جانب منا يتشاورون في الحديث بما يضمرونه من السر الخبيث، وأظهروا
لنا أن هذه البلاد بلاد هؤلاء القوم، والتصرف لهم فيها مثل غيرهم من البدو
الذي مررت عليهم، وهم يحتاجون إلى صحبة، ويعزمون مع القافلة، فقلنا لهم:
أليس قلتم لنا: إنه لم يبق أحد في هذه الطريق عن نخاف اعتراضه وتحكمه فينا.
فكيف ظهر لنا خلاف قولكم؟ فقالوا: ما شعرنا نحن بهم إلا حين وصلوا،
فكان حدوث ذلك علينا وعلى أهل القافلة من أعظم الخوف، خشية أن
يفضي بنا الحال إلى غير ذلك بعد أن ظهر لنا خيانة الدليلين، وأنهما لا أمانة
لهما، فصرنا في حيرة عظيمة، لا يُطلب في تفريجها إلا الله عز وجل، ولا نرجو
غيره لذلك الحادث الذي نزل، ولم نجد بداً من تسليم ما تيسر من المال
لأولئك الجماعة. ثم ارتحلنا ونحن نسألهم عن الطريق التي نريد سلوكها، فما
رأيناهم سلكوا بنا إلا طريقاً واحداً، فتركنا سؤلهم عن ذلك، وشغلنا عنه

التفكر فيما ينتهي إليه حالنا مع هذين الرجلين الخائنين الناكثين، فإثما نحن نظن أنا نساق إلى الموت، وكنا في سيرنا نتوجه إلى ما بين القبلة وجهة المغرب، فرأينا الطريق قد مالت بنا إلى جهة المغرب مقابلة، ثم بعد ذلك مالوا عن المغرب قليلاً، فعلمنا أنهما قد تاهتا بنا في غير الطريق المقصودة، وأنهما قد عزما على الخيانة ونكث العهد وقد كانا قلما إلينا من القول، أن نحمل الماء لمسافة يومين، فلما انتهينا [٨٤/ب] في هذه المرحلة إلى المحل الذي فيه النزول، وكنا نحن في أعقاب القافلة والدليلان في أولها، فوصلنا وأهل الحبشة قد توثبوا على هذين الدليلين، وأولئك الجماعة الذين معنا وقالوا لهم: قد غدقتمونا وهذه الطريق هي التي نحن نفر منها، وهذه محل القالة ومراعيهم، فلم يجيبوا عليهم، إلا أن قالوا: أما غير هذه الطريق فليس فيها شيء من الماء، فلم نرجع بعد ذلك إلا إلى الله عز وجل والتوسل إليه ببركة إمامنا - عليه السلام - فهو أفضل ما به نتوسل، واختلف الرأي بيننا وبين أهل القافلة بما لا تسعة هذه الكراسية، وقطعنا بحصول الهلاك، إما بالعطش، أو بالجوع لنفاد الزاد أو بأيدي القالة أو نحوهم، فأصبحنا ذلك اليوم نسير في تلك الطريق، وقد كان أمير الملك الذي سبق إليه كتاب السلطان سنحيم قد أرسل رسولاً يقف في أعلى جبل عدل يستطلع أخبارنا، وهل يرى ما يدل على ظهورنا من أي جهة، إما بظهور نار أو نحوها، وقد أعد ذلك الرسول زاداً معه وصار يتنقل في جبل تلك الأماكن، وقد كان أدرك ظهور النار في شاطئ تلك البحيرة التي قلنا ذكرها من رأس جبل عدل على قدر مرحلتين للبريد، ومعه جماعة قد استصحبهم ممن يخالط القالة، وهذا الرجل خبير بتلك القفار معاود فيها التسيار، يستحق أن يقل فيه المثل السائر: أهلى من دعيمص الرمل، فأصبحنا ذلك اليوم إلى واد فيه ماء جار، وهذا الوادي ترعى فيه القالة

في أكثر أحوالهم، إلا أنهم كانوا في ذلك الوقت في جانب بعيد عنه، بسبب أنهم في العادة ينقلون مواشيهم لطلب المرعى، ولما أراد الله عز وجل لنا من السلامة، فلما رأنا هذا الرجل دخلنا الوادي الحدر إلينا من الجبل بمن معه، ولما بصرنا به منصباً إلينا فزعنا منه، واعتقدناه عدواً يريدنا فتأهبنا للمقاتلة، وأمرنا أهل البنادق بإحضار أنفسهم فرأينا أحدهم قد انفرد قبلهم يشير إلينا، ويتكلم بلسان الحبشة، يعرف قوله من كان معنا من أهل الحبشة، وعلموا أنه رسول ذلك الأمير، فقالوا: لنا البشارة هؤلاء أصحابنا، فكان ذلك من الفرج بعد الشدة، ثم إنا ما شعرنا بهؤلاء الجماعة الذين خانونا إلا وقد انسل بعضهم هارباً، ولم يبق منهم إلا رجل فأسره أهل الحبشة، وربطوه، وقالوا: تأخذون منه المال الذي قبضه، فلم نستحسن ذلك، وأبقينا عليه لأجل ما نخشاه من العود في الطريق، وأن تكون عاقبة المضرة عائلة علينا.

ولما وصلنا هذا الماء في ذلك الوادي، وشربنا منه مواشينا هلك بعضها لانقطاع بطونها من كثرة الماء الذي شربته، ثم إن هذا الرجل الذي [٨٥/أ] وصل إلينا أخبرنا بأخبار سارة، وهي أن الأمير الذي بعثه أمره أنه متى اتفق بنا بعث إليه رسولاً يعلمه ليتلقانا بعسكره، ففعل كما أمره، وأمرنا بسرعة الارتحال من ذلك المحل، وأمر أصحابه أن يكونوا في أعالي الجبل من يمين وشمال ليكونوا عيوناً، وأحسن التدبير فينا، وكان ينزل بنا في أماكن حصينة لا يكاد يرتقيها القالة لأنهم يذكرون عن القالة أن الذي يلوذ بالجبل لا يطلبونه ولا يعباون به، وإنما يأخذون من وجدوا في سهول الأرض، فكان ذلك الخبر عنهم يؤنسنا، ويشد عزيمتنا مع حسن التوكل على الله عز وجل، وما نحن عليه من اليقين والالتجاء إليه، والاعتماد عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وإلا فإن الحلال أعظم وحقيقته مما لا يضبطها القلم، واستمر بنا السير في صحبة ذلك

الرجل ومن معه قدر أربع مراحل، ثم اجتمعنا بهذا الأمير المذكور المسمى بلغتهم (أحد أنبسه) ومعنى هذا الاسم واحد من الأسود هذا اسمه العلم، ولقبه بعل جاعة وهذا اللقب يسمى به كل من يتولى ذلك القطر من قبيل ملك الحبشة.

ولما وصلنا إليه وجدناه متعلقاً بجبل صعب المرتقى، فلما رءأنا انحدر إلينا واجتمع بنا في بطن الوادي، وضرب فيه خيمة، واجتمعنا به فيها، ولما ضربت البنادق وفيها الرصاص وكان لها صوت عند خروجها هالهم ذلك، واستعظموه، ولقد رأيناهم مع جمعهم العظيم إذا ضربت البنادق انحطوا برؤوسهم راكعين نحو الأرض، ولما وقعت أبصارنا عليهم رأينا صوراً قد أذهبا الله عز وجل، والبسهم لباس الصغار، وهم ينظرون إلينا كالمبهوتين، ويتسللون تسلل الأذلين، كأن السلطان لنا عليهم، وهذا الأمير رجل أشيب، مكشوف الرأس على قواعد أهل الحبشة، مطول الشعر والأظفار، أشبه شيء بكبار القردة، غير أنني رأيت بعد أن عرفت حل غيره أحسن أهل الحبشة رأياً، وتدبيراً، وصبراً، وسياسة، وقد كان استصحب معه من الطعام المصنوع، والدقيق ما يقضى به حاجة الناس، فأمر إلينا بذلك، ثم قال: يأكل الناس من الطعام الحاصل، ولا يصنعون شيئاً من الدقيق، لأن الإقامة مقدار الاشتغال بمعالجة الطعام فيها خطر عظيم، ففعل الناس ذلك وأسرعوا في الارتحال، ثم استمر سيرنا صحبة الأمير (بعل جاعة) قدر خمس مراحل، حتى وصلنا أول بلد من بلاد الحبشة، وهي قرية بين جبلين عظيمين عندها نهر عظيم، يسمى (وسمة) - على وزن زئمة - في ولاية هذا الأمير المذكور [٨٥/ب] وهي طرف بلاده، وثغر من ثغورها عليهم إلزام حراسة القالة في كل شهر عشرة أنفار، يتناوبون في جبل يسمى (كحل)؛ لأنه على مسلك القالة لا ينفذون إلى بلاد النصارى من غيره، فإذا

علم هؤلاء الحرس بتوجه القالة تولوا إلى قومهم منذرين فيلوذون بالهرب إلى رؤوس الجبال ويخلون بينهم وبين بيوتهم، وما ثقل من الأموال.

تشبيه: اعلم أن هذه العبارة السابقة لم تشتمل على ما لا ينبغي إغفال ذكره من صفات هذه البلاد التي كان سفرنا فيها من (بيلول) إلى بلاد الحبشة، وما قاسيناه فيها من الشدة الشديدة، والأهوال العديدة، فأعظمها بعد النبي وصفناه من الخوف انقطاع الزاد بسبب إقامتنا الطويلة في (بيلول) ثم في (عين ملي) مع تحيرنا في غيرهما مقدار اليومين والثلاث، وهذه التحيرات ما كانت معروفة لنا في أول سفرنا، فنعد لها الزاد المبلغ، فاستغرقتنا الزاد مع هذه البحيرة تجوزنا السفر كل يوم. ولما تقاصر الزاد وكانت هذه البلاد لا يعرف فيها وجود الطعام ولا يزرع فيها شيء من الحبوب، وإنما نفقاتهم اللبن والسمن واللحم، وكنا نحن ومن معنا لا نعد ذلك من معتاد النفقة، على أنا قد اعتمدناه لعدم غيره حيث نجده، وفي أكثرها هو غير موجود، إلا أنا في هذه البلاد المقفرة نشترى لها الغنم، ونعدها معنا ونذبح منها، ولكن فلم ينفع ذلك كنفع الطعام، ولا دفع المشقة التي أوهنت القوى، وأنحلت الأجسام، ولقد كان جماعة العسكر يتتبعون ثمر الأشجار، وأكثرها نفعاً لهم ثمر الدوم المعروف بالبهش، وليس بالدوم الذي هو ثمر السدر، وكانوا يستصحبونه زاداً في بعض المراحل حيث يخشون انقطاعه، ثم بعد هذه حقارة الماء، وانقطاعه في كثير من المراحل فقد نحمله في بعضها ليومين كاملين، ولا نجده إلا في الثالث، ثم إن في خلال إقامتنا في عين ملي تلك المدة الطويلة، كانوا يأتون به من بعد على مقدار نصف البريد، حتى إن الذي يغدوا للماء بعد صلاة الفجر لا يرجع إلا وقد آن وقت الظهر، ومع هذا كله سوء مخالطة من يخالطنا من البدو المذكورين، وما نشأه منهم من البدع في الدين، وكثير ما يتفق بيننا وبينهم

من الأسباب، ما يثير دفاثن شرهم، ويظهر معه سوء مكرهم، ولا يفزعون إلا إلى أسلحتهم ومن كان معنا كذلك، وقع معنا ذلك مرات متعددة لولا دفاع الله وحمايته وكفايته، فالحمد لله الذي نجانا من مكرهم، وحال بيننا وبين شرهم، حمداً يوازي عظيم نعمته، ويكافي ما لا نحصيه من جلايل فضله ولطفه ورحمته [١/٨٦]، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قائدة في تقدير مسافة هذه الأرض المتوسطة بين ساحل (بيلول) وبين بلاد ملك الحبشة وقياسها - على تقدير غالب الظن - مسافة شهر للقوافل، تزيد قليلاً أو تنقص قليلاً، وفوق كل ذي علم عليم.

ثم نعود إلى ما نحن بصلده: ولما انتهينا إلى هذا المحل المسمى (وسمة) على وزن زئمة، توجهت الرسل من هنالك إلى الملك من الأمير بعل جادة ورسول الملك الواصل من الإمام - عليه السلام - بخبرانه بقدمنا إلى بلاده، سللين من الأشرار، في حماية من العزيز القهار، ويستأذنونه بكيفية سيرنا في بلاده، وما يتوجه على أهل البلاد من الضيافات وغيرها، وكان ذلك في مشاركة عيد الحجة الحرام من تلك السنة المذكورة. ثم تقدمنا صحبة ذلك الأمير المذكور إلى محلته ومسكنه، وقرية مستوطنه في جبل عل اسمه (حنطالوه) واسم هذه البلاد على عمومها (أندرتة) وهي بلاد مستوية، كثيرة العشب والنبات، متسعة الخيرات، كثيرة العسل، ولقد كنا نشترى منه بالبقشة السوداء من بز المراودي ما يزيد على أربعين رطلاً صنعانياً من الشهد الأبيض النبي ما رأت العين مثله، وأقمنا في ذلك المحل أربعين يوماً، وكانت صلاة عيد الحجة فيه، خرجنا لها إلى ساحة البلد واجتمعنا ومن انضم إلينا من المسلمين، وأقمنا الصلاة وهم ينظرون إلينا، ويتعجبون مما نحن فيه، كما نتعجب مما هم فيه، ووصل إلينا إلى ذلك المحل الفقهاء (آل كبيري صالح)، عرفوا بهذا الاسم وهو اسم تعظيم، يسمون به الرجل المعتقد، وكان بأيدينا كتاب إليهم من مولانا

أمير المؤمنين - أيده الله - وكسوة سنية فاخرة لايقة بحال أمثالهم، فدفعنا إليهم الكتاب وسلمنا تلك الكسوة، ورأينا عليهم سيما الصلاح، ونور الإسلام، فسررنا بهم غاية المسرة، وكان بعضهم يعرف لسان العرب، فما برحنا نسائلهم عن أمور نحتاج إلى معرفتها ونستعين بعلم حقيقتها، ووصل معهم رجل آخر اسمه (كبيرى خير الدين) له معرفة جيدة بمذهب الشافعي - رضي الله عنه - وهو أفقه من (آل كبيرى صالح) وهم أشهر منه في تلك الجهة، [لعلو منصبهم وهم جميعاً على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه]^(١).

ولما مضى أربعون يوماً إقامة في ذلك المحل، رجع جواب الملك صحبة رجل من أهل خلمته وصحبته خمسة أنفار، وحين عرف الأمير بعل جادة بوصول رسول الملك وأنه صار في طرف بلده، خرج إليه متلقياً له على قواعدهم في رسل الملك أنهم يتلقونهم هكذا، ويقرأون الكتب في المحل الذي يلقونهم فيه، فقرأ كتاب الملك وهو قائم، ثم رجع ووصل إلينا يخبرنا بما قاله [٨٦/ب] الملك في كتابه، وما أمر به وغيره من أهل الطرقات من إكرامنا والقيام بما يتوجه من حق الضيافة لنا، والصحبة في الطرقات في الأماكن المخوفة، فشكرنا ذلك الملك وأحسننا مخاطبة رسوله بما يليق بذلك المقام، ثم إن الأمير بعل جادة صاح بأهل بلاده، أن يصلوا إليه بما نحتاجه من الظهر لحمل أثقالنا، فسارعوا إلى ذلك، وتوجهنا للوصول إلى الملك، فكان سفرنا حتى خرجنا من بلاد (أندرتة) ثلاث مراحل، ثم وصلنا إلى بلاد (السحرت) وتلقانا أمير تلك البلاد رجل اسمه (إسحاق) واجتمع الأمير المسمى إسحاق بالأمير بعل جادة، وقد كان قد وصل إلينا رجل في بلد بعل جادة، ودخل في دين الإسلام فقبلنا منه ذلك، واعتقدنا أنه يتكتم أمره، فظهر خبره، وكان أصحاب بعل جادة حاولوا الأخذ

(١) ما بين المعقوفين ليس في (١).

عليه بالرجوع إلى دينهم، فمنعهم بعل جادة وقال: هو باختياره إذا أحب الدخول في دين الإسلام فلا نعترضه.

فلما وصل الأمير بعل جادة محل هذا الأمير المسمى إسحاق، سأله عن شأن هذا الرجل الذي أسلم، وقل لبعل جادة: كيف ترك هؤلاء يغيرون ديننا؟ مثل هذا لا يحسن، ونحن عازمون على قبض هذا الرجل الذي خرج عن ديننا وقتله، فأجاب عليه الأمير بعل جادة بجواب أهل العقول الراجحة والآراء الناصحة ألقى الله ذلك في قلبه وقذفه في لبه، فقل له: هؤلاء العرب أهل مروءة وأهل لمجة وشهامة، يرضيهم القليل، ويغضبهم القليل، وما أظن أنهم يتركون هذا الرجل الذي دخل في دينهم يصل إليه مكروه، لو ذهبوا عن آخرهم، وأي فائدة لنا ولك بمثل ذلك والإساءة إلى أضياف الملك، هذا معنى جوابه الذي سمعه بعض من كان متعلقاً بخدمتنا من أهل الحبشة، بينه لنا باللسان العربي، فكفه بذلك وأذله الله عز وجل، ثم إن هذا الأمير ببلاد (السحرت) أمر أهل بلاده كذلك بالحضور لحمل أثقالنا، ثم طلب منهم جيشاً عظيماً لصحبتنا في الطريق؛ لأجل الخوف، فحضر منهم نحو ألفي رجل بالحراب والخيل، وتوجهنا من بلاده فسار بنا نحو خمس مراحل حتى اتصلنا ببلاد (أبرقلي) وهي بلاد وعرة، وجبال عالية، وأوهاط منخفضة، فتلقانا أمير هذه البلاد رجل اسمه (قباستوس) فسارع في تجهيزنا من بلده لحقارتها، وارتحلنا منها وسار بنا سيراً متصلاً، ومراحل متسعة، قدر سبع مراحل، كلها خائفة، وله عيون يسرون معنا في رؤوس الجبال، ووجدنا بين هذه الجبال نهراً عظيماً من آيات الله الباهرة، يلحق حكمه بنيل مصر وسيحون وجيحون، وفيه حيوانات البحر العظيمة، ولقد [١/٨٧] وصلنا إليها فظهر لنا فيه شيء كالقبة العظيمة، بين الماء في جانب النهر، فخیل إلینا أنها صخرة، فلما وصلنا إليها وجدناها حيواناً ميتاً يقال له: فرس البحر، الله أعلم ما عرض لها فأهلكها،

وهي في الكبر والعظم ما لا أعرف له نظيراً في الحيوان، وهذا النهر لا يتمكن المار من قطعه إلا من أماكن مخصوصة، متسعة في عرضها ينسبط فيها الماء، ثم تكون مستوية لا ينحدر فيه الماء؛ لأنه مع الانحدار لا تكون له قوة، فإذا كان المكان على هذه الصفة سلك فيه المار والماء يتصل بركاب الفرس السامي، ومقدار العرض في قياس مائة ذراع، وهذا النهر ينصب ماؤه في نيل مصر، على ما حكاه لنا بعض أهل الحبشة، فسبحان الملك القدير الذي أظهر لنا عظيم قدرته، وأرانا عجائب حكمته وصنعتة.

ثم إننا بعد تمام سبع مراحل اتصلنا ببلاد (الفلاشة) أولها واد عظيم تحت جبل عل في نهاية السمو، وغاية العلو، اسم الوادي (أغنة) - بنون قبلها غين معجمة ساكنة وقبلها همزة مضمومة - واسم الجبل (سمين) مصغراً، وهو أعظم جبال الحبشة، ولو أقول أعظم جبال الأرض لم يكن بعيداً؛ لأنه يوجد في كل طريق من طرق الحبشة، وهو شديد البرد لا أعرف مثله في شلة البرودة، لا يبرح الماء جامداً فيه شتاءً ومصيفاً، وهذه البلاد عهلة ولايتها على بعض وزراء الملك، وأهل الاختصاص بحضرته، رجل منهم اسمه (دموه) وله وكلاء ونواب في البلاد، وأما هو فلا يفارق حضرة الملك، وهذه القبيلة التي يسمونها (الفلاشة) قبيلة كبيرة، من أعظم قبائل الحبشة، وهم على دين اليهودية وشرعية التوراة، وكانوا من قبل خارجين عن طاعة الملك لاختلاف الدين، وهم أهل نجلة، وشوكة عظيمة، وبسالة، فما زال الملك يغزوهم ويحاربهم ويضايقهم من جميع أطراف بلاده لإحاطة بلاد النصارى بهم، حتى غلبهم واستنزهم من حصونهم، ودخلوا في طاعته، ودانوا له بمقالته، وجعل ولاية بلادهم إلى ولاية هذا الوزير، ودخل أكثرهم في دين النصرانية، ولم يبق إلا اليسير، غير أن الملك لا يعترضهم في أمر الدين، وإنما يطلبهم الطاعة له، واستمر سيرنا في هذه البلاد حتى اتصلنا ببلاد (الأحرة)

الذين هم عشيرة الملك وكرسي مملكته، وأهل نصرته، وكان سيرنا في بلاد (الفلايشة) وبلاد (الأحرة) قدر اثنتي عشرة مرحلة، وبعد تمام اثنتي عشرة وصلاً قرية قريبة من مدينة الملك أهلها كلهم مسلمون وفيها مسجد ومكتب لتعليم صبيانهم القرآن، فاستأنسنا بذلك غاية الأُنس، وسررنا بهم أكمل المسرة، بحيث أنه تسرى عنا ما ثقل على قلوبنا مما قد قاسيناه من سوء مخالطة [٨٧/ب] الكفار والنظر إليهم، وإلى منكراتهم، إلا أن الله سبحانه وتعالى يسره لي خاصة تجنب طعاماتهم المصنوعة، لما كنت أعده من الدقيق الذي يطحنه المسلمون، وأما بقية المصاحبين فإنهم اضطروا إلى أكل طعامهم المصنوع، وللضرورة أحكام.

ولما وصلنا هذه القرية المختصة بالمسلمين جاء زجل إلى الحاج سالم بن عبدالرحيم رسول الملك الذي نحن في صحبته، يخبره أن رجلين من أصحابه قد اتصلا بوزراء الملك، وألقيا كلاماً إليهم، معناه أن الحاج سالم قد جاء في صحبته بهذا الرجل العربي وهو من أهل شريعة دين الإسلام، ويريد أن يدخل الملك في دينهم، ويغير دينكم، ويمحو شريعتكم، وأمرنا هذا الرجل النذير بافتقار مامعنا من كتب الإمام - عليه السلام - لئلا يكون فيها شيء مما يصدق الحديث، فجاء الحاج سالم إليّ مبهوراً من ذلك خائفاً مرعوباً، وقال لي: انظر في كتاب الإمام - عليه السلام - وتحقق ألفاظه، فإن وجدت فيه ما تخشى عاقبته أصلحته وحولت عبارته، وقلت فيه ما شئت فإنهم قوم لا يفقهون، فأعدت نظراً في الكتاب وهو غير مختوم، فإذا فيه من الكلام ما يجد له عنراً وإن كان فيه نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً﴾^(١) إلى آخر الآية، فكنا هيأنا لمثل ذلك عنراً إن جرى فيها المناقشة على أن قلوبنا مع ذلك ساكنة شديدة، لم نجد فيها قلقاً ولا اضطراباً،

(١) الآية: (٦٤) من سورة آل عمران.

فكتمنا ذلك في نفوسنا، وأسررناه في ضمائرنا، ثم تقلعنا ذلك اليوم إلى محل يتصل بمدينة الملك ويعد من جوانبها ووقفنا هنالك، وهؤلاء النصارى على عمومهم ليس فيهم شيء من أمر المرؤة ومكارم الأخلاق التي لا يمنعها شؤم الكفر ولا تخلو ملة من الملل عن الإتفاق على أنها من صفات المحامد وخصل الأماجد، أما هؤلاء القوم فرأيانهم في اللؤم وشدة البخل كأنهم جميعاً أخلاق رجل واحد، إلا أن تكون عليهم يد غالبية وسلطان قاهر، فمن جملة لؤمهم أنا بتنا في هذه القرية طاوين عن الطعام، ولم ندخل أماكنهم إلا بالقهر لهم والغلبة عليهم، ثم إنا بعثنا إلى الملك رسولاً يخبره بوصولنا إلى ذلك المحل ويستأذنه بقدمنا عليه فأبطأ الرسول [٨٨/أ] ولم يرجع إلينا الجواب إلا في آخر اليوم الثاني لبعث منل الملك وصعوبة الاتصال به وسوء معاملة وزرائه وأعوانه.

ولما رجع إلينا جواب الملك يأمرنا بالدخول إلى المدينة والمبيت في بعض بيوت الوزراء رجل منهم اسمه (حواريا) دخلنا في بقية ذلك اليوم، وهو يوم الجمعة المبارك، سلخ شهر صفر المظفر عام ثمان وخمسين وألف سنة، فمررنا في أزقة المدينة وقد اجتمع فيها من جموع النصارى الذكور والإناث على قواعدهم في عدم حجاب النساء ما لا يعلم قدره إلا الله، ولا يحصي عددهم سواه، وذلك لما توفرت دواعيهم واشتدت رغبتهم إلى نظر هؤلاء العرب الوافدين، وكونهم شكلاً غربياً وأمرأ عندهم عجيبة، فانتبهنا إلى بيت ذلك الوزير الذي أمر الملك بالنزول تلك الليلة فيه، ووصلت إلينا الضيافات من بيت الملك ثم من سائر وزرائه طعاماً مصنوعاً وعسلاً كثيراً وبقراً وغنماً، كل رجل بما تسنى لديه وبحسب حاله، وخلطوا في هذه الضيافة شيئاً من دنان الخمر العظيمة، يحسبونه من كمال الضيافة، ومما يتحفون به الأضياف أشرف التحافة، فأشار إليهم الحاج سالم بن عبدالرحيم رسول الملك أن يرفعوا

ذلك، وبين لهم حكمه في دين الإسلام، الذي شرفنا الله به وأيدنا بعزه، فسارعوا برفعه فوراً.

ثم لما كان صبح تلك الليلة المسفر عنها أمر إلينا الملك يستدعي وصولنا إليه، فتقدمنا إلى قلعة الملك، وأشرفنا على دار عالية، وبنية سامية، من أعجب المباني الباهرة، وأحسن العجائب الفاخرة، مبنية بالحجارة والتورة، وليس في تلك المدينة؛ بل ولا في أرض الحبشة غيرها، فهي في أكمل منظر وأجمل صورة، لأن ساير البيوت في تلك الديار جميعها إنما هي عشاش من نبات الأرض، والباني لهذه الدار رجل من أهل الهند، فصفا تفصيلها على أساليب أرضه، وهذه القلعة التي تختص ببيوت الملك في جانب المدينة وأعلى محل فيها، وهي تشتمل على دور عديدة وسلاحات مديدة، وحول هذه الدار مبان أخر أرضية متسعة في الطول والعرض والسمو، سعة ما رآته العين في شيء من المباني، وهذه الأماكن معدة لعودة الملك فيها، وفي كل مكان منها ما ينبغي أن يهيا به من الفرش الرومية المنوعة، ومطارح الهند التي هي بالذهب ملمعة، والأسرة الفاخرة، التي هي بالخلية والجواهر مرصعة، فناهيك بتلك المقاعد زينة للناظر، واستدراجاً لذلك الملك الكافر.

ولما وصلنا إلى الملك [٨٨/ب] وقد انتظم مجلسه في تلك الدار، وتهياً أهل الحضرة من الوزراء وغيرهم بأفخر هيئة وأعظم أبهة، حيث لبسوا مطارف الديباج المطرزة بالذهب ومطارف الحرير الذي يقضي الناظر إليها بغريب الصنعة ونهاية العجب، وجعلوا في أوساطهم مناطق الذهب المحلاة بالفصوص الفاخرة، ونفيس الجواهر التي هي لهم في الدنيا ولنا إن شاء الله في الآخرة، ثم أخذوا في أيديهم السيوف السنارية المحلاة كذلك بعين الذهب الخالص، وتعجلوا بهذه النعمة التي هي إلى الزوال أسرع من الظل القالص،

ثم انتظموا بذلك المجلس قيماً أحسن نظام مع تمام صورهم، لما خلقهم الله تعالى عليه من بسطة الأجسام، وألوانهم مع ذلك غير مشوهة بالسواد الفاحم، ورؤوسهم مكشوفة عن الشعر الجعيد الناعم، وفي أيديهم أساور الذهب، وفي آذانهم الأقراط المتلاثة كاشتعل اللهب، وعلى الجملة فما رأيت من صفات الملك غير هذه الأمور المنعوتة وما سوى ذلك من الكمال فعراه مبتوكة مبتوتة، فلما رأينا تلك الهيئة وذلك الانتظام، وقد كان في النفس شيء من ذلك الكلام، الذي قلنا ذكره، فخطر بالبال أن هؤلاء الوزراء يريدون بهذا الاجتماع، معرفة حقيقة ما نقل إليهم، وقد يمكن أنهم يريدون الإطلاع على كتاب الإمام النبي في صحبتنا؛ لأن هؤلاء الوزراء لهم اليد القوية على الملك، والتصرف النافذ على كل حال، ولما نظرنا إلى الملك وجدناه قد نزل عن سريره وقعد على الأرض إكراماً لنا، وإعظماً لإمامنا، وقاعدته التي يعرف عليها أنه لا ينزل عن سريره لوفود وافد إلا أن يكون في أعلى مرتبة الفخامة، ومستحقاً أفخر أنواع الكرامة، ثم إن كل وافد لا يقعد بين يديه إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن كانت منزلته كذلك، فلما استقر بنا المجلس أقبل علينا الملك، وقد أعد ترجماناً شريفاً يقول: إنه من آل الحسين بن علي بن أبي طالب - عليهم السلام - من أرض بخارى، وهو ملازم حضرة الملك، قد سلب الإيمان، واستحوذ عليه الشيطان، وسلك في مسالخط الرحمن، فهو شيطانهم المرید: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾^(١) وهذا الشريف يعرف لسان العرب أحسن المعرفة، ويعبر عنه أوفى العبارة، فاستقام بين يدي الملك يعبر عنه وعنا، وسألنا عن الأحوال، فحفا السؤال، وبالحق في طلب التحقيق عن الإمام - عليه السلام - وأولاد إخوته بأبلغ استفصال، ثم إنه بدأنا بالسؤال عن كتاب الإمام النبي في أيدينا، واستدعاه منا بمسمع من أهل حضرته، فتأكد ذلك

الظن ابتدأنا بذلك، فلجينا عليه: إن معنا [أ/٨٩] كتاباً وصحبته هدية من الإمام - عليه السلام - إلى الملك ولإيصاله وإيصال الهدية مجلس آخر غير هذا، كما هي القاعلة المعروفة، فأتجأ علينا الشريف الترجمان قبل أن يبلغ الملك أن قواعد هؤلاء القوم غير ما عرفتموه، وهي أن الوافد مثل وفودكم هذا يقدم هديته بين يديه حل قدمه، فقلناه له: بلغ الملك ما قلناه، واعتذر لنا فيما جهلناه، فبلغ الشريف ما عرفناه به وقبل عذرنا، ثم قل لنا بعد ذلك: في أي محل تريدون النزول في منازل النصارى أم في منازل المسلمين، وهناك حافة للمسلمين مخصوصة، محصورة في جانب من المدينة، فقلنا له: منازل المسلمين أولى بنا، والكل في جواركم وحماكم، فأمر معنا ذلك الشريف ينزلنا في بيوت تصلح لنا، ففعل الشريف ذلك، وبقيتنا تلك الليلة، وافتقدنا كتاب الملك وأسماء الهدية فيه وأعيانها، ثم استأذنا على الملك في اليوم الثاني للوصول إليه بالهدية، فأذن لنا، وتوجهنا إليه بها ووجدنا حضرته كما كانت بالأمس فدفعنا إليه الكتاب، فقرأه الشريف الترجمان جهراً يسمعه أهل الحضرة، وعبر عنه بلسانهم الذي يعرفونه، ثم سلمنا تلك الهدية بأعيانها شيئاً فشيئاً، حتى أتينا على آخرها، ولما فرغنا من تسليمها، سألنا الملك أن يجعل لنا رجلاً من أصحابه وأعوانه يتولى رفع حوائجنا إليه مما يعرض لنا فاستحسن ذلك، وعينه على الوزير المقدم ذكره المسمى (حواريا) ثم انصرفنا من حضرة الملك، وقد أمر ذلك الوزير أن يجري علينا من النفقة وتوابعها ما يقوم بكفائتنا، وألزمه أن يحسن التعاهد لأحوالنا، فأجرى علينا من الملك في كل شهر ثلاثين حملاً من الحنطة، وأربعين رأساً من الغنم، وأربع رؤوس من البقر، وعشرين جرة من العسل، وست جرار من السمن، واستمر ذلك مرتباً في كل شهر.

ولما كان بعد ستة أيام من حين وصولنا، طلب الملك وصولنا إليه، وأمرنا نقل من الجماعة المصلحين، ففهمنا أنه يريد ذلك الموقف الذي يكون فيه

كشفت السر الذي إليه يساق الحديث، فتوجهنا إليه وصحبنا جماعتنا غير أنهم بعد وصولهم حضرة الملك خرجوا من عندنا، ووقفوا في حجرة الدار، ولم يبق في حضرة الملك من وزرائه غير ثلاثة منهم من كبارهم، لم يخرجوا من حضرته وبقيت الوزراء والأعوان متوارون عنا يسيراً، وهم يتطلعون إلى سماع ما يقال من الحديث، وليس هناك احتراس على حفظ الأسرار، وصيانتها عن الإعلان والإظهار، وأمر الملك الحاج سالم رسوله المقدم ذكره أن يترجم عنه وعنا في ذلك الموقف، وأفاض إلينا بمكنون سره، وأعلن بما كان أضمره في صدره حتى أتى على آخره [٨٩/ب] والمراد منا هو استيداع ذلك الحديث وحفظه عن الإذاعة، والحرص عليه من الإضاعة، حتى نبغىه على صفته إلى مولانا أمير المؤمنين - أطل الله له الأيام والسنين - وجوابه ليس مطلوباً منا كما ذلك معروف من سياق مبادئ هذه الأخبار، غير أننا جاريناه في ذلك المقام بما يليق بالحل من ترويح الكلام، وتلقي ذلك الحديث بالإقبال التام، وختمنا ذلك المجلس بأخذ الحقيقة من الملك لما سأله عن ذلك الحديث، وهو الذي استدعى وصولنا إليه من أجله؟ فقل: نعم! هو هذا بعينه، وهو أمر عظيم لا يصونه إلا مثلكم، فقلنا: هل بقي في نفوسكم شيء؟ فهذا الموقف الحسن ما تستقصي فيه الأخبار، وتباح فيه مستودعات الأسرار؟ فقل: هو هذا، ولم يبق غيره مما نريد نحن وصولكم إلينا من أجله، فانصرفنا من مجلسه ذلك وأخذنا نتصفح أحواله، وهل نجد سبيلاً إلى الخوض معه في ذلك الأمر الذي هو غاية الأمل، وقصارى الإرب، فلم نجد في تلك الديار لذلك النداء عريباً، ولا من يكون إليه مجيباً، فكنا نحن وإيه كما قيل: إنك لفي واد وأنا في واد، ولكم بين مرید ومراد، فأعرضنا عنه صفحاً، وسدنا دونه ثوباً، وطوينا عنه كشحاً، ثم إنه وصل إلينا عقيب وصولنا حضرة الملك رسول من بعض تجار اليمن بجهة مسوع يرفع ما

نريده من أخبار اليمن، وأحوال إمامنا، وانتظام أمور سادتنا - أيدهم الله العزيز نصره - فسرنا ذلك غاية المسرة، وحمدنا الله عز وجل على تلك الأخبار الصالحة التي هي للعين قرّة، ثم إننا سارعنا بتحقيق الأخبار إلى مولانا أمير المؤمنين - أطل الله له الأيام والسنين - ورأينا من أهم الأمور، وأولى ما يزعج به حرج الصدور، تعريف مولانا أمير المؤمنين - أيده الله - بأننا نريد الخروج من جهة مسوع وأنه - حفظه الله تعالى - يكتب إلى باشة الأتراك هنالك يستأمن لنا منه، وأن العود من هذه الطريق التي دخلنا منها غير ممكن ولا سبيل إليه، ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، ففعلنا إلى مولانا - أيده الله - كتاباً جازماً بذلك.

ثم كان من أطفاف الله الخفية، وعنايته التي طلما أدركنا بها والله الحمد كل بغية وأمنية، أن وصل إلى حضرة الملك رسول من قبل باشة الأتراك من جهة سواكن موجهاً صحبته بهدية، وهذا الرسول عربي اللسان من أهل سواكن، اسمه الأمير عبدالوهاب، حسن الأخلاق، كامل الصفات، جميل المعاشرة، سني المحاضرة، كريم الطباع، له نسك أهل الصلاح، يحفظ القرآن غيباً حفظاً جيداً، وعناية تامة، وله مع هذا مشاركة في كتب السير والآداب، وعلى الجملة فإنه من نعم الله علينا [١/٩٠] حيث رُوِّحَ عنا بأدبه، وانكشفت غيابات الكروب بسببه، وأجرى الله لنا على يديه منافع كثيرة، ونعماً جليلة.

ولما رأينا حسن عشرته وخلوص مودته، وظهور صدقه وأمانته، أسررنا إليه ما نريده من الخروج من جهة مسوع، وأنا قد رفعنا ذلك إلى مولانا أمير المؤمنين - أيده الله - بالنصر المبين، ولا ندري ما يستحسن من ذلك، ونحن نخشى أن يخطر بباله - أيده الله - أن العود في هذه الطريق التي دخلنا منها متيسر، أو مع احتمال بعض مشقة أي لا يخلو منها حال المسافر في الغالب، وإلا

فالمعلوم بالضرورة أنه لو يرى ما قد رأيناه ويشاهد منها ما شاهدناه لم يرضها لنا على كل حال، ونحن نريد تمام هذا الرأي على يدك، وتفويض الأمر فيه إليك، فابذل فيه العناية، وأحسن في تدبيره السعاية:

إن أراد الصديق نفع صديقٍ فهو أدرى في نفعه كيف يسعى

فأحسن في الجواب وكشف برايق عبارته عن وجه الصواب، وقال: بعد أن سمعت منك هذا الحديث فقد عزمت أن أعطيك عجري وبجري، اعلم أنني ما دخلت بهذه الهدية إلى الملك إلا متوصلاً بها إلى الإحاطة بأخباركم، فإن محمد باشا صاحب سواكن، لما بلغه دخولكم من جهة بيلول أقعده ذلك وأقامه، وأقلقه وطرده مناه، فتوصل إلى إدراك حقيقة هذه الأخبار بما تراه من وصولنا بهذه الهدية، المضمرة في طيها استكشاف هذه الخبية، وهذا الأمر الذي استدعيتموه يمكن حصوله، على أحسن الوجوه بفضل الله وإحسانه، ومنه وإمكانه، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والخيرة لله العزيز الحكيم.

واتفق الرأي بيننا وبينه على أخذ رأي الملك في ذلك، وقد عرفنا من مراده أنه لا يجب المرور من جانب الأتراك لما يلقاه أهل الحبشة من جورهم وتحكمهم في أموالهم، وسوء معاملتهم، فلذلك إن الملك يجب فتح هذه الطريق من جانب بيلول، وربما كان هذا هو ضميره المستكن من هذه المواصلات بينه وبين إمامنا - صلوات الله عليه وسلامه - فإنه يعلم أنه لا يتم له فتح هذه الطريق إلا بقوة وعناية، من وجوه عدة، من جملتها معاودة الرسل من قبل الإمام - عليه السلام - في هذه الطريق؛ فإنهم مع قوتهم بمعونة الله تعالى واستصحابهم البنادق يسير معهم كثير من أهل التجارة، دخولاً وخروجاً، فتيسر أوعارها، وتقلل أخطارها، وكان رسولنا إلى الملك لاستئذانه في ذلك، الشريف محمد بن موسى البخاري، المقدم ذكره، ولما عرفه بذلك أجاب، الملك

في ذلك المقام بالإسعاد إلى ذلك المراد، وكان جوابه هذا [٩٠/ب] صادراً عن بديهة الرأي، ولا يبعد أن يكون في تلك الحل متغيراً بسكره، وعلى غير ثبات من أمره، لما ظهر لنا منه بعد ذلك من الندم الشديد على رضاه، والأسف على ذلك الرأي الذي أنفذه وأمضاه.

ولما رجع إلينا جوابه بالمطابقة والموافقة، سارع الأمير عبدالوهاب بكتاب إلى محمد باشا يذكر له مثل ما عرفناه به، وأرسل به رسولاً من فوره، ثم إنه تجدد بعد ذلك اختلاف رأي الملك علينا، وقل: مروركم من جانب الأتراك لا سبيل إليه، ولا يمكن أن يكون ذلك، فإنهم أعداؤنا وأعداؤكم ولا أمانة لهم، فقلنا له: أما عدواتهم فلا ننكرها، وأما الغدر منهم فلا نظن ذلك فيهم، فإن الغدر منموم في كل ملة وفي حكم كل شريعة، ألا ترى أننا دخلنا بلادكم، ووصلنا إليكم بمجرد كتاب منكم، وأنتم مخالفتون لنا في الدين والملة، فأنتم على دين النصرانية ونحن على دين الإسلام، فلولا أنا وثقتنا بقولكم ما وصلنا إليكم، وما رأينا عاقبة ذلك إلا وفاء وكرامة، وعافية وسلامة، والأتراك فهم على ديننا وملتنا وكتابهم كتابنا، ونبيهم نبينا، فكيف أنا لا نقبل منهم الأمان، ونجعلهم أعظم حجة بيننا وبينهم، وليس للملك مراد إلا الرجوع في طريق بيلول لتلك الأغراض التي يريدونها فقط، فما برحت المراجعة بيننا وبينه دائرة، والأقوال مختلفة، وهو يتوسل علينا بكثير من الناس، ويلقي إلى أصحابنا شيئاً من ذلك الحديث سراً وجاهراً، ويخوفهم من السلوك في جانب الأتراك بكل مخافة، والملك فيما اعتقد غير محيط علمه بصفات هذه الطريق التي يحاولها من جانب بيلول، وإلا فلو يعرفها حق المعرفة ما أظنه يستحسنها مع وجود غيرها، فلما طال الحديث بيننا وبينه في ذلك، وعرف أننا باقون على تلك النية غير منقلبين عنها، لم يجد بداً من إسعافنا إليها، غير أنه طلب منا شاهداً نكتبه يكون في يده يقضي ببراءته من هذا الرأي، وأن عاقبته من سلامة أو ندامة لنا

وعلينا، فوضعنا له شاهداً، وقبضه منا وقد أشهدنا فيه على أنفسنا وأعطاه ذلك الرسول النبي وصل إلى الإمام، ودخلنا في صحبته؛ لأن الملك عازم على عوده إلى حضرة الإمام - عليه السلام - ثم بعد ذلك خلى سبيلنا في سلوك هذه الطريق التي كانت عاقبتها والله الحمد أحمد، والرأي في سلوكها هو الرأي الأسد الأسعد، وقد أطررنا الحديث على هذا النسق، وبقي لنا أشياء لا غنى عن ذكرها، مما يتعلق بأيام إقامتنا في حضرة الملك، وقد قلنا ما أمر به من أمور النفقة المرتبة في كل شهر، على نظر ذلك الوزير المسمى (حوارياً) مع مشاركة سائر الوزراء في تلك الأعمال، ومشارفتهم عليها كما هي قواعدهم المعروفة في جميع [٩١/أ] الأحوال، فإن التصرف والتدبير النبي هو في الحقيقة من التدمير إنما هو في أيديهم، وجار على مرادهم، وآرائهم متطابقة في الاستواء متوافقة على اتباع الأهواء، لا تظهر فيهم المنازعة، ولا تقع بينهم المدافعة، أعمالهم مبنية على الجور وأكل الرشا، يتعاملون بذلك ظاهراً، ويشرطونها على أهل الحاجات شاهراً، لا يستترون بها، ولا يستحيون منها، فكانوا لهذه الصفات الدنية يريدون التباطؤ بقضاء أغراضنا وإبلاغ حوائجنا، ليضطرونا إلى الولوج في هذه المخازي، والدخول في هذه النقايس، فتقاصرت عنا آمالهم، ولم تبلغ إليها أعمالهم، لما رأوا من علو منزلتنا عند الملك، والاتصال به في أي وقت نريده منه، فنافسونا على ذلك، وأدركنا منهم العداوة والبغضاء، والمكايلة والمعاندة، ومما اتهمناهم به أمر الحريق الذي وقع معنا هنالك، فإن فاعله إنما أراد هلاكنا بالنار غير أن الله سبحانه وتعالى أبقي علينا ستره، وأبطل على الساعي بذلك كيده ومكره، وكيفية الحل في هذا الحريق، أنا لم نشعر في بعض الليالي وقد هدأت العيون بمراقدها، وأخذت الجنوب مضاجعها، إلا وقد اشتعلت النار في جانب العشة التي أنا فيها مع شلة رياح عاصفة، وزعازع منها قاصفة، فأسرعت في الاشتعال، وأتلفت جميع ما لدينا من الآلات وسائر

الأثقل، ولم نتمكن بعد ظهور النار إلا من النجاة بالنفوس، فلحمد الله الذي نجانا من ذلك البؤس، وكان من أهم ما أهمنا من ذلك حريق الكتب التي استصحبناها، فإنه ذهب منها شيء بالكلية وبعضها بقي منه بقية، وبعضها وقع فيه شين وتناقص عن حالته السليمة السوية، إلا نفس المصحفين الذين كانا في تلك العشة، فإننا وجدناهما سليمين لم يصبهما شيء أصلاً، وإنما وقع في إحداهما شين يسير، في جلده فقط وذلك من فضل الله وكرامة كتاب الله، ووقع معنا من هذا الحريق روعة عظيمة، [وفزع كبيراً^(١)]، رأينا سلامتنا منه والله الحمد نعمة عظيمة، ومنة طلع نجمها في فلك السعادة الأسمى:

إذا سلمت رؤوس الرجال من الردى فما المال إلا مثل قصص الأظافر

اللهم، إنا نعوذ بك وبِعَظِيمِ عَفْوِكَ، ونلوذ بِخَفِيِّ لَطْفِكَ، من عذابك الذي لا يدفعه إلا رضاك، ونار عقابك التي أعدتها لمن خالفك وعصاك، فإنه لا طاقة لنا على عذابك ولا حول ولا قوة إلا بك. ولما بلغت هذه القضية إلى الملك أقامه ذلك وأقعده، وأبرق بسببها على الناس وأرعد، حتى أن الوزراء ما زالوا يخفونها عليه، ويهونونها لديه فغفل عن شأنها، وأعرض عن الاحتفال بأمرها [ب/٩١] وأما نحن فلم نعبأ برفع مثل ذلك إلى الملك وقلنا له حين سألنا عنها: ليس في مثل هذا بأس، ولم نظهر له التوجع من أحد من الناس، وإنما استعنا على ذلك بالله عز وجل، وبحسن الصبر، وإعمال الحذر، ومصاحبة الحزم، وإحسان النظر، واشتغلنا بمعالجة الملك في حصول الإذن منه لنا في العود إلى ديارنا، والإقبال على أعمال سفرنا، فما برح يطاولنا في الوعود ويروح في المماطلة ويعود حتى مضت علينا تسعة شهور كاملة، إلا أنه عرض من الإعذار للملك في تحيرنا دخول أيام الخريف، وما يعتاد فيها من توالي الأمطار، واتصال ذلك في جميع ساعات الليل والنهار، فيستمر مطبقاً أربعة

(١) ما بين المعقوفين ليس في (أ).

أشهر لا تنقش سحابه، ولا ينقطع [في تلك الشهر]^(١) عن تلك الديار ودقه وانصبابه، حتى أنهم ليعدون كثيراً من ذخائر النفقات، وما يتبعها من القوانين المصروفات، قدر كفاية أيام الإطباق لما يحصل من احتباس الناس، وانقطاع الأسواق، ولقد رأينا تلك الديار مع هذه الأمطار تظهر للعيون بأعجب ما يراه الرءاؤون من حسن خضرتها، وكمال نضارتها، سهلها وجبلها، وجميع أرجائها وجوانبها، وتزهر مع ذلك بأنواع الزهور البرية، بلون الخضرة الزبرجدية، والحمرة الوردية، والصفرة العسجدية، وقد يأخذون من هذه الزهور المذكورة ويتخذون من منها صبغاً عجيباً يجسونه بشيء من الممسكات ثم يصبغون به في الثياب وفي شيء من البسط تشبه البسط الرومية، فيكون صبغاً رائقاً، ولوناً مناسباً لائقاً، ومع اتصال تلك الأمطار، وتواليها على عموم تلك الأقطار، لا تيسر مواد الأسفار، ولا يأمن الإنسان من الوقوع في الأخطار، فأقمنا تلك الأيام كالقبض على جمر الغضى، والصبر على سفع اللظى:

رضيت قسراً وعلى القسر رضا من كان ذا سخط على صرف القضاء

ومن عجائب ما نذكره، أنه قد يتفق في هذه الديار أيام الخريف نزول نار من السماء، يرونها كالدخان العظيم المجتمع في جو السماء، تركمه الرياح بعضه على بعض ثم ينزل مجتمعاً، وهم يرونه بأعينهم حتى يقع في الأرض، فإن أصاب بيوتاً أحرقتها، وإن وقع على نفوس أهلها، وهذا لم نشاهده عياناً، وإنما رواه لنا بعض جماعتنا المصاحبين كان متزوجاً في البادية، فوق ذلك في تلك الحملة التي كان فيها، ولما روى لنا ذلك سألنا عنه كثيراً من أهل تلك الديار، فأخبرونا أن ذلك شيء معروف، وأمر ظاهر مشكوف، فسبحان الملك القدير، المخوف بآياته، المظهر لعباده [١/٩٢] ما أراه من دلائل نعمته

(١) ما بين المعقوفين سقط من (١).

وسطواته: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾^(١) ولما انقضت أيام الخريف، رجعنا إلى مذاكرة الملك، ومطالبته في شأن السفر، والحث له على الوفاء الذي هو أطيب ما تضمنته السير، وأفضل ما ذكر في طي الذكر، فرجع إلى تلك المماطلات الكذبية، والمواعيد العرقوبية، وغالب أحوالهم أنهم يعدون الكذب شعاراً ودثاراً، ويتعاملون به ولا يرونه عاراً وبواراً، ونحن في خلال هذه الإقامة، نطلب من نجتمع به من أهل شريعتهم وقراء كتابهم، فلم نجد أحداً ممن يعرف بذلك، إلا من كان منهم تسمى باسم الرهبانية والأغلب عليهم عدم الإطلاع على أحكام شريعتهم، وإنما طريقتهم الزهادة، والعبادة والميل إلى الخلوة، واجتناب الأنكحة، فلما هؤلاء فكثير جاءنا منهم، وكنا نحوض معهم في أشياء من علوم الشريعة، فلم نجد عندهم ما يعرف به كونه من أهل علمهم، فإن محاوره أهل العلم لا تخفى، وقد كان بلغ إلينا خبر رجل عظيم من علماء القسيسين وأخبارهم الذين يأخذون عنهم أحكام الدين، ولكنه وقع في قضية اقتضت حبسه بيد الملك، والأخذ عليه بالتضييق الشديد في جزيرة من بحر النيل، وها نحن نذكر ما بلغ إلينا من أمره، وهو أن هذا القسيس المذكور رجل من القبط من أهل مصر، والقاعدة التي جرت عليها سنتهم أن لا يقعد في هذا المقعد إلا رجل من القبط بأمر البترک صاحب بيت المقدس يوليه ذلك، ويبعث به إلى أرض الحبشة، مضت على ذلك سنن الماضين، واحتذاه من خلفهم من الآخرين، ولسان هؤلاء القبط لسان مصر عربي ويخرج من مصر وكتاب الإنجيل معه مكتوب بالقلم العربي، وجميع ما يستصعبه من كتب شريعتهم وأحكام دينهم كذلك مكتوب بالعربي أيضاً، ومن تصدر لهذا الشأن يسمونه بلغة الحبشة الآبون، كما يقال في لغة العرب: القاضي، وحين يستقر في هذه المرتبة، يشارك الملك في نصف ما يجبي إليه من

(١) الآية: (٤٤) من سورة النور.

ولايته من كل قليل وجليل، فكان هذا الأبون ممن طالت مدته في هذه الوظيفة نحو اثنتي عشرة سنة، وعظم ملكه وتكبر في نفسه، ومالت إليه الأكابر، واعتمدت عليه الرعية والعساكر، واغتار منه الملك، فصار يطلب أعمال الحيل على هذا الأبون، والأخذ عليه، والانتقام منه، فكان ذلك من الأسباب المهيئة لذلك أنه بطش [٩٢/ب] برجل من المسلمين كان من أهل بطانته، والاختصاص بخاصة خدمته، فانتهبه وهتك ستره، وهو أي المسلم مع ذلك من أهل الهمة والأنفة، فما برح يتطلع إلى الاتصال بالملك، لينم إليه بأمر يستنكرونها على الأبون، ويعلم أنهم يؤاخذونه عليها، والملك يطلب مثل ذلك، فاتصل هذا المسلم بالملك، وباح إليه بجميع ما عنده، وما اطلع عليه من أمره، وكشف له ما كان مستودعاً عنده من سره، فاستثبت منه الملك فيما نقل، ثم طلب واليه الوزراء الأول فالأول، يطلعهم على ذلك ويخبرهم أن هذا الرجل صار يخبط بهم في مهاوي المهالك، وللرهبان كبير يعتزون إليه يسمونه الأجيق بوزن زنديق، فأحضروه في ذلك المجلس، وشاوره في الرأي، فاجتمع رأي الجميع أنهم يصيحون في المدينة، أنه من علم بفاحشة على الأبون تخالف دينهم وصل إلى الملك في يوم معلوم، فلما سمع الناس ذلك النداء استعد للإجابة إلى الملك خلق كثير من الرجال والنساء، وأحفلوا في مجلس الملك في ذلك اليوم المعلوم، والميقات المضروب المحتوم، ورمته ألسن الحاضرين بما علموا من معاصيه، واطلعوا عليه من مخازيه، حتى لقد شهد عليه بعض نساء الملك بما تشاركوا فيه من الفجور، واتفقوا عليه من الفواحش المخزية في يوم النشور، وهم يرقمون شهادة من حضر ذلك الجمع، ويسندون شهادتهم إلى ما أدركته حاسة البصر والسمع، وكاتب هذه المخزيات الشريف محمد بن موسى المقدم ذكره بالقلم العربي؛ لأنهم يريدون رفع ذلك إلى البترك صاحب بيت المقدس وقلمهم هنالك عربي، فلما استكملوا ما

أرادوه من فضيحتة، وعلم الملك أنه قد أدرك ما يريد من حط مرتبته، شاور الوزراء والكبراء ما ذا يفعل، فقال كثير منهم: يقتل، ورجح للملك أن يجبسه، فحبسه في جزيرة بحر النيل كما قلمناه وأخذوا فيه رأي البترك، ورفعوا إليه بتلك الفواحش واستدعوا منه من يقوم مقام هذا الأبون، فهذا آخر ما نقل إلينا من حديث ذلك الأبون من رواية الشريف محمد بن موسى البخاري.

ثم إنه كان في بعض الأيام خروجنا من مدينة الملك للضيافة إلى بعض منتزهاتها، قاصدين إلى محل كان يعتمله هذا الأبون المذكور، وفيه شيء من كتبه مكتوبة بالقلم العربي، فأحببنا الإطلاع على شيء منها فوصلنا إلى ذلك المحل فوجدناه محلاً نفيساً رايقاً للعيون، ومن أعجب ما رآه الرءاون وفيه جماعة من تلامذة ذلك الأبون، فاجتمعنا بهم وخاطبناهم [٩٣/أ] بما نريده، فأدركنا منهم التشوش والارتباب، والتقلقل والاضطراب، فسكنا روعتهم، وأحسننا مخاطبتهم، حتى اطمأنت أنفسهم وأطالوا معنا في الحديث، حتى أنا لم ننصرف من عندهم إلا وقد أعجبهم ما رأوه منا من الرفق، ونهى المصاحبين لنا عن أن يعبثوا بشيء من محاسن تلك البساتين التي معهم، فتحدثوا بذلك بعد رجوعنا من عندهم لكبيرهم، وكان غائباً ذلك اليوم عن ذلك المحل، فأعجبه ما سمع، ووصل إلينا في اليوم الثاني من يوم خروجنا وجاء إلينا إلى محلنا، وهو رجل عليه سيماء القراء، وتنسك أهل العبادة، وهو يتكلم باللسان العربي من غير واسطة الترجمان، فتيسر له خطابنا ولنا خطابه؛ لأنه من تلامذة الأبون المقدم ذكره، فوجدناه أحسن من في تلك الدار، واسمه خاطروس، فما برح يسألنا عن شريعتنا، وما أركانها ومهماتها، فأجبنا عليه وذكرنا له أركان الإسلام الخمسة، وصفة الشهادتين والصلاة وصفاتها، وما يقدم لها من الطهور، ثم الأذان الذي يدعى به إليها ليحضرها الناس، ثم الإقامة بعد

الحضور، ثم التوجه بالفاظه، فأعجبتة تلك الألفاظ غاية العجب، ثم أكثر السؤال عن الزكاة في الأموال ومقاديرها فلجينا عليه فيها، ثم قال: من يأخذ هذه من أرباب الأموال؟ فقلنا: الإمام الأعظم، قال: فمن يأكلها؟ فعرفناه مصارفها كل مصرف باسمه وصفته، فزاد عجباً بما شرعه الله عز وجل من العناية بأحوال الفقراء والمساكين ليشاركوا الأغنياء في أموالهم ولا يستأثرون بمتاع الدنيا، وقال: هذا غاية الرفق، وكمل المعروف.

ثم كذلك أعجبه ذكر السهم النبي يصرف في سبيل الله من المجاهدين، الذين يقاتلون عن الدين ويجاهدون الخارجين عنه من الكافرين، وما برح هذا الرجل يعاودنا ويتأسف على ما مضى من الأيام التي لم يجتمع بنا فيها، ونحن كذلك أعجبنا منه ما رأيناه، ثم قال: إنه لولا أنني رجل كبير يظهر للناس خبري ولا يتكتم عنهم أمري، لصحبتكم إلى بلادكم، واستأمنت منكم على أن تتركوني على ديني، فقلنا له: كم مثلك من اليهود والنصارى يستأمنون من المسلمين، ويدخلون ديارنا بأمان وجوار، فمنهم من يبقى مع تسليم جزية معلومة عن رأسه، ومنهم من يقيم الأيام اليسيرة ثم يرجع إلى أرضه، ثم إنني سألته عن الإنجيل، وهل يوجد عنده مكتوباً بالقلم العربي؟ فقال: نعم هو عندي ثلاثة أسفار، فطلبت منه عارية السفر الأول، فجاء به إلينا وهو مكتوب في عنوانه مبادئ الإنجيل، فنظرت فيه قدر عشرة أيام وجميع أوائله مواعظ فقط لم أطلع [٩٣/ب] على غيرها، وقال: إن الأحكام في السفرين الأخيرين، وكان بعد تمام تلك الأيام ارتحالنا من هنالك، وكان هذا الرجل يخبرنا عن أحوال الآبون المتقدم ذكره، ويروي تلك الأمور المستنكرة، ويهجن عليه بها، وقد كان بلغ إلينا حبس الآبون إلى جانب الطريق قبل وصولنا إلى الملك، فتأكد معنا الظن الذي كنا نؤمله في الملك من الدخول في الإسلام سيما مع انضمام

قضية أخرى إلى هذه القضية مع الأبون، وهي أن الملك المذكور لما مات أبوه وله أولاد كثير على أمهات متفرقة، وليس لهذا الملك من أمه إلا أخ واحد فأوصى أبوه إليه وإلى وزرائه أنه إذا مات حبسوا جميع أولاده بالقيود في حصن معروف، ولا يتركوا من الحبس إلا هذا الأخ الذي هو شقيقه من أمه، ليكون عضداً لأخيه، ومظاهراً له في أمره وملكه، ففعلوا ذلك وحبسوا جميع إخوته في ذلك الحصن، وهم خمسة عشر رجلاً، وأجرى عليهم الملك النفقات الفايضة، والإحسان التام من كل وجه، وإنما الغرض دفع منازعتهم الملك، فبقي هذا الأخ مؤازراً لأخيه في أموره، ويقوم بأمر جنده وأحوال غزوه وملاقة عدوه، حتى أن الملك أدرك من أخيه نحوه عظيمة، واستغلالاً في كثير من الأعمال، ورفعت إلى الملك أخبار وهي أن أخاه يريد قتله والثوب على سرير ملكه، وهؤلاء الأعمرة معروفون بمتانة الكيد وأكد الحكمة في تدبير وجوه الحيل، فما زال الملك يدبر وجه الحيلة على أخيه، كيف يكون السبيل إلى الأخذ عليه، والانتقام منه، ولم يتيسر ذلك للملك إلا بعد مدة مديدة، وزمان طويل، وشرح حديثه لا يكفي فيه القليل، فما برح في ذلك حتى استمكن من أخيه في جوف الليل، وأمر به جماعة من أهل البأس والنجلة والهمة والشلة يخرجون به ليلاً، وقد كانت أمه سألت الملك أن يبقي عليه من القتل، وأن يكتفي من ذلك بحبسه فأظهر لها الامتثال، وأنه أمر به إلى جزيرة بحر النيل، ولما بعث به في جوف الليل، لم يظهر خبره لأحد من الناس، ولا ظهر من وجوده في أي محل من تلك السجون المعروفة، فلم يشك في أنه قتله، فكانت هذه القضية مع قضية الأبون السابقة موهمتين صلق ذلك الظن، وإنما بطش بهذين الرجلين ليستقل بذلك الغرض ويتمكن، ولم يكن ذلك إلا كما قيل:

في كل خيال لم يحصل منه فائدة رب خيال صلف تحت الراجعة

﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾^(١)

على المرء أن يسعى إلى الخير جهده

وليس عليه أن تتم المطالب

[٩٤/أ] هذا وقد قلنا أمر الحريق الذي وقع معنا، وعظم موقعه وهول حادثه، وحملنا ذلك على العناية في الاحتراس، والمبالغة في الاحتفاظ، ثم إننا لم نشعر في بعض الليالي إلا وقد اشتعلت النار في جانب العشة التي نحن فيها، مع هدوء العيون وغلبت النوم على حواس الحراس الموكلين بالحفظ، فكنت أول من أدرك اشتعال هذه النار قبل تمكنها في جوانب البعثة فصرخت بالناس فأدركوها قبل انتشارها، مع هدوء الريح في تلك الليلة، وسلمنا الله عز وجل من ذلك ونجانا بفضلته علينا مما أرصده لنا من تلك المهالك، فالحمد لله ولي الحمد ومستحقه، حمداً يقوم بعظيم فضله، وواجب حقه، ولما رأينا هذه الحوادث التي تنوب، والكوارث التي هيبت الأحزان والكروب، مع ما رأيناه أيضاً من معاملة الملك بالمواعيد الكاذبة، ضاق الصدر وخرج، واضطرب الأمر ومرج، وخشينا ألا نجد إلى الخروج من تلك الديار سبيلاً، لا سيما وقد وقعت مراسلات من الملك وبعض وزرائه لبعض جماعتنا من العسكر المصالحين لنا يرغبونهم بالبقاء هنالك، ومع ما رأيناه من تخيير عدة من الرسل الذين يصلون إلى الملك بعضهم من أهل أوسه، وبعضهم من جهات سنار، وبعضهم من جهة الأتراك حتى صاروا في سلكهم، واستعبدوهم كما يستعبدون من وقع في ملكهم، ومع أنا نفكر في الحل، وننظر فيه إلى ما يكون فيه المال، فوجدنا خروجنا مع تقدير تيسره، إنما هو من جانب الأتراك على جهة مسوع، فنحن غير آمنين من مكرهم، ولا واثقين بأمانهم لما هو الغالب من نكثهم وغدرهم، فالتبست الأمور علينا، كقطع الليل المظلم فلم نجد لنا ملاذاً ومعدداً غير الالتجاء إلى الله عز وجل، والتمسك بدرس القرآن العظيم الذي

(١) الآية: (١٨٨) من سورة: الأعراف.

هو أعظم ما به نتوسل، فيسر الله مع ذلك منامات مبشرات، دالة على السلامة، ومؤذنة بالنجاة من كل ندامة، أذكر منها بعضها وهي: ما رأيت في بعض الليالي من الوفود على إمامنا المتوكل على الله - أيده الله تعالى - فوصلت إلى ديوانه الذي يقعد فيه لقضاء حوائج المسلمين فوجدته مملوئاً من العلماء العظماء، كل منهم فارش سجلاته يصلون، وينتظرون نزول الإمام - عليه السلام - إليهم من أعلى الدار لصلاة الجماعة، فقعدت مسنداً ظهري إلى جدار الديوان قعود الوافد، فبينما أنا كذلك إذ وصل الإمام - عليه السلام - فقامت إليه، وسلمت عليه، وهو يشق الصفوف حتى تقدم إلى محل صلاته فجعلت أطلب لي مكاناً أقعد فيه للصلاة فلم أر متسعاً إلا في سجادة سيدنا القاضي العلامة وجيه الدين خيرة [٩٤/ب] القضاة الميامين، عبدالقادر بن علي المحيرسي - حرسه الله - فقعدت معه عليها، وقضينا الصلاة جماعة، ثم خرجنا من تلك الدار على القاعة المعروفة، فرفع المسيح صوته وهو يقول:

هات الأحاديث تصریحاً وتبشيراً لعلها من غليل النفس تشفيها

إن الأمور التي في النفس تحفيها لا تخشها إن ذكر الله يكفيها

فخطر ببالي لما سمعت ذلك المسبح أنه يريد تبشيري بانفراج ما أنا فيه من الحيرة بفضل الله وأمره والتوسل إليه بجميل ذكره، فقامت من منامي مسرعاً أرقم هذين البيتين، وقد غاب عني شيء من لفظهما من محل (لا تخشها إن) في البيت، فأصلحت هاتين اللفظتين في اليقظة، وأما البيت الأول وبقية الثاني فعلى صفته في الرؤيا، ثم رأيت رؤيا أخرى كذلك رأيت أن قائلاً يملئ عليّ بيتين من الشعر وهما هذان المذكوران:

وكن حازماً في كل أمر تريده فإن صواب الرأي ما كان أحزمه

وشاور عليماً في الأمور مجرباً حليماً إذا ما دبر الأمر أحكمه

ورؤيا أخرى أيضاً وهي: إني رأيت أنني أتلو القرآن على سيدنا علي بن

سعيد السريحي القارئ المشهور بمحروس مدينة صنعاء - حرسها الله تعالى - فوصلت إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ فقال لي: قف على هذه الآية، فقلت له: نزيد إلى تمام السورة؟ فقال: في هذا كفاية، وغير ذلك لم أذكره، و«الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»، ولشلة ما قاسيناه من الضجر ومهاجرة النوم ومحالفة السهر، خطر بالبال وصف ذلك الحال، بما ضمنته في هاتين القصيدتين وإن لم يكن من بضاعتي، غير أنه مع قصور حاله عن النظم المنتظم، ينزل منزلة النثر الملتئم، وهما هاتان:

الأولى منهما:

على كل سعي في الصلاح ثواب	وكل اجتهاد في الرشاد صواب
وليس على الإنسان إدراك غاية	ودون مداها للغيوب حجاب
ولو علم الساعون غاية أمرهم	لما كان شخص بالشرور يصاب
فقل لأمر المؤمنين لقد دعا	وحق له بعد الدعاء يجاب
ولكن دعا قوماً يظنون أنهم	رموا غرضاً في دينهم فأصابوا
ترأى لهم لمسع فهم يحسبونه	شرباً فأضحى ذاك وهو سراب
يقولون إن الله جل جلاله	هو الروح عيسى إن ذا لعجاب
وحينا وقالوا بالأقنيم فريفة	فيحصرها ضبط لهم وحساب
وقالوا هي الرب الثلاثة كلها	بذلك أفتت فرقة وأجابوا
[٩٥/أ] ولكن يقولون الثلاثة واحد	وهن لتكميل الإله نصاب
وهذا ضلال بين وجهالة	تقطر منه الصم وهي صلاب
عليري من دين خسيس ماله	نكال وخزي دائم وعذاب
لقد ضاق ذرعي لاحتباسي بأرضهم	وكثير مني مطعم وشراب

وحبب أوطاني إلي بأن لي
 وللعدل والتوحيد فيها مسارح
 فهل لي إلى تلك المنازل عودة
 وهل أردن للشرع مورده الذي
 وهل أسمعن صوت المنادي لجمعة
 وهل أنظر الدار التي ضربت لها
 وهل يسعدن دهري إلى نيل مطلبي
 فإن لم يكن يادهر عبي فطالما
 ولكنني أقف ومقالة شاعر
 إلى الله أشكو أنني في منازل
 تمر الليالي ليس للنفع موضع
 أرى الكفر مكشوف القناع وأهله
 فشمم أمير المؤمنين لحربهم
 وأنت سليل القاسم القايم الذي
 إذا طلعت منهم طلائع مارد
 ونادي بني المنصور من آل قاسم
 وقل يا بني الهادي أجيوا إمامكم
 يفادون بالأرواح دون إمامهم
 وناد بأبناء المكرم حمزة
 إذا أصبح الأعداء منهم سرية
 ولا تس أشراف القواسم إنهم

بها خيرة طاب الزمان وطابوا
 وربع منيع شامخ وجناب
 وهل لي إليها مرجع ومآب
 يدل عليه سنة وكتاب
 ينادي بأعلى صوته فيجناب
 مدارس علم حولها وقباب
 فما لي منه غير ذاك طلاب
 عبت فلم ينفع لديك عتاب
 فللقول حكم بالغ ولباب
 تحكم في آسادهن كلاب
 لدي ولا للمتفيعين جناب
 يظنونه خيراً فحباب وخابوا
 فهم بقدا^(١) اليباء وأنت عقاب
 رمى شبهه أهل الضلال فخابوا
 تلقاه من تلك الرجوم شهاب
 تجدهم ليوث الحرب ليس يهابوا
 تجيك شيوخ منهم وشباب
 ويصدق طعن منهم وضراب
 تجيك سيوف منهم وحراب
 أصابوا بها جيشاً وليس يصابوا
 أسود لديها صولة ووئاب

(١) البقد: صغار الغنم. (هامش في ب).

هم السم للأعداء يرون قتلهم
وناد بني الجون الكرام بأسرهم
هم القوم كل القوم يا أم مالك
ومن كان من آل الحسين فإنهم
أولئك أبناء الشهيد الذي به
ومن بعد هذا ناد من كان يقتدي
[٩٥/ب] فهم نعم أشياخ لآل محمد
إذا أقبلت يوماً طوائف جمعهم
فحسبك بعد الله من قد ذكرته
ولا تسمع قول العلول فرما
يقول بلاد الكافرين بعيدة
وكل مشير لا يرى غير ظنه
ورأي الذي قد شاهد الحال راجح
ولله علم سابق في أمورنا
فيا رب وفقنا وأيد إمامنا
وصل على المختار والآل ما جرى
وأصحابه الفر اللين مشوا على

وهذه الثانية:

من لقلب ولطرف مساهجع
ولصوب لم يزل حلف الوجع
ولحزون نأى عن داره
وعن الأحباب كيف المرتجع
كل يوم وله من همه
ما أطار النوم عنه ووزع

وأشاب الرأس من أهواله
 أنكرت عيني ما تألفه
 ولقد زاد فؤادي وصبا
 سرت في أرضٍ قليل خيرها
 أهلها صنفان أما فرقة
 جعلت رباً نياً مرسلأ
 ثلثوه وهو رب واحد
 لم يلد كلا ولم يولد ولا
 إن رباً صلبوه عنوة
 قهروه وهو رب قاهر
 قد زعمتم ذاك فيما ينكم
 وجهاتم أن ربي صائب
 جاءكم عيسى بقول بين
 إنه عبد نبي مرسل
 إن ديناً هذه أحكامه
 يفضح الإنسان إن دان به
 [٩٦/أ] ورأينا فرقة ظالمة
 تدعي الإسلام لكن ما درت
 ينظر المنكر في ساحاتهم
 لا ترى لله منهم طاعة
 رب مشغول بأسباب الهوى
 عشق الخمر لا يثبه عن
 وتحلى بالخلي بعد الصلح
 وتجافى الجنب طيب المضطجع
 ما رأت عيناى من أهل البدع
 وكثير الشر فيها يصطنع
 ففتت خالقها مع ما صنع
 جاء بالحق وبالصدق صدع
 جل عن ذلك ربي وارتفع
 شاركه أحد فيما ابتدع
 بيد الأعداء ما فيه طمع
 بطل الوصف بهذا واندفع
 كيف رب ظلموه ما منع
 وإلى السبع السماوات طلع
 سمع البعض وبعض ما استمع
 دينه التوحيد لكن لم يطع
 ضيق ليس به من متسع
 ويريه الخزي في يوم الفزع
 تركب الفحش وتأتي بالقذع
 شارع الإسلام ما كان شرع
 وعليه الناس جمعاً وجمع
 سيما الاثنى وأيام الجمع
 تبع اللهوتراه يتبع
 جهالاح ولا عنها نزع

أبدأ لا ترتجى توبته
وإذا بصرتك سبل الهدى
قلبه الأغلف في حيرته
آمنوا بالحب من طاغوتهم
ما لقول الله أو قول النبي
آه من حزن لدين المصطفى
فلعل الله أن يرفعه
ويدبل الحق من أعدائه
بيد القائم نجل المصطفى
صفوة المنصور منصور اللواء
كم جموع للتخا شتتها
يا بني المنصور أتم عصبة
فانصروا الداعي منكم واذكروا
فالذي قام به والدكم
والفتى إن يتبع والده
جاهدوا الكفار في الله فقد
طهروا بعهم عن رجسهم
أنتم السادات من كل السورى
أنتم كالشهب مثلاً قاله
قل لمن فاخر آل المصطفى
فهم حراس دين المصطفى
وصلاة الله منى ما سرى
وإذا استرجع فيها ما رجع
فبعينه عن الرشيد قمع
ختم الله عليه وطبع
فهو في فصل الشجار المتجع
أبدأ عندهم من مستمع
قد رأيناه على ضلع ربع
ونرى الكفر يقيناً قد خضع
وضلع الكفر يضحى قد ضلع
الإمام الندب زين المجتمع
خير من صام وصلّى وركع
وشتات في رضى الله جمع
أسد حرب ليس يشيها الجزع
يوم بلر ثم ردوه جذع
وجبال الكفر فيه قد صدع
فهو شيء لم يكن بالبتدع
شمت برق النصر عن ذاك لمع
فمسى تطهسر هاتيك اليع
ورؤوس الناس والناس تبع
جدكم والشيعه أمثال القزع
هل محل النجم يرقى يا لكع
وبهم من عاند الشرع انقمع
في الدجى برق وما الطير سجع

تبلغ المخار عني دائماً وعلى عزته أهل الورع
وعلى أصحابه أهل الهدى أبدأ ما الجو بالسحب التفع

ثم عدنا إلى حديث أيام إقامتنا، وما كنا عليه في خلالها [٩٦/ب] من النجسة والصلابة وما ألقاه الله عز وجل في قلوبهم من الجلالة والمهابة، إظهاراً لهذا الدين على سائر الأديان، وإكراماً لأهله بما أظهره لهم من عظيم السلطان، وكم أعد من الأشياء التي يحاولون أن يدركوها منا فيظهر لهم عجزهم، ويهون مع ذلك عزهم، ولا يمكن أن يقال: إنهم يتصاغرون إكراماً لنا، فقد عرفنا من حالهم خلاف ذلك، وإنما همهم قاصرة، فإن أحدهم قد يرى بالآخر منهم ما يقتضي منه النصر له، والدفع عنه فيحيد عنه جانباً، ويولي عنه هارباً لا يلوي عليه، ولا يلتفت إليه، ولا يقال: إن ذلك لأجل قوة معنا ندفعهم بها، فذلك مما لا يقال، بل معدود في صريح الحال، فلم يبق إلا أن ذلك من فضل الله علينا، وتشريفه لملتنا وديننا، فلقد كان في بعض الأيام، واتفق أن امرأة من المسلمين استحوذ عليها الشيطان، وزين لها الكفر على الإيمان، فارتدت وتنصرت، ولها بنتان لرجل مسلم من أهل مسوع تزوج تلك المرأة هنالك، فأولدها هاتين الابنتين، ولهما أيضاً خالة أخت هذه المرأة المرتدة، فهربت بهما خالتهما، ووضعتهما في بيت رجل من أصحابنا الذي هو نازل فيه، فجاءت أمهما هذه التي ارتدت عن دين الإسلام بجماعة من رجال النصارى، نحو اثني عشر رجلاً من كبارهم وأشرفهم، فلما انتهوا إلى باب ذلك البيت الذي فيه ذلك الرجل من أصحابنا، خرج إليهم وحده منفرداً يريد أن يخاطبهم بما يليق من الكلام، ويحسن محاورتهم به في ذلك المقام؛ إلا أنه استصحب سيفه في يده، فما هو إلا أن رآه خارجاً إليهم ولوه ظهورهم هاربين، يشتدون عدواً شديداً، وخطواً مديداً، ولما علمنا بذلك اعتقدنا أن مثل هذا لا يسكتون عنه، فأمرنا بإدخال

هاتين الابتين في البيت الذي نحن فيه، وانتظرنا ما يجيء إلينا في شأنهما من الملك أو من بعض وزرائه، فلم يذكر لنا من ذلك شيء، وقد شاع خسر تلك القضية في مجالسهم وتحدثوا بها عند رؤسائهم، وأمرنا بمصير هاتين الابتين إلى أبيهما إلى بندر مسوع، على يد الأمير عبدالوهاب رسول باشة الأتراك، صاحب سواكن المقدم ذكره، فلحمد الله الذي أعزنا بدين الإسلام المفضل على سائر الأديان، وشرفنا بشرفه الشديد الأركان، البلاخ البنيان، وهو المسؤول أن يختم لنا يرضوانه، ويشملنا بعظيم فضله وإحسانه، بحق محمد وآل محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً طيباً مباركاً فيه.

وبهذا يتم ما أردنا ذكره من ذكر أيام إقامتنا في حضرة الملك، وبعد تمام تسعة شهور ألقى الله عز وجل في قلبه الإذن لنا على تلك الشريطة [٩٧/أ] التي قلنا ذكرها، وأمر معنا ثلاثة رجال من كبار أهل حضرته يسرون بنا في بلاده للقيام بما نحتاجه من الضيافة وغيرها وجعل على كل رجل منهم مسافة معلومة وبيّن لهم ما يصير إلينا في كل يوم من الضيافة المحتومة، ثم توجهنا من حضرة الملك في آخر شهر القعدة الحرام من عام ثمان وخمسين وألف سنة.

ولما انفصلنا من المدينة قدر عشر مراحل، انقضت مسافة أحد الثلاثة المأمورين بمصاحبتنا، وقام بنا فيها ذلك الرجل أحسن قيام، وفعل ما أمره به الملك مع زيادة عليه في الإكرام، ثم أفضت النوبة إلى الثاني منهم، فبقي معنا تلك الليلة التي هي أول نوبته، ثم فارقنا من اليوم الثاني، وتقدم علينا يقبض الضيافة من الناس، ويأخذها لنفسه، وتركنا وراء ظهره، ولم نجد من يقوم بضيافتنا، ولا ما نرجع إليه لنفقتنا، ومعنا نفوس كثيرة من الرقيق والخدامين، قد صار عدداً يزيد على مائة نفر فلم نجد طريقاً غير الاعتماد على الله

عز وجل، وعلى تناول ما يقوم بنا من النفقة في كل قرية مما نجده فيها، فكنا على ذلك كلما وصلنا قرية طلبنا أهلها، وعرفناهم بمقدار ما أمر به الملك من الضيافة، فإن سلموها أخذنا منهم، واكتفينا بها عن غيرها، وإن تمردوا عنها سلطنا عليهم من كان معنا فيأخذون كفايتهم، ولا يفوتهم منها شيء، وكنا قد أعدنا من سلاسل الحديد التي يربط بها أهل الجرائم ما محتاجه، وكان قد وقع في بعض الرقيق معنا ألم الجدري فاحتجنا إلى إعداد من يحملهم على سرر رفقا بهم، وحفظاً لهم عن إضاعتهم في أيدي الكفار، فكنا لا نقوم من القرية التي ندخلها إلا وقد قربوا منهم تسعة أنفار لحمل هؤلاء الأمراض من قرية إلى قرية لا نعذرهم عن ذلك، ثم إنا نربط رئيس القرية بالحديد ونسيره تحت الحفظ معنا، ولا نطلقه من أيدي العسكر إلا وقد وصلنا القرية الأخرى ووصلت جميع أثقالنا كاملة سالمة، وهلم جراً، ولو لم نفعل كذلك لهلكنا جوعاً، ولذهبنا بأيدي الكفار قطعاً.

إذا لم يكن إلا الأسنة مركباً فلا رأي للمضطر إلا ركوبها

ولقد حاول أهل القرية منهم الامتناع بالهرب، فأمرنا نساءهم بالحمل، وأجبرناهم على ذلك، فلما عرفوا صلح العزيمة رجعوا إلينا مغلوبين مقهورين، وليس مثل هذا يخطر على بال أحد من الناس أنه يتم عليهم مثل ذلك لثقتنا، على أنهم لو اجتمعوا على هلاكنا لم يشعر الملك بشيء من علم ذلك لبعده عن الإطلاع وقعود وزرائه منه [٩٧/ب] على مسالك الأبصار والأسماع، فلا شك ولا ريب أن تمام هذه الأمور لنا وظهورنا عليهم ليس إلا بشرف الإسلام، وسر هذا الإمام - عليه وعلى جده وعلى آبائه أفضل الصلاة والسلام -، واتصل سيرنا على هذه الصفة قدر خمسة وعشرين مرحلة، وبعد تمامها انقضت مسافة ذلك المأمور المتمرد، ثم أفضت النوبة إلى الثالث منهم

فتلقانا بلحسن ما يجب وأكرمنا بأفضل ما يحب، وفعل بما أمره الملك مع زيادة إليه، وصير إلينا من الزاد ما يبلغنا إلى بندر (مسوع)؛ لأجل المفازة المتوسطة بين (مسوع) و(دياروي) وهي قدر عشر مراحل للقوافل، وأقمنا في بلد (دياروي) قدر اثني عشر يوماً نصلح ما محتاج من أمورنا، ونستزيد ما لا بد منه من الزيادة على زادنا، وكان القاعلة المتعامل بها أن القوافل إنما تسير من (دياروي) مع صحبة من (السحرات) المتصلين بهذه المفازة، فكان من الامتحان أن وقع عزل الأمير صاحب دياروي مع وقوفنا فيها، فضاق بنا الحال، وأجأنا تضايق الأمور إلى سرعة الارتحال، فتوجهنا منه بغير صحيب ولا دليل، إلا الله عز وجل فهو حسبنا ونعم الوكيل، وهون علينا تلك الشدة ما بلغ إلينا أن مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين -أيده الله تعالى- قد أرسل رسولاً قاصداً إلى باشة الأتراك صاحب (سواكن) يأخذ لنا منه الأمان، وأمره أن يقف في بندر (مسوع) حتى نصل إليه فأسرعنا بالسير لما بلغ إلينا ذلك، وحمدنا الله عز وجل الذي يسر لنا هذه المسالك، ولما توسطنا في هذه المفازة بلغ إلينا أن جماعة من الأشرار من بسدو النصراري مجتمعون في جانب الطريق يريدون اعتراضنا، وقد طمعوا فينا لما بلغهم انفرادنا، فأرسلنا رسولاً من أهل الخبرة بالطريق إلى نائب الباشا في بندر (مسوع) وكتبنا إليه نخبره بما بلغ إلينا من خبر هؤلاء البدو، وما يريدونه من التعلي والعزم على الإقدام إلينا، وبسط الأيدي، وبعد أن نفذنا ذلك الرسول لم ننتظر عود الجواب في ذلك المحل؛ لأننا رأينا البقاء فيه مخاطرة، فلم نجد بداً من السفر والتوكل على الله عز وجل، فلما بلغنا ذلك المحل الذي قد بلغنا أنهم راصدون فيه، رأينا القوم قد اجتمعوا حول مصرام كبير جمعاً كثيراً، وقد كنا أرسلنا إليهم رجلاً من المصاحبين لنا من أهل الحبشة يخادعهم في القول، ويلين لهم العبارة،

ويطمعهم بشيء من المال، ويكلمهم أنه يصحبنا منهم جماعة من كبارهم إلى المحل الذي نريد النزول فيه تلك الليلة [٩٨/أ] وهو قريب من هذا المصرام الذي هم فيه يعلمون أننا لا نفوتهم بالتجاوز إليه، ومرادنا بذلك إطماعهم بالقول، ومطالبة الحديث معهم حتى يرجع إلينا الجواب من أمير (مسوع)، فأثر فيهم ذلك القول ونقض عليهم ما كانوا أبرموه، وأطفى من لهبهم ما كانوا أضرموه، لولا أنه وقع من بعض أصحابنا ما هيجهم، وأثار حفايظهم، فرجعوا إلى ما كانوا عزموا عليه من العدوان، وعزموا على اتباع ما زينه لهم الشيطان، فتركونا حتى تولينا عنهم قليلاً، ثم صرخ صارخهم واحتملوا علينا من جهتي اليمين والشمال، ونظرنا إلى ما حولنا من الجبال فإذا هي تسيل بالرجال، فكان غاية همنا حفظ الرقيق خشية أن يسبوا من هو على ديننا، فلما اتصل بنا أوائلهم يتذامرون ويتعادون كأنهم السباع الضارية فرمونا بالحرايب من أيديهم ودفعوا بها دفعاً تعلى حد تعديهم فأصابوا منا رجلاً ووقع في فرس من خيلنا حربتان، فرمت عليهم البنادق وبأيديهم أتراس متسعة تستر جميع أبدانهم فهم يظنون أنها تدفع عنهم رمي البندق، فوقعت رمية في أحدهم فخرقت ترسه وأصابته في شقه الأيسر حتى خرقته وألقته على جانبه وأثرت فيه تأثيراً هائلاً أربهم وأرعهم، فانكسرت سورتهم، وانفلت شوكتهم، ومالوا عنا حتى لذنا بأكمة عالية، وجمعنا فيها أثقالنا، ثم أمرنا العسكر أن يقفوا بالبنادق على أطراف تلك الأكمة، وهم قد أحاطوا بنا من كل جانب، ولكن الله عز وجل ملأ قلوبهم هيبه، ورجع أمرهم بالإخفاق والخيبة، فلم يجسروا على الإقدام علينا والوصول إلينا وإلا فإنهم قد بلغوا نحو خمسمائة رجل أو يزيدون على ذلك سوى من جاء إليهم من آخر ذلك اليوم وإلا فإنهم بلغوا جيشاً عظيماً وعدداً كثيراً، فأرسلنا إليهم ذلك الرجل

الذي كنا أرسلناه المرة الأولى، وقلنا له: اعرف ما يريدونه منا، فإن يكن المال فقل عنا ما شئت وابدك لهم ما رأيت، وإن تكن النفوس فأخبرهم عنا أن الموت ليس يسيراً، وأن الهالك منهم بمعونة الله عز وجل العدد الكثير، فاتفق الرأي بيننا وبينهم أن يأخذوا علينا عهداً ونأخذهم على كبارهم بالأمان وعدم العدوان، ثم نرجع معهم إلى بلدهم وقد كنا جاوزناها بنحو ميل ثم يقع الاصطلاح هنالك على تسليم شيء من المال، فرجعنا معهم إلى بلدهم، ونحن مع ذلك غير واثقين بعهدهم، فإن الله عز وجل يقول في أمثالهم: ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾^(١) وبتنا معهم تلك الليلة، وجاء إلينا كبارهم يخوضون معنا، حتى أصبح علينا الصباح، ونحن لمحاورهم ونجاهد مشقة السهر مع خوف الغدر [٩٨/ب] منهم فإنهم مع ذلك قد أحاطوا بنا من جميع الجوانب، وأشعلوا النار من جميع الجهات، فلما كان نهار اليوم المسفر عن تلك الليلة رجع جواب أمير (مسوع)، وخرجت العسكر نحو مائة نفر فيها خمسون بندقاً.

ولما وصل الرسول بالجواب، وأخبر أن العسكر من الأتراك قد خرجوا في أثره، بدد الله شملهم، وفرق جمعهم، ودفع عنا كيدهم ومكرهم، وكان ذلك من الفرج بعد الشدة، فلحمد الله الذين خلصنا عن كيدهم سالمين، ونجاننا من القوم الظالمين، ثم إننا لما انفصلنا عنهم وهم مجتمعون ذلك الاجتماع، ومطبقون نواحي تلك البقاع أرسل الله عليهم جيشاً من أعدائهم، وأحاطت بهم النقمة من بين أيديهم ومن ورائهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم كانت الدائرة على هؤلاء الباغين علينا، والغلبة لعدوهم عليهم، وانتهبوا أموالهم، وقتلوا رجالهم، وسبوا نساؤهم، حتى لقد رأيناها في سوق بندر (مسوع) يبيعون فيه عقيب وصولنا إليه، وشاعت هذه القضية هنالك، وتحدث الناس

(١) الآية: (١٣) من سورة التوبة.

من أهل الإسلام في (مسوع) أن هذه القضية من كرامات إمامنا - عليه السلام - ولا شك في ذلك، ولا ريب، فإن حقه على الله أعظم من ذلك، وكم دفع الله عنا ببركته من المهاري والمهالك.

ثم إننا اتصلنا بجماعة العسكر الواصلين من (مسوع)، ووجدنا رسول الإمام الذي قلنا ذكره قد خرج مع أولئك العسكر، فسر بوصولنا واستبشر، وحمد الله على ذلك فأكثر، وعلمنا أن الله سبحانه قد نجانا من شر الكافرين وكيد الكايدين، وأوجد الله سبحانه وتعالى في قلوبنا أنساً وطمأنينة، وأبدلها عما كانت فيه من القلق وقاراً وسكينة، وارتحلنا نحن وجماعة العسكر جميعاً في ذلك الحال متوجهين إلى بندر (مسوع)، فسرنا بقية يومنا ذلك، وفي اليوم الثاني دخلنا بندر مسوع وقت انتصاف النهار، فتلقانا النائب فيه بأحسن الكرامة، وأسنى ما يحب من البشاشة التي هي دليل رعاية العهد وعنوان السلامة، وأقمنا هنالك ثمانية أيام نهيء ما نحتاج إليه في سفر البحر، وبعد انقضاء تلك الأيام ركبنا في ثلاث سفن متوجهين إلى ساحل بندر (اللحية) فوصلنا إلى جزيرة (دهلك) وتخيرنا فيه قدر أربعة أيام لعدم استواء الرياح، ثم بعد ذلك تيسرت الرياح المناسبة، فتوجهت الجلاب قاطعة عرض البحر من جهة المغرب إلى جهة المشرق، وعزم ربان الجلبة على السفر ليلاً ونهاراً مع الاقتداء بالنجوم التي يهتلى بها في ظلمات البر والبحر، فسافرنا ذلك اليوم والليلة التي تليه واليوم الثاني إلى وقت العصر، ثم طلع علينا من أمامنا من جهة (اللحية) سحب متراكم وثار [٩٩/أ] مع ذلك الريح العاصف المهيج أمواج البحر الزاخر المتلاطم، فما زال يقرب منا فإذا البحر قد اضطربت أمواجه، وماجت جوانبه وأثباجه، وأمطرت السماء ما شاء الله أن تمطر، فاجتمع هول المطر مع هول ذلك الريح الذي صرنا معه إلى أعظم الخطر، وأهل الجلبة

يعالجون أعمالها، ويتفقدون أحوالها، وهم ينتظرون انفراج تلك الشدة في أقرب مدة، فطل عليهم ذلك حتى ضعفت قواهم وتفاقم الأمر، وعظم الحادث، وجأرت الألسن بالدعاء إلى الله عز وجل، والتوسل إليه بكل ذي حق عليه أن يفرج عنا ذلك الهول الأهول، ودام علينا ذلك المطر تلك الليلة مع اليوم الثاني مع الليلة التي تليه، وكان دوامه ليلتين ويوماً، وكان معنا في هذا السفينة زورق صغير، فرسب في البحر لما امتلأ ماء فجذب السفينة لما كان مربوطاً إليها، وقد كان ربان السفينة وثب منها إلى هذا الزورق ولا ندري بمراه من ذلك، فلما رسب الزورق في البحر تعلق الربان بجانب السفينة وصرخ بصوته إلى أصحابه يستنقذونه فلم يجبه أحد لما نزل بهم من الهول، وأصابهم من ذلك الحادث الذي سلبهم الحركة، وأخرسهم عن القول، فوثب إلى ذلك الربان رجل من أصحابنا فتناوله إليه وأطلععه، وقد أشرفت السفينة على الغرق بسبب جذب ذلك الزورق، فلتخذ ذلك الرجل من أصحابنا سيفه وقطع حبل الزورق فانفصل عن السفينة وذهب في البحر.

ثم إن الربان أمر بإلقاء الأثقل من الأحمال التي في السفينة، فألقوا في البحر ما وقعت أيديهم فيه حتى حصل التخفيف، ثم إنا فزعنا مع ذلك إلى الدعاء والتوسل إلى العلي الأعلى، وقد بلغ بنا الحال إلى ما لا يعلمه إلا ذو العزة والجلال، فما برحنا نسأل الله عز وجل بحق نبيه المرسل، وبحق إمامنا المتوكل على الله وسائر أهل بيت رسول الله حتى انفرجت عنا تلك الشدة، وقد أيقنا بحلول البأس، وضائق النفوس حتى كادت تخلد إلى اليأس، وأما السفينتان الأخرتان، فإن الموج رمى بهما إلى جزائر في البحر. وما يزال يحول بهما يميناً وشمالاً حتى لقد تأخرنا عن خروجنا أربعة أيام لا ندري ما هم فيه، والظاهر من الحال أن الريح كانت عندنا أشد؛ لأننا كنا قد تقدمناهم بمسافة كبيرة، وهما سفينتان صغيرتان لا شك أنهما لا تقويان على ما نزل بنا من

ذلك، وإنما هما في حكم هذا الزورق الذي غرق في البحر، ولما فرج الله تعالى هذه الشلة وسافرنا بعد ذلك في البحر يومين كاملين، ودخلنا مرسى (اللحية) حامدين الله عز وجل، معترفين أنه تبارك وتعالى [٩٩/ب] قد شملنا بفضلته فأجزل، وأسبل علينا نعمه فأكمل، فلحمد الله حمداً يصعد أوله ولا ينفد ويتواصل ويتجدد حتى يرضى ربنا وكما هو أهله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولما وصلنا بندر (اللحية) أسرعنا برفع الخبر إلى مولانا أمير المؤمنين - أطل الله له الأيام والسنين - فكان ذلك لديه أعظم مسرة، وأشرف مبرة، ورجع إلينا جوابه مشتملاً على مقبول الدعوات، ناطقاً بما أجنه ضميره من التحنن الذي نجانا الله به من عظامم الآفات، وتوجهنا إلى حضرته الشريفة تجذبنا أيدي الأشواق، وتمد إليه ركايبنا الأعناق، مؤثرين زيارته على الأهل والأولاد، مسارعين إلى التملّي بكريم غرته التي جعلها الله عز وجل قبلة للعباد، وأسعدها باليمن والإسعاد فكان وصولنا إليه - أيده الله تعالى - رابع شهر ربيع الأول من عام تسع وخمسين وألف سنة على تمام أحد وعشرين شهراً منذ فارقناه حتى وافيناه:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

فاستبشر بنا - أيده الله - كما استبشرنا به، وأكرمنا بأفضل ما يكرم به الغائب عند إيباه، وتلقانا بما لا مزيد عليه من مكارم الأخلاق، وبما هو أهله من السمائل المنطلقة بالفضائل على الإطلاق، وأحسن - أيده الله - في كرامة أولئك المصالحين أتم الإحسان، وصنع إليهم من صنائع الفضل أحسن ما يريده الإنسان، وينطق به اللسان، وما عند الله خير للأبرار، وثوابه تبارك وتعالى على مثل ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار، وهاهنا ينتهي ما أوردناه.

وينقضي ما أردناه والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تدرك الإرادات، ونصلي على نبيه وعلى آله أفضل الصلوات، ونسلم عليهم أجمعين من يومنا هذا إلى يوم الدين، ونستغفر الله العظيم من فرطات اللسان وهفوات الجنان لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال القاضي شرف الدين - أيده الله - في عنوان هذه النسخة ما لفظه: الحمد لله وحده، لما اطلع مولانا السيد العلامة إمام الحفاظ، المتصرف بمعاني الألفاظ، ضياء الدين، صفوة العترة المطهرين، إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى الجحافي - حفظه الله تعالى - على هذه الأوراق أشاد ذكرها بما راق وفاق، فقال - حفظه الله :-

أسم سرح طرفك في ذي الجنان	ورد كوثر الطرف عذب المعاني
وشاهد بدايع هذا الزمان	فيما حكاها بديع الزمان
[١٠٠/٧] تجد نزهة العين والقلب في	محاسن تحكي ثغور الحسان
بلفظ يفوق جنان الجممان	ومعنى يتيل بلوغ الأماني
وزادت محاسنها بهجوة	بما ضمننت في إمام الأوان
إمام تفرد بالمكرمات	فليس له في معاليه ثاني
حمى الدين بالحجج اليينات	وبالمهفات معاً والسنان
فدين الإله به في حمى	وأهل الزمان به في أمان

انتهى.

قلت: لا أدري من أي الأمرين أعجب، أمن حرص الإمام - عليه السلام - والدعاء إلى سبيل الملك العلام، حتى طمع في إسلام أعظم ملك من ملوك الكفار الذي يأس منه ملوك الأقطار، من الروم والهند وغيرهم من الملوك

الكبار، مع المشاهدة لأحوال من يدعي إلى خلاف ما ألف من الضلال، الذي لا دليل عليه إلا تقليد أغتام الرجال، فإنك ترى الواحد منهم يزاييل عن القول الباطل، والمسلك الضيق العاطل، الذي لا يمتري في بطلانه عاقل، فما ذلك إلا لما جعل الله سبحانه في قلب هذا الإمام الطاهر، من الخنو والشفقة على دينه الظاهر، وما منحه سبحانه وتعالى من الفتوح المتواتر، والنصر القاهر، فذلت له لذلك الرقاب، وتسهلت له الصعاب، مصداق ذلك ما حكاه القاضي العدل المذكور - أيده الله - مما تراه في أخباره من ذكر عظمة الإسلام في ديار الكفرة العمين، الذين وصفهم الله في كتابه المبين بأنهم كما قال: ﴿ولا الضالين﴾، وما جعل في قلوبهم من الهيبة والجلالة لزعيم الإسلام والمسلمين، وولد سيد النبيين والمرسلين - أيده الله - كما أيد به الدين، آمين اللهم، آمين.

أم من عزيمة القاضي الحبر، والغرة الصدر - أيده الله - والمضي إلى ديار الجاهلية النائية، ومحل سلاطين النصرانية، فاقتحم الأخطار في طاعة الله بطاعة إمامه، وخاض البحار وجباب القفار، ليبلغ عن الله سبحانه، وعن رسوله صلى الله عليه وآله وخليفته - عليه السلام - بالغ أحكامه، فما أشبه حل المرسل والمرسل بحل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله، وحل من بعثه للبلاغ وأرسل، مما رواه أهل السير والآثار أنه صلى الله عليه وعلى آله الأطهار كتب دعوته إلى ملوك الأقاليم، فأخبرهم عن الله سبحانه بما [١٠٠/ب] أمره به وأمر رسله الذين من قبله بالبلاغ إلى كل جيل وإقليم، فانتدب لذلك من انتدب، بعد أن دعه إلى ذلك نبي الله وقرب، فساروا لما أمروا أفراداً وأزواجاً، وقطعوا ظلمات الشرك بضياء الإسلام الذي جعله الله سراجاً وهجاً، وهذا من ذاك، والحمد لله رب العالمين.

نعم! وما أخبرني مولانا أمير المؤمنين -حفظه الله وأيده- أنه وصل إليه فقيه عالم صالح ناسك مفلح اسمه [.....]^(١) أنه خرج من مصر إلى الحبشة وأنه أقام في مواضع منها من خطط المسلمين الذين في الحبشة وأنه سمع منهم وأحسبه قال: ومن غيرهم من النصارى عظم موقع وصول القاضي شرف الدين -أيده الله- إلى تلك البلاد وقوة ورعه، واحتياطه، وصدق عزمته، وآثاره الحسنة في الإرشاد إلى عز الإسلام، والغنى عن الحطام، ماملاً الأسماع سروراً، والقلوب حبوراً، والإسلام قوة وظهوراً، حتى كان هذا الفقيه يدعو للقاضي حسن على الاستمرار.

وأخبرني الولد الحسين -أسعده الله- أنه لقي بعد عوده من المدينة النبوية والزيارة لخير البرية ﷺ فقيهين من أهل مصر على مذهب الشافعي -رحمه الله- في بندر جلة ركبا معه في البحر إلى اليمن، قال: فلم أر مثلهما في لزوم مراقبة الله، وتوظيف الأوقات لعبادته، وتلاوة كتابه، والمذاكرة في فنون من العلم، قال: وسألتهما عن سبب خروجهما اليمن، وعن مصر، فقالا: إن في مصر علماً، ولا نقول: إن العلم لمكان ما فيها من الجور والظلم انقطع، وإنما قل من الفقهاء من لم يكن في جوار ظالم من الأتراك فيكون في ظله وبيداريه، حتى إنه قد يوجد من الكفار من لم يحتج إلى ما يحتاجه الفقهاء من الجوار، قال: وسألتهما أين يريدان؟ فقالا: خروجنا اليمن للنظر إلى هذا الإمام، ولا غرض غير ذلك، فإننا لم نسمع في الأرض بأعدل منه ولا أعلم، أو كما قال.

وأخبرني مولانا أمير المؤمنين -أيده الله- في عام سبع وستين وألف أنه وصله من فقهاء مصر الفقيه الذي ذكرناه من طريق الحبشة، وأنه وصله فقيه على صفته من مصر.

قال -عليه السلام-: وعرفت أنه من أهل العلم، فأمرت له بمكان قريب

(١) بياض في (١) ما بين المعقوفين

من الفقيه الأول، قال: فلما حانئ الآخر منزل الأول مل إليه باختياره وصاحب المنزل الأول تلقه أيضاً، ولا يعرف أحدهما الآخر، وقال الأول: يكون هذا عندي في منزلي، وقال [١/١٠١] الآخر كذلك ثم تساءلا، فلذا الآخر ابن الأول، وأنه خرج إلى اليمن يسأل عنه، قال: فتعانقا وبكيا، فأظن أن الابن هو الذي ذكره الولد الحسين وأن الإمام - عليه السلام - أغفل ذكر الولد المذكور؛ لأنه - عليه السلام - أراد بحديثه أن الأرحام تتواصل وتتعارف فيما أجرى الله من العادة، فلا يبعد أنهما من ذكرهما الولد الحسين والله أعلم.

ومما أخبرني - أيده الله - بأن قال: إن الفقيه المصري لا أدري أهو الأول منهما أو الآخر، سألتني أن أكتب له عقيلة واضحة، قال: فحضرني ذلك وجعلته كتاباً أكبر من العقيلة المشروحة بالكتاب المسمى (البراهين الصريحة في شرح العقيلة الصحيحة) وسماه - عليه السلام - ولم أقف عليه.

مركز تحفة كويتية

ذكر معاودة ملك الحبشة بالهدية إلى مولانا الإمام - عليه السلام - في عام

اثنتين وستين وألف

فإنه أعاد على مولانا - أيده الله - المكاتبه ولم أقف على لفظ كتابه، وإنما نقل عن خط سيدنا القاضي الصدر العلامة الحبر شيخ الإسلام، أحمد بن سعد الدين - أيده الله - جواب الإمام - عليه السلام - عليه وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، إلى السلطان الملك المعظم، عمدة سلاطين الأمة العيسوية التي هي أقرب الناس مودة للذين آمنوا من الأمة المحمدية، المرجو من الله أن يجمعنا وإياه على كلمة سواء أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً

أرباباً من دون الله، السلطان سنجد فاسلداس بن السلطان سنجد سينوس سلام على من اتبع الهدى، فإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي ختم به النبيين، وصدق به المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وأن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم الطيبة الحسنة فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده، وأقول كما قال رب العزة معلماً لنا في كتابه الذي أنزله، ووحيه الذي فصله أن نقوله لأهل الكتاب: ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١)، ونرجو أن تكونوا إن شاء الله ممن قال [١٠١/ب] عز وجل فيهم من سلفكم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ، وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ، فَأَنْزَلَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

وإنه وصل إلينا كتابكم بالاعتذار في تأخير رسل الهدية عن رسولنا القاضي حسن - أحسن الله إليه - بما ذكرتم من الأسباب، وأنا لم نختر إرسال القاضي المذكور إليكم لاستمداد شيء من الهدايا الدنيوية التي هي أحقر من أن تذكر، وأهون من أن تؤثر، فإنه يقوم بأمرها أدنى خامل، وأقل راحل، وإنما اخترناه ليحمل عنا إليكم الهدية الدينية، والدعوة الإسلامية المحمدية حين أنسنا منكم القبول، واستدعيتم منا وصول الرسول؛ ليكون وصولنا

(١) الآية: (٤٦) من سورة العنكبوت.

(٢) الآيات: (٨٥، ٨٤، ٨٣) من سورة المائدة.

على أمر الله، وتفارقنا على كلمة الله التي يقول فيها عز وجل معلماً لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾ وبقوله عز وجل ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ، وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْرثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ، فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ، وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾^(١)

فهذه هي الهدية التي قصدناها، والبغية التي أردناها، والغاية التي سعينا إليها، والنخيرة التي حثنا عليها، ونرجو إن شاء الله من فضل الله أن تكونوا لها قابلين وبها عاملين، وبسيفها على الأعداء صائلين، ولنا سلف في مثلك جدنا رسول الله ﷺ، ولك سلف في مثلها أصحاب النجاشي -رحمة الله عليه- كتب إليه جدنا رسول الله ﷺ:

بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، بسلم أنت فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى [١٠٢/أ] بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه من روحه، ونفخه

(١) الآيات: (١٦، ١٥، ١٤، ١٣) من سورة: الشورى

كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالة على طاعته، وأن تتبني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى.

ولما وصل إليه الرسول بكتاب رسول الله ﷺ، قال: يا أصحابي إني عليّ القول وعليك الاستماع، إنك كأنك في الرقة علينا منا، وكأننا بالثقة بك منك لأننا لم نظن بك خيراً قط إلا نلناه، ولم نخف على شيء قط إلا أمناه، وقد أخذنا عليك الحجة من قبل، الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور في ذلك الموقع الحز وإصابة الفصل، وإلا فانت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى بن مريم، وقد فرق النبي ﷺ رسله إلى الناس فرجلك بمالم يرجهم له، وأمنك على ما خافهم عليه خير سالف، وأجر ينتظر، فقال النجاشي: أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل، وأن العيان ليس بأشقى من الخبر، ثم كتب النجاشي - رحمه الله - جواب النبي ﷺ:

بسم الله الرحمن الرحيم. إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحابي، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمته وبركاته، الذي لا إله إلا هو.

أما بعد: فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت تفروقاً^(١)، وأنه كما ذكرت، وقد عرفت بما بعثت به إلينا وقد مر بنا ابن عمك وأصحابه وشهد أنك رسول الله صادقاً مصداقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وإذا كان الأمر كذلك فحق علينا أن ندعوك إلى ما دعا إليه سلفنا، وحق عليك أن تجيب إلى ما أجب إليه سلفك إن شاء الله، فإن

(١) حاشية في (أ) لفظها: التفروق: علامة ما بين النواة والقشرة. (كذا في الهدي النبوي)، وفي سيرة ابن سيد الناس: علامة ما بين النواة والقمع. تمت.

ذلك منا ومنك أنفس الهدايا وأعظم العطايا، وفي مثله يقول ربنا عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ لَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(١) هذا وهديتكم هذه التي صحبة رسولكم وصلت إلينا كما ذكرتم في كتبكم، وهي خمسون رأساً من الرقيق الأحمر والأصفر والأخضر، وعشرة رؤوس من السود، وبغلة بسرج ذهب وعذارات فضة وعدتها فضة وبغلة أخرى بسرج وعدتها وعذارتها نحاس وقبلناها وصدر في حفظ الله مع رسلكم ما تقفون عليه إن شاء الله في البيان الصادر طي هذا [١٠٢/ب] الكتاب سبباً إن شاء الله إلى التوصل على الغرض المطلوب، والأمر المحبوب، من الاجتماع إن شاء الله على كلمة الله، والاتحاد في أمر الله، والقول كما علمنا الله عز وجل في قوله ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. انتهى^(٢)

[أخبار بلاد صعلة]^(٣)

رجعنا إلى أخبار بلاد صعلة، قد ذكرنا خروج مولانا أحمد بن الحسن - أطل الله بقاءه - من صعلة المحروسة بالله، وتسليم السيد إبراهيم بن محمد المرة الأولى وبقاؤه في باقم^(٤) من أعمال بني الخطاب^(٥) واعتذاره عن الوصول إلى الإمام - عليه السلام - بما تقدم، فلما رجع مولانا أحمد بن الحسن - أيده الله - من صعلة لم تزل المفاسد بين القبائل، فأخذ الإمام - عليه السلام - يتولى

(١) الآيات: (٥٨، ٥٧) من سورة يونس.

(٢) ما بين المعقوفتين هي سيرة الحبشة من الورقة (١٧٩-١٠٢/ب) وسبق أن أشرنا في الدراسة التمهيدية - منهج النشر - بأننا لم نتناولها بالتحقيق للأسباب التي ذكرناها. انظر ص: ٦٩-٧٠.

(٣) ما بين المعقوفتين عنوان أضفناه على طريقة الناسخ.

(٤) باقم: بلد من قبائل بني جماعة في صعلة. (الحجري: ١٠٢/١).

(٥) انظر، هـ: النص: ق (١٦٢).

إصلاحها ويرسل على أهل كل قضية بما حسم فسادها، وقد قل العسكر عند مولانا أحمد بن أمير المؤمنين -أيده الله- وتفرقوا، والإمام -عليه السلام- يردهم مرة بالترغيب، ومرة بالترهيب فلم يؤثر، وأرسل عسكراً مرة بعد أخرى، فصلح الحال، واستقرت الأمور.

وقد تقدم ولاية السيد الفاضل العالم المجاهد أحمد بن الهادي بن هارون الهادي^(١) -أسعده الله- بلاد خولان، وأن الإمام -عليه السلام- قرره عليها، وناط أعماله إلى مولانا أحمد وجعل في الشام من بلاد بني جماعة^(٢) الفقيه، الأكمل جمال الدين علي بن صلاح الجملولي كذلك، وجعل في رازح السيد الأعلم الأكرم وجيه الدين المهدي بن الهادي المعروف بالنوعة الهادي^(٣) كذلك. ثم أبدله بالقاضي الأعلم محمد بن علي بن جعفر الخولاني^(٤)، وكان قد حصل في أيام الاختلاف المذكور أولاً قتول بين القبائل وإحن مع دخول متقدمة، وأن الصدور بينهم لذلك غير سليمة ولا يزال العسكر من عند الإمام -عليه السلام-، فمرة إلى بلاد أمّح^(٥) من نواحي المشرق، ومرة إلى نجران^(٦) وجهاته، وأخرى إلى سحار^(٧) وآل عمار^(٨) وإلى بلاد العر^(٩) وبني جماعة^(١٠) وإلى بلاد خولان^(١١) وفي أخبارها طول كبير، وذلك في عام سبع وخمسين وثمان وخمسين وتسع وخمسين، وستين وألف [١٦٤٧م - ١٦٥٠م].

(١) انظر ترجمته، ه: ص: ق: ١٢/أ.

(٢) انظر ه النص: ق ١٣/ب.

(٣) انظر ترجمته في ه: النص: ق ١٣/ب.

(٤) انظر ترجمته في النص: ق ١٣/ب.

(٥) أمّح: واد في بلاد شاعر من أعمال صعلة فيه قرى كثيرة ومزارع للثمة. الحجري: ٩٠/١.

(٦) انظر ه النص: ق ٥١/ب.

(٧) انظر ه النص: ق ٥١/ب.

(٨) انظر ترجمته في ه النص: ق ١٣/ب.

(٩) العر: قرية من ناحية بني جماعة في صعلة. الحجري: ٤٧٤/٢.

(١٠) انظر ه النص: ق (١/٥٠).

[تمرّد إبراهيم المؤيد للمرة الثالثة]^(١)

قصة نكث السيد إبراهيم في المرة الثالثة ومن صار إليه، ودخول مولانا الحسين [١٠٣/أ] بن أمير المؤمنين المؤيد - أطل الله بقاءه - بلاد صعلة.

وذلك أن السيد الفاضل أحمد بن الهادي بن هارون، شديد العزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كثير التحري في الأخذ والصرف والإعطاء، وقد كبرت نفوس الكبراء لما يرون من انقياد قبائلهم لهم لحاجتهم إليهم مع الخصومات المتقدم ذكرها، ومع ذلك يرون من الإمام - عليه السلام - الإحسان إليهم وللتأليف ولسوابق أهل السبق منهم مع الرفق بهم فازدادوا تكبراً، وتصوروا ذلك ضعفاً في الدولة الإمامية، فازدادوا شراً وبطراً، وتعمدوا السيد أحمد بالأذية، حتى أنه وصل إلى الإمام - عليه السلام - يشكوهم مراراً، ويستعفي من الولاية عليهم كراراً^(٢)، فلم يقبل منه الإمام - عليه السلام - وعرف أن ذلك من كبرائهم طمعاً في الاستبداد والتصرف في البلاد، فخرج مولانا أحمد - أيده الله تعالى - من صعلة المحروسة بالله إلى ساقين^(٣) بمطالعة الإمام - عليه السلام - في عسكر كثير، وقد أظهر قوة، وقوم من اعوجاجهم ما أمكن، وكان الإمام - عليه السلام - جهز الفقيه المجاهد بدر الدين محمد بن علي بن جميل في زهاء أربعمئة نفر من العسكر المنصور لأعمال معينة من إنصاف^(٤) المظلومين، مما تكرر ذكره من القتل والأموال وأخذ المحدثين وعقوبتهم.

(١) ما بين المعقوفين عنوان أضفناه على طريقة الناسخ.

(٢) في (ب): مراراً.

(٣) ساقين: بلدة مشهورة من خولان في صعلة. (الحجري: ٤١٠/٢).

(٤) في الأصل (١)، وبقية النسخ: (انصاف).

وكان أكثر من ينتصب للفساد بلاد خولان، وأذية السيد أحمد بن هارون، الشيخ يحيى بن محمد بن روكان الحبي ثم البحري، وقد تقدم في سيرة مولانا الإمام المؤيد بالله - عليه السلام - أن أخاه الشيخ قاسم الذي انتصب للفساد في صدر خلافته وحصل منه وفيه ما تقدم في سيرة الإمام المؤيد بالله - عليه السلام - وإلى آل روكان رئاسة أكثر بلاد خولان.

وكان قد وصل هذا الشيخ يحيى إلى مولانا أحمد وأظهر الطاعة والبراءة من السيد أحمد وكانوا قد أهملوا جانب مولانا أحمد وأحدثوا في محطته أحداثاً.

منها: أنهم عقروا من خيله في الليل، نعم، فاجتمع لهذه الأسباب أن الإمام - عليه السلام - عين على الشيخ المذكور وبلاده آداباً، مما وصل بها الفقيه محمد - أبقاه الله - فتوحش وخاطب إلى مولانا أحمد أنه يسلم ما عليه، ولا يدخل العسكر بلاده، وعرف مولانا أحمد - أطل الله بقله - أن العسكر إذا لم يدخلوا بلاده ناظرهم غيرهم، فأمر الفقيه بدر الدين بن محمد بالتقدم إلى بلد المذكور، وقد طيب نفسه.

فلما لم يجد بدأ من لقاء الفقيه بدر الدين، حشد قوماً وتلقاه للضيافة إلى موضع يسمى الشراة^(١)، وقدم [١٠٣/ب] العسكر إلى الجمعة موضع هناك وأقاموا نحو الشهر والمفاسد تكثر، فعاد الفقيه إلى الشراة وهو المخل الأول فتلقاه الشيخ المذكور، وطلب تفرق العسكر للضيافة، فلجابه الفقيه بدر الدين إلى ذلك بشرط أن يكونوا قريباً منه لخشية ما وقع، وهذا الشيخ قد أطمع قبائله وحلفاءه في حط ما هو عليهم من حق الله سبحانه وتعالى، وهون عليهم أمر العسكر فلم يفعلوا فيهم معروفاً، وطل على العسكر عدم الإنصاف لهم،

(١) الشراة. وهي جبل السراة، والتي في تفصل بين تهامة ونجد اليمن. (الكوع، ه البلدان اليمنية: ١٤٦-١٤٧، الحجري: ٤٦٩٢).

فحصل ما بين جماعة منهم وبعض القبائل اختلاف على شيء يسير طلبه العسكر علفاً لدوابهم فقتلوا من العسكر نفراً أو نفرين وبلغ الفقيه بدر الدين، فأخذ حذره على من بقي عنده (من العكسر وحفظ من كان عنده)^(١) من أهل البلاد ليستخرج بهم العسكر المختازين فجال بينه وبينهم القبائل، وقد قتلوا من أهل البلاد أنفاراً، بأن رماهم العسكر المختازون وتكاثرت عليهم القبائل وقتلوا أولئك المختازين من العسكر وكانوا ثمانية عشر نفراً، فأمر الفقيه بدر الدين بقتل من عنده من المحبوسين، وخرج العسكر المنصور، فاقتطعوا جماعة من القبائل فقتلوا منهم نحواً من أربعين نفراً، وسار الفقيه بدر الدين في أصحابه إلى موضع يسمى الشراة، ودخلوا البيوت وتحصنوا فيها وقد أخذوا ما يحتاجون إليه من الأقوات، ثم إنها أقبلت عليهم جموع القبائل فحاصروهم فكادوا يهلكون من الجوع، ولم يكن عند مولانا أحمد كثرة عسكر لاستدراكهم، فلحلت على يد السيد أحمد في إيصال إليهم المدد ليلاً دقيقاً وطعاماً وإداماً^(٢) فوصلهم على مشقة ومخاطرة، وبلغ الإمام - عليه السلام - ذلك، فأمر النقيب المجاهد سرور بن عبدالله فيمن حضر من العسكر المنصور، وكان وصل في ذلك اليوم أو قبله بيوم، أو يومين من سفر الحج الميمون^(٣)، وكان إليه النوبة في ذلك العام فكانوا أكثر من خمسمائة، وأمره بالمدد، ثم إن الإمام - عليه السلام - طلب العسكر من جميع جهات شهارة المحمية، ثم طلب العساكر الإمامية من جميع الجهات، وطلب مولانا أحمد أيضاً الغارة ممن أطاعه من الشام، فحصل من ذلك استخراج العسكر،

(١) ما بين القوسين لحق مثبت من الحاشية.

(٢) إداماً: إطام الطعام وهو ما يجعل من الخبز فيطيبه (المنجد: ٥).

(٣) ساقطة من (ف).

والفقيه بدر الدين، وأتم القبائل على الخلاف، وسار الشيخ يحيى بن روكان إلى السيد إبراهيم إلى باقم مع غيره من أهل الفساد، ورجع السيد إبراهيم إلى حل أشر من الأول وخرج معهم من باقم، وجدد دعوة حاصلها تفريق المسلمين، ونكث بيعة أمير المؤمنين، وظهر لمن كان في شك من أمره أن دعوته الأولى والأخرى الطمع والحسد والميل مع الهوى والدنيا، الله المستعان.

وقال: الآن وجدت الناصر، وفرق الدعاة، ونصب الولاية [١٠٤/أ] والقضاة، وخرج إلى بوصان^(١) ثم مداك^(٢) وعرو^(٣) وأرسل مع ابن روكان من أطاعه إلى بلاد خولان، وفسدت بلاد صعلة جميعها، واستوحش الناس، وبقي مولانا أحمد - أيده الله - في ساقين وقد تنقطع الطريق فيما بين ساقين وصعلة، وكذلك النقيب سرور ومن معه صاروا في موضع يسمى وشحة^(٤) في حكم المحتازين.

وأخبر الفقيه علي بن عشوان العماري، أن بعض العسكر كان يصلي فرماه من غضب الله عليه فقتله وهو كذلك وسلط الله على ذلك القاتل البرص القاطع الذي كان به عبرة للناظرين، والسيد إبراهيم يتردد في أطراف بني جماعة، وما يقرب من بلاد آل أبي الخطاب وخاف وعاد [إلى] ^(٥) باقم من أعمال قراض، وكان الإمام - عليه السلام - قد أرسل مولانا الحسين بن أمير المؤمنين - أيده الله - إلى بلاد وادعة الظاهر، وجانب بني صريم وتقدم أيضاً إلى محروس ظفار^(٦) للزيارة، ثم ذيبين، وأصلح الله به أموراً منها في وادعة

(١) انظر هـ النص: ق (١/١٢).

(٢) مداك: إحدى قرى ناحية مجز في صعلة. (الجهاز المركزي للتخطيط، التعداد العام، محافظة صعلة: ٩٣).

(٣) عرو: جبل من بلاد صعلة. (الحجري: ٥٩٩١٢).

(٤) انظر هـ: النص: ق (١/١٢).

(٥) ما بين المعقوفتين أضفناه للإيضاح.

(٦) ظفار: حصن في بلاد همدان الشام في صعلة. (الحجري: ٥٦٤/٢).

قتول وغيارات بأن قبض على أهل الفساد، وتقدم إلى قبة خييار^(١)، وقد كادوا يتفانون من أيام الإمام المؤيد بالله - عليه السلام - بحيث إنه توفي وبعضهم في الحبوس والعسكر عليهم فتزايد فيما بينهم الشر مع الاشتغال عنهم، وقتلوا من بعضهم بعضاً ثمانية عشر نفرأ في بلد واحدة، وأتوا على أكثر أعنابهم قطعاً وإفساداً، فهدم دور أكثرهم عن أمر الإمام - عليه السلام - واستقاموا بعدها.

ولما حدث في بلاد صعلة ما تقدم من عظم الفساد، أمره الإمام - عليه السلام - بالوصول إليه إلى معمور (أقر) وقد اجتمع العسكر، فكانوا أكثر من خمسة آلاف، وأمره بدخول بلاد صعلة وأصحابه علة من العيون، وذلك في شهر ربيع الآخر عام إحدى وستين وألف [مارس ١٦٦١م] وقد كثرت الرسائل من السيد إبراهيم مما سيجيء قريباً إن شاء الله، ومن الإمام - عليه السلام - من الجواب عليها.

ولما استقر مولانا الحسين - أيده الله - في صعلة استأمن إليه كثير من القبائل فقبلهم، وأحسن إليهم، ووصل إلى مولانا أحمد - أيده الله - من خولان كذلك، وإلى النقيب المجاهد سرور كذلك، وإلى الفقيه جمال الدين علي بن صلاح الجملولي كذلك، وقد جعل الإمام - عليه السلام - تدبير الجميع إلى مولانا الحسين - أيده الله - وصار السيد إبراهيم في باقم، من أعمال آل أبي الخطاب ظناً منه أن العساكر الإمامية لا تصل إليه على ما سبق من الدول الأول أن عسكرها لا يصل هذا الموضع.

(١) قبة خييار: بلد من حاشد. (الحجري: ٦٤٦٢).

[ذكر غزوة باقم]^(١)

ذكر غزاة باقم ونواحيه، والقبض على أولاد السيد إبراهيم. ولما لم ينجح في المذكور حسن الدعاء، ولا في الجهات التي صار إليها في إطفاء النائرة، أمر مولانا الحسين - أيده الله - السيدين المجاهدين [١٠٤/ب] أحمد بن عبدالله الخرابي، والسيد عبدالله بن مهدي بن حيدرة الغرباني في عسكر مختارين، ومن قبل مولانا أحمد - أيده الله - الفقيه بدر الدين محمد بن علي بن جميل، والفقيه جمل الدين علي بن صلاح الجملولي، والنقيب المجاهد صالح بن سعيد المدعوري في عسكر كذلك وسروا ليلاً ونهاراً، وكان ما بين صعلة وباقم نحو من ثلاث مراحل^(٢)، فهرب السيد إبراهيم وصار فيمن بقي معه إلى جنبه: بلد هنالك، واستولى العسكر المنصور على تلك المواضع، وغنم الناس كثيراً، وقتل العسكر من القبائل أنقاراً، واستشهد من العسكر نقرأً أو نفران.

ولما صار السيد إبراهيم في جنبه وقد ألب من القبائل ألفافاً، وأرسل أولاده إلى جهات مما تتصل ببلاد المرقدين، وقد تقدم صفتهم ودخول بلادهم في سيرة الإمام المؤيد بالله - عليه السلام -.

[ذكر غزاة جنبه وما يواليها]

ثم إن من تقدم من الرؤساء اجتمعوا لغزو المذكور أيضاً إلى ذلك المحل الذي هو فيه اقتضاباً في وقت واحد. فلما تراعى لهم المحل الذي هو فيه أرسل الله سبحانه وتعالى مطراً غزيراً فحجز ما بين الفريقين، وانهزم السيد

(١) ما بين المعقوفتين عنوان أضفنه من الحاشية.

(٢) المرحلة حوالي ٣٥ كم.

إبراهيم ومن معه وأحرب بعض أصحابه فقتل منهم العسكر نحو عشرة أنفار، ومن العسكر نفرين أيضاً، واستولى جنود الحق على نخيمهم، وقد طاروا على وجوههم، وخرج السيد إبراهيم إلى بلاد سنحان، وبقي فيه أياماً والعسكر المنصور في جنبه، ولم يكن معهم من المدد إلا ما غنموه.

وقد تقدم أن فيهم النقيب المجاهد صالح بن سعيد المذعوري، وله معرفة بأحوال أهل الشام، ولهم به كذلك فراسلهم ولقوة بخطاب حاصله أن أعطوا رهائن في الطاعة، وعقد لهم مع أمراء العسكر الإمامي صلحاً، وعادوا بالرهائن إلى باقم، وأقاموا فيه شهرين، وكان السيد محمد بن أحمد^(١) بن محمد بن عز الدين بن أخي السيد إبراهيم بالقرب من المكالف^(٢) وأولاد السيد إبراهيم وقد استولى عليهم جنود الحق وحفظوهم في غاية الاحترام والإعظام فاستأمن السيد المذكور، وأظهر التوبة ووصل إلى مولانا (الحسين) - أيله الله - إلى صعلة، وكذلك أولاد السيد إبراهيم أرجعواهم إلى صعلة، ووصل السيد محمد بن أحمد المذكور إلى الإمام - عليه السلام - فعظمه وأكرمه وعفا عنه.

ثم إن الإمام - عليه السلام - تابع الرسل إلى مولانا أحمد، ومولانا الحسين - أيدهما الله تعالى - وأمر العسكر الإمامي بأمرهم بلحوق السيد إبراهيم حيث كان ولو إلى بلاد مكة وغيرها، وقد خرج السيد إبراهيم إلى بلاد قحطان ودخل الحرجة يريد الانتصار بهم، فبعثوا عنه كثيراً، فأظهر أنه يوطنهم ويزوج منهم، فلم يجيبوه إلى غير حفظ نفسه، وأن أمرهم وطاعتهم للإمام - عليه السلام - بحالها، وأرسل مع ذلك عاملاً [١٠٥/أ] للحقوق إلى بلاد قحطان، فالتفت الناس إلى عامل الإمام - عليه السلام - أكثر من السيد المذكور.

(١) لم أجد له ترجمة.

[إبراهيم المؤيدي يقدم الولاء والطاعة بعد تمرده]^(١)

ولما عرف السيد إبراهيم أن أولاده قد صاروا في صعلة والجنود الإمامية في أثره، وعرف ميل قحطان إلى الإمام - عليه السلام - كاتب إلى مولانا الحسين - أيده الله - وطلب منه أنه يرسل إليه القاضي الأعلم شمس الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال، والقاضي الفاضل أحمد بن صلاح الهبل وغيرهما ولقيهم إلى باقم، وقد وصله من الإمام - عليه السلام - من المكاتب ما سكن روعته، وسكنت إليه نفسه ثم استدعى مولانا الحسين - أيده الله - للقاءه إلى ضحيان^(٢) موضع قريب من العشة^(٣)، وقد بسط مولانا الحسين - أيده الله - له خصوصاً، وأهل الشام عموماً الأمان والإحسان الكثير والامتنان.

ولما اجتمع به في هذا الموضع قرر معه التوبة من هذه الأحداث والاعتذار إلى الله سبحانه وتعالى، وإلى المسلمين ثم إلى مولانا أمير المؤمنين - أيده الله - وذلك في بقية من شهر رمضان المعظم [سنة أحد وستين وألف]^(٤) [سبتمبر ١٦٥٠م] وكان نسخة كتابه بالتوبة مما تقدم، ونسخة كتب الإمام - عليه السلام - في ذلك كثيرة نذكر منها جواباً للإمام - عليه السلام - هو أوفاهما وأوسعها، وهو المسمى (شفاء الصدور)^(٥) عن أقوال الزور:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

(٢) المكالف: النساء.

(١) ما بين المعقوفين عنوان أضفنه على طريقة الناسخ.

(٢) ضحيان: هجرة مشهورة من ناحية بني جماعة في صعلة. (الحجري: ٥٥٢/٢).

(٣) العشة: قرية من ناحية سحر في صعلة. (الحجري: ٦٠٥/٢).

(٤) ما بين المعقوفين ساقطة من الأصل (أ)، والإضافة من بقية النسخ.

(٥) في بقية النسخ: شفاء الصدور في الرد على أقوال الزور.

أنعم عليهم من النبيين، وملا قلوبنا إيماناً ونوراً، فعرفنا بفضل الهدي، وسلك بنا سبيل أهل التقوى، وعلمنا وله الحمد من العلم ما لم يعلمه غيرنا ففضلنا عليه، وأورثنا من علم الكتاب والسنة ما جعلنا به سابقين، ونجانا بفضل له الحمد عن أن نكون من القوم الظالمين، حيث يقول في محكم كتابه الكريم ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا لَمِثْلَ نَفْسِهِمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْتِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾^(١)، فأعطانا من فضله علماً نستنبط به الأحكام، ونفرق به بين الحلال والحرام، واختصنا بذلك، وجعل لنا الفضل على من لم يكن كذلك، فإذا ردوا إلينا ما أمر الله برده إلى مثلنا في نحو قوله ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(٢) علمناه بفضل، وبيننا الحق فيه بواضح دليله، فله أسلمنا، وبه آمنا، وعليه توكلنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى [١٠٥/ب] وبيان الشرع والكتاب، وأتاه الحكمة وفصل الخطاب صلى الله عليه وعلى آله الذين أشار إليهم بقوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(٣) الذين يجاهدون في الله حق جهاده، وإذا أصابهم البغي هم ينتصرون.

وأنه لما كان من أمر أهل البغي الذين ابتلى الله بهم أئمة الحق، وقرناء الكتاب والصلقى في زمننا هذا مثل ما كان من غيرهم من الذين مرقوا من الدين، فإنهم لم ينقرضوا كما أخبر بذلك محمد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، فيما رواه عنه عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يُخْرَجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سَفَهَاءُ الْأَحْلَامِ

(١) الآية: (٣٢) من سورة فاطر.

(٢) الآية: (٨٣) من سورة النساء، وتامها: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

(٣) سورة الأعراف، الآية: (١٨١).

يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يقولون من قول خير البرية، يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية»^(١) رواه الترمذي، ورواه في صحيح مسلم عن عرفجة بن شريح الأشجعي، قال: رأيت النبي ﷺ على المنبر يخاطب الناس، فقال: «إنها ستكون بعلي هنات وهنات، فمن رأتموه فارق الجماعة أو يريد أن يفارق أمة محمد كائناً من كان فاقتلوه، فإن يد الله مع الجماعة، وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض»^(٢).

وروي أسامة بن شريك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم «أما رجل يفرق بين أمي فاضربوا عنقه»^(٣).

وروي في صحيح مسلم عن حذيفة في حديث طويل ذكر فيه الفتنة: قلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم»، وسأل الحديث بطوله حتى قال: فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، وصدق ﷺ لن تزال أئمة الحق بأهل تبلى من أولي الجهل الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وبأهل البغي الذين يعرفون الحق ولا يقولون الصلح، فنحمد الله الذي ابتلانا بمثل ما ابتلي به الخيرة من خلقه، ليجعل لنا الحظ الأوفر عنده إن شاء الله بما زاده الله لنا من عظيم فضله ليغفر لنا به السيئات، كما وعد في محكم كتابه، ويمحو به عنا الخطيئات كما وعدنا على لسان رسله، وليجيرنا من العذاب الأليم، كما وعد من تلجره، وجاهد في سبيله بماله ونفسه، والله ذو الفضل العظيم، الحمد لله الذي جعل لنا الأسوة بالأنبياء وأئمة الهدى، فإنهم -صلوات الله عليهم- لم يخلو من مضل لهم، وهم على الهدى، ولم ينفكوا عن معترض عليهم وهم

(١) الحديث: سنن الترمذي (٤٨١/٤).

(٢) الحديث: سنن النسائي: (٩٣٧)، وانظر: مستدرک الحاكم: (١٥٧٢).

(٣) الحديث: سنن الترمذي. (١٥٢).

أمة التقوى، فكذبوهم تارة وسخروا بهم أخرى، وسبوهم فينة وضللوهم أخرى، فلو لم يكن اعتراض هذا الناجم إلا علينا، لكان من أعظم الذنوب وأقبحها^(١) وأشدّها عند الله جرماً، وأفحشها لما تضمنه من أنواع المعاصي وذلك الكذب فيما [١٠٦/أ] رمانا به من المخازي، ثم نكث البيعة التي يد الله فوقها مرة بعد مرة، ثم نقض الأيمان بعد توكيدها كرة بعد كرة، ثم البغي بغير الحق، ثم الإعانة للظالمين، وإجابة صوت الفاسقين، ثم النهي عن المعروف والأمر بالمنكر، كما نبين ذلك إن شاء الله في أثناء هذا المستطر، ثم الغضب للدنيا والميل إلى جانب أهل الهوى، الذي يسخطون بما يزوي، ويرضون بما يعطى، ثم الاعتماد على الجهل عن الدليل فيما بينه من واضح السبيل، كيف ظنك بقبح مقالة لم تقتصر على السب لنا، وتثبت لما يتوقف فيه على ثلب^(٢) جانبنا، بل جميع ما فيه ثلب على السلف الصالحين، والأئمة الماضين، حيث حكم بأنه من اتبعهم على ضلالة، وأنهم لم يزالوا يخبطون في الجهالة، وليس لذلك سبب يدعو إليه غير الغفلة عن الحق والعمامة، فحكم في مقالته بأنهم ظالمون، إذ أخذوا على زعمه ما لا يستحقون، وهل يلزم من ذلك إلا التفسيق لهم والعياذ بالله، والتضليل لهم والحكم عليهم بالخروج عن الدين والتجهيل، فحين رأينا ذلك وخشينا أن يقف عليه من ضعفت عزيمته في الدين أو في قلبه مرض فلا يعرف الموقنين، بمن غفل عن وجوب الرد إلى الله وإلى الرسول، وإلى أولى الأمر الذين يستنبطون الأحكام، ويعرفون ما يجب لله ولرسوله وللإمام، فيضله ذلك والعياذ بالله، أو يوقع في نفسه شبهة والهلدى بيد الله، فأجبنا عن قال، وبيننا طريق الحق وطريق الضلال، وإن كان الأولى لولا ذلك الإلغاء والإهمال، وعرفناه أنه المتصف بتلك الصفات التي وصف الله بها

(١) ساقطة من (ف).

(٢) ثلب: عابه ولامه. (المنجد: ٧٣).

المؤمنين والمتسم بذلك دونهم، وحاشاهم أن يكونوا من القوم الفاسقين، والظالم من رمى أئمة الهدى بالظلم وهم عنه أبرياء، والجاهل من رمى أولي العلم بالجهل وهم أولوا الخشية والأولياء، والفاسق من ألزمهم الفسق وهم الأتقياء، وبيننا له ولمن عقل من المسلمين أنا أو إياه لعلى هدى أو في ضلال مبين، وظهر لنا بما فعله عنه نجوم هذا الحادث من بعض رعايا خولان، أنه من الذين لا يرقبون العهود ولا الأيمان، بل من الذين يتربصون الدوائر عليهم دائرة السوء، وينقضون العهد بعد ميثاقه مرة بعد أخرى، كصفة الذين قال الله فيهم لنبيه ﷺ: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَسْرَةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾^(١) فبعثوا بأعذار لنكتهم، وأكاذيب لتلفيق خطابهم، وكتبوا زخاريف هي الأمن أو الخوف الذي يرده المؤمنون [١٠٦/ب] إلى أولي الأمر، كما أمر الله في كتابه، ومن الفتنة التي تزيد الظالمين ضلالاً وخساراً، كما وصفهم الله في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(٢)، ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ وبه نعتصم، ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، قال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٣) وقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(٤) وقال: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ...﴾ الآية^(٥).

(١) الآية: (٥٦) من سورة الأنفل.

(٢) الآية: (١١) من سورة الحج.

(٣) الآية: (١٠٣) من سورة آل عمران، وعلمها: ﴿وَاذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْتَبَحْتُمْ بِبِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

(٤) الآية: (١٥٣) من سورة الأنعام، وبدايتها: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ...﴾، وعلمها: ﴿ذَلِكَ وَمَا كُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

(٥) الآية: (٧) من سورة المؤمنون، وعلمها: ﴿بَلْ أَمِينَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرَضُونَ﴾.

واستمع إلى ما أمر الله به، وإلى ما نهى عنه في محكم كتابه حيث يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ، وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١).

ونعوذ بالله لنا ولك ولجميع المؤمنين أن نكون من الذين قال الله فيهم ﴿وَيَلِّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَلِفًا أَلِيمًا، يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يَصِرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشْرَةً بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(٢).

فلحمد لله الذي جعلنا من الذين إذا ذُكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(٣) والحمد لله الذي جعل لنا في الوفاء بالعهد نصيباً علمه سبحانه وأظهره بفضله لعباده المؤمنين، ولم يجعلنا من أهل الإصرار الذين يقولون ما لا يفعلون، ويدعون ما لا يستحقون، وإذا ذُكروا بآيات ربهم لا يذكرون، وحملتهم حجة الرئاسة، وشنآن الخمول على البغي، ونكث العهد، ونصرة الباطل والقيام بدعوى الجاهلية، وتضليل سير الأئمة: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ

(١) الآيات: (٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥) من سورة النحل.

(٢) الآيات: (٧، ٨، ٩) من سورة الجاثية.

(٣) الآية: (٧٤) من سورة الفرقان.

الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا، وَتَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا^(١)، ثم قل هذا المعترض في أول كلامه حاكياً لكلام الله: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ [١٠٧/أ] وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢) ولعله أنه لم يشعر أنه يحصل بما قل وفعل ضد الأمرين بالمعروف، والناهيين عن المنكر، عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على كل مكلف، وأن رسلنا الذين أرسلناهم في أمر الحرب الواقع بين بني بحر^(٣) وشيعب حي^(٤) إنما كانوا مرسلين كذلك، وقائمين بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فامتنع بعضهم عن الطاعة، وحاربوا بغير الحق على الجاهلية والعصبية، ثم أرموا منه أن ينصرهم على بغيهم وتعنتهم على ضلالهم، وأن يتصف والعياذ بالله بصفة المنافقين، الذين قال الله فيهم ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٥) وعنده من العلم ما لا يخفى عليه معه إن شاء الله قبح مرادهم وضلال رأيهم؛ لأنهم من الأعراب الذين حكم الله عليهم بأنهم ﴿أَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، وقال فيما كتبه حاكياً لكلام الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٦) فنقول: الله أكبر من المفرق للجماعة، ومن الساعي في الخلاف والفرقة، ألسنت أنت طلبت الفرقة؟ وحركت أنت نائم الفتنة، وقد قل النبي ﷺ: «من أتاكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يشق

(١) الأيتان: (٨٢، ٨١) من سورة الإسراء.

(٢) الآية: (١٠٤) من سورة آل عمران.

(٣) بنو بحر: من قبائل خولان صعدة. (الحجري: ١٠٤٨).

(٤) شعب حي: يقع غربي صعدة من ناحية ساقين. (الهمداني: صفة جزيرة العرب: ١٢٩).

(٥) الآية: (٦٧) من سورة التوبة.

(٦) الآية: (١٠٥) من سورة آل عمران.

عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه»^(١). رواه مسلم في صحيحه، وروى أيضاً مسلم، وأبو داود والنسائي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ستكون بعدي هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جمع فأضربوه بالسيف كائناً من كان».

ولم يكن العذر الذي اعتذر به هارون من موسى - عليه السلام - إلا خشية الفرقة، وعذره موسى - عليه السلام - لذلك، كما حكى الله عنه في قوله: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي، قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَسْأَخُذُ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾^(٢) وأراد بقوله: ولم ترقب قولي، ملحكه الله عنه في قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٣) وهذا هو بعينه عذر علي - عليه السلام - بدليل قول النبي ﷺ لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»^(٤) فلو أن علياً - عليه السلام - شق عصا الإسلام، بعد المصيبة العظمى بموت رسول الله ﷺ، لكانت وهنا فيه، ولكنه هاب الفرقة واستعظم ما تهاونتم به من أمرها، وقال ﷺ: «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها»^(٥).

وقال فيما كتبه مع معرفة من وقف على هذه بسبق دعوتنا وغفل عن شروط السبق وقواعد [١٠٧/ب] الشرع، الذي دل عليها العقل والسمع من أنه يشترط في السابق أن لا يكون في عصره أقوم منه لأمر الأمة.

(١) الحديث: صحيح البخاري: (٢٨٧٢).

(٢) الآيات: (٩٤، ٩٣، ٩٢) من سورة طه.

(٣) الآية: (١٤٢) من سورة الأعراف، وبدايتها: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَتْمٍ مِيقَاتُ رَبِّي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً...﴾.

(٤) الحديث: سنن الترمذي: (٦٤١/٥).

(٥) لم أعتد إلى تخريج الحديث.

قال أبو طالب^(١): وذلك بإجماع الصحابة، وقل الناصر: ومن خالف ذلك فسق، وقل الإمام المهدي: دليل ذلك معروف في العقول، وقل الإمام عز الدين بن الحسن^(٢) - عليه السلام - في كتابه (المعراج)^(٣): إن هذا القول للزيدية عموماً من غير تبعض ولا تخصيص بوقت، وقل: هذه رواية كثير من أصحابنا، ومن نص على ذلك القاسم^(٤) والهاشي والناصر والمؤيد بالله - عليهم السلام -

قل فيه: قال الناصر: ويفسق المفضول إذا سبق بالدعاء إلى الإمامة. انتهى.
وقال - عليه السلام - في كتابه (الإمامة): الذي عليه الزيدية وبعض المعتزلة: أن إمامة المفضول لا تصح.

قل: ومن نص على ذلك الهاشي والناصر، ويفسق المفضول إذا سبق الأفضل بالدعاء إلى الإمامة.

وقال في موضع آخر من كتابه هذا: فإن كان منهم من هو أفضل فهو أحق بالإمامة لاختصاصه بالأفضلية، قل فيه مستشهداً بكلام بعض العلماء: وعلى الجملة فالغرض بالإمامة صلاح المسلمين، وحسن الرعاية لهم، ومن كان ظن هذا فيه أغلب فلا يجوز لمن يعلم أن غيره أتم منه سياسةً وصلاحاً للمسلمين أن يقوم بأمر الأمة.

(١) وهو: أبو طالب يحيى بن الحسين الماروني، الإمام (ت ٤٢٤هـ/١٠٢٨م) أحد علماء الفقه الزيدي الكبار، له عدد من المؤلفات منها: (التحرير) وشرحه (الأمالي)، توفي بأمل طبرستان. (شرف الدين: تاريخ الفكر: ٢٣٣).

(٢) وهو: عز الدين بن الحسن بن علي بن المؤيد الإمام المهدي (٨٤٥-٩٠٠هـ/١٤٤١-١٤٩٤م)، عالم، قرأ على علي بن موسى الدواري، برع في جميع الفنون وألف وهو دون العشرين، ومن مؤلفاته (شرح البحر الزخار) للإمام المهدي أحمد بن يحيى، (المنهاج) في مجلدين. (الشوكاني: البدر الطالع: ٤١٥/٨-٤١٦)؛ البغدادي: هدية العارفين: ١٦٣/٥.

(٣) المعراج في شرح المنهاج.

(٤) وهو: الإمام القاسم بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (١٧٠-٢٤٤هـ/٧٨٩-٨٥٨م)، يعتبر زعيم الزيدية وجامع شتات المذهب الزيدي. (شرف الدين، أحمد حين: تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن: ٢٢٥-٢٢٦).

وقل في (المحيط): أجمعت الزيدية والإمامية على أن إمامة المفضول لا تجوز لإجماع الصحابة، فإن من عرف ما وقع في بيعة أبي بكر وعمر وعثمان علم ذلك قطعاً، فلو كان سبق الدعوة كافياً بمجرده، فقد سبقه إليها من لا ينكر سبقه.

فصل: وقوله: إن الحق للسابق والأفضل وإنما هو على زعمه من المصلح المرسل التي لا دليل عليها عنده لازم له في نفسه، فقد سبقه غيره، وأراد أن يكون أحق منه بالوجه الذي أبطله، وليس لذلك سبب سوى أنه ركب الاعتقاد، ثم أراد أن يرد الأدلة إليه، ولم يتبع الدليل ويرد الاعتقاد إليه.

وقل أيضاً فيما كتبه: إنا إنما صلحنا لما علمنا الناصر كصلح أبينا علي بن أبي طالب فأبدي في هذه اللفظة كمين سره، وأخبر عن حقيقة طوبته، فأقر واعترف بأنه بلق على دعوته الماضية، وإنما أعطاه من الأيمان والعهود دجل ومخادعة ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب عظيم بما كانوا يكذبون، وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴿١﴾. وحسبنا الله وكفى.

هذه أوراق عهوده، وسجلات تسليمه بخطه، بعد شهادة الله وكفى به، وهؤلاء الأخيار من المؤمنين الذين سعوا في صلاحه، وأدوا ما يجب عليهم [أ/١٠٨] من النصيحة له يشهدون عليه بالحق، ويعلمون بالصدق فأبي شهيد بعد الله، وأي عهد أقوى من الحلف بالله، وأي عدل أعدل ممن فهم بما أعطاه من البيعة، وأي بيعة أكد من بيعة يد الله فوقها، ومتى نقض علي بن أبي طالب - عليه السلام - عهداً أو خلف موعداً، سبحانهك اللهم، هذا بهتان عظيم، علي بن أبي طالب لم يصلح ولم يسلم وإنما سكن واستمر سكوته، ولم

(١) الآيات: (٩، ١٠، ١١، ١٢) من سورة البقرة.

يفرق جماعة، ولا خالف عهداً، ولا نكث يميناً وهو الإمام بلا شك فأغضى صابراً، ولقي الله باراً وافياً، وكم بين المرادين، وما أعظم الفرق بين المرادين، بل قال في (نهج البلاغة): (وإن عقدت بينك وبين عدو لك عقدة أو البسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفریق أهوائهم وتشتيت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين، لما استوبلوا من عواقب الغدر، ولا تغدروا بذمتك ولا تخيسن بعهدك، ولا تختلن عدوك، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي، وقد جعل الله عهدك وذمته أمناً أفضله بين العباد برحمته، وحرماً يسكنون إلى منعته، ويستفيضون إلى جواره، فلا إدغال^(١) ولا مدالسة^(٢) ولا خداع فيه، ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل، ولا تعولن^(٣) على لحن قول بعد التوكيد والتوثقة، ولا يدعونك ضيق أمر لزومك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته، وأن تحيط بك من الله طليعة، لا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك!!^(٤) انتهى.

وحسبنا وما علمناه من صدق النيات وصلاحها، ونصح الأمة في دينها، وقد قال الله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾^(١) وليست الولاية والإمامة كما بلغنا عنك مثل حق الزوجة يتجدد ويسقط، بل هي أعظم من أن تقاس على ذلك، وليس الدليل على أحقية الأنهض، وأولويته كما زعمت من

(١) إدغال: إفساد المنجد: ٢١٧.

(٢) مدالسة: لا يظلم ولا يخون. المنجد: ٢٢٢.

(٣) انظر: محمد عبده: نهج البلاغة ١٠٦٣-١٠٧.

(٤) الآية: (٤٨) من سورة المائدة: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّبًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا بَيْنَكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

المصالح المرسله، بل دليل ثبوتها للأنهض والأفضل معلوم من الكتاب والسنة والإجماع والقياس.

أما الكتاب فإن الله سبحانه جعل الدليل على ربوبيته وتفردّه بالوحدانية دون غيره من الشركاء الذين اتخذهم المشركون آلهة، وبطلان قولهم القياس على الشاهد فينا، فقال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ، فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ، ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [ب/١٠٨]، وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْمًا يُوَجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١) وقال: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾^(٢) الآيات إلى قوله: ﴿الَّذِينَ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٣) فبين سبحانه أن في الشاهد الذي تدركه العقول، أن القاييم بالقدرة على الأشياء الأمر بالعدل أحق ممن لم يكن كذلك^(٤) وليس بعد بيان الله بيان، وبين أن الهادي إلى الحق بأي طريق قدر عليها أولى وأحق ممن ليس كذلك، وجعل سبحانه ذلك دليلاً على وحدانيته، وأن لا شريك له في الملك وليس كمثلته شيء، وهو على كل شيء قدير، وغير ذلك بما هو بهذا المعنى كثير من القرآن الكريم، فهذا دليل صريح من القرآن، أن الأنهض والأقدر على القيام بالمقدور أولى، ونزيد ذلك تبياناً قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾، فجعل الاصطفاء مع

(١) الآيات: (٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦) من سورة النحل.

(٢) الآية: (٣٤) من سورة يونس، وتماها: ﴿...مَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

(٣) الآية: (٣٥) من سورة يونس، وتماها: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ...﴾.

(٤) في (ف): (ذلك).

الزيادة (وجهاً لأحقيته)^(١)، والأولوية على من لم تكن فيه تلك الزيادة، ومما يدل على أن القيام بأمر المسلمين والنهضة بها، والفضل فيها هي الموجبة للحق، والولاية قول الله تعالى في تولية الرجال على النساء: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٢) فبيّن سبحانه أن القوامين هم الرجال، ثم لم يكتف بتبيان ذلك حتى بيّن علته ووجهه، فقال: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾، ونزید ذلك تبيانياً ووضوحاً جعل الله علة التولية الضعف وعدم الاستطاعة بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾^(٣).

ومما يدل على ذلك أن الإمامة خلافة النبوة، ولما كان نبينا ﷺ أفضل الأنبياء وأقومهم عند الله بما كلف به، بين الله سبحانه في كتابه الكريم أن من فضله - عليه السلام - أنه لو اجتمع به أحد من الأنبياء قبله لسلموا له، وآمنوا به ونصروه، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٤)، فإذا كان

(١) ما بين القوسين ساقطة من (ب) و (ف).

(٢) الآية: (٣٤) من سورة: النساء، ونحوها: ﴿...وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَمْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾.

(٣) الآية: (٢٨٢) من سورة: البقرة، والآية: هي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَانَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَلْبَسْ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِمَّنْ رِجَالِكُمْ فَلَا يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجْلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَلْبَسْ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْلَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلٍ ذَلِكُمْ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشُّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَلَّحُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

(٤) الآية: (٨١) من سورة: آل عمران.

هذا حكم الله في حق الأنبياء - صلوات الله عليهم - الذين هم معصومون لا يأتيهم الباطل، فأولى وأحرى أن يكون في الأئمة كذلك لأنهم خلف الأنبياء وفروعهم، وكانت طريقتهم قولاً من جميعهم، وقولاً وعملاً من بعضهم، ولم يفعل أحد منهم من زمن علي بن أبي طالب إلى زمننا هذا شيئاً من التقلب والتخلف والنكث [١/١٠٩] فكيف به مرة بعد أخرى، بل كثير منهم الذين عاهدوا الظلمة والفساق كالحسن بن علي بن أبي طالب - عليه السلام - وغيره من أولاد البطينين^(١) عاهدوا من له حكم الكفر عندهم، ووفوا بعهدهم، واستقاموا على وعدهم، وليس الخلف والنكث من شعار المؤمنين: «يطبع المؤمن على كل خلق ليس الخيانة والكذب»^(٢)، قاله سيد المرسلين، بل ولا يرضاه كثير من الفاسقين، وقد قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به»^(٣) رواه البخاري ومسلم.

وروي أيضاً عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «الغادر ينصب له لواء يوم القيامة، فيقال: هذه غدرة فلان بن فلان»^(٤).

وروي مسلم عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، قال: «لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة»^(٥).

وروي أيضاً في صحيحه كما نقله ابن حجر عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «من خلع يداً من طاعة لقي الله ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»^(٦). قل ابن حجر ما معناه: وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة.

(١) البطينين: الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -.

(٢) الحديث: مسند أحمد بن حنبل: ٢٥٢/٧.

(٣) الحديث: صحيح البخاري: ٩٩٣، وأورده أحمد بن حنبل في مسنده: ٤١٧/١.

(٤) الحديث: مسند أحمد بن حنبل: ١٤٤/٤.

(٥) الحديث: مسند أحمد بن حنبل: ٤١٧/١.

(٦) الحديث: تفسير ابن كثير: ٣٠٢/٢.

وأما ما يدل من السنة على أن الأنهض أحق بالولاية، وأولى فنحو قول النبي ﷺ فيما رواه في صحيح مسلم عن أبي ذر قل: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني، قل فضرب بيده على منكبي وقل: «يا أبا ذر، إنك لضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها». وفي رواية قل له: «يا أبا ذر، إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تلمرنّ على اثنين، ولا تولين مل يتيم». فإذا كان هذا في العمالة التي هي فرع من فروع الإمامة، والقياس الجلي يقضي بذلك في الإمامة، وقد قل بعض العلماء: هو أقوى من النص.

وروى السيد الإمام أبو طالب^(١) - رضي الله عنه - في أماليه^(٢) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قل: «من أعان بباطل ليبطل بباطله حقاً فقد برئ من نعمة الله وذمة رسوله، ومن مشى إلى سلطان الله في الأرض ليزله، وسلطان الله في الأرض كتاب الله وسنة نبيه أذل الله رقبته [قبل]^(٣) يوم القيامة مع ما ذخر الله له من الخزي، ومن استعمل عملاً وهو يعلم أن في المسلمين أولى بذلك منه وأعلم بكتاب الله وسنة نبيه فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين، ومن تولى شيئاً من حوائج الناس لم ينظر الله إليه في حاجته حتى يقضي حوائجهم، ويؤدي حقوقهم»^(٤).

وقل علي - عليه السلام - في بعض خطبه: (أيها الناس، إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأغلبهم بأمر الله فيه. وفي نسخة: وأعلمهم بأمر الله فيه، فإن شغب شاغب استعتب، فإن أبي قوتل).

(١) أبو طالب: يحيى بن الحسين الهاروني.

(٢) وهو كتاب: (تيسير المطالب من أمالي أبي طالب). كحالة: معجم المؤلفين: ١٩٢/١٣ - ١٩٣.

(٣) زبارة في أمالي أبي طالب ص ٤١٣، والحديث فيه بسنده عن ابن عباس برقم (٥١١).

(٤) الحديث: أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ١١٤/١.

وأما الإجماع فرواه الأئمة الأعلام كالسيد أبي طالب في كتاب (الدعامة) ^(١) [١٠٩/ب] وغيره، وقد تقدم ذكر ذلك وكفى بالإجماع دليلاً، وخلاف من خالف بعد ذلك لا يقدر في الإجماع السابق، الذي رواه العدول.

قال الإمام يحيى ^(٢) - عليه السلام -: ومعنى الأفضلية هنا كونه أفضل في الشروط المعتبرة، ويمكن معرفة ذلك لا كونه أكثر ثواباً إذ لا سبيل إلى معرفته إلا بالسمع.

ثم أخذ يذكر ما نقمه، ويعدد ما ذكره من الاعتراضات في سيرتنا التي هي سيرة سلفنا وأهلنا، ولم ينقم منا ومنهم إلا القيام بحق الله لما تعين فرضه علينا، وإحياء شريعة رسول الله لما جاءنا، وما أزلناه من البدع، ومحوناه من الطاغوت المخترع، وأمرنا به الخلق من المعروف، ونهيناهم عنه من المنكر، وما أعطاهم الله على أيدينا من النعم، وصرفه عنهم بمنعنا ^(٣) الأعداء والنقم ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ ^(٤) ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ ^(٥) وما أشبه هذا الاعتراض بما اعترض به دلى الإمام المهدي أحمد بن الحسين - عليه السلام -، وما أحقه بجوابه حيث قل: ولما كان الأئمة هم الهداة إلى الدين، والدعاة إلى الحق، أوجب الله طاعتهم على الخلق، ونصرتهم على أهل الحق، وقضى على المنهاج الذي هم عليه، وهو إحياء السنة، وإماتة البدعة، ندعو إلى ذلك ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، فأحيا الله بنا ما درس من الدين، وأمات بنا ما كان حياً من جحد الجاحدين، وعتو العاتين، حتى علت كلمة الحق وعظم

(١) وهو كتاب: (الدعامة في الإملاء). انظر: معجم المؤلفين: ١٩٣/١٣.

(٢) الإمام المهدي يحيى بن الحسين.

(٣) كذا في الأصل.

(٤) الآية: (١٣٦) من سورة: الأعراف، وبدايتها: ﴿وما تنقم منا إلا أمانا بأيات ربنا لما جاءتنا...﴾.

(٥) الآية: (١٩) من سورة: النحل، وبدايتها: ﴿فتبسم ضاحكاً من قولها وقل...﴾.

سلطانه، وخذت نار الباطل وتضعضت أركانه، نرجو بذلك ما أعد الله لناصر الحق من الثواب الجزيل.

فلما صارت هكذا استبتأ كثير من ضلال هذه الأمة، ورافضي الأئمة بقايا هذه الطريقة المحمودة، وراموا تغيير هذه السنة الماثورة المشهودة، جرياً على ما مضى عليه سلفهم الرافض لأئمة المهلى من وقت إمامنا المنصور بالله - عليه السلام - يطعنون على الأئمة ما يجهلون حكمه، يرومون بذلك التروؤس في الدنيا والفساد على من أمرهم الله باتباع أمره، وكنا نتصور أنهم يذكرون نعمة الله عليهم، فكم من ذليل منهم عز بسلطاننا، وكم من فقير غنى، وكم من خامل أنبهنا ذكره، وكم من عي أظهرنا أمره، فجحدوا هذه الأشياء، وأعجبهم ما هم فيه من التقلب في نعم الله تعالى، فنفروا أشراً وبطراً، وهم أبناء الدنيا، يعلم ذلك من خبير أحوالهم، وعرف أقوالهم وأفعالهم، وانتهى بهم التمادي في التمرد والضلال إلى أنهم أوهموا الناس أموراً يرومون بها الدين، كما تفعله الباطنية، وبثوا دعة لهم [١١٠/أ] من تأليب أعداء المسلمين يريدون أن يجعلوا من الباطل حقاً وليس كذلك، بل الحق ألا يصاغ من الباطل. انتهى.

فصل: ولم يعد في اعتراضه إلا ما لا يخفى الحكم عليه عند أولي العلم والتقوى، ومن اختاره الله لحفظ علوم المهلى بالبهت والتجاري على الكذب من ناقله، و﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾، وقد قبَّح الله ورسوله الكذب في كل أمر وقبح ذلك الفعل، ومن جعل مستنله الكذب فقد آوى إلى أصل منهار، وأراد أن يبطل الحق بزخاريف الأخبار، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِينِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، بَلَى مَنْ أَوْقَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ، إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ

بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ تَمَنَّا قَلِيلاً أَوْلَيْتَكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(١).

فصل: فمن ذلك الذي ذكره وهو أولها في رسالته، أنه قال: تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكأنه لم يعلم أن الله رفع بنا وبسلفنا رضوان الله عليهم منار الإسلام، وأحيا بنا وبهم شرائعه، وفضلنا على كثير من خلقه بما جعله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أيدينا، فإن الدليل على ذلك المشاهدة والمشاهد معلوم بالضرورة، ولو كان كما قال، فمن هذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سائر الأقطار، فإنها على^(٢) ثلاثة أقسام: قسم تحت أيدي الأتراك والظلمة لا ينكر أمرها، وقسم قبائل لا يدع عليهم لأحد ولا ينكر أيضاً أمرها، والقسم الثالث ما تحت أيدينا، ولا رابع لهذه الأقسام في زماننا هذا، فإذا خلا عن الأولين قطعاً، ثم خلا عن الثالث لم يبق من هو قائم بذلك، والله يقول: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾ الآية^(٣).

وقال ﷺ: «لن تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين»^(٤) الخير وغيره، وبلى والله قد علم أنا القائمون بذلك والحريصون عليه، وأنه التارك لفرضه، والمعيب دوننا بتضييعه واختياره للمفام في دار تجب عليه الهجرة منها، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾^(٥).

(١) الآيات: (٧٥، ٧٦، ٧٧) من سورة آل عمران، وبدانيتها: «ومن أهل الكتاب من إن تلغه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تلغه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا...».

(٢) ساقطة من (ب) و (ف).

(٣) الآية: (١١٠) من سورة آل عمران، وتعلمها: «وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون».

(٤) الحديث: سنن الترمذي: ٣٧/٤.

(٥) الآية: (١١٢) من سورة النساء.

ولله القایل: رمتني بدائها وانسلت^(١)، ألم تكن أنت الناهي عن الأمر بالمعروف، والأمر بالمنكر بما فعلته من نصرة مرتكبه، وصوبته من عظيم أخطائه، وأما نحن فكل من عرف السيرة ونظر في الأوامر والنواهي الصادرة منّا في رسائلنا وكتبنا وإرسال رسلنا علم أنه والحمد لله لم يقم أحد مثل قيامنا، وقيام سلفنا في عصرنا [١١٠/ب]، هذا فإننا بحمد الله أزلنا أعظم المنكرات، وأشدّها ضرراً على الإسلام، وأمرنا بالصلاة في أوقاتها، وأمرنا بالزكاة وبعثنا السعاة لها، وأمرنا بالصيام وسعينا في الحج، ويسّر الله على أيدينا فيه وفي طرقه، ومواضع شعائر الله ما لا يخفى، وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون، فقد أبلغنا الحجة والحمد لله، والدعاء كما فعل النبي ﷺ فإنه ما بعث إلى اليمن كافة إلا رسولاً واحداً، وأخبره الله أن أكثر الناس ليسوا بمؤمنين، حيث يقول: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) وكل واحد يعلم أنه لا يستطيع أحد من الناس أن ينكر أنا قد أبلغنا دعوة النبي ﷺ في المسائل العلمية والعملية، وأمرنا بذلك في المجالس والخطب والرسائل، ولا يخلو مجلس من مجالسنا من ذلك، وأنا قد بعثنا بذلك في البلاد وأمرنا به الولاية مرة بعد أخرى، ولكنه لما ترك فرضه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأقام في جهات ادعى في كلامه هذا أنه لا يؤمر فيها بمعروف ولا ينهى عن منكر، حرف الكلام عن مواضعه، ورمى بخطيئته غيره، وذلك ثمرة نقض الميثاق وتجنّبه، كما قال الله تعالى: ﴿لَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾^(٣)، فكان

(١) انظر المثل المنجد: ٩٩٠.

(٢) الآية: (١٠٣) من سورة يوسف.

(٣) الآية: (١٣) من سورة المائدة، وتامها: ﴿...ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم فاعف واصفح إن الله يحب المحسنين﴾.

هو المرتكب لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولفعل السكون في البلد التي يجب عليه الانتقال منها.

ثم لم يكتف بذلك حتى دعوه عن المعروف والأمر بالمنكر معيناً بباطله لباطلهم، ومتعصباً بجهله لجاهليتهم، وقد روى مسلم عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات مات ميتة الجاهلية»^(١). فحصل أمره إنكار المعروف والأمر بالمنكر، عكس ما شرع الله ورسوله فكان من الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

وروي في (جامع الأصول) عن علي - عليه السلام - أن رسول الله قال: «كيف بكم تأمرون بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ قالوا: يا رسول الله، وإن ذلك لكائن؟ قل: نعم وأشد منه، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر، ونهيتم عن المعروف؟ قالوا: يا رسول الله، وإن ذلك لكائن؟ قل: نعم وأشد، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً»^(٢)، فصلة خبر^(٣) رسول ﷺ وهو الصادق الأمين، فإنه لم يرد بدعوته هذه إلا إنكار المعروف، والأمر بالمنكر، فإنه ليس أعظم منكراً من حرب القبائل وقتل النساء، وأحكام الطاغوت، ولم يكن رسولنا هذا الذي نقم عليه ما نقم إلا رسولاً للأمر بالمعروف [١١١/أ] والنهي عن المنكر والتأديب عليه، فظن بجهله أن المنكر معروف والمعروف منكر، كما أخبر النبي ﷺ بذلك.

فصل: وأعظم من هذا الجهل بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض المكلفين جميعاً لا يختص الإمام منه إلا بالإرسال على المتغلبين وتأديب

(١) الحديث: ابن أبي عاصم: السنة: ٤٢٨.

(٢) الحديث: سنن الترمذي (٩٤).

(٣) ساقطة من (ف).

المتمردين، وأما ما على ذلك فإنه يجب عليه وعلى جميع المسلمين القيام بالأمر المعروف والنهي عن المنكر، ومن علموا أنه متمرد بينوه للإمام باسمه، وأخبروه بصفته فيتمكن حينئذ من الاستنابة له، وإقامة ما يجب من ذلك من حد أو تعزير.

ذكر معنى ذلك الأخوان، وسائر أهل المذهب في كتبهم، واتفق لفظ أكثرهم على لفظ (اللمع)^(١) حيث قل: وجلة الأمر أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضربان، فضرب يلزم الكافة بحسب الإمكان، وضرب يلزم الأئمة ومن يقوم مقامهم، فأما ما يلزم الكافة فهو المنع من المناكر الظاهرة كالظلم وشرب الخمر والزنا والسعي في الأرض بالفساد وما جرى مجرى ذلك والحمل على الواجبات، وما لزم الكافة من ذلك كان للإمام ألزم لأنه أحدهم ولأنه منصوب لمصالح المسلمين، وأما ما يختص بالأئمة ومن يقوم مقامهم فهو سماع الشهادات، وتنفيذ الأحكام، واستيفاء الحقوق ممن لزمته، ووضعها في أهلها، وإلزام من توجه عليه حق أن^(٢) يخرج منه، وتولية الحكام ونصب القوام للإيتام الذين لا أوصياء لهم، والنظر في الوقف، وإقامة الجماعات، ومراعاة أحوال المساجد، وإقامة الحدود والتعزيرات وسد الثغور، وحفظ بيضة الإسلام، وتجييش الجيوش، ومجاهدة الكفار والبغلة. انتهى.

هذا لفظ الأمير علي بن الحسين ونحوه في (التقرير) و(البيان) للسحامي وغيرهما.

قال في نهج البلاغة: ليس على الإمام إلا ما حمل من أمر ربه الإبلاغ في الموعدة، والاجتهاد في النصيحة، والإحياء للسنة، وإقامة الحدود

(١) اللمع: للمؤلف علي بن الحسين بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين (ت ١٢٦١هـ/١٢٦٢)؛ وانظر د/ العمري: مصادر التراث: ١٦٦-١٦٧.

(٢) ساقطة من (ب) و (ف).

على مستحقها، وإصدار السهمان على أهلها، فبادروا بالعمل من قبل تصويح نبتة ومن قبل أن تشتغلوا بأنفسكم عن مستند العلم من غير أهله، وانهاوا عن المنكر وتناهوا عنه، فإنما أمرتم بالنهي بعد التنهي. انتهى.

وهذه القبائل التي تليها أولى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من التخطي لهم إلى خولان وغيرهم الذين ليس فيهم أكبر ما في غيرهم من ذلك، ثم ماذا صنع فيمن وآه الآن وأطاعه، هل التفت إلى صلاتهم وصلاة نسايتهم، واعتنى بما ادعه من إهمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم، أم لم يلتفت إلى ذلك ولا ذكر به أحداً؟

فصل: ثم أخذ في تعداد ما زعم أنه نغم به علينا فقال: الثاني [١١١/ب] مسألة الأخذ من الرعية إلى آخرة.

والثالث: إقطاع الأقارب والأنساب أموال الله إلى آخرة.

والرابع: أن خراج اليمن والحزبي وما يحصل من البنادر صارت دولة بين المذكورين إلى آخرة.

قال: والخامس: ما أخذنا لآل يحيى بن يحيى من عهد الله أنهم قائمون لهم القيام التام إلى آخرة.

والسادس: ما صارت الأقارب عليه من التغلب على ما تحت أيديهم إلى آخرة.

والسابع: ما صار عليه المسلمون من عدم الالتفات إليهم والرعاية لحقهم. والثامن: أنه صار يتولى الأعمال كثير من الرعية من لا يميز بين الطريقة السنية والنبوية، حتى صدر من الفقيه محمد بن جميل ما هو معروف، فهذه الأمور الثمانية جملة ما نغمه، وظن أن زخارف ألفاظها وأكاذيب رتباتها، وما

ارتكب من البغي فيها بغير الحق يقيم باطله، أو يضل به من أراد الله هدايته، وكان معتصماً بالله وبكتابه، والله غالب على أمره، ومؤيد لدينه بالعلماء العاملين، وأهل البيت النبوي المتقين، الذين يردون الأحكام إلى كتاب الله وسنة رسوله، وإلى أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم، ولزوم جماعتهم والرجوع في مثل هذا إليهم، حيث يقول: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَبْطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(١) فنقول مستعينين بالله ومعتصمين به وسائلين له المهلى، وعائذين به من الشقاء، هذا الجواب عما زعمت عنه من الصواب، وهذا بيان الحق فيما زعمت أنه من الصلح، وهو من أكذب الخطاب الذي ذم الله فاعله، ومستمعه حيث يقول: ﴿إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢)، وحيث يقول: ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ، لَمْ يَأْتُوكَ بِحَرْفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ، سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِّلسُّخْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٣).

فصل: فأما الجواب عما غفل عنه من الاعتراض الثاني، وخفي عليه ما علمه العلماء حتى لزم من قوله الثلب على الأول من الأئمة.

(١) الآية: (٨٣) من سورة النساء، وتماها: ﴿... ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾.

(٢) الآية: (١٠٥) من سورة النحل، وتماها: ﴿... بآيت الله وأولئك هم الكاذبون﴾.

(٣) الايتان: (٤١، ٤٢) من سورة المائدة، وبداية الأولى: ﴿ياأيها الرسول لا يجوز لك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا...﴾.

والثاني: وهو ما يدعون إليه ويأمرون به ويأخذونه من النفقة في سبيل الله التي أمر الله في كتابه وعلى لسان رسوله، وجرت عليه عادة الأئمة الصالحين، ودعاة الحق وهداة المصلحين الذين هم [١١٢/أ] نصحاء الدين، وعمود المسلمين، وأئمة المتقين، كأن المنكر استكثر من الدين وأهله المجاهدين على حفظه، المشابرين على صيانة الإسلام وبيضته، وأخذ يسعى في إبطال هذا الباقي ونحو هذه اللَّمَّظَة^(١) اليسيرة في هذا القطر اليماني الذي لا يقوم أودها ويستقيم عوجها، ويثبت مائدها إلا هذا الجند القائم عليه، والحزب الذي لا يزال حريضاً بالدعاء إليه، فحاول مما دسه من هذه المكيعة، وأظهره من هذه المقالة التي هي عن الحق بعيدة أي بعيدة، يريد بها إبطال الجهاد بالملك الذي أنزله الله في كتابه وأوجبه على لسان رسوله، وجرت عليه سيرة الأئمة النبي نرجو إن شاء الله أن نكون أفضل من اتباعها، وأرشد من دعا إليها بوجوه واضحة، وأدلة قاطعة، وبراهين لا يحرفها إلا قاسي القلب، وناكث العهد كما حكى ذلك أصدق الحديث وأفضله، وأحسن المقال وأكمله، وهو كتاب الله الذي لا ينطق إلا بالصواب، ومن حكم به فقد أوتي الحكمة وفصل الخطاب، والنفقة في سبيل الله أصل الجهاد، وأعظم الأوتاد، ولم يذكر الجهاد بالنفقة إلا مقدماً على الجهاد بالنفس غالباً، وذكر الحظ عليها منفردة في غير موضع ترغيباً وترهيباً، والجهاد بالملك والنفس أصل الدين وسنانه، ورأس كل خير وإمامه، فلا تقوم الأركان ولا غيرها من خصال الإيمان إلا بما وزع الله به من أمر السلطان، ففي الحديث: «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» ولا سلطان إلا بطائفة على الحق ظاهرين، لا تشغلها المكاسب، تعتذر عند الاستنفار، وتنثني من المطالب، إما لقوة دينها وقيامها بمؤونة نفسها أو بحمل أولي الأمر لها على ذلك مع تحمل كفايتها أو بجمعها بين الصفتين، واتصافها بالمعنيين، وخير

(١) اللَّمَّظَة: البقية. (المنجد: ٧٣٤).

القرون في هذه الأمة وأبرها أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم رأس الأمة وصدورها، لم يستغنوا عن الإنفاق، ولم يكتفوا عن الإيزاع والارتفاق، فلم يقيم أمر إلا بطائفة مرتفعة منفقة تجب على الإمام والمأموم، ومبادرة النبي ﷺ إلى ذلك في السراء والضراء أمر معلوم من الدين لا يتمارى فيه ولا يخفى.

قل في (الكشاف) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾^(١) وافتتح بذكر الإنفاق لأنه أشق شيء على النفس، وأدله على الإخلاص؛ ولأنه كان في ذلك الوقت أعظم الأعمال للحاجة إليه في مجاهدة العدو، ومواساة فقراء المسلمين، ولهذا بايع النبي ﷺ الأنصار في العقبة الثانية على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر [١١٢/ب] بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقوموا في الله لا تأخذكم في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني إلى آخر ما ذكره في الهدي النبوي.

فصل: وبيان ذلك وتحقيقه أن تكليف الجهاد غير ساقط في كل وقت من الأوقات، سواء كان جهاد الكفار أم جهاد البغاة، أم جهاد رفع التظالم، أم جهاد الأعداء بالعدو والعدو والقوة، كما تبين ذلك فلا يقوم إلا بالجنح، قل الله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٢).

وقال النبي ﷺ: «لن تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين» الخير.

وقال علي - عليه السلام - بعد أن ذكر الجند في عهد الأشتر^(٣): (وليس

(١) الآية: (١٢٣) من سورة آل عمران، وتتمها: «والكاظمين الغيظ والعاقبين عن الناس والله يحب المحسنين».

(٢) الآية: (١٠٤) من سورة آل عمران، وتتمها: «أولئك هم المفلحون».

(٣) وهو: مالك بن الحارث الأشتر النخعي (ت ٢٧٧هـ/٦٥٧م)، أمير وشاعر أبرز أنصار علي بن أبي طالب، وقائد جيوشه، ولاء على مصر فمات مسموماً قبل دخولها المنجد: ٨٩.

تقوم الرعية إلا بهم، ثم لا قوام للجند إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما أصلحهم، ويكون من وراء حاجتهم^(١) وهذه الآيات والأخبار هي معنى ما قاله في (سراج الملوك)، حيث قل: اتفق حكماء العرب والعجم على هذه الكلمات فقالوا: (الملك بناء، والجند أساسه، فإذا قوي الأساس دام البناء، وإن ضعف الأساس انهيار البناء، فلا سلطان إلا بجند، ولا جند إلا بمل، ولا مل إلا بجباية، ولا جباية إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعديل)^(٢)، ويؤيد ذلك أن الله جعل للجند سهماً من الزكاة وأموال الفياء جميعها، وذلك كله من وراء ما أوجبه من الجهاد بالمال والنفس في غير موضع من القرآن والسنة، فهم الذين فرض الله لهم النصيب من الزكاة إذ لم يكونوا مصرفاً لجمعها وخصهم بنصيب من الخمس والفياء، ولم يجعل لغيرهم فيه حقاً كما في حديث مسلم، وأحمد، وابن ملجة، والترمذي، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه النبي قال فيه: «ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم ما يجري على المسلمين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفياء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين».

قل المنصور بالله - عليه السلام - في (الهداية): وحكم بوادي صنعاء حكم أعراب المسلمين، على عهد رسول الله ﷺ، وليس لهم حكم الهجرة، ولا حكم الكفار، وعلى المسلمين نصرهم إن احتاجوا إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق. انتهى.

(١) محمد عيلة: نهج البلاغة: ٩٠/٣.

(٢) المصدر السابق: ٩١/٣.

ويشهد لذلك قوله تعالى في سورة الحشر: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ إلى قوله ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾^(١) وإذا ثبت ذلك وجبت النفقة على مستطيعها لهؤلاء القايمين [١١٣/أ] بأمر الجهاد والمعددين له كما وجب على الذين طلبوا من ذي القرنين^(٢) - عليه السلام - المعونة له بالقوة وبزبر الحديد والقطر الذي هو النحاس بعد أن بلغ بهم الحال إلى أن طلبوا أن يجعلوا له - عليه السلام - خرجاً من أموالهم مستمراً، فقل - عليه السلام - أما الخرج الذي لا حاجة [إليه]^(٣) في كف دفعه فقد مكنتني الله من خير منه، وأما ما لا بد منه من دفعه فدأعيتوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً، أتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قل انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال أتوني أفرغ عليه قطراً - أي نحاساً -.

قال المنصور بالله: كره الرشوة، وقيل المعونة، وكذلك فعل النبي ﷺ يوم حفر الخندق فيما رواه أبو جعفر البلخي قل: إن رسول الله ﷺ أمر بحفر الخندق، ووضع أجرة العملة على من قعد وكما في حديث أبي داود.

(١) الآية: (٧) من سورة الحشر، وتامها وما بعدها الآية: (٨) و (٩): ﴿...مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلْيَلْوَ لِلرُّسُولِ وَالَّذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ كَمَا لَا يَكُونُ ذُوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ يَنْكُصُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرُّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَّفِقُونَ فَمَنْ قَضَى مِنَ اللَّهِ رِضْوَانًا وَتَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّالِحُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَعْنُ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

(٢) ذو القرنين: وهو المهديع السيار، ويكنى بالصعب، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في (سورة الكهف) اختلف المفسرون في نبوته، كما اختلف المؤرخون والنسابون في نسبه وزمانه، وقد ذهب المؤرخين المحدثين إلى القول بأن (ذا القرنين) هو: الإسكندر المقدوني، مجارة لبعض مؤرخي الإسلام. د/العمرى: الموسوعة اليمنية ٤٧٤/٨.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من الأصل (أ) و (ب)، والإضافة من بقية النسخ.

عن عبدالله بن عمر أنه قال: «للفغزي أجره، وللجاعل أجره وأجر الغازي»^(١)، وكما في الحديث المتفق عليه، عن زيد بن خالد، قال: قال رسول الله ﷺ: «من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا»^(٢).

وروي في صحيح مسلم، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً إلى بني لحيان من هذيل فقل: «لينبعث من كل رجلين أحدهما والأجر بينهما»^(٣). ويدل على ذلك أيضاً قول الله تعالى ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤).

روى أبو داود عن أبي أيوب قال: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله نبيه - عليه السلام - وأظهر الإسلام، قلنا: فلم نقيم في أموالنا ونصلحها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٥) الخبر.

وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾^(٦) وهذا دليل على ما قاله المؤيد بالله^(٧) - عليه السلام - فيما رواه عنه في التقرير^(٨) حيث قال ما لفظه: وإلى جواز أخذ المعونة، أشار المؤيد بالله - عليه السلام - فإنه قال: من كان معه فضل مال فإنه يلزمه انفاقه في الجهاد، ويكون ماثوماً بتركه. انتهى.

(١) الحديث: مسند أحمد بن حنبل: ١٧٤/٣.

(٢) الحديث: سنن أبي داود: ١٢/٢.

(٣) الحديث: نفس المصدر والصفحة.

(٤) الآية: (١٩٥) من سورة البقرة.

(٥) نفس الآية: من سورة البقرة.

(٦) الآية: (٢١٩) من سورة البقرة، وبدايتها، وتامها: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ: لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

(٧) أحمد بن الحسين الهاروني.

ويؤكد ذلك ما رواه مسلم والترمذي عن أبي امامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا ابن آدم إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك» الخبر.

ويدل على وجوب الإنفاق أيضاً قول الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(١)، ولما سمعت اليهود طلب القرض في الجهاد قالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء، فنزل قوله تعالى ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾^(٢) الآية.

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمَ لَا يَبِيعَ فِيهِ [١١٣/ب] وَلَا خَلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣) وقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ﴾^(٤).

وقال بعض الصحابة: هذا في المنفق وهو قاعد وأما المنفق ماله وهو مجاهد فله أضعاف ذلك، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٥) أو بقوله: ﴿فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾^(٦) الشك مني وقال: ﴿لَنْ تَسْأَلُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾^(٧) وقال: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾^(٨) الآية، وقال: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا

(٨) وهو مؤلف للحسين بن بدر الدين بن محمد (شرف الدين: أحمد تاريخ الفكر الإسلامي: ٢٥٦).

(١) الآية: (٢٤٥) من سورة البقرة.

(٢) الآية: (١٨١) من سورة آل عمران، وتعلمها: ﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَقًّا وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

(٣) الآية: (٢٥٤) من سورة البقرة.

(٤) الآية: (٢٦١) من سورة البقرة، تعلمها: ﴿... وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

(٥) الآية: (٢٦١) من سورة البقرة، وبدايتها وتعلمها: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

(٦) الآية: (٢٤٥) من سورة البقرة، وبدايتها وتعلمها: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

(٧) الآية: (٩٢) من سورة آل عمران، وتعلمها: ﴿... وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

(٨) الآية: (١٣٤) من سورة آل عمران، وتعلمها: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ هذا حكم البخل بذلك من نفسه، فكيف من بخل به في نفسه، وأمر بالبخل عنه، وعوق عنه وشاق بلسانه لما جاءه الأمر، وقد علم أن الله ذكر ذلك في كتابه، ولم يبق له عذر في الجهل حيث يقول سبحانه: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد أشحة على الخير (يعني القسمة والمال) ﴿٢﴾ أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً، يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يدووا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً ﴿٣﴾، وقد قال الله في البخلاء الذين يأمرون الناس بالبخل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا، الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ إلى قوله: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ ﴿٤﴾، وقال تعالى: ﴿آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿٥﴾ الآيات. ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ، مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٦﴾ إلى قوله: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا

(١) الآية: (١٨٠) من سورة: آل عمران، وتامها: ﴿...ولله ميراث السماوات والأرض والله بنا تعلمون خبير﴾.

(٢) ما بين القوسين، أقحمت وسط الآية، كما هو في الأصل.

(٣) الآيات: (١٨، ١٩، ٢٠) من سورة: الأحزاب.

(٤) الآيات: (٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩) من سورة: النساء، والآية: (٢٨) ﴿والذين ينفقون أموالهم رثة الناس ولا يؤمنون بالله ولا اليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً فله قريناً﴾.

(٥) الآية: (٧) من سورة: الحديد.

(٦) الآيتان: (١٠، ١١) من سورة: الحديد.

يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْقَنِيُّ الْحَمِيدُ^(١) وقد أمر الله بطاعة أولي الأمر وامتنالهم (فيما لم)^(٢) يصرح الله
به الأمر به فكيف بما أمر الله به وأكده رسوله وعلم من الدين ضرورة وأمر به
ولي الأمر الذي أمر الله بطاعته في قوله ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ [١١٤/أ] آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ
كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٣) الآية.

قل في الكشاف في تفسير قوله تعالى ﴿انْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ﴾^(٤)
معناه: طابعين من غير إلزام من الله ورسوله أو ملزمين، وسمى الإلزام إكراهاً
لأنهم منافقون فكان إلزامهم الإنفاق شاق عليهم كالإكراه، وقل فيه: إن
رؤساء المنافقين كانوا يحملون على الإنفاق لما يرون من المصلحة فيه، وقد
ضمهم الله بقبض أيديهم على الإنفاق حيث يقول: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ
مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾^(٥) يعني عن
الإنفاق منزلة التقدير، فأين هذا الوصف عن صفة الذين قال الله فيهم:
﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(٦)، ولم يعذر الله تعالى إلا
الضعفاء عن الجهاد بأنفسهم دون أموالهم، وكذلك المرضى، والذين لا يجدون
ما ينفقون في قوله: ﴿لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾
إلى قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ

(١) الآيتان: (٢٣، ٢٤) من سورة الحديد.

(٢) ما بين القوسين ساقطة من (ب).

(٣) الآية: (٥٩) من سورة النساء.

(٤) الآية: (٥٣) من سورة التوبة.

(٥) الآية: (٦٧) من سورة التوبة، وتامها: ﴿...نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

(٦) الآية: (٢٢) من سورة الرعد.

خَرَجَ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(١) ويدل على ما قلناه قول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَسِيرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْخَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ^(٢) قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ^(٣)».

وقال النبي ﷺ: «إذا أمرتم بأمر فأتوا منه استطعتم»^(٤).

وفي صحيح مسلم، عن أنس أن فتى من أسلم قل: «يا رسول الله إني أريد الغزو ليس معي ما أتجهز به، قل: إئت فلاناً فإنه قد كان تجهز فمرض، فأتته فقال إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام، وقل: أعطني الذي تجهزت به، قل: يا فلانة اعطيه الذي تجهزت به، ولا تحبسي عنه^(٥) شيئاً فوالله لا تحبسي منه شيئاً فيبارك لك فيه»^(٦) وليست مشقة الإنفاق وكرهته من الأعراب حادثة، بل قد كان ذلك في حياة النبي ﷺ، وأخبر الله عنهم بقوله ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ^(٧)﴾ فعلم الله حالهم، وأخبر بها ليعرف الفرق بينهم، وبين من قل فيهم: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيَدْخَلُوهَا اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(٨)﴾ وأعراب [١١٤/ب] زماننا هذا كأولئك سواء في هاتين الصفتين، وأدركنا منهم جميعاً هاتين النيتين فمنهم من

(١) الآية: (٨٨) من سورة: التوبة، وتمامها، ما بعدها من الآيات: (٨٩، ٩٠، ٩١): ﴿... وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون، أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم، وجاء المعتدون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾.

(٢) ساقطة من (ف).

(٣) الآيتان: (١٦، ١٧) من سورة: التغابن.

(٤) الحديث: مسند أحمد بن حنبل: ٥٠٨٢.

(٥) في (ب): (منه).

(٦) الحديث: مسلم بن الحجاج: ١١٢.

(٧) الآية: (٩٨) من سورة: التوبة.

(٨) الآية: (٩٩) من سورة: التوبة.

جعل ما تؤخذ منه من المعاون وغيرها التي يجمعها الإنفاق في سبيل الله، والتعظيم لشعائر الله قربات عند الله، واتباعاً لسنة، وابتغاء لرضوان الله، وصلوات الرسول وخليفته إلا أنها قرينة لهم سيدخلهم الله في رحمته، وأغلب هؤلاء من حنكته التجارب، وخبر ما مضى من الزمان، وعرف المصالح والمفاسد، ومن أمر الجهاد وصفته أن ما عليه الإمام ومن معه من جنده وطايفته لا يخلون عنه في وقت ولا ينفكون عنه في لحظة طرف، لما دفع الله بهم من المنكرات، ولما أقام بهم من الواجبات، وكف بوجودهم من الفساد وقمع بهيبتهم من أرباب الظلم والعناد ودفع بهم من الأعداء، وأزال بهم وله الحمد عن الدين وأهله كل علة وداء، ومنهم من يتخذ ذلك مغرماً، ويظنه من طالبه مأثماً، وهؤلاء هم الأشقياء في الدين والدنيا؛ لأنهم كما قيل لا ماله أبقى، ولا ربه أرضى، وأعظم منه في الشقاء من أضله الله بجهله، وألقى إليه من شبهات غيه ما أمرض به قلبه، وغيره عليه من صالح النية، فحمل وزره مع وزر غيره، كما قال الله تعالى ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(١) أحسبت أن الأعراب ليسوا كالأعراب، وأن الدين الذي نحن فيه غير الدين الذي كان عليه رسول الله ﷺ، الذي استثقله المنافقون فسعوا في النهي عن تقويته، وأخبر الله عنهم بذلك بقوله: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا﴾^(٢) وكأنك لم يقرع سمعك قول الله: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾^(٣) بل لو عقلت وفهمت نعمة الله لرأيته نعمة عامة للناس، واجبة الشكر لله على ما خفف عن كثير منهم من التكليف، بل عن كلهم وهو

(١) الآية: (٢٥) من سورة: النحل، وتامها: ﴿... آلا ساء ما يزررون﴾.

(٢) الآية: (٧) من سورة: المنافقون، وتامها: ﴿والله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقون لا يفقهون﴾.

(٣) الآية: (٢٨) من سورة: محمد.

التكليف الذي قام به الجند الذين هم حزب الله وجنده الغالب بشيء يسير يبدلونه من أموالهم والإنفاق عليهم، وكان عليك أن تحث من سألك على الرضى بالنفقة في سبيل الله ليثابوا عليها، وأن لا تفتنهم على صفة المنافقين الذين لا يقبل الله منهم نفقاتهم لكرهتهم لها فيكونوا كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَنْفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ، وَمَا مَنَعُهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُِونَ﴾^(١) فإن هؤلاء الذين زعمت أنهم يلونك وأنت ساكن بينهم، وأنه لا يؤمر فيهم بالمعروف ولا يُنهي عن منكر، ولا ينفقون نفقة صغيرة [١١٥/أ] ولا كبيرة لا يخلو حالهم من أن يكفيهم مجرد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان، أو لا بد من جند يقوم الناس بذلك، فإن كان الأول فما بالك لم تكثف في ذلك؟ وإن كان الثاني فإن كنت تعلم أنه يقوم الناس بذلك ويفعلونه من غير جند ويتجندون بأنفسهم فما بالك أنت ومن أطاعك لا تفعلون ذلك؟ وإن كنت تعلم خلاف ذلك وأنه لم يقم أحد يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر حق القيام إلا بالجند منذ [عهد]^(٢) رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا، وإن اختلفت الأجناد لاختلاف الزمان وأهله، فبعضهم ينفقون على أنفسهم وبعضهم ينفق عليهم غيرهم، بل لم يتم [ولا تتم]^(٣) إماراة حق ولا باطل إلا بجند ينفق عليهم، أو على بعضهم كما في أعظم الخلق وأشرفهم محمد ﷺ وأصحابه الذين أمر الله عليهم، فأنفق بعض أغنياء المهاجرين كل ماله، وبعضهم جمهور ماله، وبعضهم شطره، وبعضهم أعطى جهده، وشاطر الأتصار أموالهم، ومدحهم الله بذلك وأثنى عليهم في غير موضع من القرآن ومن ذلك قوله: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ

(١) الآيتان: (٥٣، ٥٤) من سورة التوبة، وبداية الآية: ٥٤: ﴿إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى...﴾.

(٢) ما بين المعوفين أضفناه للإيضاح.

(٣) ما بين المعوفتين ساقطة من (أ) و(ب)، والإضافة من بقية النسخ.

شَحُّ نَفْسِهِ فَأَوْلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(١) فحصر الفلاح على من وقى شح نفسه بماله^(٢).

قال علي - عليه السلام - : فلجنود يؤذن الله حصون الرعية، وزين الولاية، وعزالدين، وسبيل الأمان، وليس تقوم الرعية إلا بهم، ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما أصلحهم ويكون من وراء حاجتهم. انتهى.

فكيف حل من سعى في قطع سنام الدين الذي جعله الله التجارة المنجية من العذاب الأليم؟ حيث يقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنَجِّيْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ»^(٣) ولا عذر لك في التحريف غداً، ولا أقبح من الكذب افتراء ومن أظلم من افترا على الله الكذب، وبدل كلام الله، ونهى عن شريعة الله، وإن زعمت أن ذلك إنما يجب من الحقوق والزكوات، وأنها تقوم بذلك فإن كنت جاهلاً فليس لك في الجهل عذر، لأن الله قد أخذ على الجاهل أن يتعلم، قل تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»^(٤) ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» [النساء: ٨٣] ولكنك ظننت نفسك عالماً، ولم تزاحم العلماء، وسررت بنفسك لما حرثت في الخلاء فظننت زرعك يانعاً قبل آوانه، واعتقدت أن خيال النائم كعيانه، وأن الكلام عند طغام العوام كالكلام عند العلماء الأعلام، ورأيت كلامك عند الجهال والعوام [١١٥/ب] أحسن مرأى، وهو كسراب بقية يحسبه الظمان ماءً

(١) الآية: (٩) من سورة الحشر، وبدايتها: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ...﴾.

(٢) في (ف): (لله).

(٣) الآيتان: (١١٧/١٠) من سورة الصف.

(٤) الآية: (٧) من سورة الأنبياء، وبدايتها: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ...﴾.

حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، على أن هذا الحكم من أوضح الأحكام عند أولي الهداية، ومن أجلى ما يفهم من القرآن والسنة لولا العمائية، وفرض الإنفاق في سبيل الله غير فرض الزكاة يجب الإنفاق في العسر واليسر وبحسب الحاجة، وثوابه أعظم الثواب، وعقاب الإخلال به من أعظم العقاب، والزكاة واجبة من النصاب، وغير لازمة في كل من الأسباب، دل عليها السمع، ودل على الإنفاق العقل والسمع.

قال الهادي - عليه السلام -: ونحن نقول وكل ذي فهم وبصيرة من العلماء: إن الإمام المحق العادل المستحق له أن يأخذ من المسلمين العفو من أموالهم اليسير الذي لا يضرهم، ويرده على صلاحهم وصلاح بلدهم، يدفع به العدو الفاجر عن أموالهم وحرمتهم، ودمائهم أحبوا أم كرهوا، أطاعوا أم أبوا، ثم نقول إن ذلك من حسن النظر بهم الذي لا يجوز له عند الله غيره، إلا أن يجد منه بدأ أو عن أخذه منه مندفعاً، وإن لم يكن إلا انقضاض عسكرهم، وهلاك المجاهدين الذين معه، أو أخذ ما يأخذ من الرعية؛ لأنه إن قصر في ذلك انقض العسكر وافترقت الجماعة، فنك الإمام والمؤمنون، وهلكت الرعية والمستضعفون، وقوى عليهم الأعداء الفاجرون، وملكهم الجبابرة الطاغون، فأخذوا الأموال، وقتلوا الرجال، وأهلكوا الأطفال، واصطلموا^(١) الأموال، ومات الحق وظهر الباطل والفسق، هذا ما لا يحل لإمام الحق أن يفعله، حتى قال - عليه السلام -: وإذا كان ذلك كذلك فأخذ جزء من أموال المسلمين فرض عليه في ذلك، فإن قصر فقد شرك مهلكهم في مهلكتهم، ثم ساق - عليه السلام - كلاماً طويلاً استدلل فيه بأن العقل دل على ذلك، وضرب له أمثلة ضرورية عقلية، وسيأتي في كلام غيره من العلماء مثل ذلك، وهل سبيل

(١) اصطلموا: استأصلوا. المنجد: ٤٣٣.

مقالك هذا وإنكارك لفرض قد أكده القرآن إلا سبيل ما دعا إليه مسيلم، من إسقاط الفروض التي جاء بها محمد ﷺ طمعاً أن ينال بكذبه ما يريد من الرئاسة، وظناً أن ذلك يوهن الحق ويؤيد الضلالة، وكفى بالله آياته حجة عليك، وحسبي الله ومن أتبعني، وهو نعم المولى ونعم النصير.

فصل: وليست هذه المقالة مجهولة عند العلماء، ولا مغفول عن ذكرها عند الفضلاء، بل قد أوضحوا فيها السبيل وبينوا فيها الدليل، وأزاحوا منها الأباطيل.

قال في التقرير: أما الإستعانة بمل المسلمين، فقال محمد بن عبدالله بذلك، وذكر لفظه في المسألة التي قال: وذكر [١١٦/أ] المنصور بالله أنه يجوز أخذ المعونة من أموال المسلمين لجهاد أعداء الله رب العالمين، وروي ذلك عن الهادي - عليه السلام - وقال: إنه نص عليه في جوابه لمن اعترض عليه في أخذ المعونة من أهل صنعاء، وذكر في التقرير لفظ الهادي - عليه السلام - بطوله.

قال: وروى المنصور بالله أن القاسم أخذ المعونة من البلاد التي استقرت عليها ولايته غير مرة - يعني القاسم بن علي - لأن القاسم بن إبراهيم - عليه السلام - لم تستقر ولايته في بلد فيما علمنا والله اعلم، وذكر جواز ذلك الناصر بن الهادي^(١) في تفسير سورة براءة، وإلى جواز أخذ المعونة أشار المؤيد بالله، فإنه قال: من كان معه فضل مل فإنه يلزمه انفاقه في الجهاد، ويكون مأثوماً بتركه، وقد ذكر عن المنصور بالله^(٢) في (هداية المسترشدين) ما لفظه: وكذلك ما فرقناه على العشر من الشاء ديناراً بعد زكوتها، ومن المائة شاة

(١) وهو أحمد بن يحيى بن الحسين، الإمام المنصور (٢٧٥-٣٢٥هـ / ٨٧٧-٩٣٤م) كان من أهل العلم، له مؤلفات عديدة منها: (الدافع) و (الفقه) توفي بصعلة. (الواسعي، عبدالواسع بن يحيى: تاريخ اليمن ١٧٩-١٨١، شرف الدين: تاريخ الفكر الإسلامي: ٣٣٣.

(٢) الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة، انظر: ترجمته النص: ق ١٦٠.

جعلنا ذلك معونة برأي كبار البلاد وصلاحهم، وشاورنا أهل العلم، واستقرينا الأثر النبوي، فشاع ذلك لكل وجه، وقد فعل الهادي - عليه السلام -^(١) مثل ذلك بصنعاء، ونُقد عليه في ذلك، فأجاب عليه بكتابه المعروف المشهور في (مسائل الطبري) وجعلنا على الظاهر وبلاد بكيل، وبني معمر، قدر خمسة آلاف دينار في كل سنة، ما دامت للغز شوكة في صنعاء، وقال فيها أيضاً، قال الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^(٢) ففي المال أولى، وما كان للنبي فهو للإمام إلا ما خصه الدليل على أن لولي اليتيم أن يدفع قسطاً من ماله للدفاع عن سايره، ففي أمر الدين أولى؛ لأن المال يترك للدين، والدين لا يترك للمال، ولا ينكر ذلك من سير آبائنا - عليهم السلام - إلا جاهل، وقال أيضاً: وأما الضرائب وقبالات الأسواق والجلابيب وإكراه أهل الزرايع، وأخذ أكثر من الزكاة، فيجوز للإمام من ذلك ما يسد به الثغور، ويصلح به الجمهور، وعليه الإجتهد مع توفيق الله، وقد كتب رسول الله ﷺ يوم الخندق لعبيدة بن حصن ومن تابعه من غطفان بثلاث ثمار المدينة من غير مشورة أهلها، فلما عرفوه بحالهم وقوتهم أعطاهم الكتاب فمزقوه، وجوازه للإمام أولى، لأن ما كان للنبي فهو للإمام بعده إلا ما خصه الدليل وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾^(٣) يحمل على الجهاد بالنفس والمال، وقال صلى الله عليه وسلم: «اجعل مالك دون دمك، فإن تجاوزك البلاء فاجعل مالك ودمك دون دينك»،

(١) الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي.
(٢) الآية: (٦) من سورة الأحزاب، وتماها: ﴿...وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾.

(٣) الآية: (١١١) من سورة التوبة، وتماها: ﴿...بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾.

وقال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ [١١٦/ب]، تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١)، فجعل تعالى الإيمان به مقروناً بلجهاد بالنفس والمال وتوعد على ترك ذلك، وذلك حكم الواجب بلا شك، وقد خرج المهاجرون من أموالهم ودورهم، وكذلك الأنصار شاطروهم في المال والدار والنسوان، في من له امرأتان، وما أسلفه النبي ﷺ فهو دليل على جواز الإفتراض يستدل به. انتهى.

وقال أيضاً: وأما أمر الخروص فلمرنا فيها بلخمس، فعشر هو الواجب وعشر معونة في الجهاد، وأردنا ذلك من قبل الأشراف ومن لا تحل له الزكاة.

وقال الإمام أحمد بن الحسين - عليه السلام - ما لفظه: وصاحب هذه الرسالة إما أن يكون قائلاً بجماعة المنصور بالله، أو غير قائلاً فإن كان قائلاً بها فنحن آخذون دون ما أخذ ومتخذون من الولاية فوق ما اتخذ، وإن لم يكن قائلاً بها فهو - عليه السلام - لنا قدوة، ولنا به أسوة، كذلك من مضى من أئمة المهدي، فإننا ما سلكنها إلا منهاجهم، ولا قفونا إلا أنداجهم، وهلمس إلى إيضاح الدلالة على هذه المقالة، وهذا إمام الأئمة وواسطة عقد العترة الطاهرين الهادي إلى الحق - عليه السلام - طلب من أهل صنعاء عند خروج ابن الفضل^(٢) الملحد ربيع أموالهم أفراراً ومقاسمة ليدفع بها كيد عدوهم، وذكر - عليه السلام - أن الإمام يجب عليه أن يطلب المعونة من المسلمين عند خوفه على الإسلام، ومتى ترك ذلك كان مُخْلأً بواجب.

انتهى لفظ الإمام أحمد بن الحسين - عليه السلام - وما أحق المعترض علينا أن نقول في جوابه كما قل.

(١) الآيتان: (١٠، ١١) من سورة الصف.
(٢) وهو علي بن الفضل.

وقال الإمام يحيى بن حمزة^(١) - عليه السلام - ما لفظه: الفصل التاسع
أعرفكم أن الله تبارك وتعالى كما طلب منكم الجهاد بالأنفس وبذل المهج التي
هي أعز الأشياء في سبيل الله، فقد طلب منكم بذل الأموال في سبيل الله
وجعلهما توأمين لا ينفصل أحدهما عن الآخر، فقال تعالى ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ
وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢) حتى قل - عليه السلام - : فقد صار الجهاد بالأموال
في هذا الزمان والحاجة إليه أعظم من الحاجة إلى النفوس لميل الناس إلى الدنيا
ولحبتهم لحطامها وبذل المال أعظم ما ننصر به الدين، إن أريد إلا الإصلاح
ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وقال الإمام الحسن بن عز الدين^(٣) في القسطاس ما لفظه: وكما إذا خشي
على أموال المسلمين من البغاة ومحوهم، فيجوز لمن له الولاية على المسلمين
أن يشاطرهم في أموالهم ليدفع به من يريد أخذ الكل.

وقال الغزالي: بعد أن ذكر أن للإمام المطاع المفتقر إلى تكثير الجنود لسد
الثغور وحماية الملك [أ/١١٧] بعد اتساع رقعته، وانبساط خطته أن يوظف
على الأغنياء ما يراه كافياً لهم - أي الجند في الحال - ثم قال بعد كلام طويل
ذكره في هذا المعنى ما لفظه: ثم الكلام الشافي للغليل^(٤) أن السائل إن أنكر
وجه المصلحة فيما ذكرناه أبدينه وأرينه وقلنا إن لم يفعل الإمام ذلك تبدد
الجند وانحل النظام، وبطلت شوكة الإمام، وسقطت أبهة الإسلام،
وتعرضت^(٥) ديارنا لهجوم الكفار، واستيلائهم وأخذهم النفوس والأموال،

(١) وهو يحيى بن علي بن إبراهيم بن محمد الإمام المؤيد (٦٦٩-٧٠٥هـ/١٢٧٠-١٣٠٥م) تبحر في جميع
العلوم، وله العديد من المؤلفات منها: (نهاية الوصول إلى علم الأصول)، توفي في مدينة ذمار، ودفن
بها، وقبره مزور. الشوكاني: البدر الطالع: ٣٣٦-٣٣٣.

(٢) الآية: (٤١) من سورة البقرة، وبدايتها: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.

(٣) وهو الحسن بن عز الدين بن الحسن بن علي، الإمام الناصر لدين الله (٨٦٢-٩٢٩هـ/١٤٥٧-١٥٢٢)
دعا لنفسه من حصن كحلان بعد وفاة والده في سنة (٩٠٠هـ/١٤٥٧م)، كان إماماً عظيماً، له العديد من
المؤلفات منها: (القسطاس) توفي في فللة. (زيارة: ملحق البدر الطالع: ٧٧/٢)

(٤) في (ف): العليل.

(٥) في (ف): (تعرض).

ولو ترك الأمر كذلك فلا ينقضي إلا قدر يسير، وتصير أموال المسلمين طمعاً للكفار، وأجسادهم درية للرماح، وهدفاً للنبال، ويثور بين الخلق من التغالب والتواثب ما تضيع فيه الأموال، وتُعطل معه النفوس، وتُهتك معه الحرم أو تضيع، ونظام ذلك شوكة الإمام بعدته، وما يحذر إمامه من الدواهي بالمسلمين، إذا انقطعت عنهم شوكة الجند مستحقر بالإضافة إليها أموالهم، فإذا رددنا بين هذا الضرر العظيم وبين تكليف الخلق حماية أنفسهم بفضلات أموالهم فلا يتمارى في تعيين هذا الجانب إذ لا شك في حماية النفوس والحرم وأكثر الأموال بفضلات الأموال وهذا مما نعلم قطعاً من كلا مقطوعي الشارع^(١) في حماية الدين والدنيا، قبل أن يلتفت إلى الشواهد المعينة من أصول الشرع، وساق كلامه حتى قل: ثم خاصة هذه المصالح القطعية أنها لا تعدم قط شواهد من الشرع كثيرة، فأبعدها من الشهادة ظاهراً، وهي أقربها تحقيقاً، هو أن الأب في حق طفله مأمور برعاية الأحسن، وأنه ليصرف ماله إلى وجوه من النفقات والمؤن في العمارات، وإخراج الماء من القنوات، وهو في كل ذلك ينظر له في ماله لا في حاله فكل ما يراه سبباً لزيادة ماله أو الحراسة في المال جاز له تحصيل المال في مصلحته ومصلحة حفظه للإسلام وكافة المسلمين (لا يتقاصر)^(٢) عن مصلحة الطفل ولا نظر الإمام النبي هو خليفة الله في أرضه يتقاعد عن نظر واحد من الأحاد في طفله، فكيف يستجيز منصف إنكار ذلك مع الإعراف بظهور هذه المصلحة، وإن أنكر منكر وجه المصلحة فعلياً تصويرها، والحكم بالتحريم عند انتفاء المصلحة.

وأما الشواهد الظاهرة القريبة من هذا الجنس أن الكفار لو وطئوا أطراف دار الإسلام، يجب على كافة الرعايا أن يطيروا إليهم بأجنحة الجند فإذا دعاهم الإمام إلى ذلك وجب عليهم الإجابة، وفيه إتعاب النفوس، وانفاق المال، وليس

(١) الشارع: الشرع.

(٢) ما بين القوسين ساقطة من (ف).

ذلك إلا لحماية الدين، ورعاية مصلحة المسلمين، فهذا في هذه الصورة قطعي وإن نزلنا في التصوير، وقد رنا مسا إذا لم يهجم الكفار وكنا نحذر هجومهم ونتوقع [١١٧/ب] ابتعائهم ولو استشعر الإمام من شوكة الإسلام وهناً وضعفاً وتفرقاً، فالواجب على كافة الخلق إمدادهم، كيف ولو لم نبث جنود الإسلام في بلاد الكفار لانبثوا في ديارنا على قرب، ولطالما قيل: (الروم إذا لم تُغز غزت) ومهما سقطت شوكة الإسلام كان ذلك متوقفاً على قرب من الأيام، كيف والجهاد في كل سنة واجب على كافة الخلق، وإنما سقوطه باستغلال أقوام من المرتزقة به فكيف يتمارى في وجوب بذل المال في مثل ذلك وإن نزلنا في التصوير، وقد رنا ضرباً للتمثيل انبساط ظل الإسلام على أقاصي الغرب والشرق وإطباق الدين أطراف الأرض ذات الطول والعرض، حتى لم يبق من الكفار نافخ نار ولا طالب نار، فلا يؤمن هيجان الفتن بين المسلمين، وثوران المحن في نزعات المارقين، وهذا الداء العضال وفيه تستهلك النفوس والأموال، ولا كافي لأمثالها إلا سطوة الإمام، ولا كافي عن فسادها إلا قهر الوالي المستظهر بجند الإسلام، ولو اتفق شيء من ذلك لأفتقر أهل الدنيا إلى نصب حُرّاس، ونقض أكياس على آخرهم، ثم لا يغبنيهم ذلك فهذه مصلحة ملائمة قطعية، لا يتمارى منصف في وجوب اتباعها، فإن قيل في الإستقراض غنية عن المصادرة، واستهلاك الأموال، وكان رسول الله ﷺ إذا جهز جيشاً وافتقر إلى المال^(١) استقرض، قلنا: نقل الاستقراض عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ونقل أيضاً أنه كان يشير إلى مياسير أصحابه بأن يخرجوا شيئاً من فضلات أموالهم، إلا أنهم كانوا يباعدون عند إيمانه إلى الامتثال مبادرة العطشان إلى الماء الزلال، ولسنا نكرر جواز الإستقراض ووجوب الإقتصار عليه إذا

(١) في (ب): مد.

دعت المصلحة إليه، ولكن إذا كان الإمام لا يرتجي انصباب مال إلى بيت المال يزيد على مؤن العسكر ونفقات المرتزقة في الإستقبال، فعلام هذا الإنكسار في الاستقراض مع خلو اليد في الحال وانقطاع الأمل في المال.

نعم! لو كان له مال غائب أو جهة معلومة تجري مجرى الكائن الموثوق به فالاستقراض أولى، وينزل ذلك بمنزلة المسلم الواحد المضطر في نحصمة إلى الهلاك، فعلى الغني أن يسد رمقه ويبذل له من ماله ما يتدارك به حشاشته، فإن كان له مال غائب أو حاضر لم يلزمه التسرع، ولزمه الإقتراض، وإن كان فقيراً لا يملك نقيراً^(١) ولا قطميراً^(٢) فلا نعرف خلافاً في وجوب سد مجاعته من غير اقتراض وكذلك إذا أصاب المسلمين قحط وجدب، وأشرف على الهلاك جمع، فعلى الأغنياء سد مجاعتهم، ويكون ذلك فرضاً على الكفاية، يخرج بتركه الجميع، ويسقط بقيام البعض به التكليف، وذلك ليس على سبيل الاقتراض، فإن الفقراء عالة الأغنياء يتنزلون منهم منزلة الأولاد^(٣) من الآباء ولا يجوز للقريب أن ينفق على قريبه [أ/١١٨] بالإقراض إلا إذا كان له مال غائب، وكذلك القول فيما نحن فيه، فهذا وجه المصلحة، وهي من القطعيات التي لا مرية في اتباعها، إذا ظهرت ولكن النظر في تصويب المصلحة على الوجه الذي قررناه، وأصل أخذ المال متفق عليه بين العلماء وإنما الاختلاف في وجوب تعيين الاستقراض، وفي ما ذكرناه من التفصيل ما يشفي الغليل إن شاء الله تعالى. انتهى. وقد سوى في شرح الزيادات للعلامة المحقق يوسف بن أحمد بن عثمان^(٤) - رحمه الله عليه - بين كلام الغزالي هذا الذي أوردناه، وبين

(١) نقيراً: ما نقر من الحجر والخشب. المنجد: ٢٨.

(٢) قطميراً: القشرة الرقيقة بين النواة والتمرة، والمقصود هنا لا يملك أي شيء. المنجد: ٦٤٢.

(٣) في (ب): (الآباء).

(٤) هو يوسف أحمد بن محمد بن عثمان اليماني الزبلي، (ت ٨٣٢/١٤٢٨م)، كان مدرساً في جميع العلوم الشرعية، له العديد من المؤلفات منها: (الرياض على التذكرة) و (الزهور على اللمع) و (الشمرات في تفسير آيات الحكام). (زيارة: ٣٠/٢).

كلام أئمتنا حيث قال في شرح قوله: وإذا كان لرجل فضل مال يلزمه انفاقه، هذا قول المؤيد بالله، وهو مروى عن الهادي ومحمد بن عبدالله، والناصر بن الهادي، والقاسم بن علي، والمنصور بالله، وذكره الغزالي في شفاء العليل، وإنما يجوز بشروط هي في تعليق اللمع. انتهى.

فهذا كلام العلماء على اختلاف مذاهبهم متفق في هذه المسألة، وكما قاله صاحب الطبقات أبو جعفر البلخي من الحنفية، فإنه قال في مسألة ما يضرب السلطان على الرعية مصلحة تصير ديناً، واجباً حقاً مستحقاً، كالخراج وضريبة المولى على عبده، ورسول الله ﷺ أمر أهل المدينة أن يردوا الكفار بثلاث ثمار المدينة، ثم بنصفها، وكان ملكاً للناس، ومع ذلك قطع رأيه دونهم، هذا كلامه.

وقد مر ما ذكره من أن النبي ﷺ أمر أصحابه بحفر الخندق حول المدينة، ووضع أجرة العملة على من قعد، فكذا صاحب السلطان، وروي عن بعض علمائهم أنه قال: قال مشايخنا: وكل ما يضرب الإمام عليهم لمصلحة لهم فالجواب هكذا، حتى أجرة الحراسين لحفظ الطريق، ونصب السدروب وأبواب السكك.

وقال في الهدي النبوي في سياق غزوة تبوك: ثم إن رسول الله ﷺ جد في سفره، وأمر الناس بالجهاد وحظ أهل الغنى على النفقة، والحملان في سبيل الله، فحمل رجال من أهل الغنى وأحسنوا، وأنفق عثمان في ذلك نفقة عظيمة، لم ينفق أحد مثلها.

قلت: كانت ثلاثمائة بعير بأخلاصها وأقاتبها وعدتها، وألف دينار عيناً، وقال فيه أيضاً: وجوب الجهاد بالمال كما يجب بالنفس، لا ريب فيه، فإن الأمر بالجهاد بالمال شقيق الأمر بالجهاد بالنفس في القرآن وقرينه، بل جاء مقلماً

على الجهاد بالنفس في كل موضع، إلا موضعاً واحداً وهذا يدل على أن الجهاد به أهم، وأكد من الجهاد بالنفس، ولا ريب أنه أحد الجهادين كما قال النبي ﷺ: «من جهز غازياً فقد غزا» فيجب على القادر عليه كما يجب على القادر بالبدن، ولا يتم الجهاد بالبدن إلا ببذله، ولا ينتصر إلا بالعدو والعدو، فإن لم يقدر [١١٨/ب] أن يكسر العدو وجب عليه أن يمد بالمال والعنة، وإذا وجب الحج بالمال على العاجز بالبدن، فوجوب الجهاد بالمال أولى وأحرى.

وقل أيضاً: إن العاجز بماله لا يُعذر حتى يبذل جهده ويتحقق عجزه.

وقل في موضع آخر بعد أن ذكر ما أعطاه النبي ﷺ لقريش والمؤلفة قلوبهم: وأن النبي ﷺ لم يستأذن الغنائم في تلك العطية؛ لأنهم ملكوها بحوزها والإستيلاء عليها.

قال: فلو وضع الغنائم بأسرها في هؤلاء لمصلحة الإسلام العامة لما خرج عن الحكمة، والمصلحة والعدل ولما عميت أبصار ذوي الحكمة، قال له قائلهم: اعدل فإنك لم تعدل، وقال مشبهه: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله، حتى قال: فإن قيل فإن دعت حاجة الإمام في وقت من الأوقات إلى مثل هذا مع عدوه، هل يسوغ له ذلك؟ قيل: الإمام نائب عن المسلمين يتصرف لمصلحتهم وقيام الدين، فإن تعين ذلك للدفع عن الإسلام والذب عن حوزته، واستجلاب رؤوس أعدائه إليه ليؤمن المسلمون ساغ له ذلك بل تعين عليه، وهل تجوز الشريعة غير هذا؟ فإنه وإن كان في الحرمان مفسدة فالفسدة متوقعة من فوات تأليف هذا العدو أعظم، ومبنى الشريعة على دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما، وتحصيل أكمل المصلحتين بتفويت أدناهما، بل بناء مصالح الدين والدنيا على هذين الأصلين، وبالله التوفيق. انتهى.

وقل في (شرح المنهاج في أصول الفقه) للسبكي^(١): أما إذا خلت الأيدي، ولم يكن في مال المصالح ما يفي بخراجات العسكر، ولم يفرق العسكر واستغلوا بالكسب لخيف دخول الكفار بلاد الإسلام، أو خيف ثوران الفتنة من أهل الغرامة في بلاد الإسلام، فيجوز للإمام أن يوظف على الأغنياء مقدار كفاية الجند ثم إن رأى طريق التوزيع التخصيص بالأراضي فلا حرج؛ لأننا نعلم أنه إذا تعارض ضرران، دفع أشدهما، وما يؤديه كل واحد منهما قليل بإضافة إلى ما يخاطر به من نفسه، وما لو خلت خطة الإسلام عن ذي شوكة يحفظ نظام الأمور، ويقطع مادة الشرور، وكان هذا لا يخلو عن شهادة أصول معينة، فإن لولي الطفل عمارة بدنه وإخراج أجره الفصاد وثنم الأدوية وكل ذلك حين خشي أن يتوقع ما هو أكبر منه.

فصل: واعلم أن السبب في الجهل بهذه المسألة التي لا ينبغي لأحد جهلها، ولا يخفى عند محققي العلماء حكمها، هو الجهل بحقيقة الجهاد وماهيته اعتقاد أنه ليس إلا القتل وملاحمته وليس كذلك، ولكنه الدعاء إلى الدين، وسواء كان بالقتل أم بغيره كجهاد المنافقين الذين أمر الله به نبيه ﷺ حيث يقول ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ [أ/١١٩] وَالْمُنَافِقِينَ وَاعْلِظْ عَلَيْهِمْ﴾^(٢) ومنه اتخاذ العُد، وتكثير العُد والإيحاء عليه بالملك والمدد ومنه ارتباط الخيل، واعداد القوة والذي يجب فيه بذل الاستطاعة، وانفاق ما أمكن ودخل تحت الطاقة، بصريح دليل قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(٣).

(١) هو: عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي، الشافعي، السبكي (٧٢٧-٨٧١هـ/١٣٢٧-١٤٢٧م) فقيه أصولي، مؤرخ، أديب، ولد بالقاهرة وقدم دمشق مع والده، ولي بها القضاء، وخطابة الجامع الأموي، له العديد من المؤلفات منها: (طبقات الشافعية الصغرى والوسطى والكبرى) و (شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول) توفي بدمشق. (كحالة: معجم المؤلفين: ٢٢٦٦؛ البغدادي: هدية العارفين: ٦٣٩١).

(٢) الآية: (٩) من سورة التحريم، وتعلمها: ﴿... وملواهم جهنم ويش المصير﴾.
(٣) الآية: (٦٠) من سورة الأنفل، وتعلمها: ﴿... وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾.

والإمام ومن معه خليفة للنبي ومن معه، يغيظ الله بهم أعدائه، ويعز بهم أوليائه، ويجب على المسلمين انفاق أموالهم [فيما] يعز الله به الإيمان وأهله، وينذل به الفساق وأرباب النفاق، فهم في كل وقت مجاهدون، وعلى اعزاز كلمة الله ونصرته مثابرون، كما قل علي - عليه السلام - في عهد للأشتر: (واجعل لنفسك في ما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت، واجزل تلك الأقسام، وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية، وسلمت فيها الرعية).

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قل: «عامل الزكاة في جهاد»، فلجند هم الحُفَظ للشرعية وحدودها سواء قاتلوا على ذلك أو على بعض منه، أم اندفع ذلك بسبب وجودهم، وعظم هيبتهم، فالهيبة والإرهاب من أعظم ما ينصر الله به المؤمنين، ويخذل به الكافرين، ويذل على أنهم في كل وقت، كذلك قول النبي ﷺ: «لن تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين»^(١) فأخبر ﷺ أنهم على ذلك لا ينفكون عنه ولا يزولون، ولا يميلون ولا يتحولون، والإمام خليفة الرسول ﷺ وكان حاله ﷺ كما قل في المهدي النبوي: (فجاهد في الله حق جهاده بالقلب والجنان والدعوة والبيان، والسيف واللسان)^(٢) فكانت ساعاته موقوفة على الجهاد بقلبه ولسانه ويده، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وتقدم ما قل علي بن أبي طالب - عليه السلام - في حديث الأشتر: (فلجنود بإذن الله حصون الرعية، وزين الولاة، وعز الدين، وسبل الأمن، وليس يقوم الرعية إلا بهم، ثم لا قوام [للجنود]^(٣) إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه في ما يصلحهم، ويكون من وراء حلجاتهم)^(٤) فانظر ما أجمع هذه المقالة وما أبين هذه الدلالة،

(١) الحديث: سنن الترمذي: ٤٨٥/٤.

(٢) الحديث: صحيح البخاري: ٦٢/٢.

(٣) ما بين المعقوفتين في الأصل: (للجند)، والتصحيح من نهج البلاغة: ٩٠/٣.

(٤) انظر نهج البلاغة: ٩٠/٣.

وصلوات الله وسلامه عليه وعلى أئمة الهدى الذين اهتدوا بهدي محمد ﷺ وهدية، وساروا سيرته في رعايته للأمة ونصحه، وانظر إلى وصية علي - عليه السلام - للأشتر: (وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم؛ لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله)، حتى قل: (فربما حدث من الأمور ما إذا عولت [١١٩/ب] عليهم من بعد ما احتملوه إلى آخر ما قل، فأثبت - عليه السلام - المعونة في أرض الخراج زائداً على ما ضرب عليها إذا حدث من الأمور ما يحتمل ذلك كما ترى.

نعم! قد أطبق العقلاء وتفقوا على جعل جزء من أموالهم لمن يجرسها ويحميها ممن يخاف عليها منه، وحماية الأديان وحفظ بيضة الإسلام، وشوكة الإمام الذي به نظمهم لا ينقص عن ذلك بل هو أولى منه قطعاً وأرجح عند أولى الدين والتقى عقلاً وسمعاً.

فصل: فهذه الأدلة القطعية والبراهين العقلية والسمعية قد دلت على ذلك بأبين الدليل وأصرحه وشهدت على منكر ذلك في أنه في أعظم الجهل وأقبحه، وكيف إذا أنضاف إلى ذلك ما ينوبه الإمام من التضمين لأهل الحقوق والمظالم، الذين لا يقسمون لفساد، ولا يتخرجون من أكل مال اليتامى، حتى حكم الإمام عز الدين - عليه السلام - في باب الوقف بأنه لا يصح وقف العوام ولا غيرهم، لما علم من مصير أملاكهم بيت مال؛ لإلتباس أهلها بسبب ترك القسمة لمستحقها من النساء وغيرهن، قل: وما يقع بعد ذلك من التحري من بعض العلماء والفضلاء فمبني على أصل منهار، هذا معنى كلامه، ولم يحضر عندي كتابه^(١) حل كتابه^(٢) هذه المسألة.

(١) وهو كتاب المنهاج.

وقال صاحب التذكرة في كتابه^(١) (التيسير في التفسير) ما حكايته: أن من له الولاية إذا أراد أخذ شيء من مل الرعية، وهو يعتقد أن ما في أيديهم لبيت الملك لما شوهد من اختلاط الحلال بالحرام وغيره من الأسباب الموجبة لذلك فها هنا له أن يلخذ حتى لا يبقى معهم إلا قدر أقاتهم، وفي هذه الحالة ترتفع عنهم الواجبات المالية لعدم ملكهم لما تحت أيديهم من المال، كيف إذا انضاف إلى ذلك الحكم على ما استولى عليه المجبرة، والمشبهة؟ وظهرت فيها كلمتهم، وكانت الشوكة لهم وسواء كانت عقيدة أهل تلك الجهة كعقيدتهم أم لا، فإن ظهور كلمة الكفر من غير جواز تصير الدار دار كفر، وإذا كانت كذلك ثم استفتحها الإمام ضرب عليها ما شاء من معاملة وخراج وغيرهما على حسب ما يراه الأصلح للمسلمين، كيف إذا انضم إلى ذلك ما ذكرناه من ساير الوجوه في الجواب عليك بصنعاء؟ ولكن ذكر الواضح الجلي والإستدلال عليه بلخفي مضر بالذكي من الناس والغبى ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٢) ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً﴾^(٣) نعوذ بالله من الضلالة، ونسأله العصمة والهداية، ولم تزل الأئمة - عليهم السلام - وهم أولو العزم عاملين بذلك وسايرين به إلى يومنا هذا ولكن من جهل هديهم عاب علمهم وعملهم، ولن يضر الله شيئاً، وحسبنا الله وكفى.

فصل: وأما ما قل من إقطاع الأقارب والأنساب إلى آخر ما ذكره مما حمله عليه الحسد والبغى بغير الحق، فالله حسبنا وحسبه، ما قل وكفى بالكذب إثمًا [١/١٢٠] وبالبغي ظلماً على أنه لو وقع من أحد منهم شيء، ونعيذهم بالله مما وقع من غير أمرنا، قلنا فيه كما قل النبي ﷺ فيما رواه أبو داود: «من

(٢) في الأصل، وبقية النسخ: (كتب).

(١) وهو الحسن بن محمد بن محمد بن الحسن، النحوي الصنعاني (ت ١٢٨٩/٨٧٩م). الحبيشي: ٥٤.

(٢) الآية: (٤٦) من سورة الحج، وبدايتها: «أفلم يسيروا في الأرض فتكون لمقلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها...».

(٣) الآية: (٤١) من سورة المائدة.

استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول»^(١) وكما قال الله تعالى ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ، أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ، هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾^(٢) وليس من تكليفنا علم الغيب، والله در العلماء الذين هم العلماء حقاً، لم يتركوا بيان مثل ذلك ولا أهملوه لمن عرف كلامهم واهتدى بهديهم كما قال المنصور بالله في رواية محمد بن الوليد عنه في كتاب (هداية المسترشدين) ما لفظه: ومن شك في الإمامة لأجل تخليط ينسب إلى العمل فهو من الجهال؛ لأن عمل النبي ﷺ وعمل الوصي - عليه السلام - حدثت منهم الحوادث الكبار ولم تقلح في النبوة، والإمامة دونها، وأحداث أصحاب علي - عليه السلام - لا تنحصر، وقد ذكرها في خطبه، وكما قل في (شرح الفتح): وليس على الإمام ما فعله الولاة مما لا يأمر به ولا اطلع عليه، كيف بمن يأمر بالعلل والرفق، والسيرة الحسنة المعتبرة، وتنصيب الولاة لذلك يحمله من اطلع على خلل من فعل الولاة على أنه أمر به أورشى به فذلك لا يجوز؛ لأنه يجب حمل آحاد الناس على أحسن الوجوه المحتملة، كيف بهام المسلمين، وقد ربما ولى الإمام من ظهرت عدالته، ثم قد يخالف من يخالف ما أمرهم به الإمام، واستدعاهم الطمع ونهم ما ولوا من أمور الدنيا حتى نسوا ما ذكروا به، وخرجوا من الطاعة إلى المعصية، وقد جرى نوع من ذلك مع أمير المؤمنين، وذريته الطاهرين، فإنه صدر من كثير من أصحابه من الخذلان وعدم النصيحة والامثال لما أمر به ما شرحه يطول، وهول حتى أنه نسب إلى أن لا رأي له ولا تدبير إلى آخر ما قل.

فصل: وأما ما أعدوه من الخيل وآلات الحرب مما هو شفاء لصدور المؤمنين وغيظ لقلوب المنافقين، فمن أوكد فروضهم وأعظم واجباتهم، وقد

(١) الحديث لم اُتد إليه.

(٢) الآيات: (١٦١، ١٦٢) من سورة آل عمران، وبدايتها: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغْلُ...﴾.

قال الله: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(١) على أن الإمام لا حجر عليه في شيء من ذلك إذا رآه صلاحاً، وأداه إليه اجتهاده ونظره، كما نص على ذلك علماء المذهب الشريف فقال في (الأثمار، والفتح) واللفظ للفتح وشرحه: ولا يمنع من مباح، ويقطع بيوت الأموال وما هو للمسلمين عموماً إلا الإمام لمصلحة رآها إذ هو خليفة رسول الله ﷺ والرسول خليفة الله في أرضه، فهو رأس المسلمين ومالك أمرهم، وأمين الله على خلقه ينظر فيهم بالأصلح والأرجح فيما يرجع إلى مصالحهم، وتسكين الدهماء، وحفظ يضة الإسلام [١٢٠/ب] فنظره مقدم على كل نظر لا يعارض بنظر ولا اجتهاد إلى آخر ما قل.

وكانت فلك مما أفاء الله على رسوله، وقال الله فيها على أرجح القول: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾^(٢) فعد في مصارفها ما عدله في مصارف الخمس، وأعطاهما النبي ﷺ فاطمة - عليها السلام -.

قل في (المصابيح) لأبي العباس الحسيني: أخبرنا علي بن سليمان البجلي، بإسناده عن جعفر بن محمد، عن أبيه: أن فذكاً تسع قريات متصلات، حد منها مما يلي وادي القرى غلتها في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، لم تضرب بخيل ولا ركاب، أعطاهما النبي ﷺ فاطمة - عليها السلام - قبل أن يقبض بأربع سنين، وكانت في يدها تحتمل غلاتها، [و] ^(٣) عبد يسمى جنيراً وكيلها، فلما قبض

(١) الآية: (٦٠) من سورة الأنفل، وتعلمها: ﴿... وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾.

(٢) الآية: (٧) من سورة الحشر، وتعلمها: ﴿... كي لا تكون دولة بين الأغنياء منكم وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا عنه فانتهوه واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾.

(٣) الواو، زيلة من المصابيح ص ٢٦٥.

رسول الله ﷺ أنفذ أبو بكر رجلاً من قريش بعد خمسة عشر يوماً، أخرج وكيل فاطمة منها^(١). انتهى.

وكذلك أعطى عمه العباس من الذهب ما استطاع أن يحمله بجهد، وأقطع من أقطع من الناس شيئاً كثيراً حتى أن عمر بن الخطاب استكثر على بلال ما أقطعه النبي ﷺ وجرى بينهما ما جرى من المفاولة في ذلك، كما ذكره في (السنن الكبرى)^(٢) وغيرها.

وأقطع الزبير من مل بني النضير، خضر فرسه فأجرى فرسه حتى قام، وفي رواية: حتى مات، ثم رمى بسوطه يزداد من حيث وقع السوط، فقال ﷺ: «أعطوه من حيث وقع السوط» أخرج أبو داود، ونحو ذلك كثير، كإقطاعه ﷺ عبدالله بن مسعود وكذا وائل بن حجر، رواه البخاري وغير ذلك.

فصل: وأما ما زعمت للمسلمين فإن كنت تريد الذين أنت بينهم فليسوا ما ذكرت، وإن كنت تريد سائر المسلمين فهم الشهداء، وإن كنت تريد الذين اتصفوا بصفة الذين يبتغون الدنيا، وهم كما حكى الله عنهم في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا﴾^(٣) الآية. وفي قوله: ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(٤) والذين وصفهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الذي رواه الهادي - عليه السلام - ورواه أيضاً

(١) المرجع المذكور ص ٣٦٥ برقم (١٢٢).

(٢) السنن الكبرى: للمؤلف أحمد بن الحسن بن علي بن عبدالله بن موسى البيهقي (٣٨٤-

٤٥٨هـ/٩٩٤-١٠٦٦م). (كحالة: معجم المؤلفين ٢٠٦٨).

(٣) الآية: (٥٨) من سورة التوبة، وتعلمها: ﴿... وَإِنْ لَمْ يَعْطُوا مِنْهَا إِذَا يَسْخَطُونَ﴾.

(٤) الآية: (١١) من سورة الحج.

البخاري ومسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم»^(١) حتى قال في الثالث: «ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا للدنيا فإن أعطه منها وفي، وإن لم يعطه منها لم يف، فلن يضرروا الله شيئاً وهم أحقر على الله من أن [١/٢١] يظفرهم بمكيعة، أو ينيلهم في بغيهم أمنية^(٢)» بل ليس لهم إلا ما قاله سبحانه في الناكثين من زلل الأقدام، وإذاعة السوء ولن يخلف الله وعده وهو الشهيد بيننا، وهو حسبنا وكفى.

فصل: وأما ما قلت أنك أخذت لآل يحيى بن يحيى من القيام لهم التام إلى آخر ما قلت، فهذه أوراقك ورسائلك شاهدة عليك بخط يدك، حيث قلت: وبعد فصدرت معرفة له - أيه الله - بأنني ما زلت أستخير الله وهو نعم المستخار في كل عشي وإبكار، أن يقضي لي بما هو المختار في ديني ودنياي وآخرتي التي هي دار القرار فقضى سبحانه وهو الناصح الذي لا يغش بإلقاء هذا العبء الثقيل، وتحميله وليه وابن^(٣) وليه على محكم كتاب الله وسنة نبيه من غير أن يشاب ذلك بشائبة من الأمور الدنيوية، بل يكون عملاً من خالص الطوية، وقد قضى النظر في باديه بموضوع كنا أرسلنا به إلى الصنو، صفى الدين أحمد بن الحسن - حمه الله - وكنا قد استخرنا الله سبحانه وتعالى مراراً عقيب الإرسال بالموضوعات الأول، حتى أن الله أختار لنا من فضله وطوله، عدم اشتراط أمر من الأمور إلا ما قد وضعتموه من الأمان، وعرفنا أن مراد الله ذلك منا. انتهى. وكيف تشترط ذلك وأنت تزعم أن ما عدا الزكاة مأخوذ بغير حق والزكاة محرمة، فإن كنت تريد الجزية التي ذكرت أنها سبعون

(١) الحديث: سنن الترمذي ٥١٧٣.

(٢) ساقطة من (ف).

(٣) في (ب): (وبن).

الفأ سماعاً للكذب وقبولاً له فليست بـخُمس هذا العدد ولا سدسه، ولا سُبْعه، يعلم ذلك كل من أحب علمه، ولا يجتمع في أيدينا في الحول جميعه من ذلك ما يقوم بنفقة بعض من ذكرت، وقد شهد لنا من ذوي الأسنان من آل يحيى بن يحيى الذين يعرفون أحوالهم الماضية، وغيرهم بأنه لم يتصل بهذا البطن فيما مضى من الزمان من بيوت الأموال من الكسوة والمصاريف والكيلات، ونحوها مثل ما اتصل بهم في زمننا هذا وعلى أيدينا وهم أخوتنا ونحن راعون لهم بحسب طاقتنا، ولم نمنعهم حقاً ثابتاً لهم إن لم يكن قد زدناهم على ما هو لهم بالنظر إلى ما في أيدينا، ولو نظرت في علي بن أبي طالب - عليه السلام - وما فعله مع عقيل في شأن صاع من البر، وبيده - عليه السلام - مملكة الإسلام، إلا ما كان منها تحت يد معاوية وبنو^(١) هاشم في ذلك الوقت عند محصور، لعلمت أنا لم نفرط في شأنهم ولم نهمل حقهم، بل قد علمت أنا قد أعطيناهم ما لا يحل لهم في ظواهر الأمر أخذه، ويحرم عليهم تناوله لوجوه تنوعت لنا، ذلك فيما بيننا وبين الله.

روى أحمد والبخاري عن عمرو بن تغلب أن رسول الله ﷺ: أتى بمل أو شيء فقسمه فأعطى قوماً ومنع آخرين، فكأنهم عتبوا عليه، فقال: «إني أعطي قوماً أخاف [ب/١٢١] ضلعهم وجزعهم، وأكل قوماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب»، فقال عمرو بن تغلب: ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم^(٢)، وأنت لم تذكر ذلك حفاوة بهم، فنحن إن شاء الله أحفى بهم منك وأرفق وأرحم بهم منك وأشفق، ونحب لهم أن لا يكونوا مع أهل النار وإن أصابهم من الحاجة في الدنيا ما أصاب، وأن يكونوا من المتقين في جميع الأسباب، ولكن جعلت ذلك ذريعة

(١) في (ب): (بني).

(٢) الحديث: مسند أحمد بن حنبل: ٨٦٨

إلى الطعن ووصلة إلى الاعتراض، وشاهد ذلك أنهم متبرأون من فعلك وعاتبون عليك من سوء صنعك، بل سألت من كان حاضراً عندي من خيارهم لما بلغني ما فعلت قبل أن يبلغ إليه، فبعد ذلك أشد التباعد استصحاباً لما يظنه فيك من الدين والرأي السديد فلما صح له ذلك رأيناه ساءه ذلك منك أعظم مما ساء غيره، وتعب منه تعباً عظيماً، ونظن في سائرهم أنهم كذلك، فإنهم أهل العقول الراجحة والآراء الصائبة في دينهم ودنياهم، والله حسبنا ونعم الوكيل.

ولكنك صرت تطلب لهم الزكاة المحضة من أيدي العمل عليها الذي تعلم أنه ليس بأيديهم إلا هي، وتسوِّغ لهم ذلك المعلوم تحريمه عليهم، وتعريض غيرك علينا بذلك، وهو نقيض اعتراضك، ولنا فيما نفعله من ذلك وجه صحيح إن شاء الله تعالى من الكتاب والسنة، ونصوص الأئمة، وقد يجوز للمعطي أن يعطي ما لا يحمل للمستعطي، كما قل النبي ﷺ: «إن شئتما أعطيكما إنه لاحظ فيها لغني، ولا لذي مرة سوي».

وروى ابن حبان في صحيحه عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل يأتيني فيسألني فأعطيه فينطلق وما يحمل في حوضه إلا النان». وفي حديث آخر رواه عن عمر بن الخطاب قال: «إنه دخل على النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، رأيت فلاناً يذكر أنك أعطيته دينارين، فقال رسول الله ﷺ: «لكن فلاناً أعطيته ما بين العشرة إلى المائة، فما شكر، إن أحدهم ليخرج من عندي بحاجته يتأبطها وما هي إلا النان»، قال: قلت: يا رسول الله، لِمَ تعطهم؟ قال: «يأبون إلا أن يسألوني، ويأبى الله تعالى لي البخل»، رواه ابن حبان في صحيحه، ورواه أحمد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -، ولا يعلم في أرض اليمن جميعه مكسباً يحمل لبني

هاشم أطيب ولا أكثر من باب الحديد في صعلة، وقد صار مستغرقاً لهم ولمن شاركهم في استحقاقه من غيرهم وهم اليسير، والكف عن المحرمات أولى من التهور فيها، كأنك لم تستغن بما صح أن آل محمد لم يشبعوا من خبز البر ثلاثاً^(١) متوالية، وأنهم كانت تمر عليهم الليالي والأيام لا توقد في بيوتهم نار [١/١٢٢] ولا بما فعل علي - عليه السلام - مع عقيل حين طلبه صاعاً من قمح.

وقل في نهج البلاغة ما قل، وحقوق الله في ذلك الوقت التي تحمل لهم وتحرم عليهم أكثر توفراً مما يعد في سائر الأعصار بإجماع نقلة الأخبار، مع ملك علي (عليه السلام) لليمن ولما هو فوق اليمن من الأمصار، وكان بنو هاشم ذلك الوقت دونهم الآن في القدر، وفوقهم في المقدار، ولكن: ﴿لَإِنهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٢) أعوذ بالله من العمى، ونسأل الله الهدى والتقى، وحسبنا وكفى.

ولعلك لم تعلم إخراج النبي ﷺ التمرة التي التقطها الحسن - عليه السلام - من فيه، وقل: «أخشى أن تكون من تمر الصدقة» ولا ما قاله الإمام المنصور بالله - عليه السلام - في جواب المعترض عليه بمثل هذا الاعتراض حيث قل: وقد قضى رسول الله ﷺ يهودياً ديناً فأمرنا به أن يزيد شيئاً لكلمة أغلظ له فيها من صدقة بني زريق، فأعطى اليهودي من الزكاة وفي أصحابه من المسلمين ومن معه من الحاجة ما علمه الخاص والعام، والقصة مشهورة عند أهل العلم.

(١) يقصد ثلاثة أيام متوالية.

(٢) الآية: (٤٦) من سورة الحج، وبدايتها: ﴿أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا...﴾.

قلت: قد رواها الهادي^(١) - عليه السلام - في كتاب (الأحكام) ورواها غيره من أئمة الحديث الأعلام.

قل - عليه السلام -: وأعطى - يعني النبي ﷺ - المؤلفه قلوبهم الأموال الجليله في يوم حنين، وفي غيره، وفي المسلمين من هو أنصح وأحوج، فلا وجه لذكر الحاجة هاهنا، وقد كان النبي ﷺ يعطي الخمس قوماً من الكفار وغيرهم، وهو حق له ولأهل بيته بغير مشاورتهم، وحاجتهم إليه شديلة حتى بلغ بهم الجهد كل مبلغ، فاعلم ذلك ولم يعامل ﷺ المؤلفه قلوبهم هذه المعاملة لا من قرب إليه كآبي لهب، ولا من بعد كغيرهم، بل حصر الآل في الخمسة البطون، وليس منهم غير التقى، وإن كان من الخمسة البطون أيضاً، وقد شهد بذلك القرآن في آبي لهب (لعنه الله) وإذا منع من الخمس لفارقت في الدين جاز أن يعطى من الزكاة كسائر المؤلفين، وكذلك من اتصف بصفته من سائر البطون، ولذلك جعل النبي ﷺ لآل المطلب ما جعل مع بني هاشم، وكذلك علي - عليه السلام - في صدقته شركهم معهم.

قل الشافعي: ولأجل ذلك تحرم عليهم الزكاة، وانظر إلى ما أجاب الله به نوحاً - عليه السلام - في ابنه فإنه قل: ﴿يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾^(٢) وأجمع المفسرون على أنه كان ابنه، ولكن المعنى أن عمله غير صالح، وذلك معنى قوله: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ وقد قل بمثل ما قلناه المنصور بالله عبدالله بن حمزة - عليه السلام - والإمام يحيى بن حمزة، والإمام علي بن محمد وغيرهم، قالوا: يجوز تأليف الهاشمي من الزكاة إذا تكاملت فيه شروط التأليف؛ لأنه إنما نزه تشریفاً [١٢٢/ب] ولا يستحق ذلك الفاسق فثبت بحمد الله أن العتب عليك في هذا النبي فهمته.

(١) يحيى بن الحسين.

(٢) الآية: (٤٦) من سورة هود، وتامها: ﴿...إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

فصل: وأما ما ذكرت من تولية مثل الفقيه محمد بن علي بن جميل - عافه الله - فهو الخلق بالإمارة والملي بها لا يعلم بنقص في الدين، ولا خلل في الرأي، والحمد لله الذي جعل الاعتراضات الواردة على رسول الله ﷺ، فإنهم اعترضوا عليه بمثل هذا الاعتراض، فيما رواه الشيخان والترمذي عن ابن أبي عمرو، قل: «بعث رسول الله ﷺ بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد فطعن بعض الناس في إمارته، فقل: إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه، وإيم الله إنه كان لخليقاً بالإمارة وإنه كان لمن أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي»^(١) وليس علينا أن نتحرى إلا ما رأيناه في ظننا، ورأيناه أقوم وأصلح، كما أن النبي ﷺ أمر أسامة مع كراهة كثير من أصحابه لذلك، وكما أمر خالد بن الوليد وحاله ما عُرِف، وفعل تلك الأفاعيل التي أمر النبي ﷺ عليها - عليه السلام - فوداها وأرثها، ثم لم يمنعه ذلك من تأميره مرة أخرى، ولا منع بعده الخلفاء من تأميره، وكما أمر ﷺ عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل على المسلمين، وفيهم أبو بكر وعمرو وغيرهما أكابر الصحابة على أن أحداً من الولاة، ولو افتأت علينا بشي من غير أمرنا لم يكن ذلك قادحاً علينا، فقد افتأت خالد كما ذكرناه على النبي ﷺ وبعض عمل على - عليه السلام - افتأت عليه بعمالته جميعاً، وبعضهم فعل أيضاً كذلك، ولم يقدح ذلك في حق علي - عليه السلام - ولم يزل مثل ذلك يجري من العمل والولاة في جميع الأعصار، فإن العصمة لا تشترط إلا في الأنبياء - صلوات الله عليهم - دون غيرهم، ولكن أحببت النكير بالأباطيل وتتبع كاذب الأقوال كما زعمت في الأقارب من أسرف وأشترى بشمقاً^(٢) بسبعة عشر^(٣) قرشاً كذباً وزوراً، ولم يطرق اسماعنا قبل

(١) الحديث: الألباني: صحيح الجامع الصغير ٥/٢.

(٢) البشمق: الحذا.

(٣) الآية: (١٢) من سورة: النور.

كتابك، ولا يصدق به أحد سمعه، لو نقل عمن أسرف من المسرفين فضلاً
 عمن علم إيمانه، وظهرت عدالته، ووجبت توليته، ما لم يعلم منه بكبير،
 وكذلك سائر ما ذكرت حتى حكمت بتعيين فواسد في صنعاء قذفاً بالباطل
 ورمياً بغير الحق، ثم زدت في تشنيع تلك الفاحشة بقولك: إن عليهن مثل هذا
 على ما حكى عنك رسولك، وقد قال الله في مثل هذا: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ
 الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾^(١) والآيات، وقال: ﴿إِذْ تَلَقَوْهُ
 بِالْأَسْتِثْمِ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ،
 وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ،
 يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢) ولكن حسب [١/١٢٣] القائل
 قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣) هذا فيمن أحب الإذاعة، فما
 ظنك بالمذيع، فهذه البصيرة للمتقين، وهذا البيان للمؤمنين ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ
 عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾، والحمد لله رب العالمين ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ
 عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٤) ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ
 يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ
 فِي السَّمَاءِ﴾^(٥).

والحمد لله الذي شرح صدورنا بالقرآن، وجعلنا على بينة من الهدى
 والفرقان، وأسلمت وجهي لله ومن أتبعني وعلى الله توكلت وهو حسي،
 وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

(١) الآية: (١٢) من سورة: النور.

(٢) الآيات: (١٧، ١٦، ١٥) من سورة النور، ساقطة من (ف).

(٣) الآية: (١٩) من سورة: النور.

(٤) الآية: (١٨٠) من سورة: يوسف.

(٥) الآية: (١٢٥) من سورة: الأنفال، وتعلمها: ﴿... كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾.

[رسالة القاضي أحمد بن سعد الدين] ^(١)

وقال القاضي العلامة صفى الدين وشحاك الملحددين أحمد بن سعد الدين
- أطال الله بعمره - ونفع بعلمه الظاهرة المنيرة:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد
حمد الله بما هو أهله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً
عبده ورسوله، والصلاة والسلام، الأتمان الأكملان على محمد وآل محمد
الطيبين الطاهرين، فإن الرسالة المنسوبة إلى السيد صارم الدين، إبراهيم بن
محمد بن أحمد المؤيدي - أعاذنا الله وإياه من زلة القدم والقلم - لولا اقترانها بما
كان منه أصلحنا الله وإياه من اتباع ناعق بن روكان، حين بغى وطغى،
وحارب الله ورسوله، وسعى في الأرض فساداً لم يكد الواقف عليها يصلق
أنها منه؛ لأن خطها مجهول، ومعانيها متدافعة؛ ولأن النبي رأيناه عياناً بخط
السيد صارم الدين، الذي لا يشك فيه من يعرفه أنه كتب إلى الإمام المتوكل
على الله أمير المؤمنين - حفظه الله - وإلى ولده السيد الهمام شمس الإسلام أحمد
بن الحسن بن أمير المؤمنين - حفظه الله - في جمادى من عام ست وخمسين
وألف [يوليو ١٦٤٦م] وهو إذ ذاك في فسحة من أمره وملك لزملمه غير محاط
به ولا مغلوب، بل هو في جهة نازحة، وديار عن المخافة بعيدة ليست كما
يدعي في بيعة صنعاء، التي بذلها في شعبان في عام خمس وخمسين وألف سنة
[١٦٤٥م] في مشهد الخاص والعام، وأعطى عليها عهد الله وميثاقه بعد أن
عرض عليه الإمام مأمته، ثم هو وما اختار لنفسه، فكان منه في شهر الله المعظم
رمضان ما كان كتب إلى السيد صفى الدين أحمد بن الحسن بن أمير المؤمنين
في التاريخ المذكور عام ست وخمسين [١٦٤٦م] بخط يده ما ألفاظه هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده [١٢٣/ب] الذين
اصطفى، سيدي الأخ الشقيق الرئيس الأكمل العلم الأوحى الأفاضل الأمثل

(١) ما بين المعقوفين عنوان أضفناه على طريقة النسخ.

صفي الإسلام والدين، أحمد بن الحسن بن أمير المؤمنين^(١) - حفظه الله تعالى -
 عن طوارق السنين، وأهدى إليه من أخيه في الله إبراهيم بن محمد شريف
 الإسلام وزليف الإكرام، وبعده فصلدت من محروس قراض بعد الإتفاق
 بالوالد الأفضل جمال الإسلام المهدي بن الهادي - حفظه الله تعالى - وقد كان
 أرسل الموضوع الذي وضعتموه إلى بلاد وادعة، وكنا قد استخرنا الله مراراً
 عقيب الإرسال بالموضوعات الأولى حتى أن الله اختار لنا بفضلله وطوله عدم
 اشتراط أمر من الأمور إلا ما قد وضعتموه من الأمان، وعرفنا أن مراد الله
 ذلك منا، وأنه الناصح الذي لا يغش، ومع ذلك فقد رجح عندنا أنا
 بعد تسليم ذلك الأمر العام تقدم إلى جهة المولى - أيه الله - عقيب وصول
 مكتوبه الكريم الذي هو كوضعكم الذي وضعتموه لنا لتبارك بخطط يده
 المباركة، وإلا فما قد فعلتموه فهو كاف وافٍ إن شاء الله تعالى، والقاضي أحمد
 والسيد أحمد والقاضي حسن، ومن استحسنتم وصوله للشهادة علينا بتسليم
 ذلك يصلون على بركة الله، فقد صرنا منتظرين لقدمهم المبارك إن شاء الله
 تعالى، ثم إننا لا نستغني عن مكتوب مثل مكتوبكم من والدكم، أحمد بن أمير
 المؤمنين - حفظه الله - لأنكم قد عرفتم كبر سنه؛ ولأنه لا يهمل عن طلب
 مثل ذلك منه فلکم الفضل بتعيين ذلك من عنده، وقد كنا استعفيناً منكم
 ومن المولى في القواعد الأولى عن التقدم إليه حتى أنا رأينا أنه لا غنى به عن
 المثول بين يديه ليعرف صلوق النية وخلوص الطوية، وإن كان الله هو
 الكافي، والمطلع على ما في الضماير إلا من يسمع بخل، وعفا الله عما سلف،
 ومن شيمة أهل البيت الوفاء والإغضاء، ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم
 الأمور، وإن كنا قد أخطأنا فيغفر الله لنا وهو أهل الغفران، ونحن بنو آدم محل
 العصيان، وإن غيرنا الخاطيء والله يغفر له، ويسامح عن الجميع وإن كان المولى
 - أيه الله - مئزه الجانب عن تلك الكائنات الأولى؛ لكنها قد وقعت فلتة من

أهلها فيغفرها الله، وقد اكتفينا بكتابنا هذا عن الكتاب إليه - أيده الله تعالى - ولا بد من كتاب إليه عقيب وصول المطلوبين إلينا نعرفه بما وقع منا، وكتاب إلى كافة المسلمين إن شاء الله تعالى، والله يتولى الإعانة، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والسلام ورحمة الله وبركاته. انتهى بألفاظه من خط يده، ثم كتب إلى الإمام المتوكل على الله - حفظه الله - بما هذا لفظه وبخط يده:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^(١) سيدي ومولاي أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، المتوكل على الله رب العالمين، إسماعيل بن أمير المؤمنين - حفظه الله وحرسه ووقاه - وأهدى إليه من أخيه في الله الفقير إلى الله إبراهيم بن محمد شريف السلام، وزليف التحية والإكرام، وبعد فصدرت هذه معرفة - أيده الله - بأني ما زلت أستخير الله، وهو نعم المستخار في كل عشي وأبكار، أن يقضي لي بما هو المختار في ديني وآخرتي التي هي دار القرار، فقضى الله سبحانه وهو الناصح النبي لا يغش بإلقاء هذا العبء الثقيل وتحميله عليه وابن وليه على محكم كتاب الله وسنة نبيه من غير أن يُشاب ذلك بشايبة من الأمور الدنيوية، بل يكون عملاً من خالص الطوية، وقد قضى النظر في باديه بموضوع كنا أرسلنا به إلى الصنو السيد صفي الإسلام أحمد بن الحسن - حفظه الله - ثم إنه تعقب ذلك ما ذكرناه لكم من صنع الاستخارة، فتقدمنا عقيب ذلك إلى محروس قراض، والقاضي صفي الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجل، وله العناية التامة في النصيحة لله ولكم، فوجدنا^(٢) فيها الوالد السيد العلامة المهدي بن الهادي - أبقه الله تعالى - قد

(١) الآية: (١٣) من سورة: الشورى، وقلمها: ﴿... كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ

يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾.

(٢) ساقطة من (ب).

تقدم بوضع من الصنو صفي الدين، أحمد بن الحسن -حفظه الله- فيه أمان شديد وذكر شيئاً مما يتعلق بالقرابة، بعد أن كنا أردنا التنبيه عليه -حفظه الله- بما صنعت استخارة الله فحمدنا الله تعالى على تطابق الكل على مراد الله، ثم إنني كتبت إلى الصنو صفي الإسلام -أبقه الله- بما كانت النية انطوت عليه، وذكرنا له إن النية قد انطوت عقيب استخارته على التقدم إلى حضرتكم الشريفة المكرمة ليكون ذلك زيادة في الاطمئنان، وحسماً للملاة التي تورث وسوسة في القلوب أو تسويلاً ممن لا يخاف علام الغيوب، وقد كنا اعتذرنا بلئى الرأي منكم ومنه عن هذا المطلوب، حتى أن الله وله الحمد هيأ ذلك لنا، وطلبنا منه وصول جماعة يحضرون على التسليم منا عن رضى واختيار، وذكرنا له طلب مكتوب منكم -أيديكم الله- على نحو مكتوبه، واعتذرنا عن الكتاب إليكم حتى يقع الكتاب بعد المحفل العام، والذي نرضي به الله سبحانه الملك العلام، ثم رجح عندنا أن يقدم بين يدي ذلك هذا المسطور، ونطلب مكتوباً خالصاً في الأمان ليس فيه شايبة من تلك الأمور، وهو على النحو الذي وضعه الصنو أحمد بن الحسن إلا أنه خل عما يخصنا وقرابتنا ليكون العمل على ما قضيت به الاستخارة لا يكون مشوباً بأمر غيره، فقد صدر إليكم، فلكم الفضل بوضع خطكم عليه، وخط من حضر سوحكم الكريم، وإن كانت الغنية قد حصلت بما فعله الصنو شمس الإسلام -حفظه الله تعالى- إذ هو يد من أيديكم عظمى، لكن ذلك زيادة في الاطمئنان والله المستعان وعليه التكلان، والدعاء وصيبتكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحرر بمحروس قراض صبيحة يوم السبت خمس [١٢٤/ب] وعشرين في شهر جمادى الأولى سنة ست وخمسين وألف (يونيو ١٦٤٦م) وحيث قد وضعت أماناً كان المعمول عليه، وكان الكافي والسلام. انتهى بالفاظه ومن خط يده، ثم كتب إلى لإمام -عليه السلام- ما لفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١) الحمد لله الذي ألف بين قلوب أوليائه المؤمنين، وجمع بعد التفرق قلوب المسلمين، ونسأله حراسة ذلك ببقاء مولانا أمير المؤمنين وسيد المسلمين، وخليفة رسول الله ﷺ.

المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام القاسم بن محمد بن رسول الله، لا زالت أيامه واضحة النعم في الأيام، ونعمه مقلدة في أعناقهم، (لازمة لزوم الحمام)، والله يحمي بحمايته معالم الإسلام، ويهدي إليه من أخيه في الله إبراهيم بن محمد شريف السلام، وزليف التحية والإكرام، وبعد: فصدرت بحمد الله بعد استقامة الأمور على ما يريد الله، واتساقها بفضل الله وطوله على ما أراه وأخار به وارتنضاه، وذلك أني لم أزل أستخيره بكرة وأصيلاً حتى استخار لي بفضلته التخفيف وإلقاء هذا الحمل الثقيل، وتحميل مولاي عهدته، ليفعل ذلك بمراد الملك الجليل، فحمدت الله على أن جعل الإقدام والإحجام على بصيرة، وعرفت أن الله سبحانه وتعالى قد حمد السيرة، وقد وافقت مراده السريرة، وسألته أن يحمي الإسلام بحمي المولى، ويطيبل له البقاء، وكان تيسير الله لإتمام ذلك الذي جاءك في الصدور وإليه آلت عاقبة الأمر بعناية من حمد الله مساعيه. وشكر أيديه، ذلك الأخ الرئيس الأكمل واسطة عقد السادة ومرجع الكملة والقادة، صفى الإسلام والمسلمين أحمد بن الحسن بن أمير المؤمنين (حفظه الله) عن طوارئ السنين فإنه ما زال بحسن مقاصده مؤنساً للقلوب، وجاذباً لها إلى المطلوب، حتى أتم الله ما أردناه بحميد السعاية والمعية الدراية وحسن النية، وخلوص الطوية، فجاء ذلك الأمر مطابقاً للمراد جارياً على وفق السداد، وكان ذلك عقيب أن تقدم إلينا القاضي العلامة الأعمل الأكرم صفى الدين أحمد بن يحيى بن حابس، والقاضي العلامة الأعم

(١) الآية: (٦٣) من سورة: الأنفال، وبدايتها: ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ...﴾.

شرف الدين الحسن بن أحمد الحيمي، والصنو السيد الأكرم العلم الأعلّم شمس الدين أحمد بن الهادي، والسيد العلامة أحمد بن محمد القابلي، والوالد جمال الإسلام والمسلمين، المهدي بن الهادي النوعة. وقد تقدم إلينا إلى الجهة الوادعية الفقيه الأفضل العلامة شمس الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجل، (رحمه الله) بعد أن استدعيته عقيب أن لاحت لوايح الاجتماع فكان المذكوران مع من حضر من الأعيان حاضرين الموقف الكريم شاهدين [١٢٥/أ] لنا وعلينا بما انطوت عليه القواعد التي ما بعد تقويمها تقويم، وقد أنفذنا إلى الحضرة المكرمة المشرفة المعظمة بقاعدة تطلعون عليها، مشتملة على المراد مبينة مفصلة ونفذنا في المقامات التي هي مجامع الأفاضل، بقواعد على نسقها لتكون حسماً لمادة قول قائل، وإن كانت الأعمال خالصة لله، ولم يبق فيها بحمد الله اشتباه، لكن مثل ذلك زيادة في الاطمئنان، وجار على قواعد الإحسان، ونفي لتسويبات الشيطان، والله المستول أن يجعل العمل خالصاً لوجهه الكريم مقرباً إلى جنات النعيم، وقد تقدم إليه أيده الله من مباني القول والتعريف بما لا يحتاج معه إلى إعادة المقالة، والدعاء مستمد والسلام [عليكم] ورحمة الله وبركاته، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. بتاريخ شهر جمادى الأولى سنة ست وخمسين وألف [١٦٤٦م]. انتهى بالفاظه ومن خط يده.

[رسالة إبراهيم بن محمد المؤيدي إلى الإمام^(١)]

وهذه القاعدة التي أشار إليها بخط يده وعليها حكم القاضي العلامة شمس الدين أحمد بن يحيى حابس (رحمه الله) وشهادة من ذكرهم في الكتاب من السادة والقضاة وهذه ألفاظ ما كتبه بيده فيها كتب في عنوانها. سيدي المولى أمير المؤمنين، المتوكل على الله رب العالمين ومن لديه من السادة الكرام

(١) ما بين المعرفين، عنوان أضفنه على طريقة النسخ.

والقضة الأعلام والمشايخ الفخام، وكتب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، الحمد لله مدبر الأمور على مقتضى إرادته، وكل يوم هو في شأن، المتصرف في مصالح خلقه على مر الدهور بلطيف حكمته من غير مؤازر ولا ثان، المملك الملك من عبده من ملكه في الكتاب مسطور في سالف أزليته فأنى لغيره سلطان، والصلاة والسلام على الهدى والنور المبعوث لإعلاء كلمته إلى الإنس والجان، وعلى آله المطهرين أحسن ظهور من رجس الشيطان ومعصيته، فهم لأهل الأرض أمان، وبعد فليعلم من على البسيطة من دانى الأرض وقاصيها، من أتهم بغورها وأنجد بصياصيها أن الداعي إلى الله، بالمغفرة وراجيها، إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين ثبتته الله على قواعد الشريعة ومبانيها يقول: لما ظهرت الدعوة المتوكلية ظهور الشمس عقيب ليل الفتن التي حارت فيها ذوو الألباب، ودان لها ذوو العقول وخضعت لها خضوع الذليل غلب الرقاب، ورفعها المسلمون معزين لها ومكرمين، وذهب إليها العلماء ثبة وعزين، ووكل بها قوماً ليسو بها بكافرين، حتى صارت ماضية لشأنها قاطعة لعنانها. قائلة بلسانها:

دعوني أجوب الأرض في طلب العلا فلا الكرخ الدنيا ولا الناس قاسم

[١٢٥/ب] وعقد المسلمون للمسرة بها تلجاً ووهجوا للجنك بها سراجاً وهلاجاً، ودخل تحت أوامرها المسلمون أفواجاً، وجاءوا نحوها أفراداً وأزواجاً، وما ذاك إلا أن متحملها ينبوع العلم الفؤار وغيث الفضائل المدرار، وزبرقان الفلك الدوار، وطرار غلالة المعالي والفخار.

عليم رست للعلم في أرض صدره جبال جبال الأرض من دونها قف

ذلك فاتح الأرتاج، ودرة التاج المولى أمير المؤمنين المتوكل على الله إسماعيل بن أمير المؤمنين، فعند أن اختصه الله بالخصائص الجليلة، ورأيت

المصلحة في معارضة مثله قليلة، وكان الله قد أمر بالوفاق، ورغب فيه وحث عليه. وقال: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾^(١) سلمت ما كنت تحملته من الأعباء الثقيلة، تسليم راضٍ لا شبهة فيه ولا حيلة، لوليه وابن وليه الإمام المذكور المشهور، المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام القاسم المنصور:

إذا الأمر هذا لا يليق بغيره فألقى إليه قوسه ومشاقصه
ولا شك أن الله راضٍ بدعوة إليها قلوب الخلق لا شك شاخصة

ولم نشرط عليه في ذلك التسليم إلا ما شرطه الله عليه، ما بقي أيده الله على حالته المرضية سائراً على الكتاب والسنة، وما أنا قد خففت عليّ ثقلها على نية والله خالصة. فما أنذا سائراً تحت لوائه، مهتد بهداه، ملتزم أحكام الطاعة، داخل تحت جمعته والجماعة، على مقتضى ما يريد الحق من طاعة الأئمة الذين هم أمان الخلق ما طابقوا مراد الله والتزموا طاعة الله، فليعلم من وقف على مكتوبي هذا بما التزمته من أحكام الطاعة للإمام، وأن ما تقدم مني من مقتضيات النظر الني اعتقدت فيه المطابقة لمراد الملك العلام، فإن كنت في ذلك موافقاً لمراد الله فقد مضى بما فيه من أجر، وإلا فأنا أستغفر الله وأسأله حسن العاقبة، وإليه ترجع الأمور، والإنسان محل الخطأ والنسيان، والكريم محل المسامحة والغفران، وقد ألزمت النفس طريقة الإقتصاد والتمسك بالوفاق، وأوقفتها في حلبة السباق على قصبة المصلي، وجذبتها عن إدراك شأو السباق، ومن سبقت منه إساعة إليّ وظن أنني بها قمين، فقد سألت الله أن يغفرها له وهو أرحم الراحمين، وجل من لا عيب فيه وعلا، عن كل قول ذميم، وقل ما

(١) الآية: ١٣ من سورة: الشورى؛ وبدايتها وما بعدها: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهتدي إليه من ينيب﴾.

سلم من الخدش أديم. شعراً:

ألا لا أبالي من زماني بريئة إذا كنت عند الله غير مريب

ولا شك أن مثل هذا الأمر لمثلي في هذا الزمن [١/٢٦] لا يدخل فيه إلا من جذبته أمراس الاغترار، ولعت له بوارق الأمانى من بين عارض شبه الوجوب، وماهي إلا إعصار فيه نار، فعلمت ما كنت جهلته بعد الدخول فيه، وأيقنت بعد الخروج منه أن الله قد خفف عني الإصر، واختار لي ما لا أختار: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾^(١)، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وسلم.

بتأريخ شهر جمادى الأولى سنة ست وخمسين ألف [يوليو ١٦٤٦م] انتهى بألفاظه من خط يده.

ثم كتب إلى الإمام المتوكل على الله (حفظه الله تعالى) بخط يده في شهر رجب من سنة ست وخمسين وألف [أغسطس ١٦٤٦م] المذكورة في شيء من أغراضه الخاصة وضمّن الكتاب الاعتذار، عن اجتماعه بالسيد صفي الإسلام والمسلمين، أحمد بن الحسن بن أمير المؤمنين، (حمه الله تعالى) وأنه عرفه أن الأمر لعذر يرجع إلى خويصة النفس وأنه قد قبل عذره، وأنه قد دخل إلى محروس صعلة، وأنه إن تراخى في صعلة كانت الطريق في التقدم إلى حضرة الإمام (عليه السلام) عليه، وإلا كان الإتفاق إن شاء الله لديه، ثم كان آخر ما كتب في ذلك الكتاب ما لفظه: نعم، أيدكم الله تعالى كنا قبضنا حصاناً من خيل الوالد أحمد بن الإمام يوم تلقانا إلى الطريق وكان هذه الأيام، واستحسننا عوده إليه فرددناه إليه، وأردنا استئذان المولى وأجاز ما فعلناه لأنه من بيت المال،

(١) الآية: ١٥ من سورة: الأحقاف، وبدايتها: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرمياً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قل...﴾.

فلكم الفضل بإجازة ذلك، وحيث تفضلتم تأذنون لنا في صرف واجبنا فالفضل لكم وإلا صيرناه بنظر الفقيه علي الشقري والجواب من المولى للرسول مبادرة، فإنه ذو عول^(١) وهو في أيام كسب. والسلام. انتهى بألفاظه من خط يده.

ثم كتب إلى الإمام المتوكل على الله حفظه الله تعالى، بخط يده في شهر شعبان من سنة ست وخمسين وألف [سبتمبر ١٦٤٦م] المذكورة كتاباً في أغراض، وكتب فيه ملحقاً بخط يده يطلب فيه ولاية للسيد يحيى بن أحمد بن المهدي، فقل فيه ما لفظه: إلحاق خير (إن شاء الله) إلى المولى أيده الله تعالى قد عرفتم أن الجهة التي كانت بيد الوالد الأفضل العلامة شمس الدين أحمد بن المهدي (رحمه الله تعالى) ما زالت في أيدي آل المؤيد من بعد زمان الأمراء أولاد يحيى بن يحيى رحمهم الله تعالى إلى هذا التاريخ يأمرون فيها بالمعروف ويقيمون فيها اليتيم والضعيف والأرملة والمسكين، حتى كان إلى هذه المدة، وتحيط في بعضها الصنو يحيى بن أحمد رعه الله تعالى، ثم الصنو أحمد الأعضب وكان ذلك سبباً لتسليط من لا يرحم صغيرهم، ولا يوقر كبيرهم وصرت أرى في الصنو يحيى بن [١٢٦/ب] أحمد لوائح الخير في هذه المدة القريبة، فإن رأى المولى حفظه الله تعالى تعليقه بشيء منها واختاره فقد ضاع بيت السيد أحمد بن المهدي وانتشرت أمورهم، ولو عرفنا أن للحظوظ جدوى من دون استقامة القائم منهم لكان ذلك أصلح لهم لكن رأينا الأمور على ما عرفتم، وهم بيت كبير ما يسعهم ما يسع غيرهم، وفي ذلك نظركم الثاقب، والله يتولى الإعانة والسلام. انتهى بألفاظه من خط يده فيكيف ينبغي للسيد صارم الدين عافانا الله وإياه أن يقول في تلك الرسالة أنه إنما صالح كصالح علي بن أبي طالب وهو في كل ما ذكر يشهد بما يشهد وأن جميع ذلك مراد الله لم يبق

(١) ذو عول: لديه عدد كبير من الأبناء.

فيه شبهة ولا حيلة، وكيف يقول: إنه لم يزل يذاكر بهذه الاعتراضات مدة سبع سنين، وقد رأيت تاريخ كتبه التي شهد فيها على نفسه بما شهد، ونحن الآن في أوائل عام إحدى وستين، أو أنه شرط وشرط، وهو فيما كتبه ينفي الشروط غير الأمان هذا إن أراد شرطاً يخصه أو يخص من يخصه. فأما شرط العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فذلك شرط الله قبل شرطه وحقه قبل حقه، على أن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وآله لم ينكث عهداً، ولا نقض عقداً بل أغضى وصبر وفي العين قننى، والقلب شجاً يرى ترائه نهياً، ويرى ما مني به الناس من تخبط وشماس وتلون واعتراض، وهو هو والأمر في ذلك واضح جلبي، ولكن ما عشت أراك الدهر عجياً، وقد كان من حق تلك الرسالة أن لا يجاب فيها، ولا يلتفت عليها؛ لأنه إن كان صادقاً فيما شهد به وكتبه بخطه للإمام المتوكل على الله حفظه الله، وقد قال الله عز وجل: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ، وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾^(١) وأي حجة علينا إذا علمنا بشهادته وكيف نصدقه الآن فيما سبق منه فيه إكذاب نفسه! وإن كان فيما سبق منه من الشهادة كاذباً فكيف نصدقه وقد شهد على نفسه بالكذب! ولكن لعل هذا الجواب ينفع إن شاء الله من إذا سمع وعاد وإذا عارعا، فمن الجواب الجملي عما تضمنته تلك الرسالة أن الإمام المتوكل على الله حفظه الله ليس بأول من ابتلى باعتراض المعارضين، وإفك الآفكين، وكيف والناس قد قالوا في رب العالمين ما قالوا وسبحان الله عما يصفون، ونالوا من عرض رسول الله ﷺ المطهر المصون ما نالوا، فأسه الله بنحو قوله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٢) وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمُكَ فِي الصَّدَقَاتِ، فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ، وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ

(١) الآية: ١٥، ١٤ من سورة القيامة.

(٢) الآية: ٣٤ من سورة الأنعام.

وَرَسُولُهُ [١٢٧/أ] وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿١﴾ وقوله: ﴿وَمَا تَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَعْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٢) وأنه كان الأحق بالسيد صارم الدين أن يوفي بعهد الله وميثاقه وقد سمع الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (٣)... الآيات، وإنما ابتداء بأخذه على نفسه باختياره عن عزمه على الوصول إلى الإمام ومشاركته ومواساته، فإن رأى معروفاً أعان على فعله، وإن رأى منكراً أعان على تركه، ولا يختار لنفسه وأهله مع قول الله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٤) المساكنة لقوم شهد عليهم في رسالته هذه بما شهد وهل اللوم إلا عليه، وهو بينهم إما قادراً فعليه أن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، فهذا هو يدعي أنه لا يقيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجهها غيره! وأنه يريد إقامة هذين العمودين في المشرق والمغرب، وإما عاجزاً فينقل عنهم، كما قال النبي ﷺ: «لا يحل لعين ترى الله يعصى فتطرف حتى تغير أو تنتقل»، ولا يرضى لأهله ونفسه والعياذ بالله أن يكونوا ممن قل فيهم عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ (٥) الآية. وإما مستضعفاً حقيقة من الذين لا

(١) الآياتان: ٥٩٥٨ من سورة: التوبة.

(٢) الآية: ٧٤ من سورة: التوبة، وبدايتها ﴿يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا﴾.

(٣) الآية: ٦ من سورة: التحريم.

(٤) في الأصل: وبقية النسخ: (كان).

(٥) الآية: (٩٧) من سورة: النساء.

يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، فكف لسانه عمن باع نفسه من ربه وبذل مهجته لخالقه، وواسى المسلمين بنفسه ونفيسه في ليله ونهاره، ولا يجعل ما صانه الله من أعراضهم دربة لسهامه، وهو بحيث لا يصل إليه من الأخبار إلا ما شذ، ولا من المخبرين إلا ما بدئ كالأذنين قال الله عز وجل فيهم: ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا، لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١). ولذلك حرّمهم الله نصيبهم من الفيء، وقال عز وجل: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٢). وبأي هذه الوجوه يكون التأسي برسول الله ﷺ وبأهل بيته من محق أو مبطل، وما أحسن ما أنشده الامام الهادي إلى الحق عز الدين بن الحسن عليه السلام [١٢٧/ب]:

كفاني الله شرك يا خليلي

فأما الخير منك فقد كفاني

وأما التفصيلي فإننا لم نعلم إمامنا هذا المتوكل على الله حفظه الله إلا شحنا أوقاته ليلاً ونهاراً بتقوى الله وذكره وعبادته، والدعاء إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة معالم الإسلام، والتذكير بالله عز وجل بالتخويف من منكراته، والتبشير للمطيع، والإنذار للعاصي، وإقامة الحدود، وحفظ المواثيق والعهود، والوفاء بالعهود، وإقامة الشريعة المطهرة على البر والفاجر، والأمير والمعظم والحقير، والتفقد للضعفاء والمساكين، وذوي الحاجات بمبلغ جهله، وغاية قدرته بلسانه وبلده^(٣) وأعوانه فيما حضره، ويبعث المعلمين

(١) الآيتان: ٢١، ٢٠ من سورة: الأحزاب.

(٢) الآية: (٧٢) من سورة: الأنفل وما قبلها وما بعدها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ أَوْذُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجَرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

(٣) ساقطة من (ب) و(ف).

والمرشدين، وكتبه ورسله وأوامره ونواهيه وعساكره ووزعته لإخافة الظالمين، والمفسدين والمعتدين، وأطرحهم على الحق، وتشريدهم والانتقام لله منهم فيما بَعُدَ عنه من بر وبحر، وحتى إلى أقصى حدود بلاد الحبشة والسودان، فضلاً عن بيت الله الحرام، ومشاعره العظام مع ما ثبته الله به من قوة العزيمة وخلوص النية وصدق اليقين ونصرتة من الرعب، وألقى عليه من محبة الخلق، هذا إن كان للعيان على الخبر فضل، وبين العين والأثر فرق. شعر:

والشمس إن خفيت على ذي مقلة نصف النهار فذاك محصول العمى

وأما المأخوذ من الرعية فهو بعد أخذه من نفسه وخاصته أضعاف ذلك بعض ما أوجب الله على الرعية من بذل أموالهم وأنفسهم دون دين الله، وإعانة المجاهدين في سبيل الله، وسد هذه الثغور الإسلامية التي وسع الله بتفضله نطاقها، وإقامة هذه الشعائر الدينية التي نشر الله برحمته أعلامها، وحماية هذه الحوزة المحمدية التي أعظم الله وله الشكر حرمتها. وما أوجب من الإعداد لأعدائه من القوة التي لم يحدها محيد ولم يقصرها عن فرض، ولا استثنى دونها ممكناً، بل قل عز وجل: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾^(١) وقد تضمن هذا الذب عن أعراض سادة العترة وأمراء شريف هذه الأسرة فيما اعترض به المعترض مما تحث أيديهم الثالث والرابع، قل من الأموال والخزائن، ونحن نقول: بل من العساكر والخيل والسلاح والحصون والذخر، وما يظهر بتفضل الله ونعمته عليهم وعلى أتباعهم وأعاونهم من الهيبة الحسنة والنعمة الناظرة والغبطة الجلييلة التي لا تقطع، لا تطلع عليهم ولا عليها شمس يوم ولا تغرب إلا وهم بها غيظ لأعداء الله وشهب ترجم شياطين من حاد الله ورسوله تارة في المشرق [أ/١٢٨] وتارة في المغرب وتارة في الشام وتارة في اليمن وتارة في البر

(١) الآية: ٦٠ من سورة الأنفل.

وتارة في البحر، مفارقون لله في ذلك أهليهم وأوطانهم، وبنيتهم، وإخوانهم، إن بذلوا المال فهم له على وجهه بذلون وإن أعدوه عندهم فهم عند الله من المتصدقين المتقين، وانظر إلى قول الله عز وجل في آخر آية الإعداد: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١) يعني في الإعداد ﴿يُوفُ بِإِكْمٍ وَأَنْتُمْ لَا تظَلْمُونَ﴾^(٢) فلا ينكر ذلك إلا نحو من قال الله عز وجل فيهم: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا، أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا، فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾^(٣) ومن لا يعرف معنى الجهاد ولا ما كان عليه سيرة رسول الله ﷺ والأئمة الطاهرين، من أهل بيته الذين منهم لكل قوم هاد ولم يسمع معنى قول الله عز وجل على من قل فيهم: ﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٤) فليس الجهاد مقصوراً على الضرب بالسيف والطعن بالرمح، كيف والله عز وجل يقول: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْنُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(٥) ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(٦) والمعلوم أنه لم ينصب للمنافقين حرباً

(١) الآية: (٦٠) من سورة الأنفل.

(٢) الآية: ٦٠ من سورة الأنفل وبدايتها: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به

عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم...﴾

(٣) الآيات: ٥٣، ٥٤، ٥٥ من سورة النساء.

(٤) الآية: ٧ من سورة المنافقين.

(٥) الآيات: ١٢٠-١٢٢ من سورة التوبة وبدايتها: ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن

يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبون بأنفسهم عن نفسه...﴾.

(٦) الآية: ٦٨ من سورة التوبة.

بالسيف ولا بالرمح، وإذا لبطل الرباط الذي هو أعظم مواقع الجهاد، وفيه قال رسول الله ﷺ: «كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله تعالى، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر»^(١) ومعنى قوله ﷺ «من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا»^(٢) وقوله: «لينفر من كل اثنين أحدهما والأجر بينهما»^(٣) وقد كفى المؤونة بعد كتاب الله وسنة رسوله في ذلك أجوبة أئمة الهدى الماضين صلوات الله عليهم كالهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، والمنصور بالله عبد الله بن حمزة، والمهدي لدين الله أحمد بن الحسين، والمهدي لدين الله محمد بن المطهر (سلام الله عليهم) وغيرهم وأقربهم إمامنا المنصور بالله وابنه المؤيد بالله (سلام الله عليهما) فقد أتينا بسيرة من قبلهما بالخبر وعائنا [١٢٨/ب] سيرهما بالبصر، وفيهم وفي آبائهم يقول الله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْبَدَهُ﴾^(٤) وإن كان المعترض قد جاءنا بالعجب العجيب إذ ادعى حصر جزيرة اليهود في اليمن، وخراج عدن، فهل حصر مصارفها حتى يجري فيه على سنن إذا كان العد عنده ليس إلا كما ذكر عمر بن الخطاب، وما باله لم يجر على ذلك في حق نفسه، وحق آل يحيى بن يحيى، على أنهم رعاهم الله عما هم فيه منزهون، ومن مثل ما سلكه مبرءون، راضون عن الله وعن إمامهم، شاكرون لنعم الله عليهم، قارون في هجرهم^(٥) ومساجدهم، وما باله طلب الولاية للسيد يحيى بن أحمد، وقال: إن تلك الجهة لم تزل في أيدي آل المؤيد، وأن بيت السيد يحيى بن أحمد بن المهدي رحمه الله وأعاد من بركاته ورفع درجاته بيت كبير لا يسعهم ما يسع غيرهم، وما التي في تلك الجهة ما ينفق عليهم وعلى آل يحيى بن يحيى هل الزكاة والفقرة؟ فقد

(١) الحديث: مسند أحمد بن حنبل: ٧٩/٤.

(٢) الحديث: مسند أحمد بن حنبل: ١٧٤/٣؛ وأورده أبو داود في سننه: ١٢/٢.

(٣) الحديث: سنن أبي داود: ١٢/٢.

(٤) الآية: (٩٠، ٨٩) من سورة الأنعام وتتمها: ﴿... قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين﴾.

(٥) هجرهم: أماكن العلم.

نزههم الله عنها. أو قبالات ومعونة فأين هي؟ وكيف وهو يعدها من أعظم المنكرات عنده التي أجاز دونها القتل والقتل^(١) واستباحة النفوس والأموال، وما يجوز حصوله فيها من الحديد فهل يختص ذلك بأولاد السيد أحمد رحمة الله عليه دون غيرهم؟ فما المخصص أو يعم جميع مصارفه فأين يبلغ؟ الله المستعان، وقد زاد في التعجب بل يزيد في العجب إذ قل فيما نعمة على سادات السادات فيما ينفقون أنه بلغه أن قيمة حاشا المقام كذا، والقميص كذا والبريم كذا، فليت شعره هو لا غيره من هذا الثقة الأمين! الذي اطلع على عورات المؤمنين حتى فصل هذا التفصيل ودقق هذا التدقيق! وهل يحكي هذا أحق فضلاً عن عاقل أو نائم فضلاً عن مستيقظ! ثم هب أن ذلك كان فقد ملكهم الله بسيوفهم وسيوف آبائهم سلام الله عليهم، وغنمهم بزحف صفوفهم، وصفوف سلفهم، نصر الله وجوههم ما أفاض الله به منهم على غيرهم من الإنعام، ما طبق الشرق والغرب واليمن والشام فضلاً عن أهلهم وخصتهم، والله عز وجل يقول وهو أصلق القائلين: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٢) ويقول عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾^(٣) ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(٤) ويقول عز وجل: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ [١٢٩/١] فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ رَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٥) ويقول عز وجل: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٦) ويقول في نبيه سليمان عليه السلام ﴿وَلَسَلِيمَانَ

(١) ساقطة من (ب) و(ف).

(٢) الآية: ٣٢ من سورة: الأعراف.

(٣) الآية: ٥١ من سورة: المؤمنين.

(٤) الآية: ١٧٢ من سورة: البقرة.

(٥) الآية: ٢٦ من سورة: الأنفال.

(٦) الآية: ١١ من سورة: الضحى.

الرَّيْحَ غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ
يَأْذَنُ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُم عَن أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ، يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ
مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ
عِبَادِي الشُّكُورُ^(١) وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَفْضُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا
دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُم حَافِظِينَ﴾^(٢) وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ
رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ، وَالشَّيَاطِينِ كُلَّ بِنَاءٍ وَغَوَّاصٍ، وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ، هَذَا
عَطَاؤُنَا فَأَمَّنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَإِن لَّهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾^(٣) وَيَقُولُ
عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَلِيلٌ لَّهَا إِدْخَالِي الصَّرْحِ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ
صَرْحٌ مَُّرَدٌّ مِنْ قَوَارِيرٍ﴾^(٤) وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ فِي نَبِيِّهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ أَهْلَهَا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نَصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مِنْ نَشَاءٍ وَلَا
نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَا جُرْ الْأَخْرَجَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾^(٥) وَأَمَّا مَا نَسَبَهُ
إِلَيْهِمْ وَصَانَهُمُ اللَّهُ مِنْ عَصِيانِ الْإِمَامِ وَعَدَمِ امْتِثَالِ أَمْرِهِ فَمَا عَلِمْنَا مِنْهُمْ إِلَّا
سَلْمِينَ مَطِيعِينَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَإِلْمَهُمْ بِأَذْلِينَ فِي ذَلِكَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ،
شَاكِرِينَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٦) فَرَضْنَا أَنْ يَتْلُوَ عَلَىٰ مِنْ وَصْمَهُمْ
أَوْ غَمَصَهُمْ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ
خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾^(٧) وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا
أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ، يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ

(١) الْآيَاتُ: ١٢، ١٣ مِنْ سُورَةِ: سَبَأٍ.

(٢) الْآيَةُ: ٨٢ مِنْ سُورَةِ: الْأَنْبِيَاءِ.

(٣) الْآيَاتُ: ٣٦-٤٠ مِنْ سُورَةِ: ص.

(٤) الْآيَةُ: ٤٤ مِنْ سُورَةِ: النمل وَعَلَمَهَا: ﴿... قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مِنَ الْعَيْنِ سَلِيمًا
لَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

(٥) الْآيَاتُ: ٥٦، ٥٧ مِنْ سُورَةِ: يُوسُفَ.

(٦) الْآيَةُ: ١٩٩ مِنْ سُورَةِ: آلِ عِمْرَانَ، وَبَدَائِعُهَا: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا
أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لَهُ...﴾.

(٧) الْآيَةُ: ١٢ مِنْ سُورَةِ: النور.

مُؤْمِنِينَ، وَيَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ^(١) وأما قوله ما صار عليه المسلمون من عدم الالتفات إليهم والرعاية لحقهم وتنزيلهم منازلهم، فالمسلمون والله بفضل الله عليهم ونعمته وبركات إمامهم وسادتهم في ظل نعمة ورزق، ومهاد عيش هنيء، وربوة ذات قرار ومعين، قد صدقهم الله وعده عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢) ولكن المعترض أصلحنا الله وإياه في خلا، وكل حجر في الخلا يسر، وليته شارك ساعة [١٢٩/ب] من نهار فيما يعانیه الإمام (عليه السلام) من التكاليف، وهو يعد ذلك من أعظم نعم الله عليه وإحسانه إليه، حتى يعلم مصدر ذلك ومورده ويذوق محل هذا الأمر الذي استسهل مقعده وإنما ينبغي أن يتمثل المتمثل [هاهنا]^(٣) بمثل ما تمثل به الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (سلام الله عليهما): ويل الشجعي من الخلي. الأبيات .. أو الإمام الهادي إلى الحق عز الدين بن الحسن سلام الله عليهما فيما حكاه من قصة الإسكاف، وما كرر التمثيل به من قول من قل:

ولو أنصفت في حكمها أم مالك إذا لرات تلك المساوي محاسناً

وأما ما ذكر عن الفقيه المجاهد بدر الدين محمد بن علي بن جميل، رعاه الله فما علمناه إلا توجه عن أمر إمامه لإنكار عظام ارتكبتها ابن روكان وغيره في نفوس وأموال وحرم ومعاملة^(٤) كل بما تقتضيه الحال، مما يردع وينزع وينفع فما اكتفوا بذلك حتى نصبوا الحرب والقتال فجوزوا بما جوزوا من النكال، فلا يبعد الله إلا من ظلم، والسبق محفوظ على من حفظه، وحدود الله قائمة

(١) الآيات ١٦-١٨ من سورة النور.

(٢) الآية: ٥٥ من سورة النور.

(٣) ما بين المعقوفين ساقطة من (أ) و(ب) والإضافة من بقية النسخ.

(٤) ساقطة من (ف).

على من تعدها، ولكن هلم الخطب في إجابة السيد صارم الدين لناعقهم، وإسراعه إلى شق عصي المسلمين بإجابتهم، وأما كون ذكره في أول الرسالة وأخرها من مذاكرته بهذه الاعتراضات سبع سنين وأنه أرسل رسلاً ورسائل، وتوسل بالعلماء والحكام وأهل الحل والعقد والإبرام، فما علمنا إلا الكتب التي نقلناها من خط يده بألفاظها شاهدة على أمره بالبطلان، وللإمام المتوكل على الله (عليه السلام) بوجوب الطاعة في التأريخ المذكور بخطه من سنة ست وخمسين، ونحن الآن في أول عام إحدى وستين [١٦٥٠م] وإلى ما لا يزال من كتبه الخاصة بأغراضه فتقضى، ومطالبه فيعطى، وإلا فأين أولئك الرسل والرسائل والعلماء والحكام، وأهل الحل والعقد والإبرام! الذين ذكر أنه توسل بهم فلينظر الناظر وليتأمل المتأمل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(١) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

جواب القاضي إبراهيم العيزري

وهذا جواب القاضي العلامة صارم الدين إبراهيم بن الحسن العيزري الأهنومي أيده الله.

بسم الله الرحمن الرحيم، رب يسر وأعن يا كريم.

الحمد لله الذي جعل الأئمة من آل محمد المصطفى أعلاماً للهداية، وأمنة لمن اتبعهم، وتمسك بهم من الضلال والغواية، وجعل لنا [١/١٣٠] حظاً في اتباعهم، وسلكنا في نظم أشياعهم وبصرنا بهداهم من العمى، وأرشدنا للاقتداء بأنوار علومهم العظمى، فله سبحانه الحمد الجزيل، والثناء الجميل،

(١) الآية: ٤٦ من سورة الزمر.

على ما خولنا من النعماء، وله الشكر الوافر الأوفى الأسمى، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة الإخلاص واليقين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين، صلى الله عليه وعلى آله الهداة المحقين.

وبعد.. فإن الإمامة والرئاسة العامة لما كانت صعبة المسلك، لا يقوى على زمامها إلا أولوا العزم، شائخة الذرى لا يستطيع صعودها إلا ذو علم راسخ وفهم، ولا يقوم بممارسة الأهوال التي لا تزال مرصدة لمقتعدها إلا من أعانه الله وأيده، وعصمه وسلده، وبألطافه الخفية أمّنه، وشرح صدره لما يرد عليه ووسعه لما يفد إليه من التكاليف العظيمة والخطوب الجسيمة، ولهذا لا يصلح لها إلا من كملت فيه الشروط المعتبرة شرعاً، والصفات الحسنة والشيم الظاهرة خلقاً وخلقاً وطبعاً، والأخلاق الشريفة، والطريقة المثلى عفة وورعاً، وكان من فضل الله علينا أهل هذا القطر اليماني اليمون، وعنايته سبحانه بنا وإنعمه الممنون أنه لم يزل به قائم حق من آل محمد ﷺ مظهراً للعقل، قائماً بالقسط، حاكماً بالحق، إمام بعد إمام، وهاد بعد هاد، حتى اتسق فيه الحق، وأعلن في أقطاره بالصدق، وظهرت شوكة العترة الطاهرين، واستحكمت دولة آل محمد الأمين صلى الله عليه وعلى آله الأكرمين، على الحق الواضح الأبلج والطريق السوي المنهج، وطهره من أرجاس الظالمين، وتفضل سبحانه بقطع دابر القوم الطغاة المفسدين، وذلك والحمد لله مما أكمله الله لهم ونعمه من حميد مساعيهم من قيام إمامنا الأعظم، وهادينا إلى النهج الأسلم، ومن له على المسلمين بعد الله المن الذي لا يقاوم واليد البيضاء التي لا تكفر، والفضل العظيم الذي لا ينكر، أمير المؤمنين وسيد المسلمين المنصور بالله رب العالمين، القاسم بن محمد قدس الله روحه في الجنة، وجزاه أفضل ما جزى الأئمة الهادين ودعاة الحق الأكرمين ثم بعده ولده القائم على نهجه،

القافي لأثره ومنهجه، ناشر رايات الجهاد ومظهر آيات العدل في البلاد، أمير المؤمنين وسيد المسلمين المؤيد بالله رب العالمين محمد بن أمير المؤمنين المنصور بالله (عليهما أفضل السلام) وأكمل به [١٣٠/ب] وبأخوته السادة المجاهدين ذلك السعي المشكور، وتم بعلو همهم طهارة هذا القطر من أرجاس أهل الفجور، وبارك في أيام جهادهم حتى توطن الناس ببركاتهم، والحمد لله والمنة له والأمن والإيمان، وتوسعوا في الفضل من الله والإحسان، ونالوا منالاً في الدين والدنيا ما لم يكن يخطر ببال إنسان، وذلك مصداق قول الله ذي الجلال: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١) فالحمد لله رب العالمين.

ولما اختار الله سبحانه لإمامنا المؤيد بالله (عليه السلام) نقل روحه الطاهرة إلى دار السلام بعد أن أقر عينه، وأطاب سعيه، وحمد أثره في الإسلام، كان بعده من الخطوب العظيمة المظلمة، والفتن الجسيمة الملهمة ما أذهل العقول، وجاوز حد المعقول من مصاولة الفحول، والتعارض بين أربعة من السادة آل الرسول كلاً منهم دعا إلى نفسه وخطب، وأقام سوق الطعن والضرب، فعجل الله سبحانه وله الحمد والمنة بإطفاء نار تلك الفتنة، وألقى في القلوب حسم تلك الخنة، وعصم عز وجل عن التفرق في الدين والاختلاف بين المؤمنين، وجمع كلمة الجميع على إمامهم السابق، وهاديهم وقائدهم إلى الخير وداعيهم الإمام الأعظم (العلم الأعلم)^(٢) الهادي إلى واضح لقم أمير المؤمنين وسيد المسلمين وعلو الحق المبين المتوكل على الله رب العالمين إسماعيل بن

(١) الآية: ٥٥ من سورة الزمر.

(٢) ما بين القوسين ساقطة من (ف).

أمير المؤمنين المنصور بالله، أيده الله، وأيد به الدين، وأعز به الإسلام والمسلمين، فدخل كل من عارضه تحت دعوته، وأذعن لحكمه وطاعته، وسلم كل منهم له الإمامة لما عرفوا له الفضل، وأنه الأحق بالرياسة العامة والأولى بالقيام بأمر الأمة والزعامة، مع ما ألقى الله له وله الحمد في القلوب من المحبة وجبله عليه من كرم الأخلاق وحميد الخلال المنتجة، وألقوا إليه مقاليد الأمور وفوضوا إليه تدبير الجمهور، وتابعوه وشايعوه، وبذلوا له العهود على رؤوس الأشهاد وبايعوه، وصدق الله وله الحمد ما رواه الثقات عن والده المنصور بالله (عليه السلام) أنه كان عنده في المنطرة^(١) الكبيرة في بيته بمحروس شهارة، وهو صغير يلعب بين يديه، ويكثر الدلالة عليه والإمام (عليه السلام) [١٣١/أ] مشغول بعمل، فأراد بعض الحاضرين أن يؤخره عنه، فقال الإمام القاسم: إتركه فلو يعلم الناس ما لهم في ولدي هذا من المصالح العظيمة، والخير لما تركوه يمشي على الأرض. هكذا في روايتهم عنه يريد بذلك المبالغة في صيانتة وتعظيمه، والرفع من قدره وإن حق مثله أن يصاب عن خشونة الأرض وأذاها، ولذلك صدق ما ظنه فيه صنوه مولانا الإمام المؤيد بالله (عليه السلام) في كتاب كتبه إليه، وهو بخط يده الكريمة، يذكر فيه ما معناه: وإنني أرجو من الله سبحانه أن يجمع بك شمل أهل هذا البيت، في كلام ينقل إن شاء الله تعالى إلى هنا بلفظه؛ لأنه لم يكن حاضراً في حال كتابة^(٢) هذا، فاستقامت والحمد لله عليه الأمور، ووصلحت بحميد سعيه بعون الله أحوال الجمهور، وشملت بركاته الخاص والعام، ونما بحسن عدله وسيرته وصلاح سيرته حل الأنام حتى تقيأوا في ظل من العدل ظليل، وقالوا من حسن السيرة في أشرف ما قيل، وقام بما يجب لله ولعباده أفضل قيام، وراعى حقوق المسلمين والإسلام، ولم يزل حفظه الله تعالى دائماً في صلاح العباد ليلاً

(١) المنطرة: غرفة تبنى أعلى البيت المكون من عدة طوابق والتسمية قائمة إلى اليوم.

(٢) في الأصل وبقية النسخ (كتبه).

ونهاراً، ومرشداً لهم إلى الخير سراً وجهاراً، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر بالأقوال والأفعال، مجتهداً في صلاح الأمة المحمدية أعظم اجتهاد، محضاً لكثير من أوقاته في عمارة البلاد متحريراً وجه الله فيما يأتي ويذر، محتسباً في معاناة ذلك ما يرجوه عند الله من عظيم الأجر، صابراً على اختلاف أخلاق الناس وطبائعهم، وعلى ما يلقي منهم من التهور والتلون في مطامعهم، حتى أن مشاهدته يرثى لحاله، ويعجب من كثرة إلحاح كثير في سؤاله وطموح الآمال منهم إلى ما لم يكن خاطراً بباله، ولم يكن ذلك منه (عليه السلام) إلجاء إلى السؤال، وإنما يريد أن يقع كل شيء في محله، وعلى حسب الحال، ومقتضى ما يتوجه عليه المنال، لما عليه من اختلاف حل السؤال لاختلاط الغني بالفقير، وفتح باب الطلب من الكبير والصغير، والتباس حل كثير من الطالبين وتصنع كثير من السائلين، والله المستعان على هذا الزمان وأهله، ونسأله أن يثبت الجميع على قدم الصلح بمنه وفضله.

وكان السيد صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين المؤيدي أقل الله عثرته وأخذ بناصيته إلى الخير أحد الأربعة الذين تعارضوا وباع مولانا الإمام الأعظم أمير المؤمنين المتوكل على الله إسماعيل بن أمير المؤمنين أيده الله بالنصر والتمكين بمحروس صنعاء في مشهد عظيم وجمع من العلماء الأخيار، ومحفل جامع للرؤساء الكبار، وكانت مبايعته بعد أن خيره الإمام (عليه السلام) [١٣١/ب] بين الدخول فيما دخل فيه المسلمون، أو عوده إلى مأمته من البلاد فلختر الدخول في الطاعة والتزام أحكام الإمامة وأوامرها المطاعة، ثم توجه من صنعاء إلى بلاد، والقلوب مطمئنة والعقائد حسنة إذ لم يكن في الظاهر إلا أن المقصد الأهم والأمر المقدم هو العناية بأمر المسلمين والقيام بإقامة معالم الدين، وجمع شمل المؤمنين، ورفع منار الشرع المطهر

وفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واعتقد فيه الإمام أيده الله بعد ما بايع وبذل من نفسه ما بذل من العهد الوفاء بذلك الذي بذل وعقد البيعة المؤكدة وحمله وجميع الناس على المحمل الحسن وحسن الظن لما عليه ظاهر الحال، وأنه ممن يصدق فيه المقل، فلم يشعر بعد انفصاله من صنعاء إلا وهو يجبل برط وقد نبذ تلك البيعة والعهد ونقض مؤكداً ذلك العقد غير مبال ولا متحرج، واعتل بعطل ظن أن له بذلك عند الله المخرج ولم تكن كما يعلم الله خاتمة للإمام أيده الله ببال، ولا كانت له في ضمير ولا لغيره من قرابته وغيرهم، ولو أريد به ما زعم وتفوه به لما احتج منه أن يطلب البيعة ولا أن يخير بينها وبين العزم إلى مأمته، فقد كان متمكناً منه، ولكن الإمام أيده الله خيره إرادة للوفاء لما ذكر أنه وصل صنعاء مؤمناً فحكم عليه، وما ذلك الذي اعتل به بعد البيعة بصنعاء إلا كما قيل: لهوى النفوس سريرة لا تعلم. ثم عزم من برط إلى الشام مصمماً على دعواه، وحصلت أمور هنالك أوجب الافتقاد لها والانتباه فأرسل مولانا المتوكل على الله حفظه الله تعالى ولده السيد الرئيس الأكرام صفى الدين أحمد بن الحسن بن أمير المؤمنين حمه الله في جماعة من العلماء والرؤساء والأجناد المنصورة بالله لإطفاء تلك النائرة والفتنة النائرة، فتقدم بأجناد الحق إلى الجهات الجماعية، وكل من أهل تلك الجهات انتظم في سلك الطاعة والولاية الإمامية، فعلم السيد صارم الدين أنه لا يسعه إلا الدخول فيما دخل فيه الناس، وانزاحت عنه الشبه والالتباس بعد أن انطوى إلى وادعة الشام، وكان في محل له في نفسه ما يريد من الدخول في الطاعة والانتظام في سلك الجماعة، أو العزم إلى أي مكان يريد من قريب أو بعيد، ولكنه لما عرف الأمور وأحوال الزمان وما عليه أحوال الجمهور رجع إلى ما هو الأولى والأسلم، وصرح بخطأ رأيه، وما سبق من فعله، وتقدم كما

في كتابه العام إلى المسلمين في تلك الأيام ما لفظه بخط يده: ولا شك أن مثل هذا الأمر لمثلي في هذا الزمن لا يدخل فيه إلا من جذبتة [١٣٢/أ] أمراس الاغترار ولمعت له بوارق الأمانى، من بين عارض شبه الوجوب، وما هي إلا إعصار فيه نار، وسنذكره جميعاً بعد هذا إن شاء الله تعالى بلفظه، فرأى ان التنحي به أجمل، والدخول فيما دخل فيه المسلمون أحفظ له في دينه وأكمل وأسلم في العقبي من الإصرار والزلل، كما صرح وشهد به على نفسه بعد شهادة الله وشهادة من حضره من العلماء والأعلام، وأهل الإسلام، وكتب قاعلة بيده وهي بخطه ولفظه محفوظة وعليها شهادة من حضر من العلماء، وحكم به القاضي العلامة شمس الدين أحمد بن يحيى بن حابس رحمه الله، ولفظها:



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، الحمد لله مدبر الأمور على مقتضى إرادته، كل يوم هو في شأن، المتصرف في خلقه على مر الدهور بلطيف حكمته من غير موازر ولا ثان، الملك الملك من عبيده من ملكه في الكتاب المسطور في سالف أزليته، فأنى لغيره سلطان، والصلاة والسلام على الهدى والنور المبعوث لإعلاء كلمته إلى الإنس والجان، وعلى آله المطهرين أحسن ظهور من رجس الشيطان ومعصيته فهم لأهل الأرض أمان.. وبعد..

فليعلم من على البسيطة من داني الأرض وقاصيها، من اتهم بغورها وأنجد بصياصيها، أن الداعي إلى الله بالمغفرة وراجيها، إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين، ثبته الله على قواعد الشريعة ومبانيها يقول: لما ظهرت الدعوة المتوكلية ظهور الشمس عقيب ليل الفتن التي حارت فيها ذوو

الألباب، ودان لها ذوو العقول، وخضعت خضوع الذليل، غلب الرقاب، ورفعتها المسلمون معزين لها ومكرمين، وذهب إليها العلماء ثباً وعزين، ووكل بها قوماً ليسوا بها بكافرين، حتى صارت ماضية لشأنها، قاطعة لعنانها، قائلة بلسانها:

دعوني أجوب الأرض في طلب العلى فلا الكرخ الدنيا ولا الناس قاسم

وعقد المسلمون بها للمسرة تاجاً، ووهجوا للجنل بها سراجاً وهاجاً، ودخل تحت أوامرها المسلمون أفواجاً، وجاءوا نحوها أفراداً وأزواجاً، وما ذاك إلا أن متحملها ينبوع العلم الفوار، وغيث الفضائل المدرار، وزبرقان الفلك الدوار، وطراز غلالة المعالي والفخار:

عليم رست للعلم في أرض صدره جبال جبال الأرض من دونها قف

ذلك فاتح الأرتاج، ودرة التاج، المولى أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين إسماعيل بن أمير المؤمنين، فعند أن اختصه الله بالخصائص الجليلة، ورأيت المصلحة في معارضة مثله قليلة، وكان الله قد أمر بالوفاق ورغب فيه وحث [١٣٢/ب] عليه وقال: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾^(١) سلمت ما كنت تحملته من الأعباء الثقيلة، تسليم راض لا شبهة فيه ولا حيلة لوليه وابن وليه الإمام المذكور المشهور المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام المنصور:

إذا الأمر هذا لا يليق بغيره فألقى إليه قوسه ومشاقصه

ولا شك أن الله راض بدعوة إليها قلوب الناس ظمأً وشاخصة

ولم نشرط عليه في ذلك التسليم إلا ما شرطه الله عليه، وما بقي إليه الله

على حالته المرضية سائراً على الكتاب والسنة النبوية.

(١) الآية: ١٣ من سورة: الشورى.

وها أنا قد خفت عني قلها على نية الله والله خالصة

فها أنا ذا سائر تحت لوائه، مهتد بهداه، ملتزم أحكام الطاعة، داخل تحت جمعته والجماعة، على مقتضى ما يريده الحق من طاعة الأئمة الذين هم أمناء الخلق ما طابقوا مراد الله والتزموا طاعة الله، فليعلم من وقف على مكتوبي هذا ما التزمته من أحكام الطاعة للإمام، وأن ما تقدم مني من مقتضيات النظر الذي اعتقدت فيه المطابقة لمراد الملك العلام، فإن كنت في ذلك مطابقاً لمراد الله، فقد مضى بما فيه من أجر، وإلا فأنا أستغفر الله وأسأله حسن العاقبة، وإليه ترجع الأمور، والإنسان محل الخطأ والنسيان، والكريم محل المسامحة والغفران، وقد ألزمت نفسي طريقة الاقتصاد وأوقفتها في حلبة السباق على قصة المصلين، وجذبتها عن إدراك شأو السباق، ومن قد سبقت منه إساءة إليّ وظن أنني بها قمين، فقد سألت الله أن يغفرها له وهو أرحم الراحمين وجل من لا عيب فيه وعلاء عن كل قول ذميم، وقل ما سلم من الخدش أديم:

ألا لا أبالي من رماني بريئة إذا كنت عند الله غير مريب

ولا شك أن مثل هذا الأمر لمثلي في هذا الزمن لا يدخل فيه إلا من جذبته أمراس الاعتزاز ولعت له بوارق الأمانى، من بين عارض شبه الوجوب، وما هي إلا إعصار فيه نار، فعلمت ما كنت جهلته بعد الدخول فيه، وأبقيت بعد الخروج منه إن الله قد خفف عني الأصر، واختار لي ما لا أختار: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾^(١) وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وسلم.

(١) الآية: ١٩ من سورة النمل.

بتأريخ شهر جمادى الأولى سنة ست وخمسين وألف [يوليو ١٦٤٦م]. انتهى بلفظه من خطه وعنوان هذه^(١) القاعة ما لفظه بخط يده:

سيدني المولى أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين، ومن لديه من السادة الكرام، والقضة الأعلام، والمشائخ الفخام، وأكد ذلك بعهد الله ولم يبق شك ولا ارتياب واستمر على ذلك مدة [١٣٣/أ] من الزمان، واستمد من الإمام أيده الله الرأي في البقاء والوقوف بقراض والإذن في صرف الواجبات التي تخصه، أو تصيرها بنظر الفقيه علي بن هادي الشقري من جملة السادة الكرام، فطلب تقرير ما يحتاج إليه ويقوم بمثله ومن يلوذ به، وأمله الإمام أيده الله بربه المؤلف واستقام على ذلك الحال وأحوال الإمام حفظه الله والحمد لله على حالها، والأعمال متسقة على منوالها، لم يتغير حال ولا اختلف شيء من الأعمال، بل هي فيما ازدادت فضلاً وكمالاً واتسقت وترقت إلى ما هو أشرف حالاً والمنة لله سبحانه.

فلما حدث في بلاد صعلة وخولان من الحوادث من التظالم والعصيان وتخويف الطرقات والطغيان، ما يجب افتقاده على إمام الزمان، وتمنع كثير من أهل تلك الجهات عن تسليم الواجبات، وعن امتثال أوامر الشرع المطهر، وما يجب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أرسل مولانا الإمام (عليه السلام)، الفقيه الأجل المجاهد بدر الدين محمد بن علي بن جميل في جماعة من العسكر المنصور بالله لافتقاد تلك الأمور وجعل بنظره آداباً على أهل قبائح الأفعال، على كل بمقتضى الحال، وعلى قدر الأعمال، وأمره بإنفاذ ما يجب من الأمور، ورد الظلامات، وأجرى الأعمال على أحسن الحالات، فانطلق لما أمر به، ونفذ فيما وجه إليه، حتى كان آخر عمل عند الشيخ يحيى بن روكان، وامتنع عن والي الإمام وتسليم ما عليه وعلى أصحابه

(١) ساقطة من (ب) و(ف).

إلى بلاد شعب حي^(١) لاستيفاء الآداب^(٢) من المتوجه عليهم سبب ما جرى فيما بينهم وبين بني بحر^(٣) من حرب وفتن وقتل امرأة وتظالم لا يجهل، ولا ينكر أن فعلهم ذلك من أعظم منكر، يجب على الإمام ومن يقدر على النكير^(٤) افتقاده، وإن من تمنع من إنفاذ ذلك وافتقاده يجب جهاده، وأهل شعب حي إذ ذاك في حال اضطراب وتحرب وتشوش، قائمين بالسلاح مستعدين للكفاح، حتى نعق بالفتنة ناعق فيما بينهم وبين العسكر فجرى ما جرى من الحرب، التي انجلت عن قتل جماعة من الفريقين وسببها التمتع والاضطراب، وعدم الامتثال والانقياد لما أوجبه الله رب الأرباب من طاعة أولي الأمر، فلما جرى ذلك الحادث ومثله يجرى عزم الشيخ على بن روكان صنو الشيخ يحيى إلى السيد إبراهيم بن محمد، واستصرخ به على باطله واستنصره على ضلاله وضلال قبائله، وحرف القول عن مواضعه، لم يلبث السيد أن نقض تلك العهود المبرمة، ونكث البيعة المؤكدة، وجنح إلى إجابة ابن روكان، ولم يتثبت في دعوائه بل أخذ ببدئ الرأي، ولم يكن في ذهنه أن ذلك الحادث وإن فرض أن التعلي [١٣٣/ب] فيه من العسكر فلا يبطل إمامة ولا ينقض به عهد، ولا يحل من متابعة عقد، وإنما استغزه ذلك لما وافق أمراً في نفسه هو عليه متهالك. فمع الفرض أن التعلي وقع من الفقيه محمد بن علي وأصحابه على وجه جلي فالواجب في مثل هذه القضية أن يرد إلى الأحكام الشرعية ففي الكتاب العزيز والسنة النبوية وسيرة أئمة العترة الزكية بيان ما أشكل، ومعرفة ما يحكم به في مثلها مما لا يجهل، فإن لها مع ذلك نظائر، أولها قضية خالد بن

(١) شعب حي: من قرى خولان (الحجري: ٣٠٢/٨).

(٢) ما يفرض من الغرامات.

(٣) بنو بحر: من قبائل خولان في بلاد صعلة (الحجري: ١٠٤/٨).

(٤) في (ف): المنكر.

الوليد مع بني جذيمة، وتبرأ النبي ﷺ من فعله، ولم يتبرأ منه كما ذلك ماثور، وفي كل زمان تجري مع الأئمة من أعوانهم ما هو ظاهر مشهور، وأما أهل شعب حي وشيخهم ابن روكان فالأمر فيهم ظاهر، وأنهم متمنعون عن الأوامر متمردون عن طاعة الإمام أيده الله تعالى، وعمما يجب فلم يقع منهم امتثال، ولا طاعة لوال، وقد شهد عليهم السيد في رسالته بأنهم قد تمنعوا، وزعم أنه إنما كان عما يطلب منهم من غير الواجبات من المعونة ونحوها، وعن أنفسهم في ذلك دافعوا، وقد أوضح الإمام أيده الله بالدليل إنما يطلبه الإمام من المعاون ونحوها من جملة الواجبات، ومن سبيل المفروضات له طلبه والإجبار عليه، واجتهاد الإمام يعمل به فيما يرجع إليه، فلما أجابهم السيد إبراهيم بن محمد إلى هذا الأمر الذي دعوه إليه وسارع إلى نقض ما عاهد الله عليه، وكانت زلة ينبغي له أن يستقيل الله منها، وعشرة الواجب عليه أن يبادر بتدارك نفسه إلى التوبة منها، لم يشعر إلا بيته الرسائل إلى الناس ورفع قناع الحياء ولم يتحاش بالاعتراض على الإمام - أيده الله تعالى - في أشياء تقمها من ولاية الإمام عليه السلام والعمل لم يعلم بوقوعها، ولا سمع بأمرها نقل عنها لأنها أمور لو كانت لم يخف أكثرها ولظهر أمرها، ولما انكتم على الناس خبرها، وإنما جعل ذلك وسيلة لما أحدث من نقض العهود المبرمة، والعقود اللازمة، ومن أعجب حاله وتناقض أقواله وأفعاله وما أشنعها من مقالة، وأسقطها من حالة، ما زعم أنه إنما صالح مصلحة لما عدم الناصر كصلح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، فأظهر من كمين سره، ومكنون مضمرة أنه فيما حرر من تلك القواعد بيده، وما نطق به لسانه من تلك الأمور كاذب، وأن أيمان الله التي جعلها دخلاً، وعهوده ومواثيقه لعبة للاعب، ولم يعرف أن بين فعله وبين فعل أمير المؤمنين كرم الله وجهه بوناً

بعيداً وفاقاً [١/١٣٤] بيناً واضحاً، وأن احتججه به من النظر القاصر، والعجز الظاهر، فإن أمير المؤمنين عليه السلام، عاهد وباع ووفى بذلك وزاد على الوفاء، ولم يخلع يداً عن طاعة ولا فرق جماعة، وألزم نفسه الصبر والتزم أحكام الأمر، وإمامته منصوصه قطعية عند جميع الأئمة، من آل محمد صلوات الله عليه وشيعتهم، وأن من كان في زمانه مقتعداً دست الخلافة أنت مسلم أن لم يكن أهلاً لها، ولا مستحقاً للدخول فيها، إنما هو غاصب ومدع ماليس له بأهل، وأما أنت أيها السيد فقد أقررت على نفسك بالاغترار، وحكمت عليها بما صدر منك من المعارضة مما يحى بالتوبة والاستغفار، وسلمت أن الإمامة للمتوكل على الله (أيده الله) وافقت محلها، وأنه أحق بها وأهلها: ﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ، وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾^(١)، فهل بعد هذا يجمل لذي بصيرة أن يأتى بإمام هذه أحواله أو ينتظم في سلك داع تناقضت أفعاله وأقواله! أم كيف يقلد الإنسان في دينه من يجعل أيمان الله وعهوده دخلاً! ولم يصدق قوله له عملاً! يا للمسلمين من العماية في الرب! فلو أن السيد إبراهيم (أقل الله عشرته) اقتدى بما كان من الحسين صلوات الله عليهما وسلامه من المصالحة لمعاوية وصبرهما على الوفاء لهما بالبيعة، ولم يستحلاً نقض ما فعلا، ولا الخروج عما فيه دخلاً، مع ما في معاوية من النقص الكثير مما وضع لهما وأذيته بالسب لعلي عليه السلام وأشياعه، فصبر الحسن (عليه السلام) حتى لقي الله عز وجل لم ينقض عهداً ولا نقض ميثاقاً ولا عقداً، ولا فرق جماعة وبيعة، والحسين (عليه السلام) وهما إمامان قاما أو قعدا والحق لهما ابتداءً وانتهاءً.

ولما مات معاوية - لعنه الله - ولم يبق في عنق الحسين صلوات الله عليه بيعة

(١) الآية: ١٤، ١٥ من سورة القلعة.

أظهر نفسه ودعا إلى الحق، وكان ما هو معروف، وهذا لما جرى ذكر المصلحة، وزعم السيد أنه إنما كان ذلك مصلحة، وكلامه في قاعدته وكتبه يكذب هذا الزعم الذي ادعاه، ويخالف الحال الذي كان عليه بنه، وإلا فإن بين الحالتين أبوان فلحسن ابناء رسول الله ﷺ وذلك ابن أبي سفيان لم يكن للإمامة في قبيل ولا دبير، ولا أهلاً للخلافة في كبير ولا صغير، وإنما كان ذا سلطان تمتع به إلى حين، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، ولكن اختلفت المقاصد والأهواء، فإلى الله الشكوى، ونعوذ به من شر الفتن والبلوى.

وأما حالك أيها السيد وحال الإمام المتوكل على الله عليه السلام فإنكما من شجرة واحدة، وأصل واحد وقد سلمت له الاستحقاق، وشهدت على نفسك بالوفاق، وهو (أيده الله) لم يتغير عن الحال التي كان عليها إلى ما دونها بل إلى ما [١٣٤/ب] فوقها وما هو أفضل وأعلى منها، والحمد لله، وذلك ظاهر لمن نظر واعتبر، غير خاف على نبي عقل وبصر، والله در القائل:

وبعض خلائق الأقوام داء كداء البطن ليس له دواء

وقد كفى وشفى جواب الإمام (أيده الله) على تلك الرسالة وبين عليه السلام الاحتجاج على اشتراط الأفضلية وكيفيتها ووضح بما تستحق به الإمامة، ونحو ذلك بأدلة الكتاب والسنة، وأقوال الأئمة من آل محمد ﷺ وسائر العلماء، وكذلك في جواب ما اعترض به المعترض في أمر المعونات ونحوها مما يؤخذ من الناس، ووسع بما فيه غنية لمريد الحق وشفاء لما في الصدور، ووفى إن شاء الله لمن أراد الهداية وتنكب طرق التعسف والغواية، وإنما حمل على هذا الجواب، لما كانت الرسالة عامة، وعلينا واجب حق الإمامة، وإن ترك دفع القول المائل عن الصواب والطعن في سيرة الإمام بالباطل والبهت مما يؤدي إلى الشك والارتياب، وأن دفع الباطل واجب، والقول بالحق

وإعلان الصديق أمر لازب، ولا سيما ولنا ما لم يكن لغيرنا من الاطلاع على كثير من الأحوال ومعرفة موارد كثير من الأعمال، وإلا فإن في مثل تلك الرسالة وما فيها من الافتراء كان حقها الإهمال، ولكن ربما يراها مغتر فيعتقد، إن ترك الجواب عليها لريب في الأعمال، فاستخرت الله سبحانه وتعالى وهو نعم المستخار، وهو المسئول التوفيق لما يختار، وأشرنا إلى جملة من الجواب عن صدر تلك الرسالة إلى ها هنا وإلى ما أورد من الاعتراضات الثمانية على الترتيب والله المستعان، وعليه التكلان، في كل حل وفي كل شأن، وهو حسبي وكفى، ونعم الوكيل.

الأول منها: ذكر فيه ما لفظه: والذي صرنا نذاكر به إخواننا أموراً، أولها وأولها تعطيل باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذين هما ثمره الإمامة ورأسها بل أصلها وأساسها، فإذا كان الوالي من قبل هذا القائم بهذا الأمر إنما همه جمع الدراهم من غير حمل الناس على الواجبات التي تجب على الأئمة فنقول: هذا الاعتراض صدر عن غفلة كبيرة ودعوى التعطيل لباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يصدر عن بصيرة فإن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم من أبواب الجهاد وفرض لازم لجميع العباد ما يعذر عنه عند الله إمام ولا مأموم، ولا يخجل بفرضه ذو قدرة إلا وهو ملوم، وهو بحمد الله قائم يعلو همه، مولانا المتوكل وسمو عزيمته أتم قيام [١٣٥/أ] ولا يعلم بمنكر فيسكت عنه، ولا إخلال بواجب إلا وأمر به بالمقال والفعال والتعاهد للناس بالرسول والرسائل والتبليغ على السن كثير من الوافدين، والتصني بالمواظ على جمهور الواردين، حسب ما تقتضيه الأحوال، ويكون في ذلك مجال المقال، على ما يؤثر من أحوال المصطفى صلوات الله عليه وعلى آله وسلامه، ونقله أهل الأخبار والسير عنه (عليه السلام) من تصديه لمن عنده ومن يفد

عليه بالمواعظ والتعليم والتفهيم وإرسال رسله للتبليغ والإنذار والتحذير والإنكار والتغيير لما يرفع إليه من المناكير وقال فيه عز وجل: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(١) وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) تسليية لنبيه ﷺ وقال سبحانه ﴿فَلَذَكَّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾^(٣) فلم يوجب الله على نبيه إلا التبليغ والتذكير والنهي عما علم من المناكير، ونهاه عن التجسس وكشف الستر، وقال ﷺ: «من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله، فمن أبدى لنا صفحته أقمنا عليه حق الله»^(٤) وحال إمامنا صلوات الله عليه في هذا أوفى حال قائم بفرضه في الأفعال والأقوال، بلذ فيه وسعه، مبلغ فيه جهله، على حسب مقتضيات الأحوال، علم ذلك من اطلع على أحواله، وشاهد ذلك من أفعاله ومقاله، فإنه (أيده الله) لا يزال أمراً ناهياً مرشداً ناهياً، رسله إلى كل جهة تترى، ورسائله في كثير من الأقطار تقرأ، والخطباء والوعاظ قد أقامهم في الأمصار، وجميع القراء الكبار، وأكثر الصغار وتبليغ الشرائط قد علم، ومعرفة ما يجب لله سبحانه على العباد غير خاف ولا منكتم، وفرض الطلب لمعرفة ما يجب وجوبه على المكلف، وقد أخذ الله على الجاهل أن يتعلم ولم يجعل جهله عذراً له عن العقاب، وأخذ على العالم أن يعلم ويبين الحق ويفهم الصواب، فلجاهل عليه أن يطلب لنفسه النجاة ويقصد، والعالم عليه أن يعلم ويرشد، وعلى هذا مبنى التكليف والشرائع، وقد أدرك الناس في هذا الزمان والحمد لله بركات الإمام (أيده الله) وحسن قصده مالم يكن في زمان قبله على ما يسمع ويعرف ممن قبلنا من الطاعة لله عز وجل وكثرة المدارس للقرآن

(١) الآية: ٣ من سورة: الشعراء.

(٢) الآية: ١٠٣ من سورة يوسف.

(٣) الآيتان: ٢٢، ٢١ من سورة الغاشية.

(٤) الحديث: السنن الكبرى للبيهقي: ١٦٣.

في كثير من البلدان التي لم تعهد فيها مدرسة فيما سبق من الزمان، وتفقه كثير من الناس، وبسط العدل في الجهات، وتقويم المعوج على أحسن الحالات والصفات، لا يعلم بمنكر يحدث إلا وغير، ولا بدعة إلا وقمعت، ولا إخلال بواجب إلا ويعمل.

وأما حمل الناس على أن يكونوا على صفة واحدة حسنة، وطريقة متحدة مستحسنة، فذلك [ب/١٣٥] من المحل ومما لا يوجب الله على البشر لضعف الحل، قال عز وجل لنبيه صلوات الله عليه: ﴿لَذَكَّرْنَا إِنْ مَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ، إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ، فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ، إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾^(١) وإنما على الأئمة التبليغ إلى العباد والعدل الذي هو عمارة البلاد والأخذ على أيدي أهل الفساد وتجنيد الأجناد على أهل البغي والتمرد والعناد والحث على الواجبات وإظهار الشرائع البينات، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَبَيِّنًا مِنْ حَيٍّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٢) ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٣) وقال السيد في هذا الاعتراض ما لفظه: وكان الجهاد قد صار حجراً محجوراً، والأخذ على الظالم قد صار شيئاً منكوراً، ودليل ذلك هذه الجهة التي نحن فيها، وما يصلحها والقليل يدل على الكثير، فإذا كان لنا سبع سنين نهتف بهم ينظرون فيما أوجب الله فلم يلتفتوا إلى ذلك ولم يرجوا إلى ما هنالك، فيقل له: يا سبحان الله! ما أعجب الحال وأيسر المقل! وتشديد الملام إلى الغير! وكأنك لا تكليف عليك، أو لا حق يلزمك ويتوجه خطابه إليك، فهلا إن كان لك عزيمة وصرامة، وغضب للدين وأهله وشهامة، ومحبة للخير وصلاح المسلمين،

(١) الآيات ٢١-٢٦ من سورة: الغاشية.

(٢) الآية: ٥٦ من سورة: القصص وتعلمها: ﴿وهو أعلم المهتلين﴾.

(٣) الآية: ٥٤ من سورة: النور، وبدايتها: ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتلوا...﴾.

ورغبة للجهاد في سبيل رب العالمين، فليَمَ لم تحضر عند إمامك، وتعينه بلسانك وحسامك وتوازره بمجدك وجهدك، وتشحذ الهمة في إعلاء كلمة الحق والإعلان بالصدق، وليَمَ جاز لك في دينك أن تؤثر على ذلك السكون والدعة في بلاد أهلها كما أشرت إليهم، وحالهم معروف معلوم، لا يقام فيها حق إلا بجوار، ولا يؤخذ فيها على يد ظالم، ولا ينهى فيها عن منكر، أكثر أحكام أهلها أحكام الجاهلية، وأفعالهم القبيحة غير خافية، فما الذي أباح لك البقاء بينهم والاختلاط بهم! فهلا هاجرت عنها أو تحولت منها أو أفرغت جهداً في صلاح أهلها وإرشاد ضالها! بل لم يكن همك لما حدث ذلك الحادث في خولان الذي لم يكن إلا لدفع النظام وكف المآثم، والتأديب لأهل الجرائم، بإجرامهم والانتصاف للمظلومين من ظالمهم، وإدخال المتمرد تحت الطاعة لله سبحانه وحكمه، إلا توجهك لدفع الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والاستعانة عليهم بأهل الجهة الذين ساكنتهم الذين هم بالصفة الذين وصفتهم وجمعتهم لصد أهل الحق، ولم يكن منك الوقوف بينهم والمساكنة لهم إلا للتربص لمثل هذه الفرصة التي جعلتها ذريعة لإظهار الكامن ونكث العهود والبيعة والتهاون بها وبأمرها وأي تهاون! وذلك [١٣٦/١] عند الله عظيم، وخطر جسيم، وكان الأهم المقدم إرشادهم إن أمكن الإرشاد ولمن خلفهم من أهل تلك البلاد الذين لم يعرفوا معروفاً، ولا ينكروا منكراً أو الهجرة عن تلك الديار، والمفارقة لتلك الأقطار فلا تقعدوا معهم إنكم إذا مثلهم، ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾، وقال ﷺ: «لا يحل لعين ترى الله يعصى فتطرف حتى تغير أو تنتقل»، فإن زعم أن له عنراً في مساكنة الظالمين، فليظهر العذر ويبين، فإن الظاهر عدم العذر المبيح وأنى ذلك العذر الصحيح، وقد سلم للإمام المتوكل على الله (أيده الله) الإمامة كما صرح به تسليم راض، والتزم طاعته وأحكامه وقل: فما أنذا سائر تحت لواءه، مهتد بهداه، لازم

أحكام الطاعة، داخل تحت جمعته والجماعة، كما ذلك وغيره بخطه موجود، وكلامه بذلك على رؤوس الناس مشهود فما عذر من قال بإمامة إمام أن لا يهاجر إليه ويجاهد بين يديه وليس من المستضعفين ولا من المعذورين، إلا أن يكون ذلك العذر التربص لموائية الفرض وتتبع الرخص، وليت شعري كيف هذه الإمامة التي تكون على هذا الحل وتوثب عليها هذا التوثب وتتهافت عليها هذا التهافت! وكيف هذا^(١) الحل لها والعقد مرة بعد أخرى؟ بل متى عن له عان عقدها ومتى ذهب ذلك حلها ثم عقدها؟ لا لموجب شرعي، ولا لنظر صحيح مرعي، ولا لحالة تجددت، ولا لجداثة حدثت، وما هذا الحل والعقد؟ وما حكم ذلك العهد، وذلك المحضر والمشهد؟ وما الذي وسعه عند الله إن ينكث تلك المبايعة والعقد؟ وهل ذلك إلا أشبه شيء باللعب؟! ومناقضة يستدل ببعضها على بعض بالكذب؟! فهل يسع ذا بصيرة الدخول في مثلها أو عاقل يدخل تحت حكمها؟! فمن هذا النبي يقلد دينه من هذه صفته أو يؤتم بمن هذه حالته يأبى الله ذلك والمسلمين، فإنه ما أحدث الخلل وناقض الأعمال إلا التفرق واختلاف الأهواء، والمعارضات التي أوهت باب الجهاد ورضى معها باستقامة الحل وحفظ رأس المال، وإلا فإن آل محمد صلوات الله عليهم الذين في هذا القطر لو كانوا جميعاً يداً واحدة على حالة متحلة وسلموا مثل هذه الشوائب، واستقاموا على الحمية لمذهبهم، وسابقوا إلى طاعة إمامهم، وحفظ منصبهم، وشحذوا همهم لنصرة الدين، واجتمعت أيديهم على القيام بأمور المسلمين لقد وسعوا النطاق، وتملكوا الأفاق وأرضوا الخلاق، فالله المستعان إلى متى وإلى متى ييقون على هذه ويهملون أمة جدهم هذا الإهمال؟

اللهم، إنا نشكو غيبة [١٣٦/ب] نبينا، وكثرة عدونا، وتفرق أهوائنا،

(١) ساقطة من (ب) و(ج).

فنسألك الله نصراً تعجله، وسلطان حق تظهره، تعز به أوليائك، وتدمر به أعدائك، بحق محمد وآله عليهم السلام.

وثانيهما: ما يؤخذ من معاون من الرعية ونحوها... الخ فهذا الاعتراض صدر عن غير معرفة بالأحوال، ولا اطلاع على الأعمال، وما يحتاج إليه القائم بالإمامة، والناظر في المصالح العامة، من تقوية الأجناد والاستعداد للجهاد، وأنه لا بد من سد الثغور ودفع التظالم واستخلاص الواجبات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الشرع المطهر، فإن هذه الأمور ما تقوم إلا بالأجناد والأجناد لا يقوم بهم إلا المل والمنال ولا سيما مع فساد الزمان وأهله، فالتكليف باق والأعداء - أقمائم الله - محذوقون بالأفاق فالقائم بهذا الأمر لا يزال مثاغراً، وعلى القبائل مثابراً ناهياً أمراً، لو لا ذلك لقد أرى^(١) منهم العجب العجيب، وافتحوا من الفتن أبواب، فقد شاهد المعترض ما لديه من أعمال القبائل وتقطيعهم الوصائل وتظالمهم، وعدم نفوذ الواجبات فيهم وهذه القبائل في هذه الجهات اليمينية التي الوطة متمكنة منهم واليد عليهم منبسطة لو يحصل لكثير منهم أدنى إهمال أو يشمون رائحة ضعف عزيمة أو وهي قوة، لكان لهم صولات صائلة وأمور هائلة، إذ هم أقوى شوكة وأشد شكيمة وأعظم عدوان إن استفزهم الشيطان، ولولا أن الهيبة قامعة لأكثرهم وخشية الصولة من أجناد الحق قاصمة لأظهرهم، لما توقفوا على حد محدود، ولا تركوا في التظالم غاية مجهود، فإن قبائل عتمة ووصاب، وهم بالنظر إلى غيرهم ما يعدون في حساب لما حصلت لهم الفرصة في بعضهم البعض جرى بينهم من القتل وإراقة الدماء التي أفضت إلى النساء والأطفال، وذلك في خلال الفتنة الواقعة بينهم بعد موت سيدي شرف الدين الحسين بن أمير المؤمنين المنصور بالله رضوان الله عليهما، واشتغال الأجناد بما جرى من

(١) في (ف): (رى).

يافع، وتلك الحوادث منهم، ونحوها، وجرى منهم العجب العجاب، وهان عليهم كل الصعاب، ومثل قضية ابن راجح وهذا من باب ضرب المثل، ونحو ما جرى فيما بين بني صريم، وبين مرهبة في الملة القريبة، المجلت الحرب فيما بينهم في ساعة واحدة، عن نحو عشرة مقاتيل وامرأة، وكانوا متأهبين لما هو أعظم، قد أجاب كل منهم صفة من حاشد وبكيل، لولا مبادرة الإمام عليه السلام بعسكر وافر لدفع تلك المفاسد والمنابر وتأديبهم بالأداب الزاجرة والزمامهم رد الظلمات وتسليم الديارات، وكم لها من أخوات ومشبهات [١/١٣٧]، فإن قطر اليمن لا يزال فيهم الفتن، وإنما قلت في هذا الزمان لقوة هيبة الإمام حفظه الله، فيجب على الإمام والرؤساء الذين علقتم بهم الآمال الجسام الاعتداد بالعلة الوافرة كما أمر الله عز وجل لإرهاب أعدائه ولحفظ المعالم الدينية ودفع التظالم، واليمن حقير وواجباته بالنظر إلى ما يصير للعسكر يسير، فمخروج اليمن يقصر عن قدر ماللعسكر وحدهم، فقد جمل محصول اليمن وما للعسكر فقصر كثيراً، كيف ما يحتاج إليه لغيرهم من أهل الحقوق اللازمة، وأهل التأليف والفقراء والمساكين! ومع كل من هؤلاء قصده وواصل إليه مله، وشاهد الحال بذلك ظاهر ولمن خبر الأمور جلي متواتر، لولا فضل الله وجميل تيسيره ومعونته على حسن التصرف وتقديره، كيف بالوافدين والقاصدين، واتساع نطاق النفقات للواردين! فإنه لو يحصر هذا وذا لعلمه أنه لم يكن الموفي على جميع ذلك إلا ما أخذ بالديون العظيمة، وما هياه الله ببركات الإنفاق، وسبب أسبابه من أيديه العميمة، التي لم تكن في حساب، وما ينفتح من البركات والأبواب وتقديم وتأخير على مقتضى الحال، وتهيء الأسباب وهي نفقات في سبيل الله، وقد حض على الإنفاق في سبيله بواضح الآيات وصريح البيّنات، وواجب الجهاد بالمال والنفس، ولم يعذر عن ذلك أحداً من عباده ولا خص به أحداً دون أحد من أهل بلاده، إلا

من لا يستطيع لعجزه وفقره، ومن قدر على النفقة وضعف أو عذر تعينت عليه، وعلى ذلك جرى حكم سيد المرسلين (صلى الله عليه وعلى آله الأكرمين) بالاستعانة بالأموال والأنفس، وفرض ذلك على المسلمين، وذلك معلوم لمن عرف وعلم وصرائح القرآن شاهدة له، ودالة عليه، لا ينكر ذلك إلا من جهل، وتبعه على ذلك الأئمة المهادون من عترته، وأعلام الهدى السابقون من أهل بيته إلى يومنا هذا، لا ينكر ذلك إلا منكر الضرورات، ولا يتعمى عليه إلا من ارتطم في الشبهات، ومن زعم أنه ينفذ أحكام الله ويقوم بأمر الله في هذه الأقطار، ويقتصر على الزكوات والواجبات من غير زيادة ونيقيم الثغور ويقمع أعداء الدين، وأضداده بغير رجل ومال وعلة واعتداد وهو مع ذلك يرى أن أموال الله لا تحول عن مصارفها، وأنه لا فسحة في تحويلها عن أهلها، فالواجبات في أغلب الجهات لا تفي لأهلها ولا تقوم بحملها إن أثر به الأجناد حرمهم، وإن قدم المصارف ثم نقص عليهم وقسط سبيل الله لا يقوم بهم فقد كذب نفسه وظهر أقول رأيه واشتداده في باطل غلوائه، فأحوال هذه الأقطار لمن خبرها معلوم وأمرها ظاهر غير مكتوم، لمن نظر بعين الإنصاف، ولم يركب [١٣٧/ب] متن الاعتساف وإثما القائم بأمر المسلمين والناظر في المصالح العامة والأخرى في الدين عليه التحري للأصلح فيدفع الأعظم بالأهون والدون، ويسوس الأمور على قياسها والقانون، ولم تستقم هذه الحالة التي الناس عليها ويجب عليهم شكرها والتحدث بها إلا بعد شدائد وأحوال وأمر عظيمة وخطوب جسيمة، ومصابرة في الجهاد ليالي وأيام، وشهور وأعوام إلى أن شارف الاتساق والانتظام وقامت على قدم الاستقامة أول قيام، فأراد الشيطان لعنه الله من هذا المعترض أن يقوم والعياذ بالله على ذلك الأساس بالهدم، وأن ينقض منه المحكم المبرم، وهيئات أن ينخدع بزخارفه ذو عقل أريب، أو يجنح إلى ذلك من له في الدين نصيب ونظر

مصيب، اللهم غفراً غفراً وستراً ستراً.

وثالثهما: ذكر فيه فقال الثالث: إقطاع الأقارب والأنساب أموال الله وتمكينهم من الخزائن حتى صاروا يتباهون بها ويتنافسون بالحلي والحلل والعمارات، وحتى أن بلغت حاشا المقام سبعة عشر قرشاً والقميص خمسمائة حرف، والبريم صيغ من ألف ذهب عين، وباب بيت بمائة قرش من أموال الله، وذلك قطرة من مطرة، والفقراء والأيتام ومن له القسط الوافر من أموال الله لا يلتفت إليه، ولا يعرج عليه... الخ.

فهذا الاعتراض إن كان عن مشاهدة وبقين فاليقين ما يخفى، ونور الحق لا يطفى، فأرنا ذلك اليقين أو العدل الناقل لنكون على بصيرة في الدين، إن ذلك قد وقع وأخذ من أموال الله التي لا تحمل للمتصرفين عليها ولا تسوغ، وعلى سبيل الخيانة وغش الأمانة، فإن قل الناقل: إن الفعل قد كان وإن الإراءة لا تمكن، قيل: هات البرهان، فمع غيرك من الرائيين والمشاهدين، وإلا فهذا من الغيبة وثلم الأعراض التي لا تستباح بالظن والتخمين، فإن قال: البرهان يشق على مثل النعل والقميص والبريم، قيل له: هذا بتهان عظيم إن لم يكن لك عليه شاهد ولا أنت له واجد فالباب الذي بمائة قرش لا يمكن أن يخفى؛ لأنه يستر به ولا يستر عليه، فأرشدنا إليه أو هات البينة عليه؛ لأنه من الممكنات والأمور التي يطلع عليها، ولا تخفى على من نظر إليها؛ إذ المشاهد يشترك في رؤيته كل ذي بصر، ولو كان ذلك واقعاً لقد ظهر واشتهر، ونحن من أكثر الناس لهم خلطة واطلاع على كثير من الأحوال، وترفع إلينا كثير من الأعمال فلم نسمع ذلك من ناقل رآه ولا نخبّر شاهده بمرآه، وأما مجرد النقل بالأهوية والظنون السيئة فمما لا ينبغي أن يصغى إليها ولا يعرج عليها ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ [١/١٣٨] مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا

بُهْتَانٌ عَظِيمٌ»^(١) «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا»^(٢)، فإنما حمل على ذلك الحسد والمنافسة في الدنيا «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا»^(٣) ولا شك أن الله سبحانه قد خول آل القاسم عليهم السلام وأتباعهم من فضله وأوسع عليهم من طوله ما يقصر عنه الوصف، وما أرغم الأعداء وثلج به صدور الأوداء، وملكهم من الأموال الخاصة بهم مالم يكن لكثير من الناس بسيف حداد وسواعد شداد وغرر أيام في الجهاد ووقعات في الأعداء شرحت الصدور وعزمات هاشمية بيضت وجه الدين، وأعزبها الإسلام والمسلمين، وجلت الكرب عن المؤمنين، فتمولوا ومولوا واقتنوا من الأموال التي تخصهم ما اقتنوا، فإن فرضنا وحاشاهم فإنهم سلام الله عليهم أهل شهامة ظاهرة، وعقول راجحة وافرة، وأنظار لأنفسهم وللمسلمين صلحة، ما يفعلون ما ينقم عليهم في المروءة، ولا يرضون لأنفسهم أن يخرجوا من حد الفتوة، فإن لهم أنفساً شريفة وأخلاقاً عفيفة وهمما عالية، منزهون عن ذلك وعن غيره، فمن ذا الذي حظر عليهم ذلك إن أرادوه، وأويجره إن فعلوه من أملاكهم مع اتساعها وترادف البركات عليهم من الله والنعم وإسباغها: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ»^(٤) «وَقُلْ سُبْحَانَ تَعَالَى: «وَإِذْ كُورُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ رَزَقَكُم مِّنَ

(١) الآية: ١٦ من سورة النور.

(٢) الآية: ٩٣ من سورة: الأنعام ونمائها: «... أو قل أوحى إلي ولم يوح إليه شيء ومن قل سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطة أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم ينجون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون».

(٣) الآية: ٥٤ من سورة: النساء.

(٤) الآية: ٣٢ من سورة: الأعراف.

الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»^(١) فلم يحظر الله رزقه وما تفضل به، وإنما أمرنا بالشكر والتحدث بالنعمة وإظهارها، «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ»^(٢) وقال ﷺ ما لفظه أو معناه: «إن الله عز وجل إذا أنعم على عبده نعمة أحب أن يظهر أثرها عليه»^(٣) والناس بعدهم بحمد الله وله الفضل والمن وبركاتهم في نعم وافرة وأياد غامرة، وفضائل لا ينكر ذلك منكر، ولا يجحده إلا من أخل بفريضة الشكر.

وأما ما زعمه السيد من عدم الالتفات على أهل الحقوق من الناس وتنزيلهم منازلهم وإبلاغ المستحقين حقوقهم، فهذا من الرجم بالغيب من مكان بعيد، فلو حضر وشاهد واطلع على أحوال الناس وأعمالهم لعلم بخلاف قوله، وعلم أن هذا المقام لا يقوم به إلا من ارتضاه الله لأهل الإسلام فلا يقوى على التكليف الشاق إلا من جعل لنفسه من التقوى أوثق زمام، وباع نفسه من الله نبي الجلال والإكرام لما يرجوه من الأجر عند الله في دار السلام، وأما رضى [١٣٨/ب] الناس وبلاغ ما يؤملونه من الأمل فمن أعظم الخلل، فإن كثيراً منهم لم يرض عن الله عز وجل في كثير من الأحوال، فكيف يقدر المخلوق! أن يرضي المخلوقين من رام ذلك فقد أبعد المرام، بل يخرج من حد أهل العقول إلى عالم الأنعام، وإن للتكاليف حكمها، والنظر في الإعطاء والمنع والتفرق والجمع لذي الإمامة والرئاسة العامة بحسب اجتهاده ونظره في المصالح على ما يوفقه الله إليه ويعينه عليه مع حسن القصد وخلوص النية فيما بينه وبين الله عز وجل، فذاك من تكليفه اللازم وفرضه المهم الذي هو به قائم وعليه التحري جهده «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا»، ويجب على المؤمن

(١) الآية: ٣٦ من سورة الأنفل.

(٢) الآية: ١١ من سورة الضحى.

(٣) الحديث: مسند أحمد بن حنبل: ٤٧٤/٣.

حسن الظن بالمسلمين كيف بإمامهم وأمرائهم الذين أمر الله بالرجوع والرد إلى علمهم.

ورابعها: ذكر ما لفظه: الرابع: أن خراج اليمن من الجزية سبعون ألفاً لخاصة نفر، ونصف خراج عدن وهو فوق اللك^(١) لآخر.

فنقول: هذا جهل عظيم وفرية لا شك فيها ولا مرية، فاليمن حقير من حيث هو، وكم أهله فضلاً عن قدر من فيه من أهل النعمة حتى تبلغ جزيتهم هذا المبلغ، ثم دعوى قصرها على خاصة رجل واحد فهذا من المحل عادة، ومن الجهالة بالبلاد وأهلها والبلادة، وأما عدن فمعروف لم يعلم في هذه المدة أنه قد زاد على اثني عشر ألفاً يصير أكثر محصوله للرتبة والأعوان الذين فيه، ويصرف ما بقى منه في مصارفه التي وجهت إليه وسبل البر والإحسان ولم يسمع بقصر ذلك على خاصته نفر واحد أو على جماعة مخصوصين بل ذلك من سبل غيره من الأموال على حسب مقتضيات الأحوال، وذكر في هذا الاعتراض الرابع أن أكثر بني هاشم الذين وصى الله فيهم لا يجد ما يسد جوعة ويستر عورة، هذه هجر آل يحيى بن يحيى صاروا إلا القليل منهم في غاية الحاجة إلى آخر ما ذكره، فآل يحيى بن يحيى عليهم السلام من جملة السادة الكرام من آل محمد عليه وعليهم لصلاة والسلام لا يجهل لهم حق ولا ينقص لهم قدر، وهم بحمد الله قد بلغوا من حقوقهم ما فيه إن شاء الله وفاء وبلاغ لمن اكتفى، وصار إليهم من الإمام (أيده الله) ما لم يصر إلى غيرهم، فلو يحصر ما صار إليهم مما شملته البيانات وتضمنته الدفاتر من البر والنقد والطعامات من التقرير والمواساة والصلوات لعلم أن ما صار إليهم فيه زيادة على ما يجب لهم ووفاء بنصيبهم وقسطهم.

(١) اللك عشرة ملايين المنجد: ٧٦.

وأما القيام بالكل أو بكل ما يحتاج إليه الجميع، فالبشر عجزه عن ذلك معلوم ولا يدخل إلا تحت قدرة الحي القيوم، وقد قسط الله على عباده وقدره ورزقه الواسع وبيده خزائن السماوات والأرض والبسط والقبض، لما كان أعلم بالمصالح [١٢٩] للعباد وأجرى أرزاقهم على حسب إرادته على بعض بواسطة وعلى بعض من غير واسطة أحد على حسب تيسيره ولطفه وتدبيره ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ نُنزِّلُ بَقْدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾^(١).

وخامسها: قال فيه ما لفظه: الخامس عدم الوفاء بما أخذ لمن ذكر من آل يحيى بن يحيى من عهد الله وميثاقه من القيام بهم وبأيتامهم وأراملهم... إلخ فعهد الله وميثاقه لهم ولغيرهم على الأئمة مأخوذ، وهم بحمد الله على أحسن حل محمود، وعلى سنن العدل فيهم وفي غيرهم بمبلغ المجهود، وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق من القول قبل هذا ولما نطلع لهم على عهد خاص ولا ميثاق غير عهد الله وميثاقه الذي هو أوفى بحق العام والخاص، ولا ادعوا ذلك لأنفسهم ولا خاضوا فيه، وهم في جميع أحوالهم سالكون أيمن المسالك راعون لحق الإمام، ملتزمون لأوامره والأحكام إلا من لا يعتد به ولا يعتبر بأمره، وقد صرح السيد في كتبه تلك الأيام بعدم اشتراط شرط له ولقرابته، وذلك بخط يده، قل من جملة كتاب كتبه إلى الإمام (أيده الله تعالى) ما لفظه: واعتذرنا عن الكتاب إليكم حتى يقع الكتاب بعد المحفل العام الذي يرضى به إن شاء الله الملك العلام، ثم رجح عندنا أن نقدم بين ذلك هذا المسطور ونكتب مكتوباً خالصاً في الأمان ليس فيه شائبة من تلك الأمور، وهو على النحو الذي وضعه الصنو أحمد بن الحسن إلا أنه خال عن ذكر ما يخصنا وقرابتنا ليكون العمل بما قضت به الاستخارة لا يكون مشوباً بأمر غيره، فقد صدر إليكم

فلکم الفضل بوضع خطکم علیہ، ونخط من حضرہ سو حکم الکریم، وإن كانت العنیة قد حصلت بما فعله الصنو شمس الدین (حفظه الله) إذ هو يد من أیدیکم عظمی، لکن ذلك زیادة فی الاطمئنان، والله المستعان وعلیه التکلان، والدعاء وصیتکم، والسلام علیکم ورحمة الله وبرکاته.

حرر بمحروس قراض صبیحة یوم السبت خامس وعشرین فی جمادی الأولى سنة ست وخمسن وألف [یولیو ١٦٥٦م] انتهى.

وإنما وجه السید صارم الدین هذا الاعتراض بهم لأمر فی نفسه وحیکه فی صدره وإلا فلنا نظن أنه لو ملک من الأمر شیئاً لقصر بهم عن کثیر من الحقوق ولرأوا منه شیئاً من العقوق كما قد نالهم ذنوب من أمره، ولحقهم طرف من ضره، وأما قوله: إنه لم یزل یذاکر فی شأن هذا العهد والوفاء به من عقیب عقد الصلح ویتوسل بالعلماء والحکام وأهل الحل والإبرام، والمسألة بالله والأرحام، وأرسل رسلاً ورسائل متعلدة لتتضح له المعذرة، فلم نعلم برسول لذلك ولا رسالة ولا متوسل به إلا ما یجری من الکتب الی تعناد ومن التعاریف [١٣٩/ب] الی تحصر وإغائة طالب وشفاعة لسائل وتعریف بحاله، فیقضى من ذلك ما تقتضیه الحل، والمتوسل بهم من العلماء مصادقون والرسول الذین أرسلهم بالرسائل منهم إن كانوا معروفین، فلیرشدنا إلیهم لتصدیق المقال وتحقیق الحل، وأهل الحق به قاثمون وبالعدل ینطقون، فالله المستعان، وهؤلاء السادة آل یحیی بن یحیی علیهم السلام إلی الآن الأحوال شاهدة لهم بالوفاء، ولا نعلم منهم إلا المودة والصفاء والرضی بالإمام فیما أنفذ من الأوامر والأحكام، موفون بالعهود وحافظون لها علی أفضل حل محمود، لم یغرم فی الإمام غار، ولا استفز أحلامهم الراجعة اعتراض معترض، ولا اختدعتهم زخارف الأقوال.

وسادسها: قل فیہ ما لفظه: السادس ما صار علیه القرابة من التغلب علی

ما تحت أيديهم من أموال الله وعدم القيام بحق الإمام إن كانوا ملتزمين لها على ما يريد الله بل ما وافق هواهم من الأوامر اتبعوه وما خالفه تركوه... إلخ.

فنقول: حاشاهم من ذلك وصانهم الله من أن يتعلق بهم ما يصم الأعراض الطاهرة الزكية أو يصدر منهم تغلب أو تمتع أو عدم قيام بحق الإمامة المتوكلية أعز الله بها الإسلام والمسلمين فلم نعلمهم إلا سامعين مطيعين، ولا مثقال الأوامر والنواهي مسارعين، وفي سبيل المتروك غير مقصرين؛ بل كل منهم مبالغ في كونه الأسبق، وأنه المجلي في حلبة السبق، وهم لما تحت أيديهم من الأعمال متفقدون، وما نعلم منهم إلا خيراً، ولا ننقم عليهم ضميراً، شحاك للأعداء، شديدة وطأتهم على أهل الظلم والاعتداء بلذلون أنفسهم في إحياء معالم الدين آخذون من العلم والحلم بأحسن طرائق العترة الطاهرين، يجب حملهم على السلامة والمحمل الحسن والتأول لهم بحسن الظن إن صدر شيء على سبيل الندرة، وحاشاهم لما هم عليه من الخلال الحميلة والأحوال السديلة، ولا ندعي لهم العصمة بل هم ممن يخطئ ويصيب إلا أن طريقتهم أمثل طريقة وقد أخذوا من الفضائل بأوفر نصيب فأفعالهم جميلة وأقوالهم بحمد الله حميلة.

ومن ذا الذي ترضى سجايها كلها كفى المرء نبلاً أن تعدّ معايه

فإذا نظرت في الناس لم تجد لهم نظيراً، وإذا ما ثلت بهم غيرهم لم تر مثلهم، فبركات آبائهم الطاهرين لهم شاملة، وسوابقهم بفضل الله فيهم محفوظة والحمد لله فهم أحق بما قيل:

محسودون على ما كان من شرف لا ينزع الله عنهم ما به حسدوا

وسابعها: ما لفظه: السابع ما صار عليه المسلمون من عدم الالتفاف عليهم... إلخ، وقد سبق [١/١٤٠] القول في الجواب عن هذا في الاعتراض الثالث بما فيه كفاية لمن أنصف، وإرشاد لمن عرف.

وثانها: ذكر ما لفظه: الثامن أنه صار يولي علي كثير من الرعية من لا يميز بين الطريقة السيئة والسوية، حتى صدر من عامله الفقيه محمد بن علي بن جميل في جهة صاعدة ما هو معروف، وفي الجهة الخولانية من إحراق المسلمين ومن لا ذنب له على غير الوجه المألوف ولم يكن من القبائل الخولانية إلا السابقة في الإسلام والجهاد بين يدي كل إمام، ومع ذلك فإنهم دفعوا عن أنفسهم ما صار يطلب منهم من الأمور الزائلة على القوانين الشرعية فنقول هذا الاعتراض مما ظنه السيد أخذ الله بنصيبته إلى الخير مروجاً لما صدر منه البغي والنكث، وملبساً على الناس ليغطي سوء ما أحدث وهذا الذي زعمه قادحاً وللدين فلاحاً إنما هو من الظنون السيئة وعدم الخبرة مما عليه الأحوال مبنية، وفرض الإمام في ذلك تحري الأصلاح وفعل الأرجح فإن النظر إليه، وإذا ظن صلاحاً في وال وجهه إلى جهة، فذلك الفرض الذي عليه وعليه التحري جهله ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(١) وقد أمر النبي ﷺ الوليد بن عقبة، مصداقاً إلى بني المصطلق، وكان بينه وبينهم إحن فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره بارتدادهم، فهم النبي ﷺ بغزوهم، والقصة معروفة فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٢) ولم يرسله رسول الله ﷺ إلا أنه ظن فيه الخير فأخلف ظنه، فما يعلم ما في القلوب إلا الله سبحانه، فالإمام أيده الله متحر بمن ولاه جهله، وظاهر من ولاه الصلاح والسداد والجري على الطريقة المحمودة إن شاء الله تعالى مع أنه لا يزال يتعهد الولاية ويتفقد أمورهم ومن رابه منه ريب عزله ولا نعلم عن أحد منهم إلا ما هو خير وعلى هذا مضى الأئمة الهادون والسلف الصالحون وخيانة الوالي مما لا يتطرق بها إلى نكث بيعة إمام ولا يحل بها من عقد نظام، لأن خيانتته عليه ووبال أمره عايد إليه، وإنما

(١) الآية: ١٦١ من سورة آل عمران.

(٢) الآية: ٦ من سورة الحجرات.

على الإمام إن تيقن منه الخيانة، وعدم الأمانة أن يأخذه بخيانتة ويؤدبه على غشه لأمانته ومن الولاية من يسعه^(١) الإغضاء لهم في ما له فيه ذلك لأمر يقتضيه الحال وصلاح الأعمال ولكن من ذلك الوالي الذي قد عرف منه ذلك وعلم فسكت عنه ولم يؤاخذ مع أن إمامنا (عليه السلام) في التشديد عليهم والتفقد لهم والتحويل والتبديل لمن رابه منه ريب [١٤٠/ب] أو أطلع منه على عيب أكثر عن سبقة من سلفه الطاهرين، وذلك معروف لمن عرف الأحوال وهو منتهى ما يجب عليه.

وأما الفقيه بدر الدين محمد بن علي بن جميل وما زعمه عليه أنه صدر منه في بلاد صعلة فإنه أرسله الإمام أيده الله لإزالة منكرات (ورد ظلمات)^(٢) وزجر لأهل المعاصي وتوجه لها على مقتضى ما أمر به وقاسى من المشلق ما قاسى وصبر حتى قضى فيها ما قضى وعلى سبيل رشد مضى، وكان آخر عمل في الجهات الخولانية أمر شعب حي فوقع ما وقع وكان ما كان ومنهم بدأ الظلم وعوده على ما ظهر واشتهر لما هم عليه من التمتع عن الأوامر الإمامية والدفع الذي شهدت به عليهم وإنهم إنما دافعون عن أنفسهم، ما صار يطلب منهم من الأمور الزائلة على القوانين الشرعية وقد قرر العلماء العاملون وأهل النظر والاجتهاد أن الإمام الجامع للشروط الثابتة الإمامة يجب إمثال أمره، والوقوف عند نهيه وزجره ولا سيما في مسائل الاجتهاد وفي ما يقوى به أمره ويقوم به شعاره ويقا تل من خالف أمره وقد لزمته الحجة بإقرارك بالإمامة والشهادة بأنه لا يصلح لها إلا هو، وشهدت على أهل شعب حي بالامتناع عن أوامر الإمام والدفع له عما أوجبه عليهم وفرضه من التأديب لهم وامتناعهم من الامتثال لأمر الوالي بتسليم المعونات، وقد علمت أن ذلك من اجتهاد الإمام وإنه من جملة الأحكام ودليله على ذلك ما احتج به

(١) كذا في الأصل.

(٢) ما بين القوسين ساقطة من (ح).

من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة وفعلهم وبما قرره في ذلك علماء الإسلام من الفرق كلها كما ذلك في جوابه أيده الله وأن طلب المعونة من الناس فرض واجب على ما يفرضه، وحق لازم له طلبه، وحمل الناس عليه وقتالهم إن امتنعوا عنه وإلا كان في ذلك صدق ما يتمثل به العامة، أنت إمامنا والكلام كلامنا، فلذا ما فائدة الإمامة إذا كان محكوماً عليها بعجز العامة فذلك إنما يكون من العجز العائد على المسلمين بالضرر الكبير والوهن والضعف الكثير نعوذ بالله من ذلك ومن مكاييد الشيطان، ومن سوء الظن بأهل الإيمان وما أشار إليه من إحراق المسلمين ومن لا ذنب له، فاهل شعب حي هم الذين أشعلوا نار الحرب وأقلموا سوق الطعن والضرب، وإذا قامت الحرب على ساق لم يتوقف الأمر فيها على اختيار مختار، ومعرفة الجيش من الاضطرار وظاهر من قاتل وظاهر عدم البراعة، وقد فعلوا مع العسكر ما لم يخف أمره، واجتروا عليهم جرأة لولا نصر الله وتأييده ونصره ما أبقوا عليهم [١٤١/أ] باقية ولو تمكنوا منهم لفعلوا معهم من القبائح والفضائح أعظم داهية ولكن الله سبحانه وقى شرهم ودفع ضرهم ورد كيدهم عليهم وأرجع مكرهم إليهم وما ذكره من إنه لم يكن من خولان إلا السابقة الحسنة في الإسلام والجهاد بين يدي كل إمام فالسابق لأهله محفوظ وسعي المجاهدين عند الله غير مضيع فلم ينكر سبقهم ولا ضيع حقهم، وإنما أبطرتهم نعم الله عليهم وفضله الذي خوله وما نالوه من بركات الأئمة عليهم السلام، وكسبوه من السلاح وتملكوه من القوة فلو قابل أهل شعب حي ذلك بالشكر لله عز وجل وامثلوا امر الإمام عليه السلام وواليه كما هو الواجب عليهم لما غير الله عليهم بتغيير ولكنوا في فضل كثير: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١).

(١) الآية: ١١ من سورة الرعد وبدايتها: ﴿... له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفضونه من أمر الله...﴾ وتامها: ﴿وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد وما لهم من دونه من وال﴾.

وأما الفقيه محمد بن علي بن جميل ومن معه من المجاهدين فكانه ممن لا يحق له رعاية ولا حرمة، وكانهم لم يكن لهم سابقة أو حالة لائقة، إذ حالهم في الجهاد مع الأئمة مجهول أو كأنهم أتوا من خلف الردم المردوم. إن لم يكونوا من أهل السوابق الحميلة، والآثار السديلة، وهم لها حافظون وعلى سنن الحق قائمون، وفي طاعة الله وطاعة الإمام مشمرون، أمرون بالمعروف ناهون عن المنكر ما ينقم الناقم عليهم إلا طاعة الله وطاعة الإمام وقيامهم في الله أشرف مقام، فلو مائلت بين الفريقين لعلمت أن الفرق بينهما واضح ولو أنصفت لعلمت من الصالح منهم والطلح ﴿لَإِنهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(١) وما ذكر من أنهم عارضون للواجبات الشرعية فكيف ذلك، وهم منعوا العمل والتسليم إليه، وأمرهم في ذلك ظاهر، لمن عرف حالهم، واطلع على أعمالهم، وهل هذا إلا من المناقضة الظاهرة والعصية للأهواء؟ والدعاوى الجائرة تارة يقول هم عارضون للواجبات وتارة يقول إنما دفعوا عن أنفسهم ما فرضه الإمام من المفروضات وقد دل الدليل من واضح الآيات البينات، والحجج القاطعة الواضحات، إنما فرضه الإمام من المعونات والعقوبات من جملة الواجبات، وغير المفروضات لا معذرة عنها، ولا محيص منها، والله المستعان، وهو حسيناً ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم. انتهى ما احتمله الاختصار من مهمات الجواب على ما أورده السيد إبراهيم [١٤١/ب] من (الاعتراضات)^(٢) التي اقترحها والأباطيل التي اجترحها، وقد ظهر ما أودع من حكاية الإمام (عليه السلام) وحكاية من أجاب عن اعتراضاته من العلماء الأعلام بما يكفي ويشفي.

(١) الآية: ٤٦ من سورة الحج.

[جواب القاضي عبد العزيز الضملي على الرسالة] ^(١)

نعم! وظهرت نسخة عُزيت إلى السيد المذكور وألقاها إلى القاضي العلامة الفاضل وجيه الدين عبد العزيز بن محمد النعمان الضملي القاضي في بلاد أبي عريش وما والاها، وبنذر المخلاء المحروس ومن آتاه. فُجَاب عنها وبَيِّن الحق فيها وبعث بجوابه الوافي عنها، وبالنسخة المنسوبة إلى السيد إبراهيم أيضاً.

فأمر الإمام (عليه السلام) القاضي المكين، والعلم الشهير في السبعة المعظمين. شمس الإسلام والمسلمين أحمد بن صالح بن محمد بن إبراهيم بن أبي الرجال أطل الله بقاءه بأن يتولى جوابها، ويكشف نقابها، وحل الشبهة التي اعترضت لموردها وإبانة الحق الصراح بما سرد من نثرها وقصيدها، ولما كان عنوان ما أورده صاحب السؤال شعراً حرره فقال سؤال إلى أعيان أهل المذاهب إلى آخر ما قل. فقال القاضي أيده الله: الجواب المنظوم وشرحه في مقامات أمير المؤمنين، ومجالس الفوائد الملتقطة من نفثات خليفة سيد النبيين والمرسلين، وحجة الله الظاهرة في العالمين، ويرى في المنظوم من ذلك والمنثور، الكلام الذي يشفي الصدور، ويزحزح الشرور، قل المورد لذلك السؤال:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم:

سؤال إلى أعيان أهل المذاهب

ومن عنده فهم لقصد المذاهب

ومن غاص في بحر الأصولين فاتهى

إلى المنتهى منها وأعلى المراتب

(٢) ساقطة من (ح).

(١) ما بين المعقوفين عنوان أضفناه على طريقة الناسخ.

ومن كان في علم الحديث مبرزاً
 وحاز من التفسير جم الغرائب
 وكان له في سيرة الصحب خبرة
 وفي سيرة الماضين من آل غالب
 إذا لم يجد من قام لله ناصراً
 ينفذ حكم الشرع في كل طالب
 وأعياه أن يمضي على السيرة التي
 عليها مضى الأخيار كل المذاهب
 وليس بيت المال شيء يعده
 للنفق مهم عارض أو نوائب
 فأصبح ركن الشرع والدين واهياً
 لذلك والأحكام في رأي صائب
 فهل تشرى الأحرار يا علماءنا
 بما لنصر الحق من غير شائب
 [١٤٢/١] ويفرقه حلاً على كل مواسر
 لحفظ أساس الدين من كل غالب
 ويجعل هذا الأخذ من بعد مفسد
 للنفق أهم منه عند النوائب
 ويأخذ قلداً منه فيما يظنسه
 على السنن المقبسول من غير عاتب
 فذا زمن أهل التقى فيه والنهى
 قليل فطوبى للقليل الأطائب

وأكثر من فيه بنوا المال فاتبه
 لذلك وافكر ليس عنك بعازب
 وذا قد اتى في قصة الخضر التقي
 حكى الله في خرق السفين لعائب
 وقد نص أهل العلم في قول مسلم
 يرس أهل الكفر فيه فراقب
 وقال إذا ما المال صار محرماً
 جميعاً دفننا الضر منه لذاهب
 وماذا جميعاً غير فعل محرم
 للنجع أهم منه فافقه ما ربي
 له ماجد أهل وأصل موصل
 ونص صريح قس عليه وقارب
 ولكن على شرط بناه أولوا التقي
 ورأي إمام العصر لا رأي نائب
 وأسس أركان القياس له على
 شروط وأوصاف ذكرن لطالب
 وما كل ما همت به نفس طامع
 تجيء على هذا القياس لحاسب
 أم الحق أن يمضي على الشرع ظاهراً
 وإن بطلت أحكامه للشوائب
 ويسعى إلى الخيرات في الله جهده
 وليس عليه من تمام المآرب

فلذا العلم آي محكمات وسنة
 فريضة عدل ما عداها فجانب
 وليس لنا بالعقل تحليل حرمة
 ولا غير ما يأتي عن الله أو نبي
 فقد كمل الدين الخفيف وبيئت
 لنا السنة البيضاء عن شك رائب
 فمن يقف في قول وفعل ونية
 سوى أئمة المختار يعزوا لكاذب
 وليس على شيء من الدين والهدى
 فخذ بالذي ترضى به غير هائب
 فكل من القاصدين يا صاح قد نحى
 فريق من الشم الكرام الأطناب
 ولكن أينوا لي هديتكم طريقة
 يرجح ما يرضى الإله لطالب
 وينجو بها من أم قصد سبيلها
 ويظفر في الأخرى بنيل المطالب
 هو المنتحى دفع المقاسد بالتقي
 أخف هو الأولى لنا في العراقب
 لأن به يعلموا ويظهر معظم
 من الشرع فاسير ما أقول وناسب
 أم المنتحى نهج الشريعة ظاهرا
 وإن قل فيه سالك من مناسب

فقد قال خير الرسل وهو مصدق
 بما قال في أخباره بالفوائب
 [١٤٢/ب] بدا الدين في أصل غريب وهكنا
 يعود فطوبى للغريب المواضب
 فوقوا لنا إذا الاجتهاد وحقه
 من البحث في طرق الدليل الخراقب
 ولا تغفلوا شيئاً بحق فإنني
 شهى إليه راغب أي راغب
 وحلوا لنا ما حل في القلب شبهة
 تصير علينا حجة للنواصب
 وإلا فقولوا الحق هذا تعارض
 يوفق فيه من حُضي بالفرائب

اعلم أن هذه الأبيات أبرزتها القرينة الجملة، والفتنة الخاملة، للعرض لها على أنظار العلماء المصاقع، وأفكار النظار بهجة المحافل والجامع، لاستمداد الفائدة من أنظارهم الشريفة، والتمسك بحسن مقاصدهم في هذه المسألة اللطيفة، وكان السبب المستدعى لتحريرها والموجب عليّ لتسطيرها ما رأيت من اعتراض كثير من أهل هذه الأزمنة المتأخرة^(١) على أنظار متأخري الأئمة، التي ترى في ظاهرها أنها متابعة لسيرة أئمة الجور، من حيث عدم التوقف فيها ظاهراً على أخذ الحقوق المأمور بتسليمها إليهم، بل ربما أخذوا من أموال المسلمين الذين لا يجمل أخذ شيء من أموالهم إلا بطيبة من أنفسهم أو بحقها، قالوا: وربما شوهد من هذه السيرة ما يخالف سيرة الأئمة الماضين والخلفاء الراشدين، من عدم الاقتصار على القدر المحتاج إليه في المأكل والمشرب

(١) في الأصل وبقية النسخ: المتوخرة.

والمناكح والمساكين والملابس. ممن هو قدوة يقتلى به في فعل الخير مع عدم التكثير فيها ممن قام بأمر الأمة، وربما شوهد عدم القيام بحق من يجب القيام بحقه والقيام بحق من لا يجب القيام بحقه عند التعارض ونحو هذا من الأشياء الكثيرة، التي صار النقم بها من كثير من الأفراد ونسبة فعل الأئمة بها إلى الأفراد.

وأنا أقول في الجواب:

اعلم وفقني الله وإياك أن هذه الاعتراضات إنما تصدر ممن صدره ضيق حرج عن المحامل الحسنة أو ممن لا خبرة له بالمقاصد المستحسنة، فإن الإمامة منصب عظيم وقدره عند الله فخيم، وتكليفه أعظم التكليف يحتاج صاحبه إلى سعة الصدر ونفس البل واحتمل أعباء الخلافة وتلك الأثقال والصبر على كثرة القيل والقال، ومعاداة أكثر الرجال، وبهذا تنال أعلى الدرجات وتتفاوت المقامات وتضاعف الحسنات، وتكفر السيئات، وقد روي علي ذهني للإمام الناصر [١/١٤٣] للحق الحسن بن علي الحسيني (عليه السلام) ما معناه: إنه كتب إليه بعض أهل زمانه كتاباً ذكر فيه له أشياء انتقص من الإمام في السيرة، وقال: إن سيرة أهل الكفر أعدل من سيرته أو نحو من هذا.

فلما قرأ الكتاب عرضه على بعض خواصه ولم يزل به العرق حتى ابتلت ثيابه، وسأل خواصه ما يكون جوابه؟ ف قيل له: يقتل، وقيل: يؤدب، وقيل غير ذلك، فلما ذهب عنه الغضب وحكم على نفسه بعد طيشه أمر أن يجاب عليه بما معناه: أنا قد عرفنا بما قلت وإنما من قوم قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(١) وقد عفونا عنك. والسلام.

واعلم أن في فضل الإمامة وعلو مقام صاحبها أحاديث جمّة، منها ما رواه

(١) الآية: ٦٣ من سورة الفرقان وبدايتها: ﴿وعبد الرحمن اللين يمشون على الأرض هوناً﴾.

المهدي إلى الحق يحيى بن الحسين (عليه السلام) عن النبي ﷺ أنه قال: «الوالي العادل المتواضع في ظل الله وذمته، فمن نصحه في نفسه وفي عباد الله حشره الله في وفده يوم لا ظل إلا ظله، ومن غشه في نفسه وفي عباد الله خذله الله يوم القيامة.. قال: ويرفع للوالي العادل المتواضع في كل يوم وليلة كعمل ستين صديقاً كلهم عامل مجتهد في نفسه»^(١) وقوله ﷺ «والذي نفس محمد بيده إن الوالي العادل ليرفع له كل يوم وليلة مثل عمل رعيته، وصلاته تعدل بسبعين ألف صلاة»^(٢) وعنه ﷺ أنه قال: «عدك ساعة خير من عبادة سنة، وإنما قامت السموات والأرض بالعدل»^(٣) وعنه ﷺ أنه قال: «إن أحب العباد إلى الله تعالى وأقربهم منه مجلساً إمام عادل وإن أبغض العباد إلى الله وأبعدهم منه مجلساً إمام جائر»^(٤) ونحو هذه الأحاديث كثير، وأصل مبني منصب الإمامة الذب عن حدود الله، والحمل على القيام بحقوقه التي لا طريق لنا إلى معرفتها إلا كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة والعترة الطاهرة، فقد قال ﷺ «إن الله تعالى فرض عليكم فروضاً فلا تضيعوها، وحد لكم حدوداً فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان لها ولا جهل فلا تسألوا عنها ولا تكلفوها»^(٥) أو كما قال وإذا تقرر أن المراد بالإمامة العظمى هي إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنفيذ أحكام الشريعة المطهرة التي لا طريق لنا إليها [١٤٣/ب] إلا بما ذكر، فلإن ليس للأئمة القسامين بهذا التكليف غير الوقوف عليهما دون التعدي عنهما، لكننا نقول: إن كان القائم بهذا التكليف ممن يجد له الناصر على إمضاء ما كلف به لوجه الله تعالى كما كان من الخلفاء

(١) الحديث: السهمي، تاريخ جرجان: ٧٠.

(٢) نفس المصدر، ونفس الصفحة.

(٣) الحديث: المنذري، الترغيب والترهيب: ١٦٧/٣.

(٤) الحديث مسند أحمد بن حنبل: ٢٢/٣؛ ورواه الترمذي في سننه: ٦١٧/٣.

(٥) الحديث: ابن حجر فتح الباري: ٣٦٦/٣.

الراشدين ومن أنصارهم كعمار والمقداد وأبي ذر ومسلمان وغيرهم، ممن لم يكن همه إلا رفع منار الدين، وإعلاء كلمة الله رب العالمين، ومناصرة أنصاره، فإن من اتفق له هذا كما كان من أهل تلك المرتبة العالية والطريق النبوية فحق الله عليه أن يقتصر على ظواهر الشرع الشريف في أخذ الحقوق الواجبة والزكوات الظاهرة والباطنة والأخماس والغنائم والأموال المجهولة ويضع كل شيء منها في موضعه، ولا يتعدى هذا القدر إلى غيره من أموال المسلمين لقيام الشريعة المطهرة بما ذكرنا من غير حاجة إلى غيره، وهذا لا يشك أحد فيه أنه منية الأئمة لو وجدت، وطريقتهم المأتون^(١) عليها لو سلكت، والمستولون عنها لو سلمت، لكن نظرنا أتم النظر وتاملنا أكمل التأمل فوجدناها الجسم الغفير والطبق الأدهم الكثير، من أهل هذه الأزمنة داخلين في مرتبة المؤلفين الذي دفعت إليهم الإبل والشاة يوم حنين، وذهب المهاجرون والأنصار برسول الله بين أظهرهم طيبين الخواطر، لم تشب دينهم شائبة، ولا لوت أعناقهم بعد ذلك عن نصرة الحق داهمة ولا نائبة، ووجدنا القليل البرر من أهل هذه الأعصار فيه رايحة من تلك الآثار خلا أنها عصابة معلومة بالصوائب، وقطعة من نور مكللة بالغياب، فإذا صار أنظار أئمة الآل مع هذه الأحوال في أنظار مختلفات، وإن كانت في حقيقة الأمر مؤتلفات، فذهب سلف الأئمة من لدن زيد بن علي (عليه السلام) ومن بعده إلى الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (عليه السلام) إلى مسلك الصحابة الراشدين من التمسك بظاهر الشريعة المطهرة على اليقين من غير التفات إلى تحصيل مل وتأليف مؤلف ونصر مناصر، فقفوا على آثارهم، واهتدوا بمنارهم، فتبعهم أهل الله وأحباؤه، وتخلف عنهم أعداؤه وفعل بهم ما فعل وجرى لهم من السيرة ما

(١) كذا في الأصل.

جری به المثل من المثلة لبعض والحبس لبعض والقتل لبعض والتشريد لبعض وهم مع هذا غير منحرفين عن إمضاء [أ/١٤٤] المستطاع من حق الله فله درهم، وقد قال فيهم من قصيدة طويلة بعض أصحابنا المحبين المشايخين لأهل البيت المطهرين من أهل هجرة ضمد وهو الفقيه العلامة علي بن يحيى الهذلي رحمه الله:

لا يندع الناس عنكم ما ألم بكم	من كل أحق غدار ومكار
فإنما هي إحدى الحسينين لكم	وللطفاة خلود بعد في النار
ما نالكم غير ما نال الكرام وهل	بالقتل في الله بالناس من عار
لم تبغوا الحرب لا بغياً ولا طلباً	لنيل ملك ولا تحصيل دينار
ولا غضبتهم لغير الله آونة	ولا طربتهم إلى دف ومزمار
بلى نصحتهم بنى الأيام فاتهموا	كفعلهم بسأي ذر وعمار
وعزة القوم دنياهم وما علموا	بأنها ذات إقبال وإدبار
فإن تكن زهرة الدنيا وبهجتها	جنا بكم منهما يا سادتي عاري
فقد وعدتم بعقبى الدار وهي لكم	بصيركم وهي تجزى كل صبار
اخترتم الصوم عن دار الفرور فهل	ترضون إلا على العقبى يافطار
دراسة الوحي في الأسحار دابكم	والغير يشلدو بالحنان وأوتار
وأنتم الناس ليس الناس غيركم	ما كل ماشمت من سرق بمطار
وأنتم السادة الشم الذين بهم	يوم القيامة أرجو حظ أوزاري
وقد ركنت إليكم واعتصمت بكم	طراً وأقرضتكم مدحي وأشعاري

ولا شك أن طريقة الأئمة السابقين التي اختاروها هي طريقة الخلفاء الراشدين لأنهم بذلوا مهجهم لله واشتروا أنفسهم من الله، مع معرفتهم بضعف الشوكة وقلة القدرة، لكن بذلوا لله أنفسهم لم يمنعهم عن سلوك ما

سلكوه عند عائل، ولا ميل مائل، ولا قول قائل، فاستشهدوا حميدين، وفازوا برضا رب العالمين، لما خلتهم الأعوان، وباينهم الأصدقاء والخلان، لطمع هذه الدنيا الفان، فالله المستعان، وقصصهم وسيرهم مشهورة، وفي الكتب مسطورة مأثورة.

ولما عرف ما جرى لهم مع من مضى من أهل زمانهم وما طبق الأرض في تلك المدة السابقة من الجور والعدوان والتظالم والبغي في الأرض بغير الحق، وعدم جري أكثر الأحكام على مجرى الشريعة المطهرة، بل تعطلت وصار أمراء تلك الأيام أمرين ناهين، على مقتضى أهوائهم [١٤٤/ب] وموافقة أغراضهم وعرف المتأخرون من الأئمة أنه لا ينصر الدين، ولا تنفذ أحكام رب العالمين إلا بما يتألف به من لا بد من معونته ونصرته، أو تسد به خلة من أحوج إلى سد خلته ووجدوا أهل هذا العصر على هذا، ورأوا أن تلك الطريقة التي سلكها السلف الصالح وإن كانت هي المنهج السوي والهدى النبوي، لكن لفساد أهل هذه الأعصار الفساد الزائد عن حد الاعتبار، الذي يعلم بطريق الاستدلال بمن مضى أن السالك له من المتأخرين لا يتبعه فيه متبع ولا يعضده عليه ناصر، وإن فرض على القلة لم يتمكن بذلك من تنفيذ حكم فذ، ولا أمر بمعروف فذ إلا قدر ما يتمكن منه الأحاد، بل ربما أدى ذلك إلى سفك دماءات وأخذ ظلامات، ولحوق تبعات، فيكون السالك هذا المسلك كالسبب لإثارة الفتنة، فاستحسن المتأخرون من الأئمة أن يسلكوا مسالك، وإن كان ظاهرها اتباع أئمة الجور في القوانين المعروفة والفرق والضيافات، ونحوها مما ضاهوا فيه سيرة الظلمة وما ذاك إلا لتحصيل ما يتألفون به الأجناد، أو يسدون به خللتهم لقصور الحقوق الواجبة عن القيام بكفائتهم لاستغراقها لمصارفها، بل ربما ضاقت عن أهلها فقرروا تلك الأحوال لهذا المقصد، يقمعون به أهل الفساد ويسدون به الثغور، ويحفظون به الطرقات، حتى تتمكن لهم الوطأة من إمضاء الأحكام الشرعية، والنهي عن المنكرات الظاهرة والخفية،

ولأن الأموال التي تختص المجاهدين، وتقوم بكفائتهم لم توجد في هذه الأعصار فقد كان الصحابة (رضي الله عنهم) ومن بعدهم يجاهدون كفاراً، ويغنمون غنائم تكفيهم، وهذه الأزمنة قد انتشر بحمد الله الإسلام وعزَّزَّه الله قوة وعزاً، لم يبق للمجاهدين من وجهة ما يسد خلتهم، ففرض الأئمة لهم هذا الفرض والقانون في أموال المسلمين لسد خلتهم أو لتألفهم لدفع المفسلة التي تولد من خذلانهم، وقد ذكر نحو هذا بعض علماء المذاهب الأربعة، فأروا أن هذه الأفعال وإن كان ظاهرها أنها مفسلة، وإنها لا وجه لها ظاهراً من كتاب الله، ولا سنة نبيه لكنها مفسلة حقيقية، مقصود بها دفع مفسلة أو مفسد أهم وأعظم، وهي ما يتولد من قطع الطرقات، ونهب أموال المسلمين وسفك دمائهم، والتظالم مع ما يحصل بهذه المفسلة من مصالح جمة، وهي إقامة أركان الدين الشريف، وتنفيذ أحكامه على القوي والضعيف، فأرصدوا هذه الأموال لهذه المقاصد الحسنة وهي لها [١٤٥/١] مأخذ من الشرع جملية، وليس الشرع منافياً نصاً ظاهراً، فقد حكى الله في قصة الخضر (عليه السلام) في خرق السفينة عنه أنه أعابها على أهلها لثلاث يأخذها الظالم عليهم أصالة، فرأى أن عيبها على أهلها وإن كانت مفسلة، فهو لدفع مفسلة أعظم وهو أخذها، وإذا تقرر هذا في شرعنا فما قرره شرعنا فهو شرع لنا، وإنما أخذوا هذه الأموال على هذه الصفات والأحوال لأنها وإن كانت مظلمة فقد سكنت نفوس الرعايا إليها، ووطنت أنفسها عليها لا سيما قوانين المجابي، ولو أخذت منهم على غير هذه الصفة المعهودة لزيد التظلم والانتقاد وعظم التشكي في البلاد، فإذا سيرة الأئمة فتفطن لما أقول لك لما كثر الفساد من أهل الزمان لم يكن إلا دفع مفسلة بفعل مفسلة أخف، وفي الشرع نصوص: إن دفع المفسد مقدم على جلب المصالح، فإذا زالت المفسد عن الأئمة، وصلح الزمان وأهله على الفرض رجعوا إلى جلب المصالح وانتقلوا عن دفع المفسد ومثل هذه الأفعال قد نص عليها العلماء في جواز

قتل الترس الذي يترس به الكفار دوننا، وهم من المسلمين، ويجعلونه دونهم ذريعة إلى استئصال أهل الإسلام.

فإنه إذا لم يُمكن المسلمين دفع الكفار إلا بقتل المسلمين المتيرس بهم جاز، وإن كان قتل المسلم مفسدة لدفع مفسدة أعظم وهو خشية استئصال أمة من المسلمين، ومثل هذه المسألة ما ذكره العلماء أنه إذا طبق الأرض الحرام ولم يوجد الحلال، فإنه يجوز تناول سد الضرورة منه مع كونه محرماً لأنه فعل مفسدة أعظم، وهي ذهاب أرواح المسلمين.

ثم إنا نقول بعد هذا: إن لأخذ هذا المال مأخذاً في كتاب الله وهو قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١) وفي آية: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾^(٢) وليس الجهاد بالمال إلا بسلك شئع منه في سبيل الله، من جملة ذلك بذله في إعلاء كلمة الله، وتنفيذ أحكام شرايعه المطهرة والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإذا احتاج الأئمة في تمام ذلك وإمضائه إلى المعونة بشيء من أموال المسلمين لإقامة أركان الدين فعلوا ما يغلب على الظن أنه يدفع المفسدة العظمى من غير زيادة عليه، ولا استمرار مع زوال تلك المفسدة المخوفة، إن جوز زوالها على الفرض، وهذا القدر الذي يأخذونه يكون على المياسير مما زاد على كفاية السنة لإجماع الأمة عليه، وتقديره على القوانين المستحسنة أولاً لسكون نفوس أهل المال إليه كما ذكرنا، وقد نص على هذا أعني كون القوانين [١٤٥/ب] داخل في باب المعونة بالجهاد المنصور بالله عبد الله بن حمزة، وذكره الفقيه يوسف بن أحمد في (الثمرات) تفسير الآية.

فلذا هذه الأفعال وأخذ هذه الأموال لا تخرجهم عن كونهم أئمة الهدى،

(١) الآية: ٤١ من سورة التوبة، وبدايتها ﴿انفروا خفافاً وثقالاً...﴾ وعلمها: ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾.

(٢) الآية: ١١ من سورة الصف، وعلمها: ﴿... ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾.

ونجوم الاقتلى، ومصاييح الدجى، وقدوة من اقتلى، فالملجى لهم إلى اقتحام هذه الأحوال، وارتكاب هذه الأهوال، هو فساد أهل هذا الزمان، ومصارعة أهل الطغيان، ومعالجة أدواء أهل الخذلان، ثم إن الحق أنه كان ينبغي منهم مع القدرة أن يضعوا هذه الأموال كل شيء منها على حياله، ويصرفونه في مصرفه، لينقطع عنهم الاعتراض، وخلاف من يقول بيت المال غير منتظم ولا مستقيم، لعدم وضع الأموال في مواضعها، فيفرع على هذه أموراً في مذهبه، فإذا وضعوا هذه الأموال المرصلة لأربابها، وما يؤخذ من المعاون والأخماس والمظالم والغنائم، والجزي في أهلها وما يؤخذ من الحقوق الواجبة كالزكوات والمعشرات في أهلها، فهذه إن حصل التعاون بها والتعاقد والموازرة للأئمة، ربما تدخل في المقدور، فهو من جملة ما نقم به بعض الناقمين أعني صيرورة تلك الأموال إلى غير مصارفها، لا سيما صيرورتها إلى منصب الشرف النبوي، والأصل الطاهر المصطفوي، فإنه قد نقل الإجماع على تحريمه عليهم إلا على فتوى بعض متأخري الشافعية، وتأويلات بعيدة لبعض الزيدية، والجزم لأهل الورع منهم عدم قبضها لغير مسوغ، ثم صرف ما يجلب لهم من المعاون، والمظالم إلى غيرهم من مصرف الزكوات، ونحن لا نحمل الأئمة في ذلك المحمل الحسن، والرأي المستحسن، وقد فهمنا من إمام عصرنا أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين، إسماعيل بن أمير المؤمنين، أدام الله أيامه، التصريح بتحريمها على بني هاشم، وعدم صحة نية القرض، كما يروى عن غيره من الأئمة.

إما بالتأليف لمن لا يجوز صرف الواجبات إليه كالأغنياء، وبني هاشم فإن المنافسات في هذه الأزمنة لم تكن إلا في الزكوات، وإما بالقرض بالنية من الزكوات لبيوت الأموال أو من بيوت الأموال لمصرف الزكوات، فقد نص على ذلك بعض علمائنا أنه يجوز لمن هو في محل الولاية وهذا إنما هو

للضرورة، وهو كثرة اشتغالهم بمعاونة أهل الأطماع، وعدم التفرغ لفصل كل من هذه الأموال عن غيره على حده مع جواز ذلك، أعني نية القرض للمصرفين، وبعد ثبوت الإمامة لنا وقيام الحجة علينا بوجوب الاتباع يجب الحمل على السلامة، والتأويل فيما للتأويل فيه مجال، وما وضع لنا فيه الخطأ بوجه شرعي، فعلينا البحث فيه لهم على وجه السؤال، فإن وضع [١/٤٦] الوجه فذاك المراد، وإلا كان ذلك غاية تكليفنا، من باب المشورة والموازرة والمعاونة والنصيحة، فالأئمة بشر مثلنا محتاجون إلى المعونة في تكليفهم.

نعم! ومن جملة ما نقم به بعضهم، أن الأئمة نفسوا على كثير من الولاة، والأتباع والأجناد بالأموال الواسعة حتى توسعوا فيها كلية التوسع، وسلكوا فيها مسلك السرف، وتهدوا منها بمآهد النطف^(١)، ولم ينكر عليهم الأئمة ذلك مع قدرتهم على الإنكار.

فنقول للناقم: إن كان مثل هذا صدر من الأئمة الذين هم القدوة في مسالك الأخيار والعين الناظرة في الإيراد والإصدار، فلا شك أن ذلك مما نناقش فيه المناقش، ونعيب فيه العائب، لأن ذلك يعود على عرضهم النبي يدعون إليه بالنقص، لكنهم أجل قدراً عن المناقشة في هذه الدنيا الحقيرة الفانية، وإن كان ذلك إنما هو صادر من بعض الأمراء والأجناد والأتباع والعمل، فلا غرو إنما ألجأ الأئمة إلى اقتحام تلك الأحوال وارتكاب تلك الأهوال، بأخذ تلك الأموال هذه الأجناس والأشكال، الذين ليس همهم إلا تحصيل ما يتنعمون به من المال، ويتنافسون فيه بأي احتيال، من غير نظر إلى العواقب، ولا قول عاقل ولا عاتب، فلو عرف الأئمة أن الإنكار على مثل هؤلاء يفيد لكان الإنكار عليهم بأخذ الأموال بائس بدء هو الأولى، ومن لم

يقدر على الإنكار في أخذ المال كيف يقدر على الإنكار في وضعه في تلك الأحوال، إن هي إلا مفسلة من تلك المفسد، التي يترك الإنكار فيها لخوف أعظم وهو تخذيل خذلان الأئمة وتلاشي أوامرهم الشريفة، حتى على من هو أضعف، فانظر هديت إلى من يصارع هذه الأحوال، ويلقى مثل هذه الأمور من تلك الأشكال، كيف يتعرض متعرض للاعتراض عليه، ولا شك أن من اعترض عليهم في عدم إنكارهم لم يعرف ما قدر تكليفهم، أو عرفه لكن قصد التثريب^(١) بغير حق، والتشنيع بغير سبب فإن الأئمة لما رأوا أكثر الناس على هذه الطريقة، ولم يجدوا إلا أقلهم على الحقيقة، لم يسعهم إلا معالجة تلك الأدوية، ومداوة أولئك المرضى، والوقوف تحت بعض آراء أهل الأهواء، وما تلك إلا مفسلة لدفع مفسده ومحملة بل محامده فجزي الله الأئمة عنا أفضل الجزاء.

نعم! والذي في النفس منه الشيء الكثير أمران: أحدهما: عدم التسوية بين الرعايا في المخوذ، وهو أنا نجد كثيراً من القبائل عليهم مطالب لا تنفك شهرية أو يومية تتألف على الترداد إلى الشيء الكثير وهم بعد هذا غير معذورين عن اللوايق التي تعم سائر الرعايا، ولا ظهر لهم في [١٤٦/ب] المال مزية تميزهم بهذه الرزية، وبعض القبائل في كثير من الأقطار في غاية الإراحة إلا مالا ينقص حالاً ولا مالا كالأموال الطوارئ لعوارض يستحسنها الأئمة ولعل لخصوصهم بهذه الحال سبباً خفي عننا، فإن المطلب الإمامي الذي قد تعين بنظر ذي الولاية واستحسنه ينبغي فيه المساواة بين الرعايا ليحصل به النفع ويندفع الضرر، ويحصل به الغرض المطلوب.

الثاني: ما يرى من بعض العمال أنهم لا يتوقفون على الرأي المستحسن

(١) ثوب عليه تريباً: قبح عليه فعله (انظر مختار الصحاح ص ٨٣).

من الآداب والفرق، ولا يأخذون قدراً يكون برأي صاحب الرأي، فيقتفون آثاره، ويكلمون مثل هذه الأمور إليه؛ لأنها لولا ما وضعت من المقاصد الحسنة، والمرادات المستحسنة، لخرجت عن ظاهر الشرع نصاً وقياساً، وما كان بهذه الصفة سبيل الظلم الخالي عن الوسائل، وهذه الحالة قد تمكن الأئمة التنبيه فيها لعمل أهل الولايات، وقصرهم على المستحسن من المرادات، إلا أن يتولد من محاولة ذلك مفسدة أعظم كان تركه من باب دفع مفسدة بأخف، فإن عرف ممن ولاه أنه من أهل الدين والتقوى، وحصل منه شيء لم يبلغ مسامحه فليس من تكليفه إلا بعد بلوغه إليه وإن كان التجويز عنده حاصلًا لهذا وأمثاله، كما يروى عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يبيت ساهراً، يرفع الشكوى إلى الله تعالى، والاعتذار إليه ممن يظلم في ولايته بغير علمه خشية أن يكون سبباً في ظلمه، فإن الأرض لا تخلو من الصالح والطالح، فأما الولاية الصالحون الذين همهم معاونة أهل الحق ومناصرتهم ومعاضدتهم على إقامة كلمة الله وإظهار حكم الله لا ينظرون إلى طمع يلوح لهم أعلامه، ولا هوى تطرقهم أوهامه، بل يحرصون على إقامة الشرع لوجه الله ويطلبون بذلك ما عند الله ويأخذون كل شيء من وجهه، وما أشكل تحروا فيه أو رفعوه إلى من أمره إليه أو استرشدوا فيه أهل الورع والتقوى وكانوا أيضاً مما يأتون منه على وجل وخوف، فأولئك هم صفوة الله من خلقه الذين يثبت الله بهم الحجة، وتهتدى بهم واضح الحجة، المراقبون لقول الله تعالى: ﴿وَأَن احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتُونَكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾^(١) الآية. فأولئك هم الذين وعدوا بالثواب الجزيل، على عدل ساعة وهم الذين يكون لعمل أحدهم ثواب سبعين كلهم مجتهد، وهم الطائفة الذين لا يزالون

(١) الآية: (٤٩) من سورة المائدة، وعملها: ﴿فإن تولوا فاعلم إنما يريد الله أن يعصيهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون﴾.

على الحق على الصحيح، ولا شك أن من أهل الخير بقايا، وفي الزوايا خبايا، بمصداق الحديث النبوي لا يعرفون إلا بحسن السيرة، وصلاح السريرة، لا سيما أهل بيت الشرف النبوي والمقام العظيم المصطفوي، فإنهم أهل [١٤٧/١] الفضائل، ومحل حسن المقاصد والوسائل، لا زال منصبهم الشريف بالحق مقروناً، وعلى أهل الأرض ميموناً.

نعم! والأئمة بعد هذا كله مسئولون عن المستطاع من دفع ما أمكن دفعه، ورفع ما يستحق رفعه وبئذ الأموال التي تحت أيديهم على حسب ما تقتضيه أنظارهم الثاقبة، وآرائهم الصائبة، ولكن مع هذا أكثر اعتمادهم مصارعة أهل التأليف، وتقديم أهل الدين الضعيف، وكثيراً ما يتركون ذوي الاستحقاق لضرب من الصلاح وكولاً لهم إلى دينهم وإلى معرفتهم بحال الأئمة، ومن لا يعرف هذه المحن، ويتفطن لأحوال أهل هذا الزمن، ربما يظن أن هذا الحرمان للضعفاء شح من الأئمة بالملك دونهم، وإعراض عنهم وكلا والله إنهم ليعلمون ذلك ولكن نظروا إلى قوله: ﷺ: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكبه الله في النار»^(١).

هذا وقد ورد النهي في التعرض للأئمة بالاستخفاف والانتقاص لهم أحاديث منها قوله ﷺ: «ثلاثة لا يستخف بحقهم إلا منافق بين النفاق، ذو الشيبة في الإسلام، وذو العلم، وإمام مقسط»^(٢) وفي حديث عنه (صلى الله عليه): «ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق بين النفاق، ذو الشيبة في الإسلام، والإمام المقسط، ومعلم الخير»^(٣) وعنه ﷺ: «لا تسبوا الأئمة وادعوا الله لهم بالصلاح، فإن صلاحهم لكم صلاح»^(٤) وعن النبي (صلى الله عليه) أنه

(١) الحديث: تفسير ابن كثير: ١٠٧/٤.

(٢) الحديث: المعجم الكبير للطبراني ٣٣٨/٨.

(٣) الحديث: نفس المصدر والصفحة.

(٤) للحديث: على القاري، الأسرار المرفوعة: ٩٦٧.

قال: «لا تسبوا السلطان فإنه فيء الله في أرضه»^(١) وعنه (صلى الله عليه) أنه قال: «من أهان سلطان الله في أرضه أهانه الله»^(٢) وعنه (صلى الله عليه) أنه قال: «السلطان ظل الله في الأرض فمن أكرمه أكرمه الله، ومن أهانه أهانه الله»^(٣).

وعنه (صلى الله عليه) أنه قال: «السلطان ظل الله في الأرض فمن غشه ضل ومن نصحه اهتلى»^(٤) إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على تحريم الانتقاص بهم، فاحذر هديت من فرطات اللسان، واللمز في أئمة الدين الذين هم رؤوس أهل الإيمان، فإن ذلك فسوق وخذلان، لا يفعله إلا المنهمكون في الأطماع ونهب بيوت الأموال، والمتوصلون إليها بأي صورة من الاحتيل، فإنك إذا تأملت هذه المناقشات لم تجدها تصدر إلا من الذين افتتنوا بمخالطة السلطان، والأمراء والأعوان، طمعاً فيما عندهم حيث أنهم لم يخالطوهم للموازرة والمعاضدة لوجه الله تعالى، ولا أعطوا حق النصيحة، ولا ما عندهم من الإمامة، ولا بذلوا جهودهم في النفاة، ومن لم يعط المخالطة حقها ويف بما يجب عليه فيها فهو مفتون في دينه، مسلوب في عقله، همه تحصيل المطامع وحسد الحافظ والدافع، ولم تجد [١٤٧/ب] إذا تأملت حق التأمل من أهل هذه الوظائف من المتاعب للأئمة إلا من وفق الله منهم، وهم قليل، وكان همه صلاح ذات البين، وإرشاد الضال، وأداء النصائح للولادة والعمل، على أحسن الأحوال، وبذلك الجهد لمن لا يقدر على الاتصال والمشاركة في الصالح من تلك الأعمال، وتنبية الأئمة على ما غفلوا وإعلامهم بما جهلوا والتحنن عليهم فيما كلفوا وشغلوا، وجعل هذه المقاصد الحسنة عنده أهم المقاصد إليه، وأقرب القرب فيما لديه، أولئك صفوة الله من خلقه المعاونين

(١) الحديث: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) الحديث: مسند أحمد بن حنبل: ٤٢/٥.

(٣) الحديث: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) الحديث: السنن لابن أبي عاصم: ٤٩٢/٢.

على الخير، ومن أحسن ممن رضي الأئمة عنه ورضي عنهم، ودعاهم بالخير والصلاح، والإعانة على ما كلفوا به، وصحبهم على الوجه الجميل، المفضي إلى نيل الثواب الجزيل، أو نزه نفسه عن القيل والقال، وهذه الأحوال، واستغنى بما رزقه الله من الكفاف، ولبس ثياب الخمول والعفاف، فإن الله ييسر له الأسباب، ويهديه إلى شيء من طرق الاكتساب، يدفع بها عن نفسه مكاييد الشيطان، ويقطع بها عن الأئمة أذى اللسان، ويشغل بها عن الافتتان، حتى يعلم أنما يعانيه الأئمة من مصارعة الأضداد ومقاساة أهل البغي والفساد من أرشد الرشاد وأحسن المقاصد يوم يقوم الأشهاد.

نعم! ومما نقم به على الأئمة ما ترى من كثير من المخالفين في المذهب، وبعض أهله من الانتقاد في العقوبة بنهب الأموال وإخرابها والتأديب بالنفاعة ونحوها، يزعمون أن ذلك ظلم من الأئمة وأن العقوبة ليست إلا في البدن.

فتقول: هذه المسألة مما اختلف فيها العلماء، فورد في الحديث الصحيح أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال في حق المتخلف عن صلاة الجماعة: «لقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام، ثم أمر بحزم من حطب فأحرق على قوم يتخلفون عن الجماعة بيوتهم»^(١) أو كما قال، وهذا المعنى في الكتب الستة، وإذا هم (صلى الله عليه وآله) بإحراق مال المتخلفين، فهو لا يهيم إلا بلجانز، وقوله (صلى الله عليه وآله): «من غل فأحرقوا متاعه»^(٢) وقوله (صلى الله عليه وآله) في الزكاة: «من أعطاهم مؤجراً فله أجرها، ومن لا فإننا آخذوها وشطراً من ماله، عزمة من عزمات ربنا، ليس لآل محمد منها شيء»^(٣) وقد زعم بعضهم أن المراد من هذا الحديث وشطراً ماله - بضم الشين، وكسر الطاء

(١) لم اهد إلى الحديث.

(٢) الحديث: التاريخ الكبير للبخاري: ١٠٣٢.

(٣) الحديث: الطبراني: المجمع الكبير: ٤١١/٩.

مثقلة- بمعنى جعل شطرين وهو تأويل بعيد، خلاف ما نص عليه العلماء.

نعم! وزعم بعض العلماء أن العقوبة بالمال قد نسخت، وعلى هذا بعض الأئمة قالوا: وإنما بقيت العقوبة في البدن بالحبس والقيود والتعزير والحدود، ونحن نقول: روي عن النبي (صلى الله عليه وعلى آله) أنه قال: في حرم المدينة فاسلبوه، فإن نكث فيه الغلام الذي سلبه سعد بن أبي وقاص [١/٤٨]، فلما روجع فيه منع أن يرد، وقال: لا أرد طعمة أطعمنيها رسول الله صلى الله عليه.

وكذا ما أخرجه مالك في الموطأ في قصة رفيق حاطب بن أبي بلتعة، لما وجدوا ناقة الأعرابي المزني، أو سرقوها فأمر عمر بن الخطاب بقطع أيديهم، وقال للأعرابي: بكم ناقتك، فقال: والله يا أمير المؤمنين إنني أمتع منها أربعمائة درهم، فأمر حاطب بتسليم ثمانمائة درهم، وكان ذلك بحضور الصحابة، فهو دليل على أن العقوبة لم تنسخ، وكذا فعل علي رضي الله عنه في نهب نصف ملك المحتكر إلى بيت الملك وإحراق نصفه، وإحراقه لدار جرير بن عبد الله لما لحق بمعاوية، وكذا فعل الأئمة السابقين، وعليه أحمد بن حنبل وإسحاق في حق الكافر، بل قال: هو سنة لا سيما إن لم يحصل النكال إلا به، وعلى هذا جمهور الأئمة من الأئمة، قالوا: لأن الملك شقيق الأرواح، وأصل شرع العقوبة الانزجار، فإذا رأى الأئمة الانزجار بالمال أكثر فعلوا ذلك لأن المتبع ما ظهرت فيه المصلحة، وفي الناس من تكون العقوبة عليه في البدن أزجر كأعيان الدولة ورؤسائهم، فإذا التأديب موكول إلى رأي الأئمة فيما يحصل به الانزجار، وقد استحسنوا الزجر به في هذه الأزمنة لمصلحة الانزجار، ثم مصلحة الوجه الذي التجأوا إليه كما قررنا أولاً، فلا نغتر برأي من يقدح في آرائهم الصائبة، وأنظارهم الثابتة، لا سيما ما صدر عن رأي الأئمة، وأما العمال والولاة، فهم فريقان، فريق من التقوى والخوف لله على جانب عظيم، يراقب فيما يأخذ ويذر مراقبة الأئمة في الخوف لله تعالى ولا يتبع هوى نفسه، ولا تأخذ

في حق الله لومة لائم، كما كنا نشاهده من حي السيد العلامة هاشم بن حازم^(١) بن أبي نعيم الحسني المكي رحمه الله تعالى وأمثاله، وفريق همه تحصيل ما يدخره من المال لنفسه، ويكسبه على أي وجه، فيجعل صورة هذه الآداب والقوانين سبباً وذريعةً إلى تحصيل المال من غير مراقبة لتلك المقاصد الحسنة^(٢) والآراء المستحسنة، وما أعظم الوقوف على هذه الطريق الصعبة المنوطة بأهل الولاية، الماضي قولهم فإن النفوس مبنية على ما جبلت عليه من الهوى، وربما قصر الأئمة هؤلاء عن أفعالهم بعد ظهورها، وربما رأوا أن مثل هذا الجيش ممن يحتاج إليه في النصر، فأعرضوا عنه لا رضى بما فعل لكن خوفاً مما هو أعظم، وكم نجد من مصارعة من الأئمة لهذا الجيش في اقتحامهم على ارتكاب هذه الأخطار، ومخالفتهم لأنظار العلماء النظار، اللهم، ارزقنا منك الهدى والعفاف والغنا والتوفيق لما تحب وترضى [١٤٨/ب]، اللهم، أغننا بجلالك عن حرامك، وبفضلك عن سواك، وهب لنا من لدنك علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وتوفيقاً هادئاً وعملاً متقبلاً يا أرحم الراحمين. الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. اللهم اجعلنا هادين مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، لمح بحبك من أحبك، ونعادي بعداوتك من خالفك، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(٣) وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين. حرر غرة شهر ربيع الآخر سنة أحد وستين وألف (٢٤ مارس ١٦٥٠م).

(١) انظر ترجمته، ه النص : (٥/ب).

(٢) ساقطة من (ح) و (ف).

(٣) الآية: ٢٨٦ من سورة البقرة وبدايتها: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ...﴾.